شؤون فلسطينية

٢٣٥-٢٣٦-٢٣٧ تشرين الأول (اكتوبر)- تشرين الثاني (نوفمبر)- كانون الأول (ديسمبر)١٩٩٢

شؤون فلسطينية
٢٣٥
٢٣٦
تشرين الاول (اكتوبر) - تشرين الثاني (نوفمبر) - كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٢

شؤون فلسطينية

٢٣٥ـ٢٣٦ـ٢٣٧ تشرين الاول (اكتوبر) ـ تشرين الثاني (نوفمبر) ـ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٩٣

شَهريَّة فِكريَّة لمعَالجة أحدَاث القضيَّة الفِلسطينية وشؤونهَا المختَلفة
تَصدُر عَن مَركَز الأبحاث في منظمَة التحْرير الفلسطينيَّة

المحتويات

٣ التنمية في الارض الفلسطينية المحتلة:
واقع «الالحاق» وشروط «الانطلاق» ..... د. علي الجرباوي
١٥ العامل العسكري في العلاقات الاميركية ـ الاسرائيلية ..... مها بسطامي
٢٨ بعض التحولات في الفكر الصهيوني ..... ليلى السايح

في الأدب الفلسطيني: قراءات نقدية (ملف)

٣٧ رواية الانتفاضة ..... د. مصطفى عبد الغني
٥٠ معين بسيسو شاعر البدايات الصعبة ..... راسم المدهون
٦٣ أماكن المنفى في الرواية الكنفانية:
علاقاتها وتحولاتها الدلالية ..... عبدالرحمن بسيسو

ندوة

١٠٤ واقع الادب الفلسطيني وآفاقه ..... اعداد وتحرير: مهنّد عبدالله

مراجعات

١١٣ نحو حل عادل للمشكلة الفلسطينية ..... يوسف حدّاد
١١٧ قراءة جديدة للتاريخ السياسي الفلسطيني ..... سميح شبيب

مؤتمرات

١٢٠ الولايات المتحدة الاميركية والشرق الاوسط:
عقد من التحدي والتغيير ..... خليل فوطة

شهريات

١٢٣ المقاومة الفلسطينية ـ سياسياً:
المسار التفاوضي والاصطفافات الجديدة ..... س. ش.
١٢٨ المقاومة الفلسطينية ـ عربياً:
تبدّل في لغة التفاوض ..... أحمد شاهين

١٣٤ المقاومة الفلسطينية ـ دولياً:
دبلوماسية الاستمرار ..... د. نبيل حيدري
١٣٨ المقاومة الفلسطينية ـ عسكرياً:
تراجع دور «الوحدات الخاصة»؛ عودة النشاطات الجماهيرية ..... د. يزيد صايغ
اسرائيليات:
١٤٣ **الوفد الاسرائيلي: آليات التفاوض** ..... صلاح عبدالله
١٤٨ **نجاح كلينتون بين التفاؤل والحذر** ..... سمير جريس
١٥٢ المناطق المحتلة:
المعتقلون يعيدون صورة الانتفاضة الاولى ..... ربعي المدهون

وثائق
١٥٧ **بيان المجلس المركزي الفلسطيني: أسس التحرك في المرحلة المقبلة**
١٦٠ **آليات حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين**

يوميات
١٦٣ **موجز الوقائع الفلسطينية من ١٦/٨/١٩٩٢ الى ١٥/١١/١٩٩٢**

بيبليوغرافيا
١٨١ **القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الاسرائيلي** ..... اعداد: ماجد الزبيدي

لوحة الغلاف من الاتحاد العام للفنانين التشكيليين الفلسطينيين للفنان **امين الرفاعي**

الآراء الواردة تعبّر عن وجهات نظر كاتبيها؛ ولا تعكس، بالضرورة، آراء منظمة التحرير الفلسطينية، ولا المحررين، ولا المستشارين، ولا الناشرين

ISSN 0258 - 4026

المدير العام : صبري جريس

المراسلات

Al-Abhath Publishing Co. Ltd
16 Artemidos Street, Strovolos
P. O. Box 5614
Nicosia, Cyprus
Tel 429396, Fax 312104, Telex 4706 PALCU CY, Cables: PLOCS

الاشتراك السنوي

[بريد سطحي] في الدول العربية واوروبا ـ للأفراد ٤٠ دولاراً، للمؤسسات والدوائر الحكومية ٥٠ دولاراً (يضاف ٣٠ دولاراً للبريد الجوي) □ في باقي دول العالم ـ للأفراد ٥٠ دولاراً، للمؤسسات والدوائر الحكومية ٦٠ دولاراً (يضاف ٥٠ دولاراً للبريد الجوي)

التنمية في الارض الفلسطينية المحتلة

واقع «الالحاق» وشروط «الانطلاق»

د. علي الجرباوي

مع العملية السياسية التي بدأت بانعقاد مؤتمر مدريد، وتوقّعاً لامكانية الاتفاق بشأن البدء بتطبيق «المرحلة الانتقالية» في المستقبل المنظور، أصبحت تنمية الارض المحتلة موضوعاً أكثر الحاحية من أي وقت مضى، علماً بأنها حظيت، دائماً، ببحث كثير واهتمام كبير. كما وأصبحت عملية «التنمية» الجارية، حالياً، في هذه الارض، بحاجة أكثر من أي وقت سابق لاجراء عملية تقييم شاملة بهدف تقويم مسارها الحالي، ليتمّ دعم الايجابيات ودرء السلبيات. فالمرحلة المقبلة ستكون مفصلية في مسار النضال الفلسطيني الموجّه نحو هدف انهاء الاحتلال الاسرائيلي وتحقيق الاستقلال.

تستعرض هذه الورقة جوانب من ملامح عملية التنمية الجارية، حالياً، في الارض المحتلة لابراز ما تعاني منه من عوامل سلبية. والهدف، من هذا التذكير في الاستعراض، ليس جلد الذات وجلد المهتمين والعاملين بحقل التنمية في الارض المحتلة، وانما الاسهام، ايجابياً، في الدفع باتجاه فتح حوار هادف وبنّاء يقودنا الى وقفة نقدية مع الذات، لاجراء المحاسبة الضرورية لتقويم واصلاح المسار. ويجب التنويه والتنبيه الى ان الكثير من التطوّرات المستقبلية المتعلقة بالقضية الفلسطينية ومصير الشعب الفلسطيني منوط بكيفية ونوعية عملنا على الارض الفلسطينية منذ الآن. واذا جرت عملية التنمية وفقاً لمخطط سليم وبرنامج متين ستكون من أهم الشروط الايجابية لبناء المستقبل الفلسطيني الواعد والجديد.

التنمية: «لحاق» أو «انطلاق»

يوجد نوعان من التنمية: تنمية اللحاق وتنمية الانطلاق. النوع الاول، وهو الشائع في الكثير من دول «الجنوب» والمشجّع من قبل الكثير من دول «الشمال»، ينطلق في مفهومه للتنمية على لحاق الدول «الأقل تقدّماً» بالدول «المتقدمة». وتصبح هذه الدول المتقدمة خارج نطاق عملية التنمية، والمحدّد لمواصفاتها ومؤشراتها. أمّا الدول «الاقل تقدّماً»، فيوصف لها المسار، وتعطى مواصفات ومؤشرات تُطالب بأن تحققها كلّما أرادت الصعود درجة على سلّم الارتقاء. ولتسجيل «العلامات» تقاس المواصفات والمؤشرات بمقاييس رقمية تركّز على الاعداد والمعدلات. فيصبح عدد السيارات، ومعدّلات استهلاك الكهرباء، وعدد الاسّرة في المستشفيات، الى ما شابه ذلك من أرقام، دلائل على «تقدّم» البلاد، بغضّ النظر عمّا تعنيه هذه الاعداد والمعدّلات من ناحية المضمون الفعلي لأدائها.

لكي تحصل على «علامات» جيدة في امتحان التنمية، تتبع الدول «الاقل تقدماً» الوصفات

المبرمجة من قبل «الدول المتقدّمة»، وتطبّق الارشادات التي يقدّمها الخبراء؛ ففي ذلك ضمان لتحصيل «المساعدات» واستمرار تدفّق الاموال. ولأنها تريد تحقيق «النجاح» بأقصى سرعة، لأسباب متعددة أهمها سياسية، تركّز النظم الحاكمة في دول «الجنوب» على ايجاد مظاهر تنموية، فتنهمك بتحديث المظهر عوضاً عن الانشغال بتنمية المضمون. وتحديث المظهر أسهل بكثير من تغيير المضمون. فبناء طرق عريضة، واقامة المباني العصرية، وتمديد شبكات الكهرباء والمياه تبقى يسيرة عن تغيير نظام قيم وعقلية انسان.

تؤدي تنمية اللحاق الى تحديث انتقائي؛ فالسرعة تتطلب اليسر في التنفيذ. لذلك يتم اختيار شرائح ومناطق وقطاعات تتقلّص فيها امكانية المواجهة مع القاعدة والمعتقدات الصلبة للمجتمع، كي يتمّ تحديثها بدون احتكاكات، أو بأقل قدر منها في أسوأ الاحتمالات. وتؤدي الانتقائية الى الانفصامية؛ اذ تنقسم البلاد الى قسمين: أحدهما قشرة مُحدّثة تضم شريحة مجتمعية محدودة ومناطق معيّنة وقطاعات متخصصة، تبدو، جميعاً، وكأنها تماثل مقابلاتها في دول «الشمال»؛ والثاني يضم البقية من المجتمع والمناطق والقطاعات، وهي الغالبية العظمى، وتبقى كما كان عليه الحال على الدوام، سوى عن استحداثات لا تؤثر، نوعياً، على سياق المجتمع العام.

أمّا تنمية الانطلاق، فتستهدف تقدّم المجتمع من خلال تطوير قدرته الذاتية على التحكّم الكامل في إدارة شؤونه ضمن شروطه الخاصة، والتي تنبثق من قدرته على وضع استراتيجيته الذاتية الشاملة التي تقوم بتحديد سلّم أولوياته، وتتضمّن توسيع مجال خياراته بصورة عامة. وهذا النوع من التنمية شمولي يواجه مختلف جوانب حياة المجتمع في آن، وذلك على اعتبار انها مترابطة وتؤثر جدلياً في بعضها البعض. ولكي تنجح تنمية الانطلاق، يجب ان تتمّ في إطار تكاملي بين مختلف هذه الجوانب، السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والنفسية، بحيث يتمّ تطويرها بتناسق يقلّص من حدّة التوترات المجتمعية التي لا بدّ وان ترافق عملية التغيير الملازمة لعملية التنمية. أمّا اختزال هذه العملية في جانب واحد من جوانب المجتمع، أو اعتمادها على المعدّلات والاعداد الرقمية، فإنه لا يُعرّض امكان نجاحها للخطر فحسب، وانما يهدّد استقرار المجتمع أيضاً.

ان تنمية الانطلاق تعتمد في الاساس على تغيير الانسان باعتباره نواة العملية التنموية ومركزها، لذلك تركّز جلّ اهتمامها عليه؛ اذ ان تطوير الانسان يؤدي، بالضرورة، الى تطوير محيطه المُعاش، بينما لا يقود تطوير المحيط المُعاش، بالضرورة، الى تطوير الانسان. وبما ان تطوير الانسان عملية صعبة وطويلة الأمد، فإن تنمية الانطلاق تصبح بالضرورة عملية شاقة وطويلة الأمد، ولكن مثمرة على المدى البعيد.

الارض الفلسطينية المحتلة والتنمية

ان عملية التنمية من النوع الثاني ـ تنمية الانطلاق ـ في أفضل الاوضاع العادية لمجتمعات «الجنوب»، عملية طويلة وشاقّة يتطلّب نجاحها بذل الكثير من الوقت والجهد والتضحيات. وهي تتطلب، بعد اتخاذ قرار واعٍ بخوض غمارها، تخطيطاً متأنياً ودقيقاً يحدّد الاولويات المجتمعية ضمن نسق متكامل من التغيّرات الانتاجية والحياتية والفكرية. وبما ان المعوقات الداخلية والخارجية كثيرة، والتوقعات الذاتية بسرعة تحقيق الرخاء غالباً ما تكون كبيرة، فإن العديد من هذه المجتمعات ينزلق الى اختزال عملية تنمية الانطلاق الى عملية تنمية اللحاق التي تقوم على أساس تحديث نقلي يشوّه المجتمع ويكرّس تبعيته للغير. ونتيجة لهذا الاختزال، يقع عدد كبير من المجتمعات النامية في

خضم أزمة حضارية حادّة تفتّت جهود أهلها، وتشرذم طاقاتهم، وتشغلهم بذاتهم عن مواكبة مسيرة التطوّر الانساني، فيتناسل التخلّف ويزداد عمقاً ورسوخاً.

أمّا في الاوضاع الاستثنائية، كوقوع مجتمع تحت الاحتلال، فتصبح عملية التنمية غاية في الصعوبة. فالى جانب العوائق الذاتية والخارجية الاعتيادية التي من المتوقع ان تواجهها عملية تنمية المجتمع القابع تحت الاحتلال، تضيف السلطة المحتلة الى هذه العملية بعداً سلبياً هائل الأثر. وتغدو معوقات التنمية، في هذه الحالة، مفروضة على المجتمع بوعي وتصميم السلطة المحتلة التي تكرس سياساتها للقضاء على جميع فرص تقدّمه. وفي الواقع، يسلب الاحتلال، بطبيعته، المجتمع من امكان التحكّم في ادارة شؤونه ضمن شروطه الخاصة. وتتعقّد، نتيجة ذلك، امكانات المجتمع لوضع وتطبيق استراتيجية تنموية شاملة تتضمّن تحديد سلم أولويات لخطة مبرمجة. فالمجتمع الخاضع للاحتلال يفتقد أهم ركيزة للقيام بعملية تنموية شاملة ومبرمجة، وهي السلطة الوطنية المركزية التي تقوم، عادة، بالتخطيط لهذه العملية وادارتها وتقويمها وتوفير الادوات والوسائل اللازمة لتنفيذها. وهذا هو وضع الارض الفلسطينية المحتلة منذ وقعت تحت الاحتلال.

لم يتم اتخاذ قرار واعٍ بخوض غمار عملية تنموية في الارض المحتلة حتى الآن. ويعتبر هذا النقص الاساس، مضافاً اليه غياب السلطة الوطنية الفلسطينية التي يمكن ان توجه هذه العملية في حالة اتخذ فيها قرار، أهم عاملين سلبيين تحكّما بما يجرى في الارض المحتلة من محاولات «تنموية» الى الآن. فالمحاولات التنموية هذه بدأت «دفاعية»، كردود فعل على «هجمات» سلطة الاحتلال التهويدية المتلاحقة للارض المحتلة، وبذلك فقدت، منذ البداية، المحور والبوصلة والمخطط الذاتي لتوجيهها بشكل ايجابي، منسق، ومترابط. وعوضاً عن ذلك، تشعّبت هذه المحاولات في مسارات متفرّقة، وفي بعض الاحيان متضاربة، فجاءت مفتّتة، سطحية، محدودة الفاعلية والأثر.

منذ منتصف السبعينات، استقر الموقف الفلسطيني في الخارج على دعم «صمود» الاهل في الارض الفلسطينية المحتلة بهدف تثبيتهم فيها وشدّ أزرهم لمواجهة مخططات الاحتلال وسياساته الرامية الى اقتلاعهم من أرضهم وتهجيرهم منها. وتضمّن مفهوم «الصمود»، من الناحية العملية، توفير الدعم المادي للارض المحتلة وضخ الاموال فيها لتنفق على مشاريع تستهدف الحدّ من المخططات الاحتلالية. وخلال مؤتمر القمة العربي المنعقد في بغداد العام ١٩٧٨، تمّ اقرار تخصيص مبلغ ١٥٠ مليون دولار سنوياً ولمدة عشرة أعوام لدعم «الصمود»، وتأليف اللجنة الفلسطينية ـ الاردنية المشتركة لتنفيذ السياسة العامة لدعم الصمود وترجمتها الى برامج تنفيذية. وبدأت اللجنة عملها بصرف القروض والمساعدات لتطوير قطاعات الخدمات، والزراعة، والاسكان، والاشغال العامة، والصناعة.

لم يقتصر تقديم الدعم المادي الى الارض المحتلة على اطار اللجنة المشتركة، بل تعداه الى مصادر أخرى. فقد كان لجهات خارجية متعدّدة غايات وأهداف سياسية خاصة بها. وكما هو معروف ومألوف، يشكّل الدعم المادي أحد أهم وسائل التأثير في سبيل تحقيق الغايات والاهداف السياسية. وبالاضافة الى التنافس الفلسطيني ـ الاردني، المستتر حيناً والظاهر أحياناً أخرى، على تقديم الدعم المباشر للارض المحتلة، بدأ بعض الدول العربية وصناديق التمويل العربية والاسلامية بتقديم مساعدات مباشرة الى الارض المحتلة. ولم يغب عن بال جهات أجنبية ضرورة أن يكون لها تأثير سياسي وموطىء قدم داخل الارض المحتلة. فبالاضافة الى المساعدات التي كانت هيئة الامم

المتحدة تقدّمها من خلال وكالة غوث وتشغيل اللاجئين وبرنامج الامم المتحدة الانمائي، زادت الولايات المتحدة الاميركية من مساعداتها المقدّمة بواسطة المنظمات الاميركية الطوعية الخاصة التي قبلت العمل في الارض المحتلة بتمويل من وكالة التنمية الدولية الاميركية. كما قامت الدول الاوروبية، أيضاً، بتقديم مساعداتها الى الارض الفلسطينية المحتلة، على نحو منفرد ومباشر، أو من خلال المجموعة الاقتصادية الاوروبية وبعض المؤسسات الخاصة.

ومثلما تعدّدت مصادر الدعم والتمويل الخارجي للارض الفلسطينية المحتلة، منذ نهاية السبعينات حتى اندلاع الانتفاضة الفلسطينية، تعدّدت في الداخل الجهات والمؤسسات الفلسطينية التي تلقّت حصصاً من هذا الدعم لتوظيفه وانفاقه على المشاريع «التنموية». وانقسمت هذه الجهات والمؤسسات المتلقية الدعم الى قسمين أساسيين: احدهما كان قائماً، أصلاً، قبل اتخاذ قرار بدعم الصمود، كالمجالس البلدية والقروية والجمعيات التعاونية والخيرية والغرف التجارية، وآخر أُقيم لاحقاً نتيجة لهذا القرار. فمع بداية تحسّس تدفّق أموال الدعم والمساعدات الخارجية من مصادر التمويل المختلفة، شرع الكثيرون في الداخل بتأسيس وانشاء اعداد كبيرة من المؤسسات الجديدة بهدف المشاركة في استيعاب التمويل المتوقع، ونيل نصيب من المساهمة في المشاريع الممولة إمّا مباشرة وإمّا من خلال العمل «كمؤسسات متخصصة محلية وسيطة» لتأمين توصيل المساعدات الخارجية الى المؤسسات المحلية القائمة أو المستحدثة.

ففي القرى التي لم يكن لها مجالس قروية تمّ تأليف العديد من اللجان الخاصة للاشراف على عملية تنفيذ المشاريع المحلية. وفي مجال الزراعة والاسكان، تزايد عدد الجمعيات التعاونية تزايداً ملحوظاً، نظراً لأن مثل هذه الجمعيات أصبحت قنوات التمويل المفضّلة. كما أُلّف العديد من «اللجان الزراعية»، وأُقيم عدد من المشاريع الخاصة في اطار استصلاح الاراضي وتربية المواشي والصناعات الزراعية. وفي القطاع الصحي، تزايد، أيضاً، تأسيس الجمعيات الخيرية التي تبنّت اقامة مشاريع متفاوتة الحجم بين مستشفيات ضخمة وعيادات محلية صغيرة. كما تمّ تأسيس عدد من الجمعيات الطبية، وتكاثرت مشاريع صناعة الادوية تكاثراً ملحوظاً. وفي مجال الصناعة، تمّ محلياً فتح المجال لعمل «دراسات الجدوى» لتقديمها الى مصادر التمويل المختلفة. وبدأت الصناعات القائمة تطالب بالحصول على المساعدة لدعم صمودها أمام المنافسة الاسرائيلية. وفوق هذا كله، قام العديد من المجموعات بتأسيس مراكز و«شركات» محلية لتلقي المساعدات المالية من مصادر التمويل الخارجية واعادة توزيعها وانفاقها داخلياً.

اتسمت عملية الدعم الخارجي الموجّه الى الارض الفلسطينية المحتلة، منذ نهاية عقد السبعينات حتى اندلاع الانتفاضة، بايجابيات كان منها الاسهام في بناء البنية التحتية والمؤسساتية. وعلى الرغم من انه يمكن اعتبار اقامة منشآت هذه البنية، بحد ذاتها، هدفاً يساهم في تعزيز صمود المواطنين في الضفة والقطاع، فانه لا يمكن اعتبار ذلك نهاية المطاف، والاستنتاج بأن عملية «التنمية» تحقق المرجو من الاهداف. فوجود منشآت البنية التحتية ضروري للانتاج المتوخّى منها، لكنه غير كاف وحده لضمان نجاعة هذا الانتاج وفاعليته. وتنمية الانطلاق، كما بيّنا سابقاً، هي، في الاساس، عملية ابداع انتاجي ذاتي لا عملية نقل ظاهري لرموز الحداثة العصرية.

ولكن الى جانب الايجابيات البنيوية الاساسية الناتجة من تدفّق الدعم المادي الى الارض المحتلة، ترك تعدّد مصادر الدعم الخارجية ومؤسسات التلقي الداخلية من ناحية، والطرق التي

تم بواسطتها ادارة عملية التوزيع من ناحية ثانية، آثاراً سلبية في المجرى الفعلي لعملية تنمية الصمود الفلسطيني تحت وطأة الاحتلال. وكان لنجاحات الكم الجزئية في عملية تحديث المظاهر المرفقية داخل الارض المحتلة في فترة دعم «الصمود» ملفّعة باستمرارية استذكار صعوبة وخصوصية الوضع الفلسطيني تحت الاحتلال، أثر تبريري في التغاضي عن مناحي الفشل الأساسية واسقاط اسبابها على عوامل خارجية. فقد كان في ذلك ازالة عبء ضرورة تحمّل المسؤولية واجراء مراجعة تقويمية ذاتية. فمثل هذا الاجراء كان سيفتح الباب أمام طرح تساؤلات والوصول الى مكاشفات ومحاسبات مثيرة ومحرجة، هو ما أدّى الى تفضيل عام على ابقاء الوضع على حاله. ونتيجة لهذا الموقف تمّ القفز عن الكثير من الانتهاكات والتسيبات والتجاوزات حتى استشرى الفساد في عملية دعم «الصمود»، كل ذلك تحت اعتبار ان «النجاح الجزئي أفضل من العدم». ولم يتمّ اتخاذ الحيطة من ان للفساد آثار سلبية ومدمّرة وطويلة الأمد على المجتمع، ولا يمكن تبريرها بتحقيق بعض النجاحات الآنية والمموّلة خارجياً، والتي تغطي بنية المجتمع التقليدي بقشرة مظهرية.

وهكذا اندلعت الانتفاضة الفلسطينية وعملية دعم «الصمود» تواجه العديد من السلبيات، وتنأى عن الدخول في عملية محاسبة للذات. وأدّت ضغوطات المرحلة الانتفاضية الى اسدال الستار على ضرورة والحاحية اجراء المراجعة التقويمية الذاتية للوضع الفلسطيني، خاصة في ما يتعلّق بآليات ونتائج الدعم الخارجي للداخل. فالمرحلة الجديدة اعتبرت غير ملائمة لذلك، وبالعكس أدّت سياقاتها واعتباراتها، خاصة تصاعد الاجراءات الاحتلالية القمعية وتزايد الضغوطات على فلسطينيي الضفة والقطاع، الى تبلور قناعة سريعة بضرورة ضخ مساعدات مالية الى الارض المحتلة عبر مختلف القنوات المتاحة، وتخطي جميع اجراءات الرقابة والمحاسبة، والتي كانت، اصلاً، ضعيفة وغير فعّالة. فالمرحلة اعتبرت مرحلة «طوارىء» تحتاج الى معالجة مكثّفة وطارئة.

وبدأت الأموال تتدفّق من الخارج الى الداخل، وتصرف بيسر «الطوارىء» على أغراض متعددة، من قبل مصادر متعددة. ولأنها اعتبرت مرحلة «طوارىء»، بدأت المساعدات تصرف بدون عناية كبيرة للتخطيط والتنسيق والتوزيع والمحاسبة والتقويم. ودخل على خط «التنمية» الخارجي كثير من المهتمين بتقديم المساعدة الانسانية للشعب الفلسطيني، وأيضاً الكثير من المهتمين بلعب ورقة التأثير السياسي. أمّا في الداخل، فانضمّ الى هذا الخط الكثير من المنتفعين الذين وجدوا في أوضاع «الطوارىء» منفذاً لتحقيق مكاسب ذاتية. وكانت النتيجة أن صرفت أموال كثيرة، ولكن بكثير من البعثرة والتكرار؛ اذ شهدت المرحلة ترسيخ «الفئوية التنموية» لاحقاً لترسخ «الفئوية السياسية». وأصبحت المشاريع التنموية تبعاً لذلك تتمّ في أربعة أو خمسة مكرّرات، و«الكعكة التنموية» تقسّم على «الفصائل التنموية». وازداد التكسّب وأصبحت «التنمية» سلعة للمتاجرة في الكثير من الاحيان، يشتغل بها «خبراء» محليون وأجانب. وانتشرت «دراسات الجدوى»، وازداد ما يُنفق عليها من أموال، وما تدرّه على «الخبراء» من أموال. ونتيجة للفوضى «التنموية»، أصبحت «التنمية» لعبة يتقنها عدد متزايد من الناس، ومطيّة تستخدمها الكثير من الجهات لتحقيق الاختراق السياسي في البلاد.

ووقعت أزمة الخليج وحرب الخليج. ومع انتهاء الازمة، بدأ يتطور، لأسباب مختلفة، الاهتمام بايجاد حل سياسي للصراع العربي ـ الاسرائيلي والقضية الفلسطينية. وبدأت منظمة التحرير الفلسطينية تتعرّض لحصار سياسي واقتصادي شديد، بهدف تليين مواقفها، ومن ثم تهميش وجودها. وفي المقابل، بدأ التركيز ينصبّ على الداخل لابراز قيادة وطنية محلية لتقوم هي، أيضاً، بتليين مواقف الخارج، والدخول بعملية التسوية السياسية. وبدأت المساعدات تأخذ منحى سياسياً، أكثر من

أي وقت مضى؛ اذ أصبحت الوعود بمنحها أكثر ارتباطاً باحراز التقدّم على المسرح السياسي.

وبحصول «المساعدات المباشرة» على الشرعية والقبول، ونضوب مصادر تمويل المنظمة، اضافة الى بروز دور الداخل في عملية التسوية السياسية مقابل انحسار الاهمية السياسية للخارج، أبرزت أطراف أجنبيـة، قديمة وجديدة، اهتمامها واستعدادها للتمويل «التنموي» المباشر للارض المحتلة كمنفـذ للتـأثير السياسي المستقبلي. فالارض المحتلة أصبحت مع العملية السياسية عصب ومركز الحياة الفلسطينية، ومَنْ أراد التأثير، بشكل من الاشكال، على أي جانب من جوانب هذه الحياة، في المستقبل، عليه، منذ الآن، تحقيق وتحصين موطىء قدم داخل هذه الارض.

وفي المقابل، كان هناك الكثير من المنتظرين والراغبين في الداخل لانتهاز الفرصة المتاحة، خاصة وان الدلائل تشير الى ان العملية السياسية ستقود الى «المرحلة الانتقالية». ومع تزايد الشعور العام داخـل الارض المحتلة ان البـدء بتطبيق هذه «المرحلة» لم يعد سوى مسألة وقت، بدأت المصالح الذاتية، فئوية كانت أم شخصية، تسعى لـ «تدبير الذات»، منذ الآن، لتحصيل موقع «مناسب» في هذه المرحلة المقبلة. وبدأ الكثير من المبادرين السعي للحصول على حصة من «المساعدات المباشرة» لاستغلالها في «تدبير الذات» المستقبلي. وبدأت الاقتراحات ودراسات الجدوى تنهمر على الاطراف المموّلة من كل حدب وصوب، ووصلت التنافسات بين الفئات والاتجاهات والافراد الى ذروتها، فالجميع يريد حصة، والتمويل المستهدف الحاق البلاد مستقبلاً متوفر وبسير. والفرصة أصبحت بنظر الكثيرين متيّسرة ومتاحة للاغتنام. وأصبحت «التنمية» بذلك مطية لتفكيك المجتمع واختراقه بدلاً من ان تكون الوسيلة لتحقيق تماسكه ونمائه. ويقيناً بأن واقع «التنمية» الحالي في الارض الفلسطينية المحتلة ينذر بالخطر، وينبىء بأن خللاً أساسياً يكمن داخل المجتمع، وفي طرق التمويل، ومتابعة المشاريع التنموية، وصولاً الى تعريف أهداف العملية التنموية في الارض الفلسطينية من أساسها.

في مكامن الخلل

كثيرة هي المعيقات والعوامل السلبية التي تعترض سبيل القيام بعملية تنمية تستهدف تحقيق «الانـطلاق» في الارض الفلسطينية التي تخضع للاحتلال الآن. وهذه المعيقات والعوامل السلبية متشابكة، فمنها ما هو موضوعي تفرضه الظروف، ومنها ما هو ذاتي ينبع من طبيعة وحراك المجتمع الفلسـطيني، ومنهـا ما هو خارجي يتعلّق بطبيعة عمل وأهداف المصادر التمويلية. وبالطبع، فإن للمعيقـات والعـوامـل السلبية التي تعاني منها العملية «التنموية» الجارية، حالياً، داخل الارض الفلسطينية أثر سلبي تراكمي وتصاعدي على مجرى وفحوى هذه العملية مستقبلاً، خلال «المرحلة الانتقالية» وبعد تحقيق الاستقلال. لذلك، يصبح الوعي بهذه المعيقات والسلبيات والعمل على تلافيها وتصحيح المسار، منذ الآن، أولوية فلسطينية قصوى. ويمكن تلخيص مكامن الخلل بالنقاط الاساسية التالية:

أولاً: المعـروف ان الشعب والارض الفلسطينية تعرّضا لفترة مديدة من الزمن لحكم سلطات خارجية أعاقت تقدّمه في مجالات أساسية متعدّدة. وكان آخر هذه السلطات احتلال اسرائيلي احلالي استنزف جلّ طاقات ومقدّرات ومصادر هذا الشعب بشكل مستمر ومكثّف. وأدّى هذا الاحتلال ليس الى تجميد التقدّم الفلسطيني فحسب، وانما الى العمل، بصورة منظّمة، لهدم ما كان قد تمكّن هذا الشعب من بنائه عبر السنين الماضية على الرغم من جميع الظروف السلبية التي تعرّض لها. وبسبب هذا التـدمـير المنـظّم والشـامل، أصبحت الارض الفلسطينية بحاجة ماسة وملحّة للقيام بعملية

تنمية شاملة لمختلف جوانب الحياة ومجالاتها. وبالرغم من عظم المهمة وصعوبتها وحاجتها الى فترة زمنية طويلة، الّا ان الظروف الموضوعية، وعلى رأسها الاحتلال المستهدف تدمير البنى الفلسطينية في البلاد، ضغطت باتجاه القيام بعملية «تنموية» ترميمية سريعة. وجاء الترميم، لشمولية الجوانب المراد «تنميتها» في مواجهة الاحتلالية الاسرائيلية، وقائياً، مفتتاً، وسطحياً في الكثير من الجوانب والأحيان. وانحكمت العملية «التنموية» الحالية في الارض الفلسطينية لهذا السبب لأن تستهدف ليس تحقيق «الانطلاق»، أو حتى «اللحاق»، وانما «الحدّ من الهجمة التدميرية الموجّهة ضد هذا الشعب» قدر الامكان؛ أي ان العملية «التنموية» أصبحت، بحكم الواقع والظروف، تدخل تحت باب مقاومة الاحتلال. ونتيجة للاوضاع الاستثنائية التي تتمّ تحتها هذه العملية أصبح هناك تساهل عام في تقييم أدائها ونتائجها، وأصبحت العملية، بالمجمل، تشدّد على إحداث ما يمكن من تحوّلات، عوضاً عن المفروض من التغيّرات. ونجم عن مصاعب الظروف وضرورة السرعة في المواجهة ان أصبحت الكثير من البرامج التنموية مفرغة من المضامين الجوهرية، تركّز على المظهر التحديثي وليس على احداث تغيّر تنموي جذري في الانسان. وكانت النتيجة، حتى الآن، ان اصبحت قطاعات معيّنة ومناطق معيّنة تشهد تحديثاً سريعاً نسبياً في مقابل بقاء قطاعات ومناطق أخرى على حالها، وان أصبحت البيئة المحيطة، بشكل عام، تشهد تحوّلات أسرع من التغيّر القصدي المُحدث في الانسان.

ثانياً: تتمّ عملية «التنمية» داخل الارض الفلسطينية المحتلة بغياب السلطة الوطنية الفلسطينية، ليس بالمفهوم الاعتباري الذي تغطيه منظمة التحرير الفلسطينية من الناحية التمثيلية، وانما بالمفهوم السيادي ـ الحقوقي الناجم عن الاستقلال الوطني. وأدّى هذا الغياب، حتى الآن، الى فقدان البوصلة الموجّهة، فعلياً، لطاقات ومسار الشعب بتناسق واتساق نحو تحقيق أهداف وغايات مجتمعية عليا. فالسلطة الوطنية، التي تتمثّل بالحكومة بمفهومها الواسع، تعمل، بالعادة، على تحديد مسار المجتمع نحو تحقيق أهداف معيّنة من خلال ترتيب الأولويات وتوزيع المصادر وتجميع الطاقات في خطة شاملة وعامة تفرض، من خلالها، الالتزام بتطبيق سياسات تترجم رقمياً بموازنة الدولة. ويجب، هنا، الانتباه الى ان السلطة الوطنية تتمتع بالمقدرة ليس فقط على تحديد السياسات، وانما على فرض تطبيقها والالتزام بها أيضاً. وهذا هو، بالفعل، ما يمنح هذه السلطة قوة التحكّم بتوجيه مسار المجتمع؛ اذ بتحديد سياساتها يُغلق مجال النقاش والخيارات والتفسيرات حول تحديد الاولويات والاهداف، وينطلق التنفيذ المدقق والمُراقَب. فالسلطة تراقب وتحاسب، وبوجودها يتمّ الضبط والربط الذي يضمن تقليص التسييبات. وبغياب هذه السلطة، في المقابل، تغيب الهيكلية التنظيمية القادرة والمؤهلة على اختراق المجتمع وضبط سياقاته. وبهذا الغياب تزداد امكانيات تشتت الجهود وتبعثرها وفقاً لاختلاف مصالح الافراد والشرائح المختلفة داخل المجتمع. فعدم وجود النظام المجتمعي المكفول بسيادة القانون، وانخفاض فاعلية المحاسبة، يؤدي الى ارتفاع نسبة التسييبات لدى الافراد والمجموعات. وليس هناك، في نهاية المطاف، جهة مسؤولة ومقبولة لتحديد التوجهات والسياسات وفرض الالتزام بها.

ثالثاً: ضعف فاعلية عملية «التنمية» الجارية، حالياً، في الارض الفلسطينية المحتلة. فهذه العملية افتقرت، من الاساس، لوجود خطة محددة الاهداف وواضحة الأولويات. وجاء الافتقار لمثل هذه الخطة لسببين أساسيين، احدهما نظري والآخر عملي. أمّا السبب النظري فهو عدم توصل الفلسطينيين الى تحديد ذاتي لاستراتيجية التنمية المطلوبة في الارض المحتلة. فالآراء الفلسطينية، في هذه المسألة، بقيت تتصارع مع ذاتها، ولم يتمّ حسم الجدل الداخلي بموقف موحّد وعام

يمنح العملية منحاها والاتجاه. فهناك مَنْ يؤمن ويدعو لتحقيق «التنمية تحت الاحتلال»، بينما هناك مَنْ يعتقد بعدم امكانية ذلك على الاطلاق، في حين ان هناك مَنْ يعتقد بمحدودية هذه الامكانية وضرورة القيام بها بالقدر المستطاع. وفي ما يتعلق بالجانب العملي، أدّى تباين الآراء، بل وتعارضها في بعض الاحيان، بشأن تحديد استراتيجية التنمية المطلوبة، فلسطينياً، الى وجود أطراف عديدة فاعلة داخل الارض المحتلة، يحمل كل منها تعريفه الخاص عن التنمية، ويقود حملة تجريبية تنافسية تتعدّى تطبيق نموذجه «التنموي» المحدّد لتبلغ ضرورة اثبات صحته، بصورة عملية، أيضاً. وشكّل تباين الرؤى والتوجهات «التنموية»، حافزاً رئيساً للتكرار والازدواجية في اقامة المؤسسات القطاعية المتطابقة من حيث نطاق العمل «التنموي». وتنامت بسبب ذلك داخل الارض الفلسطينية ظاهرة اقامة المؤسسات المتشابهة، وتناسلت المؤسسات فولّدت مؤسسات، حتى أصبحت البلاد تعجّ بالمؤسسات لدرجة التخمة والاشباع. وكان من نتائج التكرار والازدواجية والتنافسات الداخلية ان تقلّصت الفاعلية التنموية في مختلف القطاعات، وتفتّتت الخبرات المحدودة، أصلاً، وهُدرت الاموال والطاقات، واستحكمت المصالح ونمت المغانم، واختفت، تحت راية الدعوات المستمرة بضرورة «التنسيق» بين المتكررات، كل الامكانيات الفعلية للتوصل الى تحديد خطة تنموية موحّدة للبلاد. ومن الواضح، ان التنسيق بين هذه المتكررات من المؤسسات التنموية يمكن ان يجدي لو بقي محصوراً في مجال تحديد الاولويات والسياسات العامة، ولكنه عندما يتعدّى ذلك ليصل الى بحث كيفية تنفيذ النشاطات والمشاريع التنموية فإنه يصطدم مباشرة مع مصالح كل مؤسسة أو فئة لوحدها. وبما ان كل هذه الفئات والمؤسسات تريد ضمان استمراريتها الذاتية، يتحول التنسيق، تلقائياً، الى نشاط هدفه الاساس تقسيم «كعكة» المساعدات «التنموية» الخارجية وفقاً لاتفاقات داخلية أو معادلات نسبية. وكان من نتائج ذلك ان بقيت احتياجات البلاد مختلطة وأولوياتها تائهة. ولم يعد بالامكان تقرير أفضل المداخل التنموية التي تحتاجها البلاد وتقويم المخرجات بصورة موضوعية موثوقة.

رابعاً: ترافقت التباينات والتنافسات الداخلية حول طبيعة ومنهجية العملية التنموية الواجب اتباعها في الارض المحتلة بتعدّد مصادر التمويل الخارجية واختلاف اهتماماتها وأولوياتها وأهدافها. فلكل مصدر تمويل نواياه ودوافعه وأهدافه التي تحدّد سلم أولوياته وطريقة دفع وصرف أمواله. ويجب الانتباه والاعتراف بأن الاموال لا تدفع من أي مصدر كان من دون أهداف، وان أهداف بعض الممولين ليست دائماً نبيلة. ولكن مسؤولية التحقق من الاهداف الكامنة للتمويل تقع على المتلقي وليس على الممّول. فإذا قَبل المتلقّي الاموال من دون تمحيص لدوافعها وأهدافها، عليه ان يتحمّل ما تؤول اليه الاوضاع من نَتائج. وعلى كل حال، أدّى وجود العديد من مصادر الى تمويل الى وجود أجندات «تنموية» متعددة مفروضة على الساحة الفلسطينية، معظمها مختلف الاولويات، وفي الكثير من الاحيان متعارض. وأدّى التنافس بين الممولين الى ضعف التنسيق بينهم. وبغياب الخطة المركزية المحدّدة الاهداف والاولويات، وبوجود تنافسات داخلية، طغت الفوضى على العملية «التنموية». فلكل طرف خارجي أهدافه وأجندته، ولكل طرف متلقّي في الداخل أهدافه وأجندته. وأصبحت عملية «التنمية»، بالاساس، تتشكّل من عملية بحث وتفتيش لايجاد توافقات بين ممول ومتلقّي. ويجدر التنويه، في هذا السياق، أن درجة التسيّس العالية داخل مجتمع الارض المحتلة، ووجود نزعة فئوية قوية داخله، أدّت بالممولين، خاصة الاجانب، لأن يكونوا من الحساسية بمكان عند اقرار الدعم وكيفية توزيعه، حرصاً على عدم التعرّض لاتهام بالمحاباة. وتؤدي مثل هذه الحساسية، في العديد من الاحيان، الى تقديم الدعم بطريقة ليست مهنية بالاساس، وانما بما يكفل تحقيق التوازنات

وضمـان التغطية السياسية المطلوبة للعمل في البلاد. وكما هو متوقع، تنمي هذه الحساسية نزعة «الطبطبة» في عملية «التنمية»، وتتقلّص امكانيات المتابعة والمحاسبة الضرورية لضمان عدم اساءة استغلال الاموال. كما ويجدر الانتباه الى ان الجهات المموّلة، خاصة تلك التي تحتفظ لنفسها بمكاتب وفروع في البلاد، تعاني من ضغوطات واشكاليات خاصة بها؛ فهي ذاتها محكومة لمحاسبة وتقييم الجهات المسؤولة عن عملها، والتي توفّر لها الاموال. ويجب ان لا يغيب عن البال أن المؤسسات المموّلة لها مصلحة ذاتية واضحة باستمرار عملها. لذا ينزع بعضها الى المبالغة بأهمية وضرورة عملها من جهة، وبحاجات البلاد من جهة ثانية، لضمان استمرارية تدفّق الاموال لها من مموليها. كما وتقوم بعض هذه المؤسسات، وفي خطوة معروفة ومتبعة لضمان استمرار المخصصات السنوية والمطالبة برفعها عاماً بعد عام، بالتأكد من صرف الموازنات السنوية بالكامل قبل انتهاء السنة المالية، حتى وإنْ تمّ بعض هذا الصرف على مشاريع هباء. فالمهم اثبات إتمام المصروفات وابراز المزيد من الاحتياجات، وذلك لتضخيم الموازنة الجديدة، وإنْ لم يكن فللمحافظة على مستوى سابقتها.

خامساً: كان لعملية «التنمية» الجارية، حالياً، في الارض المحتلة أثر هام في تنامي مجموعة سلبية من القيم والانماط السلوكية بين اعداد متزايدة من الفلسطينيين. فوجود مصادر مختلفة للتمويل، والسهولة النسبية في امكانية الحصول على «دعم»، وتسامح المجتمع بشكل عام مع التسيبات، وغياب السلطة المـركزية القادرة على تقنين وحماية المعايير المجتمعية، فتحت جميعها في المجال أمام طفو وتعميم قيم وانماط سلوكية سلبية بين الفلسطينيين داخل الارض المحتلة. فالاعتماد على الذات كقيمة مجتمعية محرّكة آخذ بالذوبان أمام قوة دفع الغير للدولارات. وأصبح التواكل والاعتمادية على الغير سمة ملاصقة لعملية «التنمية». فمن الملاحظ ان الافتراض السائد داخل الارض المحتلة ان كل ما يُعرّف بأنه «تنموي» يجب ان يموّل من الخارج، وكأن هذه السمة هي التي تكسبه الصفة. ومن هذا المنـطلق، تكاثرت المشاريع التي تحمل صفة «التنموية» داخل الارض المحتلة، وتقلّصت، في الوقت عينه، امكانيات تقديم اسهامات مالية محلية فيها. وأصبح الكثير من نشاطات المجتمع يحمل علامة «التنمية» للاعتقاد بأنها مكفولة التمويل. وأصبح الشعور السائد انه ما دام هناك مصادر تمويلية، يكون من السذاجة القيام بمشاريع ونشاطات «على الحساب الخاص». ومع التواكل والاعتمادية، نمت سمة «تدبير الذات»؛ اذ أصبحت «التنمية» في الارض المحتلة يُنظر لها من قبل كثيرين كوسيلة للتكسب والاغتناء. وبدأت تقام «اللجان» و«المؤسسات»، ويشكّل الاصدقاء مجالس الامناء والادارات، بحثاً عن «حصة»، ممّا يدخل البلاد من مساعدات وأموال. وأدى هذا التطور السلبي الى فتح الباب لوقوع انتهـاكـات واضحـة وصـارخـة لحرمة الاموال «التنموية» العامة، ومن منطلق «استغلال الفرص السانحة». وتكسّبت شريحة مجتمعية ونمت على حساب «تنمية» البلاد، وأصبحت «خبيرة» و«وسيطة» بين المموّلين والمتلقّين. ومن هذا المنفذ، أصبح لعدد من أفراد هذه الشريحة حظوة سياسية ونفوذ لا يستهان بهما على الاطلاق. وأدّى الجمع بين «النفوذ» و«الخبرة»، في هذه الشريحة، الى تجميع الكثير من القرارات «التنموية» بأيدي قلّة، والى خضوع هذه القرارات لاعتبارات سياسية على الأغلب.

من أجل تعديل المسار

يبدو اننا ندخل، الآن، اعتاب «المرحلة الانتقالية»، والتي من الارجح ان تطبيقها أصبح مجرد مسألة وقت فقط. ومن الواضح اننا في الارض الفلسطينية المحتلة سندخل هذه «المرحلة» ونحن في مجـال «التنميـة» مثخنـين بسلبيـات المراحل السابقة المتراكمة الأثر والتأثير. كما ومن الواضح،

أيضاً، انه إنْ لم يتمّ القيام بعملية تقييم وتقويم واصلاح في مجال البناء التنموي بأسرع وقت ممكن، فإن «المرحلة الانتقالية» ستتحول الى «نهائية»، ليس بسبب النيّات والمحاولات الاسرائيلية فقط، وإنما بسبب تقويض هذه السلبيات الذاتية ـ والتي من الممكن التحكّم بها ـ للامكانيات المعوّل عليها لأن تقود «المرحلة الانتقالية» الى «المرحلة النهائية» التي يحقق فيها الشعب الفلسطيني هويته واستقلاله.

من الواضح والمؤكد، ان الارض الفلسطينية المحتلة ستدخل «المرحلة الانتقالية» وهي بحاجة ماسة لبرنامج دعم واسع وشامل. فسلطة الاحتلال استلبت من هذه البلاد وشعبها، حتى الآن، فرصة تشكيل الحاضر والمستقبل بما يتلاءم مع التطلّعات والطموحات الفلسطينية. ولذلك، يوجد الكثير ممّا يتوجّب عمله في المشروع الفلسطيني لاعادة البناء. ولكن يجب الانتباه الى ان هذا المشروع الضخم يحتاج لما هو أكثر من المساعدات المادية. فحتى لو توفّرت هذه المساعدات من دون وجود خطة ذات أهداف واضحة وأولويات محددة، فإن الجهود ستبقى مبعثرة وستضيع الكثير من المساعدات هباء. ويجب، هنا، التأكيد على ان الارض الفلسطينية المحتلة تحتاج ضمن مشروع اعادة البناء لما هو أكثر من تنمية تستهدف اللحاق، لأنه اذا إنحكم البرنامج التنموي الفلسطيني بفكرة اللحاق ستبقى فلسطين المستقبل رهينة وتابعة لاسرائيل. وعليه، يجب ان توضع أسس البرنامج التنموي الفلسطيني، منذ الآن، على أساس تحقيق الانطلاق المستقل والناجح لفلسطين، كي تتمكن من مقاومة المحاولات المستقبلية المتوقعة من جاراتها لالحاقها والتحكم بمستقبلها، ونفي امكانية تحقيقها العملي للاستقلال.

من أجل اعداد وتنفيذ الآلية التنموية الكفيلة بتحضير الارض الفلسطينية المحتلة تحضيراً ايجابياً، تكاملياً، وفعّالاً يعنى بمتطلبات مرحلة ما بعد زوال الاحتلال، وبتطبيق المبادىء التي تضمّنتها الوثيقة الفلسطينية للاستقلال، يحتاج الفسلطينيون، الآن، الى وقفة محاسبة مع الذات، تبدأ بالاعتراف بالمسؤولية، على الاقل الجزئية، عن العديد من مراحل الخلل والسلبيات.

وبعد الاعتراف يجدر، لوضع العملية التنموية في فلسطين بمجراها الصحيح، تحديد التوجه العملي في مسربين متوازيين، ولكن متكاملين: الاول، يتعلق بضرورة تحديد خطة فلسطينية مركزية واضحة لتطوير الارض المحتلة تطويراً تكاملياً شاملاً، وعلى مراحل متعاقبة ترفد وتؤدي الى مرحلة الاستقلال؛ أي ان التخطيط لمسار البلاد في مختلف المجالات والقطاعات، خلال المرحلة الاولى والدقيقة من عهد الاستقلال، يجب ان يتبلور، فعلياً، وبشكل تكاملي وشامل منذ الآن، وان يتمّ البدء بتنفيذ مبرمج لمراحله المتعاقبة منذ الآن. فالاستمرار بالنمط الحالي في عملية «تنمية» كل قطاع من القطاعات وفقاً للتوصيات المبنية على الرؤية الذاتية للعاملين به أو المستفيدين منه، وتبعاً للمتوفر من التمويل الخارجي والمساعدات، وبانفصام عن السياق العام لمجرى تطوير بقية القطاعات بشكل يضمن التناسق والتكاملية، سيبقي على التفتت والاختلال الحالي في العملية «التنموية».

وبما انه لا يمكن لأي مجتمع أو دولة تحقيق كل الاهداف المرغوبة دفعة واحدة، والتوصل الى تنمية شاملة وكاملة بصورة تلقائية، نهائية، وعاجلة ضمن المحدود من المصادر المتاحة، من الضروري القيام بعملية جدولة للاهداف وفقاً لأولويات واضحة ومحددة. ومن الضروري، أيضاً، ان تتحدّد هذه الاولويات، فلسطينياً، ضمن خطة شاملة تقود لتحقيق التكامل في التطوير والتنمية وفقاً لتسلسلية متتابعة، تتحدّد مراحلها التنفيذية زمنياً وفقاً لبرنامج يأخذ بالاعتبار كل المعيقات.

من المألوف والمتعارف عليه ان تقوم السلطة المركزية في الدولة، أي الحكومة، وبعد اجراء مختلف المشاورات واستطلاع آراء الخبراء من محليين وأجانب، باقرار الاشراف على تنفيذ خطط التطوير والتنمية. ولكن بما ان السلطة المركزية الفلسطينية موجودة بالخارج، ولأن «المرحلة الانتقالية» تسمح بالتحرك الفلسطيني الذاتي والمفصول عن السلطة الاحتلالية بالداخل، فإن من الضروري القيام، منذ الآن، بتشكيل هيئة تخطيط عليا داخل الارض المحتلة، تتولّى مهمة اعداد خطة التطوير والتنمية المطلوبة، وتكون مسؤولة عن الاشراف على متابعة تنفيذها، وذلك بعد اتمام اقرار هذه الخطة من السلطة الفلسطينية المركزية الموجودة في الخارج.

ان اعداد الخطة والاشراف على تنفيذها مسؤوليتان لا يمكن القيام بها بكفاءة ونجاعة الا محلياً. فاعداد الخطة يتطلب معرفة عينية بالمتوفر على أرض الواقع من معطيات، وليس فقط من خلال التقارير ودراسات الجدوى والاحصائيات. كما ويتطلب، أيضاً، معاينة ناقدة لجدوى وفاعلية المتوفر من المعطيات، وعدم التسليم المسبق بها كمرتكزات للتطوير والبناء. فالمعاينة المباشرة والمتابعة المستمرة «عن قرب»، ومعرفة بواقع الحال ومجرى التطورات، قد يؤدي الى نتيجة مفادها ان قسماً من المعطيات هو، في الواقع، معيقات وليس مرتكزات. وعلى هذا الاساس، يمكن ان تبدأ عملية التخطيط للتطوير والبناء باتخاذ قرار بالغاء الكثير من اللجان والمراكز والمؤسسات. وبالنسبة للاشراف على تنفيذ الخطة، فهو كاعدادها، يحتاج لمرجعية محلية تضمن فاعلية الرقابة والمتابعة والمحاسبة. وبحكم وجودها في «الموقع»، تستطيع هذه المرجعية، وهي الهيئة المقترحة، ان تتابع عملية التنفيذ بدقة ونجاعة أكبر من وجود المرجعية التنفيذية بعيداً عن المكان، فيصبح البعد مدخل المنفّذين للتحايل عليها وتخطيها، في نهاية المطاف.

ولكي تتوفر لهذه الهيئة أسس النجاح يفترض توفّر شرطين أساسيين: أحدهما، ان يتمّ عمل الهيئة المقترحة بشكل جماعي وضمن نظام محدّد ومفصّل باجراءات تضمن الانحكام بضوابط تمنع امكانية الهيمنة والتفرّد باتخاذ القرارات، واستغلال الموقع لتحقيق المصالح الذاتية للاعضاء؛ أي ان الهيئة يجب ان تخضع للأسس نفسها التي هي مسؤولة عن تطبيقها، وللموازين ذاتها التي من مهمتها المحافظة عليها. ولتحقيق ذلك، يجب ان لا تخرج هذه الهيئة عن ضرورة المساءلة، وتصبح خارج عمليتي التقييم والمحاسبة، التي هي من صلب صلاحيات السلطة الفلسطينية المركزية في الخارج.

أمّا الشرط الآخر والضروري لنجاح عمل هذه الهيئة فيتمثل بضرورة فصل العمل السياسي عن عملية اعداد السياسات. ان اعداد الخطة التنموية والاشراف على تنفيذها، يدخل في نطاق المسائل الفنية التي تحتاج الى الخبرة والاختصاص. لذلك، يجب ان تتشكّل الهيئة من فلسطينيين من ذوي الخبرة والاختصاص، من الداخل والخارج على السواء، وليس من سياسيين وفقاً لاعتبارات فصائلية. فاقحام السياسة في مجال الاعداد والاشراف، في هذا المجال، هو من أفضل الوصفات لترسيخ الفئوية وتفشي المحسوبية وايجاد الارضية المناسبة لانتشار الفساد. كما وأن اقحام السياسة، في هذا المستوى، يُنذر بقطع الطريق من الاساس على امكانية توظيف أفضل الخبرات في عمليتي الاعداد والاشراف، خاصة اذا توفّرت بعض هذه الخبرات خارج نطاق التأطير السياسي في البلاد. ولكي يتمّ ضمان الاتساق بين السياسات التي تتضمنها الخطة المعدّة من قبل الخبراء مع الغايات والاهداف الفلسطينية العليا يبقى مجال الربط موجوداً على مستوى عملية الاقرار، والتي تبقى من

صلب صلاحيات السلطة الفلسطينية المركزية.

أمّـا المستوى الثاني لتصحيح مسار العملية التنموية داخل الارض المحتلة فيتعلق بضرورة ايجاد آلية فعّالة لضبط مختلف مستويات العملية التمويلية للارض المحتلة تحديداً، ابتداء من طرق تقديم الهبات والمساعدات وحتى صرف الأموال. فوجود العديد من المصادر التمويلية الخارجية التي تعمل باستقلالية، من دون الانحكام لضوابط فلسطينية مركزية، وتقوم بالعملية التمويلية لأهداف ومصالح خاصة، يجب ان يتوقف نهائياً. فالنتائج والآثار السلبية المترتبة عن عدم ضبط نشاطات هذه المصادر قد يفوق بدرجات ما يمكن ان تحمله هذه النشاطات من ايجابيات.

كما وأن وجود العديد من الجهات والمؤسسات المحلية المتلقية ـ والعديد منها استحدث بغرض ايجاد الغطاء المناسب للحصول على الدعم ـ والتي تتنافس في ما بينها للاستئثار بأكبر حصة من الدعم الوارد من مصادر خارجية، ومن دون انحكام لضوابط مركزية فلسطينية أيضاً، يجب ان تتوقف كذلك. فالتنافسات الداخلية، والتكرار والازدواجية، ووجود أجندات مختلفة لمؤسسات متشابهة، تفتح الأبواب لتفتيت الجهود، وتبعثر المساعدات، وتعرّض البلاد لمخاطر التبعية والالحاق؛ اذ يصبح المموّل وليس المتلقّي صاحب القرار الأهم في تحديد سلم الاولويات.

إن آلية الضبط المطلوب يجب ان تكون مركزية، مؤسسية من الناحية الفعلية، ومحلية، ولكن على ارتباط وثيق ومباشر بالسلطة الفلسطينية المركزية. ومن المناسب ان ترتبط هذه الآلية مباشرة بهيئة التخطيط العليا المقترحة، ليصبح للهيئة نفوذ وقدرة على احكام تنفيذ الضوابط بشكل مركزي وفعّال. عندئذٍ، تصبح الهيئة الحلقة الرئيسة في العملية التمويلية، والمَعبر الوحيد للأموال القادمة من الخارج وطلبات الدعم المقدّمة من الداخل. وبهذا الشكل، فقط، يمكن تحديد المسار المرغوب لعملية التنمية والتـطويـر. فطلبـات التمويل المقدّمة من الداخل تصبح خاضعة للمفاضلة وفقاً للاولويات الوطنية المقرّرة، كما يكون الحال، أيضاً، بالنسبة للقروض والهبات القادمة، والتي يفترض بأن تُقنّن وتُوجّه وفقاً لهذه الأولويات أيضاً.

إن انتقـال وصرف أموال مخصصة لتحقيق أهداف عامة من دون التقيّد بضوابط والتعرّض للرقابة والمساءلة والمحاسبة هو مدخل للفساد والافساد. لذا إنْ لم يتمّ ضبط سير الاموال الواردة للارض المحتلة، تحت شعار «التنمية»، ومتابعة طريقة صرفها بدقّة متناهية، فإن التنمية المرجوة للبلاد تصبح الوسيلة المضمونة لترسيخ التفتت والانفلاش. وبدلاً من الاسهام بتحقيق استقلال البلاد، تصبح «التنمية» الطريق المضمون لتكريس نوع جديد من الاحتلال.

العامل العسكري في العلاقات الاميركية ـ الاسرائيلية

مها بسطامي

الازمة الحادة التي شهدتها العلاقات الاميركية ـ الاسرائيلية خلال الاشهر الاخيرة الماضية وما تناقلته الصحافة الاميركية من معلومات عن قيام اسرائيل بنقل أسرار التقنية العسكرية الاميركية الى بعض دول العالم الثالث، كشفت، في الوقت عينه، أبعاداً خطيرة وهامّة لشبكة العلاقات الصناعية والتجارية العسكرية التي أقامتها اسرائيل مع العديد من دول آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية، بالاضافة الى التعاون الوثيق والمتشعّب القائم بين المؤسستين العسكريتين في كل من اسرائيل والولايات المتحدة الاميركية.

وعلى الرغم من ان هذه المعلومات لم تكن، في نهاية الامر، مفاجأة بالنسبة للمراقب المتتبّع لهذا النشاط الاسرائيلي، الاّ ان استعداد واشنطن للكشف عن هذه المعلومات، بصورة علنية، والتلميح بامكانية المزيد من التسريب لأجهزة الاعلام الاميركية، أحدث صدمة عميقة في الاوساط الاسرائيلية. ذلك ان النشاط الصناعي العسكري يشكّل عصب الاقتصاد الاسرائيلي، ويصل حجم مبيعات الاسلحة الاسرائيلية الى دول العالم الثالث حوالى ١,٥ مليار دولار سنوياً، أي ما يعادل ٤٠ بالمئة من الصادرات الاسرائيلية، وهي تستند، في معظمها، الى التقنية الاميركية المتطوّرة[١].

ومن شأن الكشف عن النشاط الاسرائيلي في مجال نقل التقنية الاميركية المتطوّرة الى دول العالم الثالث، التسبّب في احراج الصناعة العسكرية الاسرائيلية تجاه مثيلاتها في الولايات المتحدة الاميركية التي ترى في صادرات الاسلحة الاسرائيلية منافساً خطيراً لها في الاسواق العالمية. ويأتي ذلك، أيضاً، في فترة تعاني فيها الصناعة الاميركية من أزمة اقتصادية عميقة وكساد في المبيعات.

ولدى التدقيق في هذه الازمة بين البلدين الحليفين على خلفية علاقة التحالف والتعاون الفريدة بينهما، لا بدّ من التساؤل عن حقيقة النشاط الاسرائيلي في مجال نقل التقنية الاميركية المتطورة وأبعاده وانجازاته، وحقيقة «الجهل» الاميركي بهذا النشاط المستمر منذ فترة طويلة تعود الى أوائل عقد السبعينات، وانعكاس هذه الازمة بكل أبعادها على جوهر العلاقة الوثيقة بين البلدين.

العامل الاميركي في الصناعة العسكرية الاسرائيلية

تعود بدايات التعاون العسكري بين اسرائيل والولايات المتحدة الاميركية الى أوائل عقد الخمسينات عندما وقّع الجانبان، في العام ١٩٥٢، اتفاقية التعاون الدفاعي المتبادل (Mutual Defence Assistance Agreement) التي نصّت، صراحة، على التزام اسرائيل بعدم استخدام الاسلحة الاميركية الاّ في حالة الدفاع عن النفس، وذلك تمشياً مع القانون الاميركي المتعلّق برقابة صادرات الاسلحة (Arms Export Control Act). وبقي حجم المساعدات العسكرية

الاميركية لاسرائيل خلال عقدي الخمسينات والستينات ضئيلاً نسبياً. ولكن تحوّلاً جذرياً، كمّاً ونوعاً، طرأ على التعاون العسكري بين الطرفين في العام ١٩٧٠ عندما فتح وزير الخارجية الاميركية الاسبق، هنري كيسنجر، بوابة التقنية العسكرية الاميركية أمام اسرائيل مكافأة لها على دورها في صدامات أيلول (سبتمبر) من ذلك العام بين الاردن والمقاومة الفلسطينية. ففي كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٠، وقّعت واشنطن اتفاقية بالغة الاهمية لتبادل المعلومات في مجالات الدفاع والتنمية مع اسرائيل (Master Defense Development Data Exchange Agreement). وبموجب هذه الاتفاقية، وافقت وزارة الدفاع الاميركية على نقل ملفات تفصيلية كاملة (Technical Data Packages)، بالرسوم التوضيحية والمخطّطات والمواد اللازمة لصناعة الاسلحة الاميركية المتقدمة، الى اسرائيل. وفي خلال فترة ثماني سنوات، حصلت اسرائيل على ١٢٠ ملفاً من هذا النوع، وذلك حسب تقرير رسمي صادر في العام ١٩٧٩ عن هيئة مراقبة نقل الاسلحة الى الشرق الاوسط (Middle East Arms Transfer Panel)[٢].

هذا التعاون الفريد من نوعه بين الولايات المتحدة الاميركية واسرائيل، قدّم للاقتصاد الاسرائيلي خدمة لا تقدّر، ونقل اسرائيل، خلال بضع سنوات، من دولة مستوردة للسلاح الى سابع أكبر مصدّر للسلاح في العالم، بحيث بلغ حجم مبيعاتها الى الخارج، في العام ١٩٨١، حوالى ١,٣ مليار دولار.

وعلى الرغم من تزايد الأدلّة على قيام اسرائيل بنقل التقنية الاميركية المتقدّمة الى دول العالم الثالث، مخالفة بذلك القوانين والاتفاقات مع واشنطن ومحقّقة ارباحاً هائلة على حساب الصناعات العسكرية الاميركية، فإن تدفّق التقنية الاميركية الى اسرائيل لم يتوقف. ويدلّ على ذلك وجود ٣٢٢ مشروع تعاون اسرائيلي ـ اميركي، حالياً، بقيمة ٢,٩ مليار دولار، بالاضافة الى ٤٩ برنامج ابحاث مشترك بين البلدين، و٣٦ اتفاقية لتبادل المعلومات، الى جانب ١١ مشروع اتفاق جديد ما زالت قيد البحث حتى مطلع العام ١٩٩٢[٣].

ولا حاجة للتأكيد على ان هذا الموقف الذي اتخذته الادارات الاميركية المتلاحقة منذ ولاية الرئيس الاميركي، ريتشارد نيكسون، وموافقتها على نقل التقنية الاميركية العسكرية الى اسرائيل، لعب دوراً حاسماً في القفزة النوعية الكبيرة التي حققتها الصناعات العسكرية الاسرائيلية، وقدرتها على انتاج طائرات متقدّمة من طراز «كفير» و«لافي»، ودبابات «مركافاه»، والسفن الحربية، والعديد من الاسلحة الخفيفة والمتوسطة والقنابل بأنواعها. ومع ازدياد التعاون العسكري بين الجانبين، شدّدت الولايات المتحدة الاميركية رقابتها على صادرات اسرائيل العسكرية، حيث ان العديد من هذه الصادرات يتضمّن قطعاً دقيقة وعالية التقنية من انتاج اميركي. ويحتاج تجار السلاح الذين يتقدّمون الى قسم التصدير في وزارة الدفاع الاميركية (البنتاغون) بطلب الحصول على تصريح لتصدير منتجات عسكرية، الى الاعلان بأنهم لا يعتزمون بيع القطع أو التقنية الاميركية، من دون الحصول على إذن من الجهات الاميركية المختصّة.

وتدّعي اسرائيل ان الرقابة الاميركية المشدّدة على صادراتها العسكرية تضع العراقيل أمام امكانات البيع في أسواق العالم الثالث. فقد منعت الادارة الاميركية، طوال سنوات، بيع طائرة «كفير» التي تنتجها الصناعة الجوية الاسرائيلية لاحتوائها محركاً أميركي الصنع، وبالتالي فإن بيع هذه الطائرة للخارج يحتاج الى موافقة اميركية مسبقة. ولهذا السبب، لم تتمكّن اسرائيل، طوال ١٧ عاماً على انتاج الطائرة، من بيع أكثر من ٣٧ طائرة في الاسواق الخارجية، منها ٢٥ طائرة للاكوادور

و١٢ طائرة لكولومبيا. وتجرى، حالياً، مفاوضات لبيع الفلبين طائرات من هذا النوع، أيضاً[٤].

وتحاول اسرائيل، من أجل التغلّب على هذا العائق الاميركي، الحصول على قطع بديلة من الاسواق الاوروبية، التي لا تفرض قيوداً مشابهة على تجارة الاسلحة. فقامت بشراء محركات نفّاثة من فرنسا لاستخدامها في طائرات «كفير»، وبيعها، بالتالي، من دون الحاجة الى موافقة اميركية. ولكنها لم تنجح، حتى الآن، من بيع طائرة واحدة مزوّدة بالمحرّك الفرنسي.

هذا الاعتماد الكبير على التقنية الاميركية جاء نتيجة القفزة الهائلة في حجم المساعدات الاميركية لاسرائيل خلال عقد الثمانينات، والسماح بإنفاق جانب ملحوظ من هذه المساعدات بالعملة الاسرائيلية لتمويل صفقة مشتريات من الصناعة الاسرائيلية. وبالتالي، تمكّن العديد من المصانع الاسرائيلية من الحصول على صفقات فرعية (Sub-Contracts) لصالح الصناعات الاميركية، الامر الذي أتاح لها، أيضاً، الاطلاع على أساليب الانتاج ومهارات التسويق الاميركية والاستفادة منها. وتستفيد الصناعات الاسرائيلية من الشروط السهلة التي تقدّمها الولايات المتحدة الاميركية الى جانب الهبات السنوية، حيث يتمّ انفاق جانب من هذه الهبات في السوق الاميركية لتمويل صفقات شراء معدّات عسكرية، وتقنية، متقدّمة. هذا بالاضافة الى التعاون الاميركي ـ الاسرائيلي لتطوير مشاريع عسكرية هامّة مثل طائرة «لافي» وصاروخ «حيتس» (السهم).

ومع تدفّق التقنية الاميركية على اسرائيل من جهة، وازدياد حدّة الحرب الباردة بين واشنطن وموسكو من جهة ثانية، شدّدت الادارة الاميركية من رقابتها على قنوات نقل التقنية الاميركية وتحرّكها، خشية وصول قطع منها الى الاتحاد السوفياتي سابقاً أو دول الكتلة الشرقية. ومع اتساع رقعة الاستقطاب الدولي، ازدادت اجراءات الرقابة الاميركية تشدّداً، كما فُرض حظر على تصدير الاسلحة الى جنوب افريقيا والصين وايران وغيرها من الدول التي ترى واشنطن انها تتّبع سياسة تخالف المصالح الاميركية. وتتولّى وزارة الخارجية الاميركية رقابة الصادرات العسكرية، في حين تراقب وزارة التجارة الصادرات المدنية التي يمكن الاستفادة منها، أيضاً، لأغراض عسكرية. وعمدت الادارة الاميركية، مؤخراً، الى تشديد الرقابة على التقنية الخاصة بانتاج الصواريخ البالستية، وفرضت على اسرائيل توقيع الاتفاقية الخاصة بمنع انتشار هذه الصواريخ (MTCR). ونصّت هذه الاتفاقية على عدم بيع الصواريخ أو التقنية اللازمة لانتاج الصواريخ التي يتجاوز مداها ٣٠٠ كيلومتر، والقادرة على حمل رؤوس متفجّرة لا يقل وزنها عن نصف طن[٥].

العامل الاسرائيلي في تجارة السلاح الدولية

في مقابل القيود التي تفرضها الادارة الاميركية على نقل التقنية العسكرية المتقدّمة الى دول العالم الثالث، عمدت اسرائيل الى تطوير شبكة علاقاتها التجارية الخاصة مع هذه الدول مستفيدة من أجواء التراخي في الدوائر الاميركية تجاه ضرورة متابعة صفقات الاسلحة مع اسرائيل للتأكد من عدم وصولها الى طرف ثالث. وكان تقرير مراقب الخارجية الاميركية، شيرمان فانك، في آذار (مارس) الماضي اتهم، صراحة، مكتب مساعد وزير الخارجية، ريتشارد كلارك، بتجاهل قواعد التفتيش والمراقبة الدقيقة التي وضعتها الولايات المتحدة الاميركية في هذا الخصوص[٦].

وتعتبر الصين من أبرز الامثلة على التعاون الوثيق بين اسرائيل ودول العالم الثالث في مجال التسلّح الذي ترى فيه اسرائيل ضرورة أمنية حيوية لاستمرار تشغيل وتطوير صناعاتها

العسكرية المختلفة، وبالتالي تأمين ما تحتاجه من عملات أجنبية لدعم اقتصادها المحفوف بالأزمات.

كانت شبكة العلاقات السرية بشأن صفقات الاسلحة وشراء معدّات حربية وتقنية عسكرية متطوّرة، قد بدأت بين اسرائيل والصين منذ أواخر عقد السبعينات. ولكن الكشف عنها تأخّر حتى صيف العام ١٩٩٠، عندما أكد اسحق رابين، الذي تولّى، سابقاً، وزارة الدفاع الاسرائيلية، ان بلاده تبيع الصين أسلحة وتقنية من انتاج محلي. وأعرب رابين، في حينه، عن استغرابه للاستياء الاميركي من هذا النشاط، حيث أن الادارة الاميركية كانت تعلم مسبقاً بالعلاقات بين الصين واسرائيل، من دون أن تبدي أي معارضة لذلك[٧]. ويتضح من المعلومات المتوفّرة، ان العلاقات الصينية ـ الاسرائيلية تطوّرت بشكل ملحوظ في مطلع عقد الثمانينات، عندما تمّ التوقيع بين الطرفين على صفقات ضخمة بمليارات عدّة من الدولارات. وبموجب هذه الصفقات، قامت اسرائيل بتزويد الصين أنظمة أسلحة مختلفة شملت صواريخ بحر ـ بحر من طراز «غبريئيل»، وصواريخ جو ـ جو، وقنابل وقذائف متنوّعة للدبابات والمدفعية. كما ساهمت في تحديث العديد من أنظمة الاسلحة الصينية القديمة، ومن بينها دبابات سوفياتية الصنع، بالاضافة الى الطائرات المقاتلة. ومن المعتقد ان تكون الصين أطلعت على التقنية الاسرائيلية المستخدمة في صناعة وتطوير الطائرة «لافي». وتحدّث أحد العلماء الصينيين، في أثناء محاضرة له في الولايات المتحدة الاميركية، مؤخراً، عن تعاون اسرائيلي ـ صيني وثيق في مجال تطوير الصواريخ البالستية[٨]. وقد اتهم تقرير مراقب الخارجية الاميركية اسرائيل بأنها باعت الصين التقنية الاميركية المتقدّمة الخاصة بصواريخ «باتريوت» و«ساید ويندر» و«TOW».

وعلى هذا الاساس، يمكن اعتبار الزيارة الرسمية التي قام بها وزير الخارجية الاسرائيلي السابق، دافيد ليفي، لبكين، في كانون الثاني (يناير) من العام الحالي، والتي ترافقت مع اعلان الصين اعترافها الرسمي باسرائيل، اقراراً علنياً بتاريخ طويل من التعاون العسكري والاقتصادي. وكان سبق ليفي الى العاصمة الصينية، وزير الدفاع، موشي ارنس، في زيارة سرية، خلال تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩١، وتبع ذلك زيارة أخرى قام بها رئيس مجلس ادارة الصناعة العسكرية الاسرائيلية الجنرال (متقاعد)، دان شومرون[٩].

وتعتبر الصين واسرائيل من أكبر مصدّري الاسلحة في العالم، حيث تتمتع الاولى بانخفاض تكاليف الانتاج، في حين اثبتت الاسلحة الاسرائيلية المتقدّمة فاعليتها العالية في المعارك القتالية، وبالتالي، فإن التعاون في ما بينهما يشكّل تهديداً خطيراً لجهود واشنطن في مجال وقف انتشار الصواريخ البالستية. الّا ان اسرائيل استفادت من قرار الادارة الاميركية، في أعقاب احداث «ربيع بكين»، في العام ١٩٨٩، تعليق الاتفاقيات العسكرية مع الصين، لتقوم بمهمة ملء الفراغ. ووصف تقرير وضعه مورتون ميلر لصالح الوكالة الاميركية لمراقبة التسلّح ونزع الاسلحة (U.S. Arms Control and Disarmament Agency) صفقات الاسلحة الاسرائيلية للصين، بأنها كانت بمثابة «الباب الخلفي» الذي استخدمه الصينيون للوصول الى التقنية العسكرية الاميركية. وفي المقابل، حصلت اسرائيل على العملة الاجنبية اللازمة لانعاش اقتصادها، وفي النهاية، حصلت على الاعتراف الدبلوماسي. الّا ان هذا التعاون العسكري الوثيق بين الجانبين قد تكون له جوانب سلبية في ما يتعلق بالطرف الاسرائيلي. ذلك ان قائمة الدول التي تستورد اسلحة من الصين تضم كلاً من سوريا والعراق وايران والمملكة العربية السعودية وباكستان والجزائر. وبالتالي، رأى بعض المراقبين امكانية وصول أسلحة الى هذه الدول من الصين قامت بتطويرها اسرائيل استناداً الى التقنية الاميركية المتقدّمة. وفي المقابل، قد تستخدم اسرائيل شبكة علاقاتها الواسعة مع الصين وسيلة للضغط عليها لكي

تقلّص بكين من حجم مبيعاتها من الاسلحة في الشرق الاوسط، تماماً كما تفعل الادارة الاميركية مع اسرائيل تجاه مبيعاتها من الاسلحة لجنوب افريقيا وكارتل مديلين لتجارة المخدّرات في كولومبيا وغيرها من دول اميركا اللاتينية(١٠).

ويبدو ان الصين شعرت بهذا الضغط بالفعل، حيث طالبت اسرائيل، في أعقاب تبادل التمثيل الدبلوماسي بين البلدين، رفع القيود المفروضة، بموجب ميثاق دولي، على بيع التقنية المتقدّمة للدول الشيوعية ومنها الصين. والمعروف ان هذا الميثاق ويطلق عليه اسم (Co-ordination Committee for Multilateral Export Controls) كانت وقّعته الولايات المتحدة الاميركية ودول حلف شمال الاطلسي (الناتو) في العام ١٩٤٩، بهدف منع وصول التقنية العسكرية التقليدية، والمتطوّرة، الى دول المعسكر الشيوعي. ولهذا الميثاق صفة براغماتية وليست تعاقدية، وبالتالي فإنه لا يعتبر ملزماً للاطراف الموقعة عليه، الّا ان الولايات المتحدة الاميركية كانت تفرض على أي دولة تطلب منها شراء تقنية عسكرية متقدمة التوقيع على هذا الميثاق. وكانت لجنة صياغة الميثاق وضعت قائمة بالمواد التي يحظر تصديرها للدول الشيوعية. الّا ان انهيار الاتحاد السوفياتي في العام ١٩٩٠، وانتهاء الحرب الباردة بين الشرق والغرب، شجّع الدول الموقّعة على هذا الميثاق في المطالبة بتقليص قائمة الممنوعات. وقد اضطرت الولايات المتحدة الاميركية للاستجابة الى هذا الضغط بالموافقة على شطب حوالى نصف المواد الممنوعة سابقاً والاكتفاء باتفاقيات ثنائية مع كل دولة على حدة لتحديد نوعية الاسلحة والتقنية العسكرية التي يُسمح بتصديرها لها. وعلى الرغم من الحظر الذي استمر مفروضاً على صادرات الاسلحة الى الصين، فقد تضمّن الجناح الصيني في معرض باريس الدولي العام ١٩٩١ صاروخ جو ـ جو من طراز «PL-8-H» ، اعتبره المراقبون العسكريون نسخة أخرى من الصاروخ الاسرائيلي «بايتون ـ ٣» الذي تنتجه «هيئة تطوير الوسائل القتالية» في اسرائيل. ويعتمد انتاج هذا الصاروخ، الى حدّ كبير، على التقنية الاميركية المستثمرة في الصاروخ «سايدوويندر» الاميركي(١١). ومن جهتها، نفت المصادر الاسرائيلية هذه المعلومات نفياً قاطعاً، وادّعت ان الصاروخ «بايتون ـ ٣» والصاروخ «مباتس» المضاد للدبابات هما من إنتاج اسرائيلي خالص.

أمّا العلاقات مع جنوب افريقيا، فقد حرصت اسرائيل على اسدال ستار من السرية التامة حولها، خاصة بعد المقاطعة الدولية الشاملة ضد النظام العنصري في العام ١٩٧٣. ولكن المعلومات غير الرسمية، كلها، تشير الى وجود شبكة علاقات واسعة ومكثّفة بين الجانبين في مجال الصناعات العسكرية. وتشمل قائمة مشتريات جنوب افريقيا، عادة، صنوفاً عديدة من الاسلحة والذخيرة والقذائف، بما في ذلك الطائرات والصواريخ والسفن الحربية. كما ذكرت مصادر غير رسمية اشتراك الطرفين في مشاريع استراتيجية. وكانت الادارة الاميركية اتهمت اسرائيل بنقل تقنية الصاروخ «حيتس» الاسرائيلي المستمدة من الصاروخ الاميركي «باتريوت» الى جنوب افريقيا، الامر الذي نفته تل ـ أبيب نفياً قاطعاً. ولكن واشنطن أصرّت، بدورها، على ان توقّع اسرائيل مذكرة تفرض حظراً تاماً على نقل تقنية هذا الصاروخ المتطوّرة الى أي طرف ثالث، وذلك كشرط مسبق للتوقيع على اتفاق اميركي ـ اسرائيلي لتطوير المرحلة الثانيةمن الصاروخ «حيتس»(١٢).

وترددت معلومات، أيضاً، بشأن تعاون وثيق بين الطرفين في مجال التجارب النووية وتطوير أجهزة اطلاق الصواريخ وانتاج الصواريخ البالستية. وفي العام ١٩٩٠، وعلى أثر القرار الاسرائيلي بالتوقّف عن مشروع تطوير الطائرة «لافي»، انتقل العديد من المهندسين والتقنيين العاملين في هذا المشروع الى جنوب افريقيا للعمل على مشروع مشابه لصالح الصناعة الجوية هناك. الّا ان تكاليف هذا

المشروع الباهظة دفعت حكومة جنوب افريقيا، ايضاً، الى التوقف عن تطويره والاكتفاء بتطوير نموذج مشابه للطائرة الاسرائيلية «كفير». والمعروف ان النموذجين «لافي» و«كفير» يعتمدان على التقنية الاميركية المتقدّمة في صناعة محركيهما(١٣).

وانضمّت الهند، مؤخراً، الى القائمة الطويلة من الدول التي أعادت علاقاتها مع اسرائيل، أو توصلت الى الاعتراف بها. ففي الاول من حزيران (يونيو) الماضي، افتتحت السفارة الهندية في تل ـ أبيب، ويتولّى الاشراف عليها، حالياً، القائم بالأعمال، فيرندرا غوفتا، الذي أكد ان بلاده تتطلع نحو تعاون وثيق مع اسرائيل في مجالات الزراعة والسياحة والطيران والعلوم والتكنولوجيا. ويبدو ان هذا الاجراء الدبلوماسي كان شرطاً اسرائيلياً مسبقاً لتمكين الهند من الاشتراك في المحادثات متعددة الطرف في الشرق الاوسط. وتجرى اتصالات، أيضاً، لتحقيق خطوات مشابهة مع فيتنام ولاوس وكمبوديا(١٤).

الاّ ان التعاون بين اسرائيل والهند لن يكون مقتصراً على النواحي المدنية فقط، بل سيمتد ليشمل مجالات عسكرية واستراتيجية كما تردّد في الصحف الهندية مؤخراً. فقد ذكرت أنباء صحافية، ان الهند تسعى الى الحصول من اسرائيل على التقنية العسكرية المتطوّرة في مختلف أنواع الاسلحة، والتوصل الى اتفاق للتعاون في مجال تطوير الطائرات المقاتلة والصواريخ(١٥). وكانت الهند قدّمت طلباً بهذا المعنى الى وفد رفيع المستوى من وزارة الدفاع الاسرائيلية زار نيودلهي في أواخر أيار (مايو) الماضي. وعرض هذا الوفد على الحكومة الهندية، الى جانب قائمة الصادرات العسكرية الاسرائيلية، امكانية المشاركة في تعزيز شبكة الدفاع الهندية على طول الحدود مع باكستان. وكان وزير الدفاع الهندي أعلن، في شباط (فبراير) الماضي، ان بلاده تسعى الى الحصول على مساعدة اسرائيلية في مجال مكافحة الارهاب في كشمير والبنجاب(١٦). كما تسعى نيودلهي الى تحديث ترسانة أسلحتها السوفياتية الصنع والتي تشمل حوالى ٣٠٠ طائرة من طراز «ميغ ـ ٢١»، و١٢٠ طائرة من طراز «ميغ ـ ٢٣»، وحوالى ٨٠٠ دبابة من طراز «ت ـ ٥٥»، الى جانب النشاط الهندي المعروف على الصعيد النووي.

ويسعى العديد من الدول الاسيوية كالصين وتايوان وسنغافورة الى تحديث ما لديها من أسلحة سوفياتية قديمة. وتمكّنت اسرائيل من عقد صفقات بمليارات الدولارات مع هذه الدول لتأمين حصولها على التقنية العسكرية الاسرائيلية، بالاضافة الى طائرات «كفير» التي تسعى تايوان الى الحصول عليها(١٧).

شبكة العلاقات الثنائية

تعليقاً على الازمة الاخيرة في العلاقات السياسية بين واشنطن وتل ـ أبيب، لاحظ المعلّق العسكري في صحيفة «هآرتس»، زئيف شيف، ان شبكة العلاقات المعقّدة بين اسرائيل والولايات المتحدة الاميركية «تتلوّن، في كثير من الاحيان، بنزعات متناقضة، فتبدو اسرائيل، من ناحية، وكأنها تسير نحو مواجهة محتومة مع واشنطن بشأن الضمانات المالية والمستوطنات، بينما تقول مصادر عسكرية انه، في هذا الوقت بالذات، طرأ تحسن على التعاون الاستراتيجي بين الطرفين، وتمّ تحقيق انجازات لصالح اسرائيل». وللدلالة على التعاون العسكري والاستراتيجي بين الطرفين، أشار شيف الى تزايد الزيارات التي تقوم بها شخصيات اميركية رفيعة المستوى الى اسرائيل، وإطالة الفترة التي تقضيها السفن الحربية الاميركية في موانىء اسرائيل الى حوالى مئة يوم في السنة، والتعاون

الوثيق في مجال الاستخبارات، وتبادل المعلومات، والدروس العسكرية المستمدة من الخبرة القتالية، اثناء حرب الخليج. كما تقوم وحدات من مختلف الاسلحة في الجيشين، الاميركي والاسرائيلي، بتدريبات مشتركة. وقامت وزارة الدفاع الاميركية بإعداد لائحة ضمّت سبعين موضوعاً مختلفاً في مجالات البحوث والتطوير يستطيع الاميركيون التعاون فيها مع الاسرائيليين(١٨).

وقد نشطت اسرائيل، بشكل خاص، في ميدان اعادة تأهيل وتحديث الاسلحة القديمة، نسبياً، سواء الاميركية منها أم السوفياتية، وذلك للخبرة المتراكمة لدى صناعاتها العسكرية نتيجة التعاون المستمر مع القطاع العسكري الاميركي، وسيطرتها على التقنية السوفياتية، نتيجة حروبها المتعدّدة مع العرب. وتشكّل الصناعات العسكرية الاسرائيلية، في هذا المجال، منافساً خطيراً للصناعات الاميركية بسبب انخفاض كلفة اليد العاملة في اسرائيل نسبياً. وقد تمكّنت الصناعة الجوية الاسرائيلية، مؤخراً، من الحصول على اتفاق مع سلاح الجو الاميركي يقضي بإعادة تأهيل حوالى ٦٠ طائرة من طراز «ف ـ ١٥» عاملة في القواعد الاميركية في أوروبا، بقيمة ٦٨ مليون دولار، ويستمر العمل في هذا المشروع حوالى ٤ ـ ٥ سنوات. كما يجرى العمل، حالياً، في عنابر الصناعة الجوية الاسرائيلية لتأهيل طائرات «فانتوم ـ ٢٠٠٠» التابعة لسلاح البحرية الاميركية، وطائرات «بوينغ ـ ٧٠٧» المستخدمة للانذار المبكر، وطائرات «بوينغ ـ ٧٠٧» المستخدمة لتزويد الطائرات بالوقود جواً(١٩).

وتكمن أهمية هذا المشروع، الى جانب قيمته المالية وتوفيره فرص العمل لليد العاملة الاسرائيلية، في كونه الأول بهذا الحجم الذي تحصل عليه الصناعة الجوية الاسرائيلية، مع وجود منافسة حادة اميركية وأوروبية. وحضر الاحتفال بدخول الطائرة الاولى «ف ـ ١٥» الى عنابر الصناعة الجوية التي أُقيمت خصيصاً لهذا المشروع، السفير الاميركي في اسرائيل، وليام هاروب، وقائد قاعدة «ورنر روبنز»، حيث مقر الصيانة المركزي لطائرات «ف ـ ١٥» في الولايات المتحدة الاميركية الميجر جنرال، ريتشارد غيليس، وقائد القوات الاميركية في اوروبا، وعدد من ضباط سلاح الجو الاميركي الذين سيرافقون مراحل المشروع. وشارك، عن الجانب الاسرائيلي، مدير عام وزارة الدفاع اللواء (احتياط)، دافيد عيفري، ورئيس ادارة الصناعة الجوية اللواء (احتياط)، مردخاي هود، وقائد سلاح الجو اللواء، هرتسل بودينغر، ومدير عام الصناعة الجوية، موشي كارت، وكبار المسؤولين في وزارة الدفاع وسلاح الجو والصناعة الجوية(٢٠).

وتقيم الصناعة الجوية الاسرائيلية صلات عمل وثيقة مع البحرية الاميركية التي استأجرت منها عدداً من طائرات «كفير»، ومع سلاح البرية والمارينز الذين ابتاعوا طائرات بدون طيار من الصناعة الجوية الاسرائيلية. الّا ان قرار وزارة الدفاع الاميركية تلزيم الصناعة الجوية الاسرائيلية مهمة اعادة تأهيل أفضل القاذفات المقاتلة الاميركية، وفي مواجهة منافسة قوية من شركات اوروبية كبيرة، يعتبر دليلاً على ثقة المؤسسة العسكرية الاميركية بمستوى التقنية والكفاءة المتوفّرة لدى الجانب الاسرائيلي في هذا المجال. ويشكّل سلاح الجو الاسرائيلي ميدان العمل الرئيس للصناعة الجوية، حيث يتولّى اعادة تأهيل طائرات «الفانتوم» القديمة، وتزويدها بمعدّات وأجهزة حديثة للغاية، بعضها اميركي الصنع، بحيث يمكن لطائرة من هذا النوع العمل الى ما بعد العام ٢٠٠٠. ويسعى الجيش الاسرائيلي، بهذا الاسلوب، الى توفير مبالغ ضخمة من العملات الأجنبية اللازمة لشراء طائرات وأسلحة أخرى حديثة. ولا يقتصر هذا التوجّه على الجيش الاسرائيلي وحده، بل ان الصناعة الجوية الاسرائيلية، تمكّنت من عقد صفقات عدّة مع دول أخرى تقوم بابتياع طائرات «كفير» قديمة وبأسعار زهيدة،

ثمّ تتولّى الصناعة الجوية الاسرائيلية اعادة تأهيل هذه الطائرات المزوّدة بمحرّك أميركي الصنع، وإضافة أجهزة رادار ومعدّات الكترونية حديثة كانت انتجتها اسرائيل، بتمويل اميركي، لصالح مشروع الطائرة «لافي»، وتزويدها بصواريخ جو ـ جو، وصواريخ جو ـ أرض من إنتاج «هيئة تطوير الوسائل القتالية» الاسرائيلية، وبتمويل اميركي أيضاً.

وتتوجه اسرائيل، في مشاريع اعادة تأهيل الطائرات القديمة، الى الدول التي تفتقر الى الموارد المادية لشراء الطائرات الحديثة من طراز «ف ـ ١٦» و«ف ـ ١٨». وتعرض اسرائيل على هذه الدول تحديث طائراتها القديمة من طراز «ف ـ ٥» مثلاً، وتزويدها بأحدث المعدّات المستخدمة في طائرة «لافي»، وبكلفة لا تذكر مقارنة بأسعار الطائرات الحديثة[٢١].

هذا النشاط الاسرائيلي المعتمد، الى حد كبير، على التمويل والتقنية الاميركية، أثار حنق الصناعات العسكرية الاميركية التي ترى في الطرف الاسرائيلي منافساً قوياً لها ليس فقط في الاسواق العالمية، بل في داخل السوق الاميركية ذاتها. وتخشى اسرائيل من امكانية لجوء الصناعات العسكرية الاميركية الى ممارسة ضغوط قوية على الدول الاخرى لالغاء عقودها مع الصناعات العسكرية الاسرائيلية، أو التأثير على قرار وزارة الدفاع الاميركية بشأن مشروع تحديث طائرات من طراز «ف ـ ١٥» في اسرائيل. وتحتفظ واشنطن بحق اعادة النظر في تجديد هذا الاتفاق سنوياً، الامر الذي يترك للوبي الصناعات العسكرية الاميركية واسع النفوذ، هامشاً كبيراً للضغط على صانعي القرار في البنتاغون.

وفي مجال آخر، انجزت الولايات المتحدة الاميركية واسرائيل مشروعاً مشتركاً لانتاج جهاز قادر على اختبار وسائل الدفاع ضد الصواريخ البالستية، للتأكد من فعاليتها ودقّة اصابتها. ويأتي تطوير هذا الجهاز ضمن برنامج «حرب النجوم» الاميركي، واستغرق انتاجه ٣٢ شهراً بكلفة اجمالية بلغت ٣٠ مليون دولار، تحمّلت واشنطن ٧٢ بالمئة من تمويلها، في حين قدّمت اسرائيل نسبة التمويل الباقية. وتولّت شركة «تاديران» الاسرائيلية تنفيذ الشق الاسرائيلي من المشروع. وتجرى، حالياً، مباحثات بين الطرفين، الاميركي والاسرائيلي، للقيام بتجارب مشتركة خلال العامين ١٩٩٢ ـ ١٩٩٣ لاختبار دقّة هذا الجهاز[٢٢].

ويأتي الاعلان عن هذا الجهاز مع توارد معلومات متلاحقة تشكّك في صدقية التقارير العسكرية الاميركية الأولية في أثناء حرب الخليج بشأن فاعلية صواريخ «باتريوت» ونجاعتها في التصدي لصواريخ «سكود» العراقية، وبالتالي قدرتها على تأمين الحماية لاسرائيل. وكانت تقارير الجيش الاميركي الأولية ذكرت ان صواريخ «باتريوت» عملت بنجاح ضد أكثر من ٨٠ بالمئة من صواريخ «سكود» الموجّهة ضد المملكة العربية السعودية، في حين سجّلت اصابات مباشرة ضد حوالى ٥٠ بالمئة من الصواريخ الموجّهة ضد اسرائيل في أثناء حرب الخليج. ولكن مصادر اسرائيلية عليمة ذكرت لاحقاً، ان القوات البرية الاميركية تعاونت مع شركة «رايت ـ أون» الاميركية المنتجة لصواريخ «باتريوت» في إشاعة معلومات غير صحيحة بشأن دقّة التسديد والاصابة لهذه الصواريخ ضد صواريخ «سكود» العراقية. وللتحقق من صحة هذه المعلومات، عقدت اللجنة الفرعية لشؤون التشريع والأمن القومي التابعة للجنة النشاطات الحكومية في مجلس النواب الاميركي، جلسات عدّة استمعت خلالها الى شهادات عدد من الخبراء والاخصائيين العسكريين من بينهم المحرر العسكري في صحيفة «هآرتس»، رؤوبين فدهتسور. واستند هذا الاخير في شهادته الى سلسلة من اللقاءات والتحقيقات أجراها

في اسرائيل مع عدد من أطقم صواريخ «باتريوت»، وممثلين عن سلاح الجو، و«هيئة تطوير الوسائل القتالية»، والصناعة الجوية، ووزارة الدفاع. وتبيّن، بنتيجة تلك التحقيقات، ان مجموع صواريخ «باتريوت» التي أُطلقت من اسرائيل، في خلال حرب الخليج، لم تتمكّن من إصابة أكثر من صاروخ «سكود» واحد إصابة مباشرة، في حين ألحقت أضراراً جانبية بصاروخين آخرين. ولكن فدهتسور أكد في شهادته، أيضاً، ان أنظمة صواريخ «باتريوت» ما زالت قادرة على تحقيق اصابات مباشرة ضد الصواريخ البالستية في حال استخلاص الدروس الصحيحة من حرب الخليج[٢٣].

هل كانت هذه المعلومات المحرجة بالنسبة للصناعات العسكرية الاميركية من بين العوامل التي ساهمت في تصعيد أزمة تسريب التقنية الاميركية من اسرائيل الى دول العالم الثالث؟ وهل قصدت اسرائيل، بتوقيت الكشف عن فاعلية ـ أو عدم فاعلية ـ صواريخ «باتريوت» في تلك الاثناء بالذات، الرد على ضغوط لوبي الصناعات العسكرية الاميركية من جهة، والضغوط السياسية للادارة الاميركية من جهة أخرى؟

من الصعب تقديم اجابة دقيقة عن حقيقة نوايا الطرفين في «حرب العصابات» التي كانت دائرة في تلك الاثناء بين مؤيدي اسرائيل ومعارضيها داخل الادارة الاميركية، ولكن المؤكد ان الكشف عن هذه المعلومات ترافق مع وصول اللجنة الاميركية الخاصة بالتحقيق في صحة تقارير الاستخبارات الاميركية بشأن تسريب التقنية العسكرية الاميركية من اسرائيل. وعلى الرغم من الضجة الاعلامية الكبيرة التي رافقت وصول هذه اللجنة، والاستياء الاسرائيلي لهذه «السابقة المهينة» والخطيرة في تاريخ العلاقات الاميركية ـ الاسرائيلية[٢٤]، والتأكيدات الاميركية المختلفة بشأن صحة المعلومات المتعلّقة بتسريب التقنية العسكرية الاميركية، الاّ ان التقرير النهائي للجنة التحقيق الاميركية أعلن براءة اسرائيل من أي خرق للاتفاق المتعلّق بعدم نقل التقنية الاميركية التي تحصل عليها اسرائيل الى أطراف أخرى. وفي محاولة لاسدال الستار على هذا الفصل المحرج من العلاقات بين واشنطن وتل ـ أبيب، وجّهت مصادر الخارجية الاميركية اصابع الاتهام الى «اولئك الذين سرّبوا تقارير استخباراتية، [والذين] يتوجب عليهم الاعتذار للولايات المتحدة الاميركية واسرائيل، في آن»[٢٥].

وفي محاولة لتجنّب المزيد من الاحراج بين الطرفين، والتعتيم، في الوقت نفسه، على النشاط الاسرائيلي في مجال تصدير الاسلحة والتقنية العسكرية المتطورة، فرضت اسرائيل حظراً على نشر مقاطع معيّنة من تقرير مراقب الدولة السنوي تتناول تفاصيل صادرات اسرائيل العسكرية[٢٦]، وفي المقابل، أعلنت وزارتي الدفاع والصناعة والتجارة في اسرائيل عن إقامة لجنة مشتركة لتنسيق الرقابة على صادرات التقنية الخاصة بالصواريخ والقطع اللازمة لصناعتها. وتعتبر هذه اللجنة عنصراً هاماً في نظام الرقابة الشامل الذي التزمت اسرائيل باقامته لدى انضمامها الى الاتفاق الدولي الخاص بمنع انتشار الصواريخ (MTCR) ، على أثر ضغوط اميركية قوية، وتجميد صادرات معدّات حسّاسة للغاية من الولايات المتحدة الاميركية الى اسرائيل. وبحسب بنود هذا الاتفاق، تنقسم التقنية الخاصة بالصواريخ الى فئتين: الاولى، تشمل الصواريخ والطائرات بدون طيّار القادرة على نقل حمولة ٥٠٠ كيلوغرام الى مسافة ٣٠٠ كيلومتر أو أكثر؛ بالاضافة الى معدّات تصوير وآلات أخرى مختلفة. وتسمح تعليمات التصدير الاسرائيلية بتصدير الصواريخ، فقط، الى الدول الموقّعة على الاتفاق الدولي وهي: الولايات المتحدة الاميركية، ايطاليا، بريطانيا، ألمانيا، فرنسا، كندا، النمسا، استراليا، بلجيكا، الدنمارك، هولندا، لوكسمبرغ، النرويج، نيوزيلندا، اسبانيا، السويد وسويسرا. أمّا الفئة الثانية، فإنها تشمل العديد من الاجزاء وقطع الغيار اللازمة لبناء الصواريخ ومنصّات اطلاقها التي

يمكن استخدامها، أيضاً، لأغراض أخرى أمنية ومدنية. وتتولّى وزارة الدفاع الاسرائيلية مراقبة تصدير الصواريخ والمعدّات العسكرية، في حين تتولّى وزارة الصناعة والتجارة مراقبة تصدير المعدّات المدنية التي يمكن استعمالها، أيضاً، لغايات عسكرية. وتنسّق اللجنة المشتركة أعمال الرقابة بين الوزارتين. وكانت اسرائيل وافقت، في الآونة الاخيرة، استجابة لضغوط اميركية قوية، في تشديد رقابتها على تصدير الخبرات والمعدّات اللازمة للتدريب على حرب العصابات ومكافحة الارهاب بعدما تكشف من معلومات عن قيام الاسرائيلي، يئير كلاين، بتدريب رجال عصابات تهريب المخدّرات في كولومبيا[٢٧].

التعاون مستمر

بعد أن هدأ ضجيج الاتهامات المتبادلة بين الطرفين، الاميركي والاسرائيلي، وتوقّفت حرب التسريبات الاستخباراتية الى وسائل الاعلام، تلاحقت الانباء المتعلّقة بصفقات ضخمة بين الصناعات العسكرية الاميركية والمؤسسة العسكرية الاسرائيلية. فقد أعلنت شركة «ماكدونالد دوغلاس» الاميركية عن وصول رئيس شعبة الطائرات المروحية فيها، دين بورغمان، الى اسرائيل للتباحث في تفاصيل اتفاق لبيع سلاح الجو الاسرائيلي مروحيات من طراز «أباتشي»[٢٨]. وكانت اسرائيل ابتاعت في صفقة سابقة ١٨ مروحية من هذا الطراز وصلت الاولى منها في العام ١٩٩٠ الى سلاح الجو الاسرائيلي. وفي حين تولّت الصناعة الجوية في اسرائيل أعمال الصيانة الجارية لهذه الطائرات، الّا ان الاتفاق بين الجانبين كان يقضي بإرسال مروحيات «أباتشي» الى الولايات المتحدة الاميركية لتنفيذ أعمال الصيانة الشاملة. وتسعى الصناعة الجوية الاسرائيلية، حالياً، الى الحصول على موافقة الشركة المنتجة لهذه المروحيات بتنفيذ كامل أعمال الصيانة في معامل الصناعة الجوية في عطاروت. أمّا الصفقة التي يدور البحث فيها، حالياً، فتشمل شراء ٧ ـ ٨ مروحيات «أباتشي» جديدة لاستكمال اسطول المروحيات في سلاح الجو الاسرائيلي. وتبلغ قيمة هذه الصفقة حوالى مئة مليون دولار، التزمت «ماكدونالد دوغلاس» بشراء معدّات اسرائيلية، في المقابل، بنسبة ٤٠ بالمئة من هذه الصفقة. وضمن هذا الاطار، وافقت الشركة الاميركية على أن تقوم الصناعة الجوية الاسرائيلية بانتاج قطع وأجهزة للمروحية المدنية الحديثة لشركة «ماكدونالد دوغلاس» والمعروفة بالرمز (MDX) ، بقيمة ٣٥ مليون دولار.

وكانت تجربة حرب الخليج أظهرت بعض العيوب في اداء المروحية «أباتشي»؛ ويتم، حالياً، التغلّب على هذه العيوب بالتعاون ما بين الشركة الاميركية والصناعة الجوية الاسرائيلية. كما تسعى «ماكدونالد دوغلاس» الى بيع سلاح الجو الاسرائيلي طائرة «ف ـ ١٨»، في حين تحاول الشركة المنافسة «جنرال داينمكس» إقناع القيادة العسكرية الاسرائيلية بشراء طائرة «ف ـ ١٦» لتكون العمود الفقري في القوة الجوية الاسرائيلية[٢٩]. وكان وزير الدفاع الاسرائيلي السابق، موشي ارنس، أبدى اهتماماً بالطائرة الاميركية المروحية المعروفة باسم «بلاك هوك» في خلال زيارته الى واشنطن في آذار (مارس) الماضي. وتعتبر هذه المروحية الاحدث في العالم، وتستخدم في القوات البرية في عمليات الانزال ونقل الجنود، كما يمكن تزويدها بصواريخ مضادة للدبابات. وتبلغ كلفة الواحدة منها، مع كامل المعدات والتسليح، حوالى عشرة ملايين دولار[٣٠].

ومن الواضح أن اسرائيل تحاول، الآن، الاستفادة الى أقصى حد، وانتزاع أفضل الشروط التعاقدية من إحدى الشركتين الاميركيتين الاعظم في صناعة الطائرات في العالم، في هذه الفترة التي تشهد أزمة كساد عميقة تصيب الصناعات العسكرية الاميركية. وعندما يكون المقصود شراء

حوالى ٦٠ طائرة حديثة من طراز «ف ـ ١٦» أو «ف ـ ١٨» بكلفة ٥٠ ـ ٦٠ مليون للطائرة الواحدة ـ أي بقيمة اجمالية تقارب ثلاثة مليارات دولار ـ فإن الاعتبارات الاقتصادية ـ الصناعية تحتل أهمية لا تقل عن الاعتبارات العسكرية. ويبدو ان المسؤولين في كلتا الشركتين ـ ماكدونالد دوغلاس وجنرال داينمكس ـ قد وافقا على أن يتم تركيب الطائرات، التي تقرر اسرائيل شرائها، بالكامل في مصانع الصناعة الجوية الاسرائيلية. وما زالت المفاوضات دائرة للحصول على المزيد من الامتيازات الاقتصادية والتقنية والتسويقية[٣١].

وعلى صعيد آخر، تدور اتصالات بين الجانبين، الاميركي والاسرائيلي، بهدف توسيع ميناء حيفا وتعميقه بحيث يستطيع استقبال حاملات الطائرات الاميركية. وتبلغ كلفة هذا المشروع مئة مليون دولار. وكانت مذكرة التفاهم الاستراتيجية بين الطرفين، قبل حوالى عشر سنوات، نصّت على استخدام سفن الاسطول السادس الاميركي ميناء حيفا لأعمال الصيانة والخدمات العامة. ويتوقع ان يصل هذا العام عدد السفن الاميركية التي ستزور ميناء حيفا ضمن هذا الاطار الى حوالى ٦٠ سفينة من الاسطول السادس[٣٢].

على ان المشروع الاهم في قائمة التعاون الصناعي ـ العسكري بين اسرائيل والولايات المتحدة الاميركية يبقى مشروع تطوير الصاروخ الاسرائيلي «حيتس» (السهم) المضاد للصواريخ. وقد توصّلت الصناعة الجوية الاسرائيلية وقيادة الدفاع الاستراتيجي الاميركي «حرب النجوم»، الى اتفاق لتنفيذ المرحلة الثانية من تطوير هذا الصاروخ. وتستغرق هذه المرحلة أربع سنوات، تقدم الولايات المتحدة الاميركية، في خلالها، ٧٥ بالمئة من تكاليفها، في حين تقدم اسرائيل الكلفة الباقية. أمّا القيمة الاجمالية للمرحلة الثانية فتقدّر بحوالى ٣٢٠ مليون دولار، في حين كانت تكاليف المرحلة الاولى ١٥٨ مليون دولار فقط[٣٣]. ومنذ التوقيع، في العام ١٩٨٨، على اتفاق تطوير الصاروخ «حيتس»، أُجريت ثلاث محاولات تجريبية لاطلاقه مُنيت، جميعها، بالفشل. جرت المحاولة الاولى في التاسع من آب (اغسطس) ١٩٩٠، عندما أُطلق الصاروخ من موقع تدريبات المظليين. ولكن ضابط الاطلاق التجريبي قام بتشغيل جهاز التفجير الذاتي في الصاروخ بعد ١٥ ثانية من اطلاقه بسبب فشل أجهزة التوجيه الارضي. وكانت المحاولة الثانية في ١٩٩١/٣/٢٥ عندما أطلق الصاروخ من سفينة تبعد عشرة كيلومترات عن الشاطىء قبالة منطقة الوسط، وكذلك، ايضاً، المحاولة الثالثة في ١٩٩١/١٠/٣١. وفشلت المحاولتان الاخيرتان بسبب عطل أصاب أجهزة التبريد الحراري في الصاروخ[٣٤]. وقد طلبت الولايات المتحدة الاميركية من اسرائيل، مؤخراً، تأجيل محاولة رابعة لاطلاق الصاروخ بحجة التأكد من التغلّب على جميع العقبات التي كانت وراء فشل المحاولات الثلاث السابقة. الّا ان المصادر الاسرائيلية رأت أبعاداً سياسية في طلب التأجيل هذا، تعود الى رغبة واشنطن في عدم احراج حلفائها العرب، ووضع المزيد من العراقيل في مسار السلام المتعثّر في المنطقة.

ويحتل مشروع الصاروخ «حيتس» موقعاً مركزياً في مشروعين مختلفين ترعاهما المؤسسة العسكرية الاسرائيلية: المشروع الاول ويطلق عليه اسم «السور» ويهدف الى تأمين الدفاع ضد هجمات الصواريخ البالستية، والثاني يقضي بدمج اسرائيل ضمن مبادرة الدفاع الاستراتيجي الاميركي «حرب النجوم». وتشرف على هذين المشروعين «هيئة تطوير الوسائل القتالية» التابعة لوزارة الدفاع الاسرائيلية والتي يرأسها عوزي عيلام. ومن الواضح، ان التركيز الاسرائيلي على أهمية الصواريخ البالستية اكتسب بعداً استراتيجياً بعيد الأثر في أعقاب حرب الخليج وتساقط صواريخ «سكود» العراقية في مواقع مختلفة داخل اسرائيل. والى جانب ذلك، يقوم «مركز البحوث النووية»

في ناحال سوريك بتطوير مدفع يتميّز بسرعة اطلاق خارقة[٣٥].

هل يمكن، بعد هذا العرض السريع لمجالات التعاون العسكرية والاستراتيجية بين الطرفين، القول بأن أهمية اسرائيل الاستراتيجية تراجعت بشكل ملحوظ بالنسبة للولايات المتحدة الاميركية؟

ممّا لا شك فيه، ان العلاقات بين الطرفين تعرّضت لأزمة ثقة حادّة في الاشهر الاخيرة من رئاسة اسحق شامير الحكومة الاسرائيلية. وممّا لا شك فيه، أيضاً، ان اسرائيل، وخاصة في أعقاب حرب الخليج ودروسها العسكرية، تسعى الى التوصل الى هامش أكبر من الاستقلالية عن حليفتها الاكبر في قراراتها السياسية والعسكرية والاقتصادية أيضاً. وممّا لا شك فيه، كذلك، ان سعي العديد من دول العالم الثالث الى اعادة علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل، وانفتاح أسواق دول اوروبا الشرقية على الصادرات الاسرائيلية العسكرية والمدنية، يشجع تل ـ أبيب على التحرّك بحرية أكبر في مواجهة واشنطن. ولكن الثابت، حتى الآن، هو ان شبكة العلاقات الواسعة والمعقّدة بين البلدين والمصالح المتبادلة ومنظومة القيم المشتركة ما زالت أقوى من أن تتأثّر بخلافات مرحلية في وجهات النظر، بل إن اسرائيل تدرك، تماماً، خاصة مع وجود رابين القادر على مخاطبة الاميركيين ومحاورتهم بطريقة أفضل من سلفه في رئاسة الحكومة الاسرائيلية، ان التفاهم والتنسيق مع الادارة الاميركية يبقى أقل كلفة وأكثر نفعاً لها من اسلوب المواجهة والتصلّب الذي ميّز الحكومة السابقة. وبالتالي فإن الحديث عن خسارة اسرائيل أهميتها الاستراتيجية يبقى سابقاً لأوانه، والارجح انها ستبقى، ولفترة طويلة مقبلة، الحليف الاقوى للولايات المتحدة الاميركية في الشرق الاوسط. ولعلّ في الاعلان الاميركي المتعمّد عن تدريبات مشتركة بين الجيشين، الاسرائيلي والاميركي، أُجريت في نيسان (ابريل) الماضي في صحراء النقب[٣٦]، رسالة سياسية واضحة الى الرأي العام الاسرائيلي والجالية اليهودية الاميركية من جهة، والجانب العربي من جهة ثانية، بأن واشنطن ما زالت تحرص على تعاونها الاستراتيجي مع اسرائيل، وعلى الفارق النوعي في القدرات العسكرية بين هذه الاخيرة وخصومها العرب، ولصالح اسرائيل بالتأكيد.

---

(١) *Middle East International*, 20/3/1992, p. 3.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ألوف بن، هآرتس، ١٥/٣/١٩٩٢.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) يديعوت احرونوت، ١٥/٣/١٩٩٢.

(٧) رون فوندك، هآرتس، ١٥/٣/١٩٩٢.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) *The Wahsington Report on Middle East Affairs*, April / May 1992, p. 47.

(١٠) المصدر نفسه.

(١١) هآرتس، ١٥/٣/١٩٩٢.

(١٢) المصدر نفسه.

(١٣) المصدر نفسه.

(١٤) يديعوت احرونوت، ٢/٦/١٩٩٢.

(١٥) هآرتس، ٢/٦/١٩٩٢.

(١٦) يديعوت احرونوت، ٢/٦/١٩٩٢.

(١٧) هآرتس، ٢/٦/١٩٩٢.

(١٨) زئيف شيف، هآرتس، ٢٨/٢/١٩٩٢.

(١٩) يديعوت احرونوت، ٢٧/٣/١٩٩٢.

(٢٠) المصدر نفسه.

(٢١) رون فونداك، هآرتس، ١٩٩٢/٣/٢٦.

(٢٢) معاريف، ١٩٩٢/٣/٢٧.

(٢٣) هآرتس، ١٩٩٢/٤/٨.

(٢٤) يوئيل ماركوس، هآرتس، ١٩٩٢/٣/٢٧.

(٢٥) يديعوت احرونوت، ١٩٩٢/٤/٣.

(٢٦) دافار، ١٩٩٢/٣/٢٧.

(٢٧) هآرتس، ١٩٩٢/٤/١٢.

(٢٨) يديعوت احرونوت، ١٩٩٢/٤/٢٩.

(٢٩) هآرتس، ١٩٩٢/٤/٢٩.

(٣٠) المصدر نفسه، ١٩٩٢/٣/١٩.

(٣١) رؤوبين فدهتسور، المصدر نفسه، ١٩٩٢/٥/١٢.

(٣٢) دافار، ١٩٩٢/٥/٢١.

(٣٣) هآرتس، ١٩٩٢/٤/١٤.

(٣٤) المصدر نفسه، ١٩٩٢/٦/٢.

(٣٥) المصدر نفسه.

(٣٦) زئيف شيف، المصدر نفسه، ١٩٩٢/٥/٦.

بعض التحولات في الفكر الصهيوني

ليلى السايح

من بين أكثر الجبهات تأثيراً، كانت ولا تزال، جبهة الصراع الفكري، التي تنفرد، دائماً، في كونها محصّلة عوامل وقوى مادية، تمارس تأثيرها على الارض. ولا يصدق هذا القول بحذافيره، كما يصدق على قضية الصراع العربي ـ الاسرائيلي والقضية الفلسطينية.

وربما من المفيد، هنا، التذكير بسببية، هي أساس، يمارس عبرها العدو الصهيوني، تأثيره على الفكر العالمي، الذي هو بالضرورة، فكر تراثي توراتي، قبل ان يكون فكراً حضارياً تاريخياً. ولنستعين بملمح للتاريخ القريب، ولنتلمّس ممارسات مادية على الارض، تثبت دلالات تطبيقية لاستغلال الصهيونية للفكر التلمودي في تغلغلها السياسي والجغرافي التوسّعي.

لم تبدأ هذه الممارسات العام ١٩٤٨، كما قد يعتقد البعض، انما منذ وقت مبكر من القرن الماضي. لكن الممارسة الفعلية على الارض، بدأت منذ الاحتلال للارض الفلسطينية العام ١٩٤٨، والبدء في تغييب وجود الشعب الفلسطيني، حيث أكتملت ممارسة الحركة الصهيونية، كوجود فعّال على الصعيد العالمي، وعلى الساحات العربية أيضاً، واستطاعت ان تخفي حقيقتها العدوانية التوسّعية والعنصرية عن العالم الى وقت قريب.

ظلّت ادعاءات الحركة الصهيونية تهيمن على الفكر العالمي الى ان برزت حركة المقاومة الفلسطينية في العام ١٩٦٥، وتمكّن الشعب الفلسطيني من إعادة تصحيح بعض أكاذيب الادعاءات في الفكر العالمي، تلك التي تستند الى مقولات مثل: «أرض الميعاد» و«أرض بلا شعب لشعب بلا أرض»، وما رافق ذلك من ضغوط لزرع المشروع الصهيوني في قلب المنطقة العربية ليكون أداة لمصالح الغرب في المنطقة ولبسط سلطته عليها.

ولا شك ان لحرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ أثراً كبيراً في لفت أنظار العالم الى توسّعية وعدوانية اسرائيل، لكن العامل الاساس الذي أدّى الى وقوف الامم المتحدة، في حينها، الى جانب الحق الفلسطيني، لم يكن غير النضال الفلسطيني المسلّح، وما أحدثته الانتفاضة في الارض المحتلة من تغييرات ـ جزئية أو جذرية ـ على الصعيد العالمي في الوقت الحالي.

الفكر التلمودي والتاريخ العرقي

عند التحدث عن نقطة انطلاق الى فكرة خاطئة، استطاعت الحركة الصهيونية تثبيتها، يقتضي الغوص في أعماق التاريخ، لأن هذه الفكرة ليست وليدة عصر حديث يبدأ بعهد ثيودور هرتسل، إنما تمتد عميقاً لتسبق التاريخ المتداول، وبدءاً من توحيد تاريخ العهد القديم والعهد الجديد في

الانجيل، وتثبيتهما على انهما تاريخ واحد يتمّم بعضه بعضاً. هذه الفكرة الخاطئة حُفرت في الثقافة والفكر الغربي القديم والعصري، وفي الثقافة الأولية للفكر العربي أيضاً، وتستند الى أوتاد عدة، لعلّ أهمها:

- ان الثقافة العبرية أساس الثقافات الحضارية ـ عبر التوراة.
- اطروحات التفوّق العرقي لليهود المستندة، أيضاً، الى التوراة.
- إعتبار الدين اليهودي رابطة قومية.
- إستيلاد الحركة الصهيونية عبر هذه الرابطة القومية المزعومة.
- إعتبار جوهر الاخلاق المسيحية، كتقليد عبري[1].

ولا يخفى ما لمثل هذه الاحكام من خطورة تفوق في خطورتها النواحي السياسية؛ اذ استطاعت الحركة الصهيونية، بمثل هذه المفاهيم، إقامة تاريخ عرقي للثقافة والحضارة، يتغلغل في الفكر الغربي، ويبدأ بالدين اليهودي لينتهي بالصهيونية[2].

لقد ساهم عدد من الباحثين في تناول الحضارة العبرية وأصولها، الّا ان هذا لم يكن كافياً وفعّالاً لتجريد الحركة الصهيونية من الهيمنة التي إكتسبتها، بادعاءاتها ان الدين اليهودي هو نتاج عبقرية شعب بعينه، وبأنه المنبع الاساس للمسيحية، وما تبعها من حضارات فكرية ودينية.

لا بدّ لنا، هنا، من العودة الى الاصول للتدليل على ان الدين اليهودي لم ينبع من ذاته، بل استفاد واستغل حضارات العصور القديمة. ونستند الى علم الآثار وتنقيباته في بلاد ما بين النهرين وفي مصر؛ اذ ان الالواح المكتشفة في مكتبة «آشور بانيبال» في العراق، وفي رأس شمر (اوغاريت) على الساحل السوري، وفي مصر، ألقت الاضواء على الاصول الحقيقية لكتابهم الأساس: التوراة، أي على أهم منجزات الثقافة العبرية. وكشفت هذه الالواح الآثارية عن ان الثقافة العبرية، لم تكن الّا خلاصة وضع حضاري سابق، كان سائداً في بلاد الكنعانيين وما بين النهرين ومصر الفرعونية، ويتضح ذلك مما يلي:

اولاً ـ التطابق بين احدى صلوات اخناتون الفرعوني الى الشمس والمزمور الرقم ١٠٤ من سفر المزامير[3]. قال اخناتون: «العالم في ظلام كأنه الموت. الأسود تخرج من جحورها، والظلام يسود. وعندما تشرق في الأفق يتلاشى الظلام، وكل يذهب الى عمله. تزهر كل الاشجار، والنباتات تتفتح، والطيور ترفرف في أعشاشها. والخرفان ترقص وتثب على أرجلها. والسفن تمخر عباب الماء صعوداً هبوطاً. والاسماك في النهر تقفز أمامك، وأشعتك في وسط البحر العظيم. كم هي متعددة أعمالك، لقد خلقت الارض وفقاً لمشيئتك، وكل من عليها من ناس وحيوان...». ونقرأ في المزمور الرقم ١٠٤ «تجعل الظلمة، فيصير ليل فيه تدب كل حيوان الارض. الأشبال تزمجر لتخطف وتلتمس من الرب طعامها. تشرق الشمس، فتجتمع في مآويها وتربض، الانسان يخرج الى عمله والى شغله حتى المساء. تشيع أشجار الرب أرز لبنان الذي نصبه حيث تعشش هناك العصافير. أمّا القلق، فالسرو بيته. الجبال العالية للوعول، والصخور ملجأ الوباء... هذا البحر الكبير واسع الاطراف، هناك دبابات بلا عدد، صغار حيوان مع كبار. هناك تجري السفن... ما أعظم أعمالك يا رب... كلها بحكمة صُنعت...

ملآنة الارض بغناك...».

ثمة تطابق، هنا، في المعنيين، بين صلاة اخناتون والمزمور الرقم ١٠٤، على الرغم من الاختلاف البسيط في التعابير، ولم يدخل جديد في المعنى سوى كلمة «تخطف»؛ اذ لم يكن لها وجود في صلاة اخناتون؛ فالخطف طبيعة أساس في تكوين عناصر العقل الصهيوني.

واذا انتقلنا الى الساحل السوري، يثير انتباهنا ذلك التطابق الصارخ بين نص مكتشف في «رأس شمر» ـ وهو من مخلفات الحضارة الكنعانية ـ ونصّ المزمور الرقم ٩٢ من التوراة، حيث نقرأ ما يلي:

«هوذا أعداؤك يا رب... هوذا اعداؤك تبيدهم... يتبدد كل فاعلي الاثم».

ونقرأ في النص الاوغاريتي ـ الكنعاني:

«هوذا اعداؤك بعل... هوذا اعداؤك تبيدهم... هوذا خصومك الذين تسحقهم»[٤].

كما ان هناك الكثير ممّا تفيض به متشابهات قائمة بين قصص التكوين والخلق والطوفان، وبين الآداب البابلية والاشورية والكنعانية، تجعلنا نتيّقن من حقائق مبدئية وأكيدة، تنفي الاسطورة العرقية، وما تلاها من أساطير، بنت عليها الصهيونية نظرياتها، ومن ثم تغلغلها في العقل الغربي والشرقي، كأساس لكل حضارة فكرية، وبالتالي استطاعت ان تتدخل حتى في التاريخ العيني للشعوب.

مثال آخر على ما تقدّم نراه في المقارنة بين نشيد الانشاد، ونشيد «أنانا» العروس التي تُزف الى عريسها «دموزي»، أي (تموز) في نصوص الزواج المقدس عند شعوب بلاد الرافدين، زمن السومريين والبابليين.

تقول العروس أنانا لدموزي: «أدخلني إليها. ادخلني أخي الى جنينته. ادخلني دموزي الى جنينته. فتمشيت معه بين أشجارها الباسقة. وتوقفت معه عند أشجارها الممتدة. ثم (جثوت) كما يجب عند شجرة التفاح»[٥].

ونقرأ في نشيد الانشاد (٦:٤ و١:٥) فنجد هذا التشابه الواضح عند الاشارة الى شجرة التفاح، على غرار ما جاء على لسان أنانا وعشتار. تقول الحبيبة في سفر الانشاد: «كالتفاح بين شجر الوعر، كذلك حبيبي بين البنين. تحت ظله إشتهيت ان أجلس وثمرته حلوة لحلقي. أدخلني بيت الخمر وعلمه فوقي محبة. اسندوني بأقراص الزبيب. انعشوني بالتفاح فأنا مريضة»[٦].

ان ترديدات سفر الانشاد لسليمان تتطابق مع ما كان يردد في طقوس الزواج السنوي في عصر مبكر من تاريخ وادي الرافدين. هذا الطقس الذي اصطلح على تسميته بالزواج المقدس، يتضمّن ترتيل الاناشيد والقصائد، ممّا يؤلفه الشعراء السومريون على لسان العروس أنانا وعلى لسان الاله دموزي.

وبالمقارنة مع نشيد الانشاد للملك سليمان، نجد ان هذا النشيد المتكوّن من ثمانية اصحاحات متشابه، بشكل بارز، ليس فقط بالكلمات، انما بالطابع العامي لمكوّنات الوحي والصياغة والمعنى المأخوذ عن الطقوس السومرية، بحيث يجعل نشيد الانشاد خالياً من أي صفة دينية[٧]. فهذا السفر ليس الّا مقطوعات غزلية ترد على لسان عاشقين يتحدثان، بصورة سافرة، عن علاقاتهما

العشقية، بينما في نشيد أنانا يبقى المعنى رمزياً وغير سافر.

في هذا السياق، لجأ رجال دين وباحثون الى توضيح الجذور التي استمد منها نشيد الانشاد مادته وطابعه، مثل معظم محتويات الاسفار، التي استوحت، بل أخذت جذور مادتها من وقائع حضارات سادت في هذه المنطقة منذ القدم، وليست بدعة خالصة ابتدعها العبرانيون كأساس لمعتقداتهم الدينية.

التلمود في راهنيته

يتفق الصهيونيون على اختلاف اتجاهاتهم الدينية والايديولوجية على خصوصية وقدسية التاريخ اليهودي الخاص، وكذلك على تداخل هذا التاريخ الخاص بالتاريخ الانساني، وتداخل البنيات التاريخية لصالح مشروعهم الخاص جداً. فهم عندما وجّهوا اهتمامهم نحو فلسطين، في مطلع القرن الماضي، لم يروا واقعاً انسانياً تاريخياً، لأرض لها شعبها الموجود فوقها عبر التاريخ الانساني، وانما رأوا مفهوماً تلمودياً وهمياً، ابتدعوه ويدعى «ايرتس يسرائيل» مدعمين هذا الوهم بموجودات تاريخهم الديني.

لذلك، وبدلاً من التعامل مع الواقع الحي على الارض، نجدهم يرددون شعارات مثل «ارض بلا شعب لشعب بلا أرض»، وغيرها من شعارات إكتسبت حلتها عبر التاريخ الديني، واقتربت في اتساقها الهندسي مع نفسها، من وجهة نظر الحسابات القبلية. وهي «دليل على صحة وراثة الصهيونية لهذه الرؤية القبلية (التلمودية) الطوباوية المعادية للتاريخ الحقيقي»[٨].

وسنرى بالدلائل المادية، مدى تطبيقهم لمكوّنات التلمود في ممارساتهم الفعلية على أرض فلسطين. فدافيد بن غوريون، أول رئيس حكومة في اسرائيل وأبرز زعماء الحركة الصهيونية في فلسطين، ركّز، دائماً، في خطبه وأقواله على المعنى التلمودي، حيث تصور ان الصهيونية تستطيع اجتياز الهوة بين المثال الديني التاريخي الى الواقع من طريق العنف. وفي رأيه ان العنف «هو الوسيلة الوحيدة لفرض الاتساق الهندسي اليهودي على جدل الواقع». ويتفق هذا القول مع ما ورد في التوراة على لسان يشوع بن نون: «إبقروا بطون الحوامل، إذبحوا الاطفال، أُقتلوا الرجال، احرقوا الارض، ثم استولوا عليها»[٩].

هناك دلائل كثيرة تؤكد استمرارية الالتصاق بالتاريخ الديني. من ذلك الدفاع الذي ساقه أحد الحاخامين اليهود في الجنود الاسرائيليين الذين نفّذوا مجزرة قبية، حين قال «ان الجنود انما كانوا يقتلون أطفالاً وثنيين فقط، دعا الى موتهم النبي موسى نفسه حينما أمر بقتل الاطفال المديّين». وكذلك وصف الحاخام عبيدة هدايا، العدوان الاسرائيلي في حزيران (يونيو) ١٩٦٧، على انه «تحرير للاراضي المقدسة من سطوة الشيطان».

لنقرأ، مرة أخرى، في تاريخ العهد القديم: «انه عندما اجتمع ملوك حاصور ومادون وشمرون واكشاف وملوك الشمال في الجبل، وملوك العربة جنوبي كيروث ومرتفعات دور غربا، الكنعانيون في الشرق والغرب والاموريون والحثيون واليبوسيون في الجبل والحويون تحت حرمون في أرض المصفاة، ليدافعوا عن أراضيهم، فجاء يشوع بن نون وجميع رجال الحرب معه، عليهم عند مياه (ميروم) بغتة، وسقطوا عليهم فدفعهم الرب بيد اسرائيل... فضربوهم وطردوهم الى

صيدون العظيمة والى مسرفون والى بقعة مصفاة شرقاً... فضربوهم حتى لم يبق لهم شارد، ففعل يشوع بهم كما قال الرب: عرقب خيلهم واحرق مركباتهم بالنار، ثم رجع يشوع في ذلك الوقت الى حاصور، وضرب ملكها بالسيف... لأن حاصور كانت قبلا رأس جميع الملوك، وضربوا كل نفس بحدّ السيف، حرموها، ولم تبق نسمة، وأحرق حاصور بالنار... فأخذ يشوع كل مدن أولئك الملوك وجميع ملوكها وضربهم بحدّ السيف»(١٠).

يطرح هذا النص أموراً راهنة جديرة بالتأمل. فمن جهة، سعت اسرائيل، دائماً، الى ضرب كل بلد عربي يتميّز بالقوة ويستملك مقوّمات الحضارة والعلم والتسليح. وثمة دلائل كثيرة على ذلك في سياق الصراع العربي ـ الاسرائيلي، مثل العدوان الثلاثي على مصر وحرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، وتدمير المفاعل الذري العراقي وغيرها. ومن جهة أخرى، فان وضوح الاهداف النهائية لا يدع مجالاً للتشكيك بنوايا الصهيونية المنصبة على كل الارض العربية، كما ورد ذلك في الاصحاح الحادي عشر «أخذ يشوع كل الارض وأعطاها يشوع ملكاً لاسرائيل حسب فرقهم واسباطهم، واستراحت الارض من الحرب»(١١).

تحولات في اللغة العبرية

اعتمدت الصهيونية اللغة العبرية، نغماً سياسياً ودينياً، تتسلل عبره الى أهدافها التوسّعية. من هنا، مثلاً، قال بن غوريون: «ان اللغة العبرية كانت لغة متكلمة تعيش في القلوب، لأنها كانت لغة الصلاة والشعر والأدب الديني... وعلينا التمسّك بالعبرية أكثر، ليتمكّن اليهود من البقاء كشعب واحد»(١٢).

على هذا الاساس، ذهب احد الباحثين الى القول، ان «اللغة العبرية لم تعرف بهذا الاسم في التوراة أو لدى الانبياء، وفي الكتب. بل جاءت تحت اسم الكنعانية أو اليهودية... وزعم العبرانيون ان لغتهم هي لغة التوراة، واللغة التي كلّم الله بها موسى... انما العبرية، في الحقيقة، كانت خليطاً من الآرامية والكنعانية، وكثير من اللغات الاخرى سامية وغير سامية». ولاحظ، كذلك، ان «اللغة العبرية هي اللغة السامية الوحيدة التي لم تولد أو تلازم الناطقين بها منذ ظهورهم في التاريخ، والاسرائيليون أنفسهم لم يُعرفوا باسم العبرانيون كشعب، ولم يتكلّموا العبرية الاّ بعد استيطانهم ومخالطتهم الكنعانيين»(١٣). كما ساهم باحثون غير عرب في اضاءة هذا الجانب وفي فضح ادعاءات الصهيونيين. من هؤلاء شاراجا ايرماي الذي أكد ان «العبرية القديمة كما شهد المؤرخون، كانت فقيرة حتى عهد استعمالها؛ فالأسفار الأخيرة للكتاب المقدس وسائر أجزاء التلمود، حررت كلّها بالآرامية. وطوال فترة الألفي سنة، كان اليهود، يستعملون العربية ـ في زمن ازدهار اللغة العربية والثقافة الاسلامية ـ أو يتحدثون لغات البلدان التي يقيمون فيها في أنحاء العالم». وأضاف ايرماي ان «العبرية، في تاريخها، عاشت في ظلّ كثير من اللغات، واكتسبت من هذه اللغات قاموسها. وأهم هذه اللغات، هي العربية. وتحت سيطرة الآرامية واليونانية والرومانية والفارسية والعربية، اكتسبت العبرية ثروة لغوية وبنيوية، مع اكتساب النطق الآرامي، واتخاذ العربية أنموذجاً في النحو والشعر»(١٤).

كان على الصهيونية كحركة سياسية، في الأساس، ان تسعى الى تثبيت لغتها والاعتماد على التناقض داخل الدعوى الصهيونية، التي اعتمدت شعار القومية والدين كمعنى واحد لا

تجزئة فيه. بينما كان الاصرار على تحويل اللغة العبرية من لغة الدين والاشعار الدينية الى لغة قومية ضرورة ملحّة لتثبيت هذا الشعار.

وركّز معظم الكتّاب الصهيونيين على هذا المعنى. مثل شموئيل عجنون، الذي لا يمكن لقارىء استيعابه، فهو خليط معقّد من الطقوس الدينية والغايات السياسية في وقت واحد.

فتاريخياً اقتصرت العبرية ـ ما قبل الصهيونية ـ على الشعر الغنائي الديني بشكل خاص. لقد كان موقفاً دينياً محضاً، «لغة الروح اليهودية حتى العصور التي كفت فيها العبرية عن كونها لغة متكلمة»(١٥).

وبالطبع، لا يمكن الاحاطة التفصيلية بالتحول الذي حدث للعبرية؛ فهناك مفاصل كثيرة ناقشها الباحثون؛ وهناك مفاصل لم تبحث بعد، الّا ان ما يجدر ذكره، في هذا السياق، ان العبرية مرّت بمراحل عديدة حتى أصبحت محصّنة سياسياً، بعد ان كانت لغة دينية فقط. وربما يمكن التقاط بعض ملامح هذا التحوّل في سياقها التاريخي. ففي البداية، كانت مهام اللغة العبرية تقتصر على المساعدة في صياغة الافكار والاجتهادات الدينية. ثمّ وظّف المنظّرون الصهيونيون هذا المظهر الديني، توظيفاً سياسياً، اعتماداً على نصوص وحضارات كانت سائدة في المنطقة. فمن جهة أولى، استعارت العبرية أساطير وحضارات شعوب المنطقة العربية القديمة، واستغلتها كمستند للمطالبة بحقوق إلهية مزعومة، وفرضت هذا التراث، على المجتمع الدولي، كثقافة وكفلسفة دينية. ومن جهة ثانية، استعارت مفردات لغوية ونحوية لاستيلاد لغة خاصة بها على أنها لغة التوراة الاولى، التي لا بد للشعوب الاخرى من الحرص عليها كلغة دينية وثقافة انسانية. ومن جهة ثالثة، استعارت دساتير وفلسفات وايديولوجيات وممارسات عنصرية، آمنت بها وطبّقتها تطبيقاً متطرفاً.

البطل العبري

كانت مهام اللغة العبرية، في الماضي، تقتصر على المساعدة في صياغة الافكار الدينية. ولكن، عندما حوّلت العبرية من لغة دينية الى لغة قومية، كان لهذا التحويل، بالطبع، تأثيره على اللغة الأدبية.

مرّ الأدب الصهيوني في مراحل عدّة، وانعكست عملية التحويل هذه حتى على مفهوم العنصر ـ الفرد في صورة الشخوص الروائية والادبية. فهذا العنصر ـ الفرد البخيل والذليل تحوّل الى صورة المتمرّد الاستفزازي ـ البطل. «كان البطل اليهودي بطلاً متديّناً ومضطهداً عملياً، خلال قرون طويلة، امتدت بين انهيار الدويلة اليهودية القديمة في بعض أراضي فلسطين، وبين ولادة طلائع الحركة الصهيونية، وفور ان تبدأ ارهاصات هذه الولادة، ينبثق (البطل العبري) ليوظف نفسه كنسخة عن أبطال العهد القديم الاسطوريين، ولكن من دون إله وأقدار ومن دون أهداف دينية ـ معيّنة، بل مطلقة ـ، وهكذا يضحى في نظرة موضوعية مضحكاً (دونكشوتيا): انه يمثّل القوة المطلقة، والبياض المطلق»(١٦).

لقد تحوّل من بطل ديني. بمعنى التصوف والتمسّك بالاستقامة، الى بطل سياسي ـ عسكري، ومع ذلك فهو لا يستطيع التخلّص من جذوره الميثولوجية العتيقة. وهو، أيضاً، لا يستطيع التخلّص من ذكرى ممارسات النازية عليه.

لا بدّ لنا ان نعطي دلالات على هذا التحوّل، إنْ كان تحول اللغة أو تحوّل شخصية البطل في الرواية أو الادب الصهيوني بشكل عام.

من أبرز الذين تدين لهم عملية التحويل هذه، رائد من روّاد الصهيونية اسمه «آحاد هاعام». وهو الذي تحدث كثيراً عن «آخر يهودي وأول عبري»، تلك الجملة التي أصبحت في ما بعد، شعاراً صهيونياً في الميدان الثقافي خصوصاً.

نستطيع متابعة هذا الشعار في الكتابات الادبية العبرية مروراً بكتّاب مثل ليون بنسكر واليعيزر بن يهودا وآرثر كوستلر الذي كرّر هذا الشعار في روايته «لصوص في الليل»، التي كتبها في أواسط الاربعينات، لتكون ارهاصاً اسرائيلياً واضحاً، حين جعل بطلها جوزف يقول: «لقد أصبحت عبرياً لأنني أكره اليهودية». أمّا ياعيل دايان فأعطت هذا الايحاء المتعمّد في روايتها «طوبى للخائفين»، حين جعلت بطلها يقول: «أنت اسرائيلي، أما فقد كنت يهودياً فقط... لقد تركت كل شيء ووجدت إلهاً جديداً».

من أهم القضايا التي إنصب عليها اهتمام أدباء «حركة التنوير اليهودي» (الهسكلاه) قضية خلق إنسان عبري جديد. ومنذ ظهور الصهيونية حدّدت هدفاً ثلاثياً عملت على تحقيقه، وهو: «الانفصال عمّا يسمّى (المنفى)؛ خلق شعب جديد؛ خلق إنسان جديد.

وإذا كان المعسكر الصهيوني يعاني من الانقسامات والانشقاقات، حول العديد من القضايا والموضوعات، فانه قد تجمّع حول الهدف الثلاثي هذا، حيث نجد ان فكرة التحرر ممّا يسمّى (المنفى)، وخلق الانسان العبري الجديد على أرض فلسطين، تجمع الصقور والحمائم والكل على حدّ سواء»[١٧].

ولأجل خلق الانسان العبري الجديد، استخدمت حركة التنوير اليهودي أشد التعبيرات حدّة لوصف التناقضات بين (اليهودي الغيتوي)، و(العبري الجديد). والأدب مشبع بمقارنات من هذا النوع في تناوله لشخصية الصهيوني الذي ولد على أرض فلسطين، أو تربّى فيها، في مقابل (اليهودي الغيتوي) المنحط.

حدّد المفكر آحاد هاعام التحوّلات التي طرأت على شخصية الصهيوني، والتي تحوّلت من شخصية اليهودي الذي ذاق العبودية وكان تجسيداً لها، الى شخصية عدوانية مستبدة مناقضة، فقال: «ماذا يفعل اخواننا المهاجرون في فلسطين؟ كانوا عبيداً في الشتات اليهودي (الدياسبورا)، وفجأة وجدوا أنفسهم وسط حرية لا رادع لها. وقد ولّد هذا التحوّل المفاجيء في نفوسهم ميلاً الى الاستبداد، كما تكون الحال عندما يصير العبد سيداً، وهم يعاملون العرب، بروح العداء والشراسة؛ ويمتهنون حقوقهم بصورة معوجة ولا معقولة، ثم يوجهون لهم الاهانات، دون أي مبرّر كاف، ويفاخرون بتلك الافعال»[١٨].

وتتوافق الشخصية الاسرائيلية عند س. يزهار (يزهار سميلانسكي)، مع انطباعات آحاد هاعام؛ تلك الشخصية أو النموذج الجديد الذي أفرزه المشروع الصهيوني خلال الخمسينات، النموذج الممتلىء بكل ما هو سلبي ولا انساني ولا أخلاقي. وهو نقيض العبد القديم (الغيتوي). ويكشف هذان النموذجان عن نوعين من الرجال يختلفان كل الاختلاف؛ فالعبري رجل قوي وأبيّ وشاعر في أوقات الفراغ، في حين ان اليهودي رجل مرهق مستسلم وعادي. ومن المؤكد ان التاريخ اليهودي مثقل

بالعار، ودليل ذلك، العقوبة الكبرى، أو ما يسمّى (المنفى).

في هذا السياق، ثمة مسائل لا بدّ من التوقف عندها ملياً: أولها، اثبات معايشة الفكر الصهيوني لتاريخ العهد القديم وفرضه على اليهود، بواسطة وضع فلسطين كأرض للحرية بعد العبودية. وثانيها، اقرار مباشر في (كتابهم)، بأن أرض فلسطين كانت أرض كنعان، وليست يهودية. وثالثها، ورود فعل الابادة (ابيدهم)، وهو الفعل الذي لا يزال يمارس حتى اليوم.

الكره في الأدب الاسرائيلي

منذ البدء، تركّزت الأدبيات الصهيونية، على تأجيج نوازع الحقد والكره نحو العرب، بل نحو كل من لا يمتّ بصلة الى الفكرة الصهيونية. في هذا الصدد، خاطب الشاعر الاسرائيلي يائير وايزلتابرا الاطفال الاسرائيليين بالحقد على العرب، فقال:

«أيها الاطفال تعلّموا
تعلموا كيف يكون الكره،
نعلم نحن، ان زراعة الكره
في القلب من الأطفال...
يأخذ وقتاً جمّاً، يغدو
عملاً صعباً
كل منا يعلم ان الحب
بعمق العمق من الاطفال
ينبت... يولد... شرعاً»(١٩).

انه يعي ولادة الانسان العارية من كل شرّ، ويعي ان الحب يولد مع الانسان، ويهدف الى تحويل النسيج الانساني، من ورد الى شوك، ومن حب الى كره.

واذا إطلعنا على سيل الاعمال الادبية التي قامت على أسس تشكيل (العقدة الاسرائيلية)، فقد «نضع أيدينا على نوعية تلك القوالب والأطر الفنية، التي تصب فيها المادة الفلسفية للايديولوجية الصهيونية»(٢٠).

وفي الاجمال، هناك ارتكازات كثيرة استند اليها الأدب الصهيوني، وهي أساس المنطلق الفكري: أولها، تبريرات اغتصاب فلسطين. وتعود، في منشئها، الى الاضطهاد الذي تعرّض اليه اليهود في معظم بلاد العالم، والذي تعود أسبابه الى ممارساتهم الخاصة (الغيتو)، على أساس رفضهم الدائم للاندماج في الشعوب الاخرى. وهنا نموذج لهذا التبرير المفتعل في الرواية الصهيونية، «فاليهودي المفجوع بمقتل حبيبته سارة ينسف دبابتين عربيتين، ويضرم النار فيهما: «كان متعباً، ولكنه أحسّ بجسده خفيفاً بصورة لا تصدق. استدار نحو الدبابتين: هذا من أجلك يا سارة، من أجلك». وسارة هذه كانت قد قتلت على أيدي النازية، كما يفهم من الرواية، وثمة أمثلة عديدة قدّمها غسان كنفاني كرواية (لصوص الليل)، «التي يصبح فيها البطل جوزيف ارهابياً في فلسطين، لأن (دينا) قتلت في ألمانيا». وثاني تلك التبريرات هو الايحاء لعرب فلسطين بالهروب والهجرة. والثالث هو نقطة البطل غير المعصوم، صاحب العقدة التوسّعية المرتكزة على اسطورة الماضي التوراتي(٢١).

ومهما يكن من أمر، فان التعمّق في الاصول التاريخية لدحض المزاعم الصهيونية ليس

بالشأن غير الهام، كما قد يعتقد البعض، بل انه أمر ضروري وملحّ، من أجل كشف أساطير التفوّق العرقي التي تتسم بها الايديولوجية الصهيونية الراهنة.

---

(١) جون هيرمان راندال، **تكوين العقل الحديث**، (ترجمة جورج طعمة)، بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٥.

(٢) انظر، بديعة امين، «ياعيل دايان بين الفكر الصهيوني والتراث اليهودي»، **الاديب المعاصر**، العدد ٩، ١٩٧٥.

(٣) الدلالات من المزامير وعلم الآثار مأخوذة من: **مغامرة العقل الاولى**، بلا مكان نشر، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٧٦.

(٤) **المصدر نفسه**.

(٥) د. فاضل عبدالواحد علي، **من الواح سومر الى التوراة**، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩، ص ٣٦٨.

(٦) **المصدر نفسه**.

(٧) صموئيل نوح كريمر، **من الواح سومر**، (ترجمة طه باقر)، بلا مكان نشر، بلا ناشر، الطبعة الاولى، ١٩٥٧.

(٨) مجاهد علي شراب، «الحركة الصهيونية حركة عنصرية» في: **المؤتمر الفكري حول الصهيونية**، بغداد: وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٧٦.

(٩) **تاريخ العهد القديم**، الاصحاح الثالث، بلا مكان نشر، دار الكتاب المقدس في الشرق الاوسط، ١٩٨٥.

(١٠) الاصحاح الحادي عشر، **المصدر نفسه**.

(١١) **المصدر نفسه**.

(١٢) *International Herald Tribune*, January 1962.

(١٣) عثمان سعدي، «العبرية الشاملة والتحكم في التكنولوجيا المعاصرة في الكتاب الصهيوني»، بحث مقدم الى مؤتمر **الابعاد التربوية للصراع العربي ـ الاسرائيلي**، الكويت: ٢٣ ـ ٢٧ آذار (مارس) ١٩٨٥.

(١٤) Sharraga, Irmay, *The Development of Scientific Hebrew*, Technician Year Book, 1953.

(١٥) **المصدر نفسه**.

(١٦) غسان كنفاني، **في الادب الصهيوني**، الاعمال الكاملة، المجلد ٤، بيروت: مؤسسة غسان كنفاني الثقافية؛ دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الثامنة، ١٩٨٠، ص ٤٨٨.

(١٧) د. رشاد عبدالله الشامي، الفلسطينيون والاحساس الزائف بالذنب في الادب الاسرائيلي، القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٨.

(١٨) د. رشاد عبدالله الشامي، التيار الروحي في الفكر الصهيوني الحديث (اطروحة دكتوراه)، القاهرة: جامعة عين شمس، كلية الآداب، ١٩٧٣.

(١٩) د. أ. علي رؤوف، بحث مقدم الى مؤتمر الابعاد التربوية للصراع العربي ـ الاسرائيلي، **مصدر سبق ذكره**.

(٢٠) **المصدر نفسه**.

(٢١) كنفاني، **في الأدب الصهيوني**، **مصدر سبق ذكره**، ص ٦٣٦ و٦٣٧.

روايـــة الانـتـفـاضـة

د. مصطفى عبد الغني

على العكس من الشعر والقصة القصيرة، تبدو الرواية اكثر الانواع الادبية تعبيراً عن الانتفاضة الفلسطينية، سواء في التمهيد لها أو رصد ارهاصاتها حتى تحويلها الى واقع فعلي يعيش فيه المواطن العربي عبر تحدّي السفه الاسرائيلي اليومي في الارض المحتلة.

وبادىء ذي بدء، فاننا لا نستطيع الاشارة الى ارهاصات الانتفاضة، أو ممارساتها، عبر التعبير الروائي، دون ان نتمهل عند ملاحظتين هامتين:

الاولى، انه من الصعب بمكان ان نشير الى الانتفاضة دون ان نستبدل بها لفظة «الثورة». فعلى الرغم من حرص الفلسطيني، داخل الارض المحتلة وخارجها، على تسمية حركته الفاعلة في الارض المحتلة باسم «انتفاضة»[١]، فان مقدّماتها واستمرارها تدفع بنا دفعاً الى ان نستبدل «الانتفاضـة» بـ «الثورة»، وخاصة ان حرب الخليج، وما تبعها من مضاعفات سلبية، اقتصادية واجتماعية، على المواطن داخل الارض المحتلة، لم تستطع ان تدفع الانسان الفلسطيني الى التراجع.

ولنذكر ان وعي الانسان العربي في الارض المحتلة، في ذلك الوقت العصيب، بلغ اقصاه، في عديد من المواقف، مثل مجزرة «الاثنين الدامي» في الثامن من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٩٠، وما تمخّض عنهـا من استبـدال الوسائل القديمة بوسائل أخرى، فتحوّلت الحجارة الى خناجر كرد فعل ضد السلاح الاسرائيلي[٢].

والملاحظة الاخرى تحمل من التفجع أكثر ممّا تحمل على التأمل، ذلك ان الرواية العربية على مدى نصف قرن سبق نكبة ١٩٤٨ لم تستطع ان تعبّر عن العقل «الجمعي» فيما يواجهه من تحوّلات واستيطانات مسمومة في فلسطين.

وهي ملاحـظة يجب الاستـطراد فيها أكثر. فمراجعة الروايات التي أصدرت في هذه الحقبة الاخيرة[٣] تظهر انه في حين أُصدر في سوريا بين العامين ١٩٥٨ و١٩٦٨ ما يقرب من ٤٨ رواية، فاننا لم نعثر بينها على رواية واحدة تخصّص لفلسطين. وفي حين ظهرت بين العامين ١٩٦٨ و١٩٧٨ ما يقرب من ٧٤ رواية، لم نعثر بينها، أيضاً، على معالجة مباشرة لقضية فلسطين، أو المأساة التي خلقتها الصهيونية. وما يقال عن سوريا يقال عن عديد من الاقطار العربية الأخرى، كمصر والجزائر والمغرب والكويت والبحرين، وهي الاقطار التي عرفت الرواية العربية في نشأتها الاولى أكثر من غيرها؛ كما نالت حظاً من التقدم والتعرّف على منجزات الغرب الفكرية والابداعية قبل غيرها[٤].

النص الناقص

وفي هذا السيـاق، نرى ان بعض النصـوص التي تعرّضت لفلسطين، وهي نادرة، ونشرت في

فترات متأخرة، كانت أشبه بالنص الناقص؛ اذ آثرت الرمز وولعت بالغربة، واستعذبت التيار الوجودي. وأبرز مثال على ذلك هو رواية «ستة أيام» لحليم بركات في بداية الستينات؛ ثمّ بعض الروايات التي أُصدرت في الاردن لكل من عيسى الناعوري «بيت وراء الحدود» وعبدالحليم عباس «فتاة من فلسطين»، وغيرهما، ممّا يفتقد الى الوعي التعبيري، فضلاً عن فقدان النظرة الثاقبة الى قضية قومية مثل قضية فلسطين. كما ان أغلب أولئك كانوا ينتمون الى فلسطين، سواء الذين هاجروا الى الضفة الفلسطينية عقب نكبة العام ١٩٤٨، أو الذين عرفوا الهجرة الفلسطينية عن قرب، فحاولوا التعبير عنها كرد فعل للحظة. وفي جميع الحالات، نظل ازاء وعي باهت خافت، لا يدرك خطورة القضية في ذلك الوقت المبكر؛ في حين ظل يردد في المعسكر الآخر، حتى اليوم، ان فلسطين تظل هي الاسم ـ أو يجب ان تكون كذلك ـ للعرب في صراعهم ضد الصهيونيين.

وكان لا بد ان يمضي وقت طويل حتى تصدم بشاعة القضية الوجدان الروائي. غير ان الاستجابة، في هذه الحالة، ظلت متأخرة عمّا يحدث، اذا قورنت بحجم المأساة. فنحن، في الحقبة الاخيرة، لم نعثر الاّ على اشارات متناثرة لا تحمل على بنية الحدث في أي عمل روائي. وكان لا بدّ ان نصل الى الثمانينات لنعثر على رواية منشورة لفتحي غانم بعنوان «احمد وداود»، وأخرى غير منشورة لمحمد سلماوي بعنوان «الخرز الأزرق». وعدا هاتين الروايتين لا نجد أمامنا الاّ النص الفلسطيني.

النص الفلسطيني

نستطيع ان نعثر على ارهاصات الانتفاضة في الرواية الفلسطينية أكثر من غيرها. وهي ارهاصات تتراكم حتى نهاية الثمانينات، لتبدأ الانتفاضة بالفعل في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٧؛ فاذا بنا تجاه سيل جارف من التحدّي العربي داخل الارض المحتلة.

وعلى هذا النحو، نصل الى الانتفاضة / الثورة. بيد ان هناك فترة تسبق ذلك، هي الفترة التي تعدّ تمهيداً للارهاصات وتأكيداً لها؛ وهي الفترة التي كتب فيها جبرا ابراهيم جبرا وغسان كنفاني قبل الثمانينات، وصولاً الى الفترة التالية حيث نصوص كل من اميل حبيبي وسحر خليفة.

لقد تحوّلت النبوءة الى حقيقة. وراح النص «الانتفاضي» يعبّر عن الواقع الجديد عبر نتاجه الفني واطاره الثوري الجديد. فلنتمل عند الفترة الاخيرة، فترة الارهاص، لما سوف يحدث في الفترة التالية لها. وهو الارهاص الذي يكون الابداع الروائي الفلسطيني، قادراً، أكثر من غيره، على تأكيده والتذكير به.

الارهاصات ـ النبوءة

والمناخ الذي تطوّر فيه الفكر الثوري قبل احداث العام ١٩٨٧ هو الذي صنع الارهاصات الاولى للانتفاضة. ومع ان هذه الارهاصات تعود الى بدايات هذا القرن، حين أحسّ الانسان الفلسطيني بأخطار المشروع الصهيوني لتحويل فلسطين الى دولة اسرائيل[٦]، فان النصف الثاني من هذا القرن، خاصة ينقل لنا توالي الضغوط الصهيونية بعد تحقيق مراحل كثيرة من هذا المشروع في الوقت الذي شهدت المنطقة العربية اخفاقات كثيرة في مواجهة المد الصهيوني ـ الغربي.

لقد عرفت المنطقة العربية الانكسارات تلو الانكسارات عقب نكبة العام ١٩٤٨. وكان علينا ان نتعامل مع عدوان العام ١٩٥٦، وانفصال العام ١٩٦١، وهزيمة العام ١٩٦٧، وأحداث الاردن في العام ١٩٧٠ وهجوم اسرائيل على بيروت وصيدا واغتيال ثلاثة من قادة المقاومة في العام

١٩٧٢، ومعايشة تل الزعتر في العام ١٩٧٦، ثم اتفاقية كامب ديفيد في العام ١٩٧٧. وقد تراكمت هذه الانكسارات لتتبلور في الارض المحتلة عبر ممارسات غير انسانية قط، من مصادرة الارض الى زرع المستوطنات الى تدمير القرى الى طرد السكان، الى فرض قوانين الطوارىء الى غير ذلك. كما شهدت الثمانينات توقيع اتفاق ١٧ أيار (مايو) بين اسرائيل والسلطة اللبنانية، الذي لم يلبث ان سقط في آذار (مارس) ١٩٨٤؛ وكذلك «حرب المخيمات» في لبنان وما نجم عنها من حصار للمخيمات لم ينته قط، اللهم إلّا بقيام الانتفاضة الشعبية.

وصلت هذه التراكمات الارهابية الى أقصاها بالمجازر التي تصنع للفلسطينيين من آن الى آخر، كان من أهمها المجزرة التي دبّرت في ساحة ريشون لتسيون (عيون قاره) في ٢٠ أيار (مايو) ١٩٩٠، ثمّ تكررت في ساحة المسجد الأقصى في الثامن من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٩٠[٧].

واذا كنّا افتقدنا النص الروائي العربي في مواجهة الارهاب الصهيوني داخل الارض المحتلة وخارجها، فان النص الفلسطيني أكد وجوده حينئذٍ. لقد برهنت الرواية الفلسطينية، وبحق، منذ فترة مبكرة، على التعبير عمّا يحدث في هذا الواقع الرديء. والملاحظة الجديرة بالاهتمام، في هذا السياق، هي ان هذه الفترة شهدت روايات فلسطينية لم يخرج «الخطاب» فيها قط على التنبه للمشروع الصهيوني والتمرّد عليه.

وقد أسرع بترجمة الشعور التعبيري الى واقع أن كثيراً من الاحداث السياسية، حينئذٍ، دفعت ببعض الفصائل الفلسطينية الى التقارب. وقد شهدت الفترة أيضاً صعوداً في الروح المعنوية الى أقصاها، بدءاً من الفترة التي أعقبت معركة الكرامة ضد العدو الصهيوني في العام ١٩٦٨ (بعد عام واحد من الهزيمة). وكانت تلك الفترة هي التي شهدت توالي نصوص فلسطينية عديدة:

جبرا ابراهيم جبرا: «صراخ في ليل طويل»، ١٩٥٤؛ و«السفينة»، ١٩٦٥ ـ ١٩٦٨؛ و«صيادون في شارع ضيق»، ١٩٧٤؛ و«البحث عن وليد مسعود»، ١٩٧٨؛ «وعالم بلا خرائط» بالاشتراك مع عبدالرحمن منيف؛ و«الغرف الاخرى»، ١٩٧٨.

غسان كنفاني: «رجال في الشمس»، ١٩٦٣؛ و«ما تبقى لكم»، و«العاشق»، و«الشيء الآخر»، ١٩٦٦؛ و«عن الرجال والبنادق»، ١٩٦٨؛ و«أم سعد» و«عائد الى حيفا» ١٩٦٩؛ و«برقوق نيسان»، ١٩٧٢.

توفيق فياض: «المجموعة ٨٧٧»، ١٩٦٨؛ و«حبيبتي ميليشيا»، ١٩٧٦.

رشاد ابو شاور: «أيام الحب والموت»، ١٩٧٣؛ و«البكاء على صدر الحبيب»، ١٩٧٤؛ و«العشاق»، ١٩٧٧.

يحيى يخلف: «نجران تحت الصفر»، ١٩٧٥؛ وتفاح المجانين، ١٩٨١؛ «ونشيد الحياة»، ١٩٨٥.

احمد عمر شاهين: «نزل القرية غريب»، ١٩٧٧؛ و«وان طال السفر...»، ١٩٧٧؛ و«زمن اللعنة»، ١٩٨٣؛ و«توائم الخوف»، ١٩٨٣.

اميل حبيبي: «سداسية الايام الستة»، ١٩٦٩؛ و«الوقائع الغريبة من اختفاء سعيد ابي النحس المتشائل»، ١٩٧٤.

سحر خليفة: «الصبار»، ١٩٧٦؛ و«عباد الشمس»، ١٩٨٠.

نبيل خوري: «حارة النصارى»، ١٩٦٩؛ و«الرحيل»، ١٩٧٤؛ و«القناع»، ١٩٧٤.

افنان القاسم: «العجوز»، ١٩٧٤.

ونستطيع القول، هنا، ان الرواية الفلسطينية استطاعت التعبير عن اللحظة الدامية في الوجدان العربي بصدق وزخم عال. ولا يمكن ان ندرس هذه الفترة دون ان نلحظ، بوضوح، ارهاصات التمرّد على الواقع؛ وهي ارهاصات ظلت تتوالد لسنوات طويلة تحت رماد الحاضر حتى نهاية الثمانينات، لتشتعل بعدها. وهي السنوات التي بدأت عقب نكبة ١٩٤٨ مباشرة وحتى انتفاضة القوى الشعبية في الارض المحتلة العام ١٩٨٧.

ولأن الروايات التي سبقت الانتفاضة مباشرة يمكن ان تمثّل لنا الارهاصات الاخيرة لهذه الاحداث[٨]، فسوف نوثر الاشارة اليها، وحدها، على اعتبار أن تلك الروايات تقترب، زمنياً، في فترة إصدارها، من الانتفاضة. وبهذا، فهي الى جانب كونها أقرب من غيرها تعبيراً عن الانتفاضة، فهي تختزل الفعل الابداعي الروائي للسنوات السابقة عليها. وفي هذا المجال، يقع اختيارنا على اثنين، هما اميل حبيبي[٩] وسحر خليفة[١٠]، واضعين في الاعتبار ان أعمال بعضهم (اميل حبيبي) تعود الى وراء، وهي لا تقل فنياً عن الأعمال الاخيرة. غير ان اختيارنا كان نابعاً من قرب هذه النصوص المتناولة الى فترة الانتفاضة في السنة الثالثة منذ قيامها. ومن هنا، فهي ترسم، بوضوح، ارهاصات الحركة الشعبية فيما بعد.

النبوءة

يمكن ان نعتبر اميل حبيبي من أهمّ الروائيين الفلسطينيين الذين عبّروا عن التحوّل الذي شهده المجتمع الفلسطيني في الستينات. فبعد ان كانت الوحدة العربية هي الطريق الى فلسطين، تحوّلت، الآن، عبر اتجاهات تنظيمية وتعبيرية كثيرة، الى ان تكون فلسطين هي الطريق الى الوحدة العربية. معنى ذلك، ان اميل حبيبي دعا الى الاعتماد على الذات الفلسطينية.

ويمكن ان نعثر على ذلك في روايتي حبيبي في الثمانينات. ففي «لكع بن لكع»، و«اخطية» يمكن ان نعثر على صورة فريدة من صور الاعتماد على النفس، في حين يمضي حثيثاً في رفض الواقع السائد حوله والتمرّد عليه داخل الارض المحتلة.

والرواية الاولى «لكع بن لكع»، وان ركزت على مناقشة قضايا أساسية كقضية الديمقراطية في العالم العربي والحرية، من حيث علاقتهما بالقضية الفلسطينية، فان قضيتها الرئيسة كانت حول القهر الذي يعاني منه الانسان الفلسطيني في الارض المحتلة، وهو ما كان يؤكد ان الروائي أسهم في استنبات بذور التمرّد، وسعى، مع غيره، حثيثاً لاستنباتها، وراح يحيطها بالظل والرعاية حتى ترعرعت ثمراتها في نهاية الثمانينات.

وربما كان الهمّ القومي وراء تفسير علو النبرة السياسية، التي قد تبدو احياناً انها تفوق النبرة الفنية، غير ان الامر مع حبيبي كان يدفع به الى تبنّي حيل فنية رائعة تعود بجذورها الى التراث العربي، ومن أهمّها حيلة «صندوق الدنيا»، من اقتناع مؤداه ان هذا الصندوق يحمل دلالة استعارية من التراث يمكن به الحرص على الهوية التي يراد لها ان تستلب من الفلسطيني في الارض المحتلة، وبوجه خاص اذا تعلّق الامر بالاولاد الصغار. ومن هنا، فان اهتمامه بالوسيلة يشير الى اهتمامه بدور الجيل الجديد في التصدي لهذه القوى المناوئة. وبهذا لا يصبح غريباً ان نسمع صاحب «الصندوق» يصيح من آن الى آخر:

«صندوق العجب
«صندوق الدنيا
«تعالوا وتفرجوا على ما كان
«وعلى ما هو كائن. شيء يرفض أن يصبح
«في خبر كان
«تعالوا يا صناديق الدنيا
«يا أولادي».

فالروائي اتجه، اذاً، الى «صندوق الدنيا» رديفاً لاتجاهه الى الاولاد. وهو، خلال ذلك، ترجم ارهاصه بما سوف ينبثق عنه الواقع من تمنيات آتية. ولا يصبح من الصعب علينا ان نفهم دلالات صياح صاحب الصندوق، والفاظه المتوالية: «ولدي... أولادي... طفلتان /الاولاد دون السادسة عشرة / الاولاد... لا تقل الاولاد».

ولا يلبث ان ينشغل عن الاولاد عامداً، ليعيد على أسماعهم رموز السيرة الشعبية وابطالها، كالزير سالم وعنترة بن شداد، والسير التراثية وأبطالها، كالسندباد. وتتوالى المواويل البغدادية، والأمثلة العربية، الى غير ذلك. وأوغل حبيبي في روايته التالية في هذا العالم. ففي «اخطية» نتعرف على قماقم ألف ليلة وليلة ورموزها، وشخصيات المسعودي وجغرافيته، واشعار المتنبي ومغامراته. وهو خلال ذلك كله يستثمر لنا حادثة ازدحام المرور وتوقف السيارات بين ملتقى شارعين بما يصنع شبه «جلطة» ليسرد علينا كيف خيِّل للبعض بما يشبه اليقين وجود فدائي. وتتوالى دوائر الارهاب اليهودي عند ذلك، في حين يتنامى لدينا الحسّ الحاد بالتمرّد والخروج على النص الاسرائيلي.

وخلال ذلك كله، واصل حبيبي في «دفتره الثاني» سعيه بخفة ومهارة شديدتين، ليرسم، عبر اشارات ورموز كثيرة، ما يمكن ان يختصر عنه هذا الواقع الذي يصنع ضد أهلنا في الارض المحتلة. ان مفتتح هذا «الدفتر الثاني» منحنا ذلك الخيط الفضي في الفجر القاتم، وهو الخيط الذي سرعان ما تحوّل، في ما بعد، الى جملة من الخيوط التي تصنع النسيج كله، نسيج الثورة على هذا الواقع. ان هذا المفتتح حمل مقطعين هامّين على النحو التالي:

١ ـ «أرى خلل الرماد وميض جمر ويوشك ان يكون له ضرام» (نصر بن سيار).

٢ ـ «شيء عفن في دولة الدانمارك» (مارسيلاس).

واميل حبيبي، هنا، صبّ ماءً كثيراً في طاحونة الغضب. وهو فعل ذلك حين سعى بدأب ليستعيد حركة الماضي في شكل دائري، حتى اذا ما اكتملت الدائرة عاد لصنع غيرها، وأظهر ما في اسلوبه من السخرية المضاة التي قلّما نعثر عليها لدى معاصريه.

لقد برهن هذا الروائي على ان الخلاص لا يكون في الماضي وحده، وان «ارض الميعاد» العربية لا تكون في الحلم اليوتوبي، وانما يكون حاصل الماضي بالراهن في ذهن متيقظٍ واعٍ حافزاً لصنع التاريخ عند ذروة التغيير.

وهذا ما تقترب منه بشكل أكثر وضوحاً سحر خليفة. فرواية «عباد الشمس» هي روايتها الثانية، وهي تكملة للرواية السابقة «الصبار». وهذا النبات (عباد الشمس) انما يظل دلالة مجازية على الاولاد الفلسطينيين الذين ترعرعوا في مناخ الاحتلال، وفي حضور مرارة الصبار. ومن هنا، فان

الطفل الفلسطيني الذي نما في هذا المناخ، لا بدّ له من ان يزداد صلابة. فالداء الذي يصيبني ولا يقتلني يزيدني صلابة واقتداراً. وربما كان مفتتح الرواية أكثر قدرة منّا على نقل هذا التصوّر الذي يمثل «الخطاب» الروائي في نظامه الفني وعبر شروطه الخفية. قال المفتتح المجتزأ من قصيدة لفدوى طوقان:

«كبروا في غاب الليل الموحش، في ظل الصبار المر.
«كبروا أكثر من سنوات العمر.
«كبروا، التحموا في كلمة حب سرية.
«حملوا أحرفاً، انجيلاً، قرآناً يتلى بالهمس.
«كبروا مع شجر الحنّاء، وحين التثموا بالكوفية
«صاروا زهرة عباد الشمس».

تجليات النبوءة

وعلى هذا النحو، توالت تجليات النبوءة عبر النص الذي يعبّر عن نفسه، وبوجه خاص بدءاً من اللوحة ٣٣، وهي اللوحة التي تكاد تنقل فيها من الغيب ما سوف تنجلي عنه وجه الايام فيما حدث بعد ذلك.

ان هذه الرواية، التي أُصدرت قبل اشتعال الانتفاضة بسبعة أعوام، تستشف من الحاضر ما ينبىء بالآتي. ان المرأة داخل النص تحمل حجراً ولكن «بعد ان احسنت استغلال الحجر». والاولاد يقفون وفي أيديهم حجارة «احسن استغلالها... يتحينون الفرصة». والملاحظة التي لا تفلت منّا ان لفظة «الحجر» تأتي كثيراً بالحرف الواحد، وهو ما يحدث على كل مرادفات الانتفاضة قبل ان يتحوّل الغضب الى مرجل عنيف.

اننا أمام أطفال لا يحملون غير الحجارة، ويواجهون جنوداً مدججين بالسلاح يتقدم الاطفال ويتراجع الجنود. وأحدى شخصيات الرواية تتحدث عمّا يحدث، فتقول «... تلك الانتفاضة». كما تردّدت داخل النص مرادفات والفاظ مثل «الحجر» و«الانتفاضة» و«الاولاد»، الى غير ذلك. كما تردّدت خارج النص مثل هذه الاشياء بعد ذلك بسنوات. لنقرأ هذه الفقرة:

«...فتى في السابعة عشرة يقف مسنداً ظهره الى جدار. ويحيط به جنديان. وجهه نحيل شاحب. بشرته بيضاء ولحيته لم تطلع بعد. حب الشباب يأكل خدّيه. عيناه عسليتان.
«...
« ـ وفّري دموعك
« ـ لكنه طفل بريء
« ـ ماذا سيفعلون به؟ لو كنت مكانه
«...
« ـ تبكين ولداً وتنسين أمة بأسرها.
« ـ لكنني أرى فيه أمّة بأسرها».

وامتلأ النص بكامله بكل ما عرفناه من ظواهر الانتفاضة بعد ذلك، ممّا يضع أمام أعيننا صوراً كاملة (طبق الاصل) لما حدث في نهاية الثمانينات. وهو ما تحقق حين تحوّلت النبوءة الى انتفاضة.

الانتفاضة | الثورة

على الرغم من ضآلة فترة الانتفاضة اذا ما قورنت بالحقبة السابقة عليها، فاننا نستطيع ان نعثر على عديد من النصوص الروائية داخل الارض المحتلة تعبر عنها. ومن أهم هذه النصوص يمكن رصد نصّين: «زغاريد الانتفاضة» لمحمد وتد[١١]، و«الجراد يأكل البطيخ» لشحاتة راضي[١٢].

وأهمّ ما يلاحظ على نص الانتفاضة ان البنية الحكائية فيه تأخذ شكل المتوالية بما يفيد بحدوث تكرارها في أي زمن تالٍ من أزمنة الانتفاضة، منذ بدأت حتى اليوم. فنحن، على سبيل المثال، نستطيع ان نقارن غضبة أهل خربة الزبداوي في رواية «زغاريد الانتفاضة» بأية غضبة أخرى فيما بعد. كذلك، فان ما حدث داخل النص من اغتيال المتعاونين مع السلطة الحاكمة أو محاكمتهم هو مشهد ما زال يتكرر حتى اليوم في الارض المحتلة، حتى تنبّهت القيادة الموحّدة للانتفاضة لتكاثر حالات التصفية، فراحت تحذّر من الاغتيال قبل التحقق. وما نراه في هذه النصوص من أمواج الحجارة من الاطفال يتكرر حتى اليوم. ومن الصعب بمكان ان نحاول، هنا، الاشارة الى بعض حالات الانتفاضة دون غيرها. فهذه الصور تتكاثر وتتكاتف كل يوم، بحيث يصعب التوقف عند واحدة منها دون ان تخطف أبصارنا غيرها؛ أو النظر بصورة مختلفة عن اعادة انتاج الدلالة في نص بعينه، دون ان يخطف أبصارنا غيره. ومع ذلك، فسوف نشير، هنا، الى بعض هذه الصور ليدلّنا الجزء على الكل؛ ومن ثم، فان اعادة تركيب الجزئيات يمكن ان يمنحنا تصوّرات واقعية حقيقة. ومن هنا، تتوالى صور الانتفاضة وتتعدّد.

فمن البدهيات، كما أسلفنا، ان تراكم العمل الارهابي وتعدده ضد السكان العرب، انما يصنع، بالتوالي، التحرك التلقائي لما يحدث. وفي النصوص التي بين أيدينا نعثر على عديد من هذه الممارسات. وهو ما يتنبه اليه الروائي حين يصور بريشته المرهفة هذه الملابسات، ان جابر أكثر الشخصيات حماسة وشجاعة في مواجهة التعذيب. قال ملخّصاً ما يحدث:

« ـ يعني الانتفاضة أجت من العدم؟ هي تراكمات داخل كل واحد... اضطهاد... ظلم... سجن... جوع... ضرايب... هدم بيوت... نفي... قتل... تعذيب... مصادرة أراضي... الاسرائيليين بدهم ايّانا نأكل لقمة الخبز ونظل عايشين ميتين. أكثر من هيك لا»[١٣].

وفي موضع آخر، قال عجاج اللداوي:

« ـ هذا النوع من الارهاب والضغط والمجازر هو اللي ولد بواكير المقاومة. وعلى شان هيك بدت المقاومة تأخذ شكلها الثوري من داخل المخيمات. صحيح انها بديت بشكل عفوي، بس شوية شوية صار الناس يتأطروا داخل فصائلهم وتنظيماتهم»[١٤].

لقد تعددت صور التراكم أيضاً؛ فلم تكن صناعة للداخل فقط، وانما كانت أيضاً لما يحدث خارج فلسطين، في الاقطار العربية؛ اذ كان العدو واحداً في جميع الحالات؛ ومن ثَمّ، كان يؤدي العسف والارهاب دائماً الى ردّ الفعل الانتفاضي...».

مطر الحجر

وقد تعوّد زائر الارض المحتلة، في السنوات الاخيرة، على رؤية مشهد مثير: معركة غير متكافئة بين أطفال عزّل، اللهم الاّ من الحجر، وجنود مدجّجين بأحدث ما في الترسانة الاميركية من سلاح.

وهنا لا نستطيع مقاومة اغراء نقل جزء من المشهد الذي نقله الينا محمد وتد:

« ـ اصطف في الدوار عدد من السيارات العسكرية...الصرصور في المقدمة، وأصوات الرطن تنبعث من أجهـزتـه. فظهرت في سماء الخربة طائرة مروحية... و... هبطت من السماء موجة من الحجارة، تبعتها موجة أخرى. قفز الجنود من الصرصور شاهرين أسلحتهم... و... كان اطلاق النار مستمراً...»[١٥].

وفي مشهد آخر استبدل الاطفال بالنساء:

«... تناولت عيوش حجراً وخمعت به الضابط... تبعتها صبرية وصابر، وتطايرت الحجارة في كل صوب... و... الحجارة تتطاير في السماء باتجاه الجنود، الذين استأنفوا اطلاق النار»[١٦].

وتكـرّرت هذه الصـور وتنـاثرت في الارض المحتلة. وقد برع في نقل الصور الواقعية صاحب «الجراد». فالاطفال الصغار سعوا بأحجارهم لتحضير الجوّ للكبار «في حصونهم داخل المخيم مع حجـارتهم ومقـاليعهم للانـطلاق للمعـركة، وينتظرون اشارة من عروة، بعد ان ينجح في استفزاز الجنـود...». وعـلى هذا النحـو تبدأ المعارك بين طرفين غير متكافئين، لكنها تبرهن على ان الطرف الأضعف، صاحب الحجر، يظل أقوى من خصمه وأعتى.

وبهذا نصل الى بدهية واحدة هي ان الصغار لا يعملون بمفردهم، وانما يتحوّل الحجر والمقلاع الى مولوتـوف وكلاشنكوف: «الحجر صار كلاشنكوف». ومن هنا تزداد حمية المعركة، حيث يبرهن الشعب الفلسطيني على جدارته، في العيش بأرضه؛ اذ سرعان ما نكتشف ان من يسقط يظل شهيداً، ويخرج لمقابلته ذووه «بالزغاريد». فكثيراً ما نشهد ارتباط الشهيد بالزغاريد، حتى أصبح ذلك مشهداً مألوفاً الآن في الارض العربية تحت نير الاحتلال.

ولا نكون في حاجة الى ان ندرك بسهولة، عبر التصوّر الفني، ان «جراد...» شحاتة راضي لا يلبث ان يتزايد. فالجراد، هنا، هو «عامة الشعب» الذين يتصدون لهذا العدو.

ان الجراد، وهو رمز مستعار، يتعرّض للطائرات التي ترشّه بالغاز للقضاء عليه. لكن هذا الجراد سرعان ما يكتسب مناعة ضد هذه الغازات، فيمتص الغاز، ويتحوّل الى مخلوق أقوى في حالة خلاصه من هذا الشر؛ ومن ثمّ يتحوّل، من جديد، الى كائن أقوى وأصلب في هذا المناخ المعادي له.

ونتيقن، عبر صورة أخرى، ان الوعي الفلسطيني يصل الى أقصاه، وهو ما بدا، على سبيل المثال، في الموقف من الاميركيين، لما يلعبونه من دور سيء لنصرة الصهيونيين وامدادهم بكل ما يحتاجون اليه من مال وسلاح وتأييد، ثمّ لما يلعبونه في ضمان بقاء اسرائيل بالتحالف مع القوى الرجعية في المنطقة العربية.

لقد ذهب تأييد الاميركيين للصهيونيين الى حدّ استخدام حق النقض (الفيتو) لصالح اولئك المستبـدين. وذهب تأييـد الامـيركيين للقوى الرجعية العربية الى حشد مئات الآلاف من الجنود والمعدّات الحديثة للانتصار لبعض الشيوخ الذين يلعبون لعبة الامبريالية ضد شعوبهم العربية. وفي هذا كله، لا يفوتنا ان نلحظ الفهم الحقيقي للدور السوفياتي. لقد أدرك «الانتفاضيون» ان هذا الدور لم يعد كما كان. فاذا أعلنت منظمة التحرير الفلسطينية حكومة مؤقتة، فسوف يأتي اعتراف الروس «خفيفـاً كندف الثلج»، في حين نلحظ ان مفاتيح الاستثمار الاقتصادي في المنطقة لا تمر «الاّ عبر البـوّابـة الاميركية، ما دام الحكام العرب يركبون نياقهم ويحاربون بسيوف الحجان»[١٧]. ويكون

على انسان الانتفاضة ان يدرك ان الفرصة تكون سانحة للغرب لتمزيق العرب في حالة واحدة هي حالة الفرقة التي نعيشها. فالهزيمة أتت ليس لأن قدراتنا أقل من ارادتنا، ولكن لأن قدراتنا أقل من تماسكنا؛ وهو ما أدركته احدى نساء الارض المحتلة حين صاحت: « ـ هم العرب لو انهم أيد واحدة كان ما عمر دولة أجنبية هزمتهم»(١٨).

بيد ان أهمّ صور الانتفاضة على الاطلاق تظل ارادة الشعب الفلسطيني. وهي الارادة التي تزيد مرجل الغضب، وتسعى بامكاناتها الذاتية، الى تحدّي عدو غادر مدجج بالسلاح من قمّة رأسه الى أخمص قدميه.

وبعد ان كان يردَّد، من قبل، المثل الفلسطيني «كف ما بتلاطم مخرز»، برهنت الحركة الشعبية الآن على خطأ هذا المثل. فالمواجهة الفعلية عند محمد وتد تأخذ شكلاً متحدياً حتى لتقابل جثة الشهيد «بزغاريد الانتفاضة»، وهو ما نراه في عديد من المواقف، كصياح الشيخ في المختار المتخاذل: « ـ وتقول الحيط الحيط... بعد ان قلت كف ما يلاطم مخرز هل هذه شهادة المخترة!».

وظهرت صورة الارادة في موقف الفدائي جابر في رواية «الجراد...»؛ اذ تيقن جلّادوه، بعد جرعات هائلة من العذاب، انه لن يعترف على زملائه، فراحوا يصرخون فيه من آن الى آخر:

« ـ انت راسك عنيد... وراسك يابس... وين اصحابك؟ احكي وبنخلّيك تروح عند أولادك». ويعود صوت جابر بسرعة: « ـ أنا معرفش ولا إشي»(١٩). لقد قرّر جابر ان يموت ولا يوشي بزملائه، ممّا دفع الجنود المسلّحين الى ان يشيروا الى المعتقلين، ويصيحون في أسى: « ـ هدول كلهم نفس الشيء... رأسهم يابس»(٢٠).

علامات فنية

ولا يمكن ان ننتهي من بعض صور الانتفاضة دون ان نشير الى بعض هذه الصور، عبر التشكيل الدلالي في النص الروائي.

اننا في نص «الانتفاضة»، بوجه خاص، ازاء علامات فنية تفوق الحصر، بدءاً من العنوان، وصولاً الى النهاية المفتوحة، مروراً بكل الملامح الفنية التي تثري المضمون، كاستخدام التراث، وكثافة استخدام العامية الفلسطينية، وتناثر الأغاني الشعبية والامثلة العامة، والاضفاء الملحمي، وتميّز الاسلوب، وتعدّد الرمز، وتكاثر أشكال الصيغة، الى غير ذلك مما يمكن به الاقتراب أكثر من دلالة المعنى. وسوف نكتفي، هنا، بثلاثة فقط من هذه الملامح التي يمكن ترتيبها على النحو التالي:

التراث

ان استخدام التراث لا يأتي منفصلاً عن الحس القومي؛ اذ ان ايثار التراث، وخاصة النواحي الاسلوبية، يمنح صاحبه حرصاً على الهوية وايثاراً لها. ولعلّ اميل حبيبي (سنوات ما قبل الانتفاضة) كان أكثر الروائيين الفلسطينيين استخداماً لهذا الحس. وتعدّدت صوره في أعماله وتباينت بين شكل السخرية وعبر المقامات وحول الاستغلال النسبي لمغامرات البطل وايثار الاسناد الشكلي التقليدي المعروف في علم الحديث «كتب الى سعيد...»، ثمّ تطريز النص بكتابات الجاحظ وابن عبد ربه والقرآن الكريم.

وقد كان الواقع تحت نير الاحتلال يفرض على رواية الانتفاضة الاستجابة لهذا الخيار

الوحيد (التراث) للتمسّك بالهوية العربية. فنحن في «زغاريد الانتفاضة» ازاء هذا الحس القومي المتوثّب، النابع من التراث والملامح الشعبية. فالبطل، هنا، ليس شخصاً بذاته «رغم اننا لا نعدم ابطالاً كثيرين...»، وانما البطل هو الانتفاضة نفسها، لتتسع دوائر الأفعال الايجابية حتى نصل الى المقاومة المسلّحة.

لقد أطلق محمد وتد «زغاريده» في بانوراما شاملة في عوالم التجربة النضالية المتجددة في الانتفاضة الشعبية، «فعكست حالة اسطورية راقية تجسّدت في عزيمة ابطالها وبطولاتها الخارقة التي وإنْ أدّت الى الموت، الاّ انها تظل تمثّل لعبة جماعية تلعبها الارادة في جموحها المتوهج مع ذاتها».

غير ان شحاتة راضي في روايته «الجراد...» بدا أكثر حرصاً بقيمة هذا التراث، بوجهه الشعبي؛ ومن ثمّ فهو استخدم، منذ البداية، ذلك الشكل الملحمي المعروف في التراث الشعبي بـ «السيرة الهلالية».

والمعروف ان الملحمة عند العرب ليست غير تعبير قومي. وهي، لذلك، تستلهم، دائماً، ماضياً قومياً وبطولياً وجذوراً تأسيسية. انها تمثّل عالم بدايات وأزمنة قمم، عالم الآباء المؤسسين. وانها لمفارقة خصبة ان يكون «الآباء المؤسسون للسيرة الفلسطينية هم أطفال الانتفاضة وشباب الثورة في احضان قدامى المحاربين بطبيعة الحال»[٢١]. ان نصّور وبركات هما استمرار، على أعلى مستوى، لعجاج والبرجاوي. وينطبق ذلك على سيرة عنترة وحمزة العرب والظاهر بيبرس والاميرة ذات الهمة. كما ينطبق، بوضوح، على السيرة الهلالية: بطولات قومية في مراحل مختلفة من التكوّن ضد التمزّق الداخلي في مواجهة الاغتصاب الاجنبي، سواء الفرس، أو الغارات الرومية، أو التتار، أو الصليبيين، أو الصليبيين الجدد الآن ـ الصهيونيين. ويمكن ان نمضي في ذلك أكثر، حين نوغل في لعبة التناظر والتشابه، لنرى الى أي حدّ تمثّلت الرواية السيرة الملحمية وعبّرت بها عن الراهن عبر نص يمضي الى صيرورة اسطورية، لكنه لا يجاوز الواقع قط.

الأغاني الوطنية

والأغاني الشعبية في الارض المحتلة لم تنل الاهتمام الكافي حتى اليوم. فالى جانب انها تضرب في جذور التاريخ، فهي تضرب، كذلك، في جذور النفس البشرية، في مواجهتها لقوى الاحتلال. انها نتاج هذا المد الشعبي بكل ما فيه. ويلاحظ، هنا، أن الأغنية الشعبية تتحلق، في المقام الاول، حول الشهيد. فهو يقابل بنازعين: الأسى والفرح، البكاء والزغاريد. نحن، اذاً، أمام أغاني شعبية تقترب من نبرة «التعديد» في الريف العربي. ان «زغاريد الانتفاضة» هي العزاء الذي يعيش فيه أهل خربة الزبداوي أمام رحيل «ابو العبد»، وفي «الجراد...» أمام الموقف المروّع الذي يقفه أهل مدينة مثل نابلس أمام رحيل أشجع ابنائها نصّور، في اثناء تظاهر طلبة جامعة بيرزيت في مواجهة العنت الصهيوني. اننا، هنا، أمام التياع الأم التي تتمتم بأسى بعد اهالة التراب على جسد الابن ـ الشهيد:

«يا دار يا دار لوعدنا كما كنّا... كما كنّا... لطليك يا دار بعد الشيد بالحنّا... بالحنّا...».

ومع توالي أيام الانتفاضة، وسقوط الشهداء، هدر صوت نفّوس، الزوجة الفلسطينية الصابرة، فيما يشبه «التعديد»: «وأنا لا أبكي عليهم طول عمري... على اللي ما زعلوني بطول عمري...».

ويتوالى الحس الشعبي الملتاع في فورة انتفاضة جديدة، فيسقط نصور. فهذا الشاب الذي استشهد في «الجراد...» يمكن ان تعبر عنه القريحة الشعبية المكلومة. فبينما يصيح الآخرون:

«يا أم الشهيد وزغردي، كل الشباب أولادك... يا شهيد ارتاح ارتاح، واحنا بنكمل المشوار»، لا نلبث ان نتبيّن خفوت بكاء ام الشهيد، ويعلو الصوت رويداً رويداً:

«آويها ويا أبو عمار يا خيمتنا / آويها والشعب الفلسطيني قاعد فيها / آويها ويا نصّور يما يا شمعتنا / آويها ويموتو اللي يطفوها... / آويها ويا فلسطين يا خيمتنا / آويها والشعب الفلسطيني قاعد فيها / آويها ويموتو اللي يطفوها / آويها ويا نصّور يا شمعة الذهب / آويها والمسك في بابها / آويها ومهما المصايب كسرت اعتابها / آويها وشباب فلسطين ليكملوا مشوارها»[٢٢].

ولا تتوقف الأم عن الذهاب الى ضريح الابن من آن الى آخر. وهناك تردد:

«نام يا نصّور نام / لاذبح لك طير الحمام / هلي يا دموعي الف هلّة / على اللي انهال فوقه التراب ألف هلّة / هلا بقمر الهلالي هل هلّة / وضوى بهلّته قلوب الشباب»[٢٣]. وبهذا امتزج الحزن بالأسى بالاحساس بالثمن الذي يجب ان يدفعه الانسان الفلسطيني ازاء ما يواجه.

اللهجة الفلسطينية

ويرتبط بذلك كله ما يلاحظ من سيادة العامّية في لغة الحوار في رواية «الانتفاضة»، وهي العامّية الفلسطينية بوجه خاص، وهو ما يحمل دلالة ان اللهجة المحكية الفلسطينية، بخصوصيتها وتميّزها، تحمل قدرة أكبر على توصيل المضامين، وهو ما يسهم في تقريب التعبير القِيَمي بالنسبة للمتلقّي. ولا يعني ذلك ان لدينا أكثر من لغة للكتابة، لغة الروائي ولغة الشخصيات، وانما تظل هي لغة واحدة، تتفرع قبل التقائها الى اثنين: السرد على لسان الروائي ولغة السرد على لسان الآخرين. وهذا لا يشير الى براعة الروائي، فقط، في ايصال ما يريده، وانما، أيضاً، الى الاحساس بضرورة تعميق «الهوية» في اطارها العربي في مواجهة الهوية الاخرى في اطارها المغاير.

ويؤكد هذا ما يلاحظه الروائي محمد وتد من ان اللهجة المحكية لا تسود في حوار العمل الفني وحده، وانما من السهل ان نعثر، من آن الى آخر، على استخدام الفصحى في موضع، والعامّية في موضع آخر، ممّا يسهم في تأكيد التجانس اللغوي الذي يحتشد ليعيد انتاج الدلالة بالشكل الذي يقربه من الاثر الذي يسعى اليه. ان ذلك يرد في النص الروائي نفسه، اننا في «زغاريد الانتفاضة» نقرأ: «سيفتشون الخربة»، قال عباس. «لا أرى مانعاً ان تتسلّحوا الليلة... لكن كيف تتصوّروا الليلة التي تأتي بعدها؟». كان عباس يتحدث بالفصحى، متيقناً ان كلاماً كثيراً سيقال، «لأن الفصحى تعطي للمتكلم وقتاً أكثر للتفكير، وتقلّل من الانفعال».

ويلاحظ، هنا، ان الروائي حاول توظيف العامية في وقت، في حين حاول توظيف الفصحى في وقت آخر. وممّا له دلالة عميقة في طريقة استخدام اللهجة المحكية الفلسطينية احياناً، والفصحى أحياناً أخرى، ان الروائي (ويشترك في ذلك روائيو الانتفاضة بشكل عام) كثيراً ما كان ينسب الى المحكية أو الفصحى عبارات أو مقاطع من العبرية وليس من العربية فقط. اننا في «زغاريد الانتفاضة» نسمع الجندي الاسرائيلي يستغيث بزميله بالعبرية، في حين لا يهمل الروائي العربية، فتأتي العبارة على هذا النحو:

«نسرافتي... هِتْسلو... نسرافتي (ولعت...انقذوني... ولعت)»[٢٤].

أمّا في نص «الجراد» فنقرأ عبارة الجندي اليهودي وهو يصيح في احد العرب: «ـ يلا روخ... روخ عالبيت... امشي عرفي ملوخلاخ». وأضاف الروائي في الهامش عبارة تفسيرية هي «عربي

قذر». وهذا الامر يتكرر كثيراً، بما يشير الى انه في وسط مناخ معاد، فان الانسان العربي يحرص كثيراً على لغته، حتى وإن اضطر الى نقل عبارات اللغة الاخرى، المعادية له. وبهذا يمكن القول ان براعة الروائي في تغليب الفصحى في النص في حين لا يهمل العامّية الفلسطينية انما يشير الى الاحساس الواعي بـ «الهوية»، وفي الوقت عينه ايثار القومي على الفني في كثير من الاحيان بما يحقّق «الخطاب» الروائي ويؤكده.

---

(١) يلاحظ ان أغلب الروائيين الفلسطينيين كانوا يصرّون على تسمية «انتفاضة» وخاصة في السنة الثالثة من هذه الانتفاضة، وهو اتجاه كانت تمثله كذلك م.ت.ف. (القيادة الموحّدة للانتفاضة)، وهو ما يعكس، في المقام الاول، تواضع الجماهير العربية في الارض المحتلة. غير ان طبيعة الحركة الشعبية في الارض المحتلة وتأثيرها العميق في عديد من نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والتغييرات الحادّة التي احدثتها، خاصة في علاقاتها بقوى الاحتلال، كذلك تطوّرها في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٩٠، تحديداً بعد مذبحة المسجد الاقصى من الحجارة الى الخناجر ـ يمكن تحديد بداية هذا التغيير خاصة على يد عمر ابو سرحان ـ حين غير أسلوب المواجهة من الحجر الى السكين في ١١ تشرين الاول (اكتوبر)، واستطاع النيل من اربعة جنود اسرائيليين انتقاماً على مجزرة الاقصى، ان طبيعة هذه الحركة الشعبية في الارض المحتلة تدفع بها من انتفاضة الحجر الى انتفاضة الخنجر، وبجميع المقاييس ينطبق على ما يحدث تسمية «ثورة» وليست «انتفاضة». وعلى هذا النحو، فان استخدام تسمية «انتفاضة» في هذه الدراسة انما يقصد بها تسمية «ثورة».

(٢) ربما يمكن التحديد بدقة أكثر تحوّل الانتفاضة الى حركة ثورية تتعامل مع الاسرائيليين باسلوبهم العنيف، منذ قرار منظمة التحرير الفلسطينية الذي اتخذ في تونس في الشهر عينه ـ تشرين الاول (اكتوبر) ـ بضرورة ان يحمل اهل الارض المحتلة السلاح، وإن أوصت بأن يكون ذلك بعيداً من المناطق الآهلة بالسكان؛ كذلك وزّعت العديد من المنظمات الاخرى المنشورات التي طلبت تصعيد عمليات المقاومة ضد اسرائيل. وبمراجعة بعض هذه المنشورات يمكن ان نعثر على جملة تكاد تتكرّر كثيراً في كل منشورات تلك الفترة تقول: «كفى حجارة... وكفى كوكتيل مولوتوف...استخدموا السكاكين... اطلقوا الرصاص».

(٣) انظر دراستنا **الاتجاه القومي العربي في الرواية**، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، ١٩٩٠.

(٤) اننا، في مصر، نكاد لا نعرف رواية واحدة في تلك الفترة المبكرة تعالج قضية فلسطين معالجة مباشرة، وانما هي بعض الاشارات أو الشخصيات التي لا تحمل على بنية الحدث موضوع القضية. وهو ما نعثر عليه كذلك في بلد مثل الجزائر، لانشغالها، ربما، بحرب التحرير. كما اننا لا نعثر في أقطار أخرى، مثل قطر والكويت والبحرين، على مثل هذه المعالجة، لتأخر ظهور الرواية في أقطار الخليج، الى غير ذلك.

(٥) أبرز من ردّد ذلك هو الاسرائيلي دافيد جالا.

(٦) ممن تنبّهوا الى ذلك وأشاروا اليه في كتاباتهم يمكن ان نذكر: خليل بيدس، محمود سيف الدين الايراني، امين فارس ملحس، د. اسحق موسى الحسيني، سميرة عزّام، محمد علي طه، محمد نفاع، احمد حسين، احمد نجم، سلوى البنا، أمين شنار، ليانه بدر، مصطفى ابو لبدة وآخرون.

(٧) يوجد تفصيل هام لعديد من هذه الاجراءات في بحث احمد سعيد نوفل، «الحركة الصهيونية بين الفكر والممارسة»، في ندوة **القضية الفلسطينية في اربعين عاماً** التي عقدت في الكويت، في أيار (مايو) ١٩٨٨، وانظر، أيضاً، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، أيلول (سبتمبر) ١٩٨٩، ص ١٩٨٥. كذلك، يمكن مراجعة اعداد جريدة **الحياة** (لندن)، خلال شهري أيار (مايو) وتشرين الاول (اكتوبر) ١٩٩٠.

(٨) الارهاصات السابقة مستمرة، عبر الشكل الروائي الفلسطيني، منذ نكبة العام ١٩٤٨ بشكل متميز، وإنْ اتخذت مضامين متباينة. وعلى سبيل المثال، ان غسان كنفاني بدأ حياته الروائية

بالتشرّد، ثمّ بالاحساس الحادّ بالحنين الى الوطن، ثمّ بالتطوّر الايجابي للتحوّل من الاستسلام والحزن الى التمرّد والثورة. بيد ان النص الفلسطيني بشكل عام كان يدعو دائماً الى التحرر من الواقع الكابوسي، والخروج الى الفعل، وهو ما مثّل قبل الانتفاضة / الثورة الارهاصات والنبوءة.

(٩) أميل حبيبي، **لكع بن لكع**، بيروت: دائرة الثقافة ـ م.ت.ف. بلا تاريخ نشر؛ **واخطية**، منشورات مؤسسة «بيسان برس»، نيقوسيا، الطبعة الاولى، ١٩٨٥.

(١٠) سحر خليفة، **عباد الشمس**، بيروت: دار الاداب، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧. وقد صدرت الطبعة الاولى منها العام ١٩٨٠.

(١١) محمد وتد، **زغاريد الانتفاضة**، نيقوسيا: مؤسسة بيسان للصحافة والنشر، ١٩٨٩.

(١٢) د. شحاتة راضي، **الجراد يحب البطيخ**، (تغريبة فلسطينية)، القاهرة، المصرية للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، ١٩٩٠.

(١٣) «الجراد»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٩٦.

(١٤) **المصدر نفسه**، ص ١٧٢.

(١٥) «زغاريد»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٤٧.

(١٦) **المصدر نفسه**، ص ٧٤.

(١٧) **المصدر نفسه**، ص ١٨١.

(١٨) «الجراد»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٧٣.

(١٩) **المصدر نفسه**، ص ٢٨٧.

(٢٠) **المصدر نفسه**، ص ٣٧٢.

(٢١) مقدمة كتبها ابراهيم فتحي لنص «الجراد يحب البطيخ»، ص ٥ ـ ٦.

(٢٢) «الجراد»، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٥٩.

(٢٣) **المصدر نفسه**، ص ١٧٩.

(٢٤) «زغاريد»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٦٦.

معين بسيسو شاعر البدايات الصعبة

راسم المدهون

من الصعب على دارس تجربة معين بسيسو الشعرية ان يتنقل بين قصائده ومجموعاته دون أن يأخذ في اعتباره عاملين هامين حكما تجربة الشاعر الراحل وأثّرا ـ وإنْ بدرجات متفاوتة ـ في إنضاج تلك التجربة، وحتى في تحديد مساراتها وتشكيل همومها وموضوعاتها، ومن ثمّ تحديد ملامح عامة لهذه التجربة بكل ما يرتبط بهذه الملامح من تكوين خصوصية تميّزه في إطار حركة شعرية فلسطينية، وعربية، عاشت موار التيارات الفكرية والفنية، واكتوت بمؤثرات محلية أحياناً، وخارجية أغلب الأحيان.

وإذا كانت البداهة تفترض مزاوجة جناحي الابداع، الشكل والمضمون، فإن هذين الجناحين يصبحان في تجربة معين بسيسو، بالذات، أكثر من ضرورة؛ إذ هما ـ وبالنظر لعوامل سنفصلها لاحقاً ـ يبدوان التجربة بذاتها، بدءاً ومساراً، وانتهاء بالصورة التي إكتملت برحيل الشاعر، ولم تكتمل رؤيتها الشاملة، التي تظل مفتوحة للنقاد والدارسين. وخلافاً لكل التجارب الابداعية الأدبية، فإن التجربة الشعرية، بالذات، هي الاقدر على أن تكون مرآة تعكس صورة صاحبها من الداخل. سيظل الجدل محتدماً حول سلوك الشاعر وما يكتب، وحول التطابق أو التنافر بين هذا السلوك وبين إبداع الشاعر؛ لكن ما سيظل أكثر إقتراباً من الصدق الداخلي هو الابداع الشعري للشاعر الذي يكاد يكون صورة أخرى، ملامح داخلية يبوح بها على الورق:

«ثلاثون أو أربعون ملزمة من الورق. على امتداد عشرين أو ثلاثين عاماً من الكتابة، هل هذا هو بطاقتك الشخصية، أم وثيقة اتهامك التي تعلّقها كالايقونة حول عنقك، مقصلة صغيرة تتدلّى منها خواتم ومفاتيح لأصابع كثيرة ونوافذ كثيرة أيضاً»[1]. هكذا يقول الشاعر، وهو إذ يتساءل عن مصيره، أو مصير تجربته الشعرية، إنما يضع هذه التجربة في سياق مسار توأمها الروحي: الحياة. الحياة بكل غلظتها، بآكام دروبها وأشواك طرقها ونزف القدمين الحافيتين إذ تصران على الصعود، والصعود دوماً، على الرغم من سقوط صخرة المصير، وسقوط الشاعر بجسده الناحل معها من قمة الجبل الى منحدرات التعذيب في زمن عربي كان يدخل في الهزيمة ولا يكاد يخرج أبداً:

أنا في النهر صورة كسرتها ... يدُ أعمى خياله لمّاحُ
فتماسكت عالقاً بظلالي ... وهي تطفو كأنها ألواحُ
وتلفتُّ والرجاءُ غرابٌ ... ضلّ واليأس طائر صدّاحُ
والمصب العملاق أعورُ كالشمس ... قد إجتاح رأسه مجتاح
وحرام على المصب ابتلاعي ... وأنا منه جدول فوّاح[2]

الزمن في القياس النقدي لتجربة معين بسيسو الشعرية بالغ الأهمية؛ إذ هو يشير الى

المناخ الذي عاشته القصيدة العربية، ودرجة تطوّر هذه القصيدة، والتفاعل الذي عاشه الشاعر مع حركة التجديد التي كانت في تلك الايام تدق، بقوة، أبواب الشعر وتحاول أن تخرجه من نمطية القصيدة البيتية الملتزمة بالبحر والقافية، والتي أصبحت عاجزة عن الاستجابة التعبيرية لتطوّرات واقع متحرك، كان هو الآخر لا يكاد يستقر على حال حتى يسارع الى نقض هذا الحال.

إذن، عاش معين بداياته الشعرية مع بداية سنوات الاربعينات. إذ ذاك تعرّف هو والشهيد كمال ناصر إلى الشاعر عبدالكريم الكرمي (ابو سلمى) بوصفهما شاعرين ناشئين. هذه الاشارة الى زمن البداية الابداعية هي، في الوقت عينه، إشارة الى الزمن المحبط الذي كانت تعيشه القصيدة العربية. ففي تلك السنوات من الاربعينات أخذت حركة التجديد في الشعر العربي تخطو خطوتها الاكبر والاهم على يد ثلاثة التجديد في العراق، بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وعبدالوهاب البياتي. وفي تلك الايام أخذ الجدل النقدي يحتدم حول القصيدة الجديدة ـ قصيدة التفعيلة، ويقسم صفوف الشعراء والنقاد والقراء على حد سواء، بين مؤيد لخطوة التجديد داعياً إليها، وبين رافض لهذه الخطوة داعياً، على العكس منها، الى التمسّك بالبحر الواحد والقافية الواحدة؛ حتى أن الكثيرين من أنصار المحافظة ربطوا رفضهم بأسباب ومبرّرات سياسية وأيديولوجية حين اتهموا حركة التجديد بأنها خروج على التراث القومي، ومن ثمّ خروج عن الالتزام القومي، لا يخدم الاّ أعداء الامة والمتربّصين بها. وإذ كانت حركة التجديد قد أخذت أبعادها في العديد من الاقطار العربية في المشرق، إلاّ أنها جاءت الى الشعر الفلسطيني متأخرة نسبياً، وكان حضورها على يد الشاعر الراحل معين بسيسو. وإذا كان معين قد دشّن حضوره الشعري بنتاج كلاسيكي تمثّل في مجموعتيه الشعريتين الأوليين، «المسافرة» و«المعركة»، فإنه ما لبث في مجموعته الثالثة «حينما تمطر الاحجار» أن خطا خطواته الكبيرة نحو قصيدة متحررة من عروض يلتزم فيها بحراً واحداً، لينحاز الى التفعيلة الواحدة بكل ما يوفّره له هذا الانحياز من مرونة أكبر في التعبير:

يا سهيْر
أنا في المنفى أغني للقطار
وأغنّي للمحطة
أيّ هزّة
حينما تومض في عينيّ غزه
حينما تلمع أصوات الرفاق
حينما تنمو كغابه
من بروق ورياحْ
حينما يلمع برق الكلمات
كلمات من حديد
تطرق الباب الحديد[٣].

الديوان الحديث الاول «حينما تمطر الأحجار» إحتوى ثلاث قصائد جاءت مكرسة لموضوعات نضالية عربية تنقّل فيها الشاعر بين فلسطين وقناة السويس والعراق، وكانت عناوينها على التوالي: «إرفعوا الأيدي عن أرض القناة»، و«السجن الكبير»، و«الصوت ما يزال». وهنا يبرز المضمون الى جانب الشكل باعتبار ان الموضوعات التي عالجها معين في هذه القصائد اتسمت بالحدثية وبالاستجابة لتفاعلات نضالية كبرى كانت تقع في أقطار الوطن العربي. ومنذ البدء، سنلاحظ

أن الشاعر الراحل حرص على أن يربط هذه القضايا الوطنية الكبرى بمضامين اجتماعية تشير، من جهة، الى أسباب الواقع، وتشير، من الجهة الاخرى، الى الرؤيا المستقبلية التي يتطلع الى تحقيقها الشاعر، والتي لا تكتفي بالتحرر الوطني العام ولا ترضى الّا بالتحرر الشامل، وبالذات التحرر الاجتماعي. وإذا حاولنا، مثلاً، الالتفات الى قصائد الشاعر الاولى في مرحلته التقليدية، وهي القصائد التي عبّر فيها عن آلام وعذابات الشعب الفلسطيني في مخيماته الاولى، سنجد أن الشاعر يقدم صورة تجمع في تفاصيلها مناظر البؤس والتشرّد الى جانب الاشارة الصريحة إلى استبداد الحكام وانشغالهم عن قضايا شعوبهم وإلى غياب الديمقراطية وتسيّد الاستبداد. يقول معين في قصيدته «السيول»[٤]:

لم يترك السيلُ غير الحبلِ والوتد ... من ذلك الشعب أو من ذلك البلد
وغيرَ بعض العرايا الساحبين على ... تلك الوحول بقاياهم من الولدِ
تلك البقية من شعبي ومن بلدي ... ما بين باكٍ ومجنون ومرتعدِ

الى ان يقول مخاطباً الحاكم:

يا مَنْ نصبت لهم سود الخيام على ... صفر الرمالِ لقد غاصت إلى الأبدِ
ألست جلادهم فاربط غريقهم ... واسحبه خلفك بالأمراس والزردِ
واترك لأطفاله آثار جثته ... دماً توهج فوق الرملِ والزبدِ
دمٌ سترعش قلب الأرض صرخته ... يا نار قد صحت الأموات فاتقدي

وابتداء من قصائده الاولى أيضاً، كان صوت الشاعر صوتاً لحركة الشارع التي كانت في تلك الايام السوداء من نكبة فلسطين تصارع في شتّى الاتجاهات: ضد ظروف الحياة الصعبة، وضد طغيان الحكام والجلّادين والعسس الذين أخذوا في مطاردة أبناء الشعب الفلسطيني وقواه المناضلة. وهنا كتب الشاعر قصدته «جنازة الجلّاد»، والتي وصف فيها أحد أدوات السلطة، المتجبر الطاغية الذي أذاق أبناء المخيمات الفلسطينية أشكالاً كثيرة من التعذيب، ووصف بؤس جنازته، واندحاره إلى القبر وسط لعنات الناس وشتائمهم:

إغسلوه بما جرى من دمائه ... فتراب العطاشِ أولى بمائه
وارجموا نعشه كما ترجم البومة ... بالباقيات مَن أشلائه
وامنعوا الشمس ان تضيء على ... الخائن حتى في مهرجان فنائه
وإذا سارت الجنازة والنجم ... شيخٌ عن ركبها بضيائه
فاطردوا حافر القبور عن الارض ... التي لطخت بوحل دمائه
واحرقوا الجيفة الخبيثة وامشوا ... وأطلّوا بها على أبنائه
ولتكن كومة الرماد إلى الذئب ... فراشاً وللغراب الثائه[٥]

حين نقرأ هذه القصيدة نتذكر قصيدة بدر شاكر السياب الشهيرة «المخبر»، وإن كان معين قد اختص هنا بوصف مشاعر الشعب تجاه موت الجلّاد. وهو إذ فعل ذلك، إنما أراد، ونجح، في اقصاء تقليد شعبي قديم في إحترام الموتى، أو على الاقل في غض الطرف عن عيوبهم وآثامهم بعد وفاتهم. لقد أراد الشاعر ان يجرد موت الجلاد عن الهالة التراجيدية التي تحيط عادة بالموت، وان يضع هذا الموت في سياق موقعه الصحيح. وبكلام آخر، كان معين ينوب عن الشعب الذي أطلق، في جنازة الجلّاد، زفرة ارتياح لم يكن من الممكن الاستمرار في حبسها، وكأنه قصد أن يفرق بين موت وموت، بين غياب وغياب، أي بين معنى وطقس ومعنى وطقس آخرين. ودوماً تستمر هذه الجدلية الناجحة

في قصائد الشاعر بين الشكل والمضمون؛ إذ لا إنحياز الى أحدهما على حساب الآخر. فالانحياز الى الشكل سقوط في شكلية فارغة، هي أشبه بقصر في رمالٍ صحراوية لا يصمد في مواجهة الرياح. والانحياز الى المضمون لا يعدو ـ وبغض النظر عن النيّات ـ عن الوقوع في الخطابية الرنّانة التي لا تصنع فناً ولا تشد قارئاً أو مستمعاً. فالشاعر، الى جانب مضمونه القوي في هذه القصيدة، حرص على أن يعبّر عن هذا المضمون بصور شعرية قوية ترسم مشهداً متكاملاً لما ينبغي ان تكون عليه جنازة الجلّاد والقاتل:

أيـهـا الهـالك الممـدّدُ في الكهف ... يلوك الطريـح مـن أنـفـاسـه
أنـسـيـت الجـلّاد لما تزل ترعش ... عنـقُ المـشـنـوق فـي أمـراسـه

إنه تحريض الشاعر للضحايا، وحثّهم على النهوض من جديد كي لا يظل في الارض جلّاد يسرق قوتهم ويسومهم العذاب.

في ديوانه الآخر «مارد من السنابل»، نلحظ تطوّراً ونضجاً في قصيدة معين، خصوصاً على صعيد الشكل، ونرى ان قصيدة الشاعر أصبحت أكثر سلاسة، وأكثر استجابة لتحديات الواقع. ليس هذا بعيداً عن روح المقاومة التي كتبت في ظلها قصائد المجموعة، والتي جعلت «جبهة المقاومة الوطنية» في قطاع غزة، في العام ١٩٥٦، تصدر منشورها الأول إلى الشعب الفلسطيني وقد تصدره مطلع قصيدة المتاريس:

قد أقبلوا فلا مساومه
المجد للمقاومه
لراية الاصرار شاهقه
للموجة الحمراء من صيحاتنا المعلقه
على الشوارع الممزقه
ولليد المكبّله
ولليد الطليقة المناضله
المجد للجريح والمثقوب قلبه وللمطارد
مدينتي! قد أقبلوا ليلاً من الأظفار والخناجر
وكنت نجمة تقاتل
أضواؤها العريانة السلاسل[٦].

في سياق تجربة معين الشعرية، خصوصاً في المراحل المتقدمة من هذه التجربة، نجد الشاعر يعمد، أحياناً، الى استخدام الرمز. وقد يكون رمزه حيواناً أو طائراً، أراد الشاعر ان يحمّله معاني ومضامين من خلال صورة أليفة تجد لها بعداً في التراث الشعبي. أهمّ مواصفات استخدام الرمز، هنا، هو حضوره الكثيف في الوجدان الشعبي، ومن ثمّ سهولة وصوله الى القارىء دون تعميق أو غموض أو زئبقية تتزجرج وتعصى على التأويل. في قصيدة حملت عنوان «الببغاء والأفيون» قال الشاعر:

الببغاء
طليقة بلا قفص
تنقر في الأفيون

وتشهر الجناح
كالسلاح
لكي تحارب البلاشفة
والعاصفة
الببغاء
في الليل والنهار
في غيبوبة اسطوانة تدور
منقارها يشيرْ
كما أراد ان يشير
السيد الكبير[٧].

وهـو ما نراه، أيضاً، في «اسطورة غيلان الثلج»، و«الموت في العام العاشر»، و«قبل أن يصيح الديك»، و«العندليب في البئر»، و«يافا في بطن الحوت»، و«ثلاثة ورابعهم كلبهم»، و«مصباح علاء الدين إلى صهباء»، و«البهلوان»، و«مقامة إلى بديع الزمان»، وغيرها الكثير، حيث ارتباط الرمز بمعانٍ ومفاهيم ذات دلالات لا في الماضي الغابر وحده، ولكن، أيضاً، في الواقع الراهن، وان اختلفت الاشكال باختلاف الأزمنة. في «مقامة الى بديع الزمان» بدا الامر كما لو أنه حدث في الماضي، وأطلق الشاعر خياله إلى ذلك الزمان الغابر حيث مجالس الملوك وحيث الصراع الأبدي بين الخير والشر، وان اختلف ممثلو كل منهما، الّا أن الطريق الذي يتصارعان عليه هو هو لم يتغيّر، والارادة التي تحرّك الاخيار هي هي لم تتغيّر. الشاعر كأنما أراد، هنا، القول أن الحداثة الشعرية ليست في استخدام رموز حديثة بقدر ما هي في كيفية استخدام الرموز، أي رموز، وتوظيفها في سياق شعري ناجح، يقدر أن يصل الى القارىء. وهذا الاسلوب الذي يجمع بين الفنّ والبساطة يجد مفرداته في اعتماد الشاعر على لغة تعيد تركيب الكلمات لتمنحها الصيغ البنائية الأكثر احتفاء بصفاء المعنى وعدم التباسه:

حدثني ورّاق في الكوفةِ،
عن خمّارٍ
في البصرةِ، عن قاضٍ في بغدانْ
عن سائس خيل السلطان
عن جاريةٍ، عن أحد الخصيان
عن قمر الدولة، حدثني قال[٨].

لقد اعتمد الشاعر، هنا، اسلوب القص؛ أخذ دور الراوية وظلّ قارىء الشعر مستمعاً. وهو فعل ذلك في معظم قصائده الاخرى. وبهذا فإنه كتب قصيدة هي أقرب الى المونولوج، حيث الصوت الفردي ينحدر باستمرار من طلاقة البوح. وبهذا تميّز معين بسيسو، في إطار الحركة الشعرية الفلسطينية المعاصرة، بأنه الاكثر حرصاً على خلق علاقة تفاعل مع جمهور القصيدة تقوم أول ما تقوم استناداً الى الرغبة في التوصيل والقدرة على تحقيق ارتباط لا ينفصم بين القارىء والقصيدة.

أنتج الشاعر عدداً كبيراً من المجموعات الشعرية التي ظل يجمع بينها، جميعاً، همّ البحث الذي لا يتوقف عن القارىء، الذي كان بالنسبة الى الشاعر الراحل ليس قارىء شعر فحسب، ولكن، أولاً وقبـل أي شيء آخـر، المـواطن وصـاحب القضيـة، في تراتبيـة المواطن ـ القارىء، قبل ان تكون

القارىء ـ المواطن. وبهذه التراتبية فإن الشاعر عرف، منذ البداية، مايريد ومن يريد. وهو بهذه المعرفة اختـار ملعبه وطريقة اللعب. وبالقدر الذي كانت فيه قصيدة معين بسيسو تختار قارئاً من أوسع صفـوف الناس، كانت تأخذ وبالضرورة، في أحيان كثيرة، لغة هي الأقرب الى التحريض. فالشاعر الراحل إنتمى، باستمرار، الى مدرسة شعرية تضع أهمية كبرى للدور الذي يمكن ان تلعبه القصيدة من أجل تحقيق أهداف سياسية ـ إجتماعية، ويمكن ان تسهم في بلورة وعي ورغبة عند القارىء في التغيـير والمشاركة مع الآخرين. أي ان هدف الالتزام الذي كان غاية الادب ابداعاً ونقداً في عقد الخمسينات وما بعده، كان بالنسبة الى معين بسيسو هدفاً أول يمكن ان تتبعه الاهداف الادبية وليس العكس، وهو لخّص هذا التوجه عندما قال في مقدمة أعماله الكاملة: «الملائكة الذين كتبوا قصيدة الكون في ستة أيام، واستراحوا بعد ذلك في اليوم السابع لم يقرأوا ولم يكتبوا، لن يغفروا لك أبداً، أنك واصلت الكتابة بعدهم... الى عشرين أو ثلاثين عاماً. لا لكي تكتب قصيدة الكون... بل لكي تكتب وجودك في النافذة، في القصيدة، في الشارع الذي يسمح لك أن تمشي فوق رصيفه».

إنه اختار أن يكون واحداً من أولئك السائرين على رصيف الشارع، طامحاً أن يكون صوتهم والمعبّر عن آلامهم وأحلامهم في الوقت عينه. واذا كنّا نشير الى هذا الارتباط الشديد بين قصيدة معين وجمهورها العريض، فإننا لا بد وأن نشير، كذلك، الى تطلّع معين الدائم نحو تجارب عالمية في الشعر التقـدمي عموماً، وفي قصائد المقاومة على وجه الخصوص. وهو في هذا أفاد من تربيته السياسية المبكرة، التي وضعته، منذ مطلع الشباب، في أتون المواجهة. وفي هذا الأتون كان عليه أن يصغي جيداً لهدير الناس في الشوارع؛ وفي خضمّ الهدير أن يتبيّن بوضوح أناشيد المقاومة. كان لديوان «إصرار» للشاعر المصري كمال عبدالحليم دور كبير في شحن صوت معين بنبرة قوة، خصوصاً وأن «اصرار» أحدث، فور صدوره، ضجة وأزمة حتى أن رئيس الوزراء المصري، صدقي باشا، دخل البرلمان وهو يصرخ ويلوّح بالديوان في يده، ليطلق بعدها حملة اعتقالات محمومة طاولت الكثيرين من التقدميين والديمقراطيين.

وفي مصر التي جاءها الشاعر الراحل طلباً للدراسة تعرّف معين بسيسو على الكتاب والشعراء والفنانين وعاش عالمهم من الداخل بفرحه وقسوته حتى أن الدارس لتجربة معين بسيسو لا بدّ وأن يتوقف طويلاً عند تجربته المصرية التي سيلحظها حاضرة بكثافة، خصوصاً في مجموعاته الشعرية الاولى، وبالذات منها ديوان «المعركة». عن هذا الديوان كتب معين: «ديوان الشعر الاول كان إسمه المعركة. نشرته دار الفكر الحديث في القاهرة وكانت صوت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني... ودفع العمّال والفلاحون المصريون فاتورة المطبعة. صدر ديوان المعركة في ٢٧ [كانون الثاني] يناير ١٩٥٢، في اليوم الثاني لحريق القاهرة. كان في مطبعة لا أزال أذكر إسمها ـ مطبعة أورفند ـ ولقد دافع العمّال المصريون عن مطبعتهم، ولم يحترق ديوان الشعر. وتمّ تهريب ديوان ' المعركة ' إلى مكتب شاعر مصري في جريدة ' الاهرام ' إسمه كامل الشناوي وإلى بيت مصور مصري إسمه حسن التلمساني الذي قام برسم غلاف الديوان». ديوان المعركة، وقصائد أخرى احتوتها دواوين معين بسيسو اللاحقة وضعته إلى حدّ كبير، في سياق التجربة الادبية والثقافية المصرية، التي أصبح جزءاً فاعلاً فيها، خصوصاً وأن الشاعر في قصائده المصرية قد عبّر، مثله في ذلك مثل زملائه من الشعراء المصريين، عن مشاكل وقضايا عاشها المجتمع المصري في تلك الايام، وأشاد بنضال أبناء مصر التقدّمي ضد المستعمر البريطاني والنظام الملكي:

أنا إنْ سقطت فخذ مكاني يا رفيقي في الكفاحْ

واحمل سلاحي لا يخفك دمي يسيل من السلاحْ
وانظر إلى شفتيّ أطبقتا على هوج الرياحْ
وانظر إلى عينيّ أغمضتا على نور الصباحْ
أنا لم أمت، أنا لم أزل أدعوك من خلف الجراحْ
فاحمل سلاحك يا رفيقي واتجه نحو القنالْ
واقرع طبولك يستجب لك كل شعبك للقتالْ
وارعد بصوتك يا عبيد الارض هبّوا للنضالْ
يا أيها الموتى أفيقوا إن عهد الموت زالْ[٩].

هذه المرحلة من حياة الشاعر، وإن يكن لم يبتعد فيها عن القضايا الوطنية في شعره، الاّ أنه ظل أقرب الى التعبير عن القضايا الاجتماعية، وبشكل أدقّ قصائد تمزج بين الهمّين، الوطني والاجتماعي.

الشاعر، والاسلوب

يمكن القول، ان الفترة التي عاشها معين بسيسو هي فترة الكفاح ضد المستعمر في الاقطار العربية كافة، وضد الطغاة المحليين من الحكام، في ظل أنظمة حكم تمتاز بالتسلّط والقمع وغياب أية ملامح ديمقراطية. وربما من هنا أمكن للشاعر أن يلجأ الى الواقعية في التعبير، الاّ أنه مع ذلك اختار اسلوباً يمزج واقعيته بلمسات سوريالية حيناً، من خلال استخدام صور ومفردات بطريقة خاصة عرف بها الشاعر:

نهر خواتم
نهر أصابع
وبحيرة أحجار
وعيونٌ قد غرست فيها عيدان ثقابْ
والقمر المقطوع النهدين يدور
كلٌ يمضغ خاتمه، يمضغُ إصبعه ويسير
والشاعر يبحث عن سرج لجواده
ويفتش عن عصفور تحت الانقاض[١٠].

تقابل الصور وتناقضها منح الشاعر، في أغلب الاحيان، قدرة على ان يرسم من خلال هذه الصور المتتابعة لوحة بانورامية يسهل للقارىء من خلالها ملاحظة تناقضات الواقع وعبثيته، واكتشاف اخطائه ونقاط ضعفه. وقد كان لحدّة الصور الشعرية وقسوتها أحياناً كثيرة قدرة على نقل القارىء الى زوايا الرؤيا ومواقع الاكتشاف، حيث الشاعر يرى، وحيث رؤياه تذهب أبعد من اللحظة الراهنة، تحاول ان تسبر، أن تنصت إلى صوت المستقبل واهناً يطلع من صمت الدقائق ومن حضور الخوف الاسود وأشباح القتلة وأعداء الحرية:

يصعدون الدرج الآن، تركت الباب مفتوحاً لهم
دودة القزّ أنا
وأنا خيط الحريرْ

جسدي في ثقب إبره
يصعدون الدرج الآن، تركت الباب مفتوحاً لكم
إن آلاف الخيوط الآن، آلاف الابر
تصنع الآن قميصاً للشجر
ما الذي تنتظرين؟[١١].

بمعنى ان معين بسيسو ظل في تجربته الشعرية كلها مشدوداً الى هدف لم يتنازل عنه، هو هدف تبليغ رسالة الى قارىء قصائده؛ وهو ربما بحكم تجربة حياته، وبحكم انتمائه الايديولوجي كان أكثر انحيازاً الى المضمون الذي أراده، باستمرار، دعوة متجددة الى الثورة، الى النضال من أجل وطنه المفقود، ومن أجل مستقبل عربي أكثر مدعاة الى التفاؤل والابتسام. نلاحظ هنا ان الشاعر، في مجموعاته كلها، لم ينجز قصيدة غزلية واحدة، وإن كان لم يغفل المرأة أبداً في ثنايا قصائده، بل كانت المرأة، في هذه القصائد، غالباً ما تأتي معادلاً لظلم الواقع، أشبه بواحة ظليلة في صحراء تعج بالاشواك.

المسرح

يمكن القول، ان نتاج معين بسيسو المسرحي هو النتاج الاهمّ على الصعيد الفلسطيني؛ إذ حمل صفتين هامتين: الجودة والمتابعة. وفي مقابل نصوص مسرحية متفرقة كتبها فلسطينيون، قدّم بسيسو ست مسرحيات على مساحة سنوات السبعينات، عرضت أكثر من مرة وبمعالجات اخراجية متنوعة، وفاز بعضها بجوائز هامة في مهرجانات مسرحية عربية مرموقة.

المسرحيات الست التي خلفها معين بسيسو كانت على التوالي: «مأساة غيفارا»، و«ثورة الزنج»، و«شمشون ودليلة» و«الصخرة»، و«العصافير تبني أعشاشها بين الأصابع»، و«محاكمة كتاب كليلة ودمنة». أمّا أكثر هذه المسرحيات شهرة وانتشاراً في الاوساط المسرحية والثقافية العربية فهي «ثورة الزنج» التي قدّمت على المسرح، لأول مرة، في شباط (فبراير) ١٩٧٠، بإخراج للفنان المصري المعروف نبيل الالفي، فيما عاد المخرج العراقي جواد الأسدي، في عقد الثمانينات، فأخرجها لفرقة «المسرح الوطني الفلسطيني» برؤية إخراجية جديدة.

في الحديث عن مسرح معين بسيسو، يمكن ملاحظة خطوط رئيسة صاغت البناء الفكري والفني لهذه المسرحيات. هذه الخطوط هي: المضمون السياسي، والعودة الى التاريخ، واللغة الشعرية.

المضمون السياسي، دعوة الى الثورة

من الواضح ان توجه الشاعر الراحل نحو المسرح جاء انطلاقاً من رغبة عارمة في قول ما رأى ان الشعر والمقالة لم يكونا كافيين لاستيعابه. وباعتبار المسرح فضاءً مفتوحاً للحوار مع الجمهور وتقديم رؤى سياسية مباشرة اليه، خصوصاً ان معين بسيسو حرص على كتابة نصوص مسرحية قابلة للتحقيق على المسرح، وليس للقراءة فقط، في تأكيد أهمية الوصول الى المواجهة الحرة مع جمهور المسرح وهو ما يمكن تلمسه في تصدي الشاعر لقضايا سياسية مباشرة، سواء جاءت من خلال قضية فلسطين («ثورة الزنج» و«شمشون ودليلة» و«العصافير تبني أعشاشها بين الاصابع»)، أو من خلال طرح مفاهيم الكفاح ضد الظلم والاستعمار على الصعيد العالمي («مأساة غيفارا»)، أو كذلك من خلال التصدي لظلم الحاكمين وغياب الديمقراطية وحرية التعبير («محاكمة كتاب كليلة ودمنة»)،

ففي هذه وتلك ثمة خيط رئيس ينتظم بناء الشخصيات واختيار الاحداث، بغض النظر عن الزمن الذي اختاره الشاعر لوقوع هذه الاحداث.

وإزاء مسرح سياسي من هذا النوع، اختار بسيسو بناء مسرحياً يعتمد على اللوحات، مبتعداً، في ذلك، عن البناء الكلاسيكي، ليوفّر ما استطاع أية تعقيدات فنية ممكنة، وليمنح مسرحه، تبعاً لذلك، مرونة أكبر، وامكانية التحقق على أية خشبة، وضمن ظروف فنية بالغة التقشف، دون ان يترك ذلك كله أثراً على فنية المسرحية. وفي هذا السياق، كذلك، يمكن ملاحظة ان الشاعر عمد، في كل مسرحياته، الى استلهام موضوعات تراثية، من التاريخ العربي والانساني، بشرط صلاحية هذه الموضوعات لمحاورة راهن يواجهه الشاعر ويتمكّن من خلال هذا الحوار من تقديم رؤيا سياسية ـ فنية، تعيد إطلاق الدعوة الى قضية الشاعر الكبرى: الثورة، التي تنتقل عبر العصور، حاملة وجع الأجيال الماضية، ووجع الاجيال الراهنة، في مقارنة تأخذ، عند معين، خيط اتصال لا يتوقف، بل يتّحد، حتى يتبادل فيه الماضي والراهن دوريهما:

القتلة...
المعتمد بأمر الله قتلني مرة...
وقتلت على أيدي ورّاقيه في القرن الثالث مرة...
ها هم قد وضعوا السكين على عنقي،
في القرن العشرين
لكني لن أقتل بعد الآن
لن يغسل وجهي، لن يصبغ ويعلق،
في حبل غسيل بعد الآن...
الدم والخبز وعنقي والسيفْ
بيني أنا عبدالله
وبينكمو يا قتلة(١٢).

إن استعارة الزمن، ثم استعارة الأبطال التاريخيين، تبدوان في «ثورة الزنج» مثلاً، تحريكاً لوقائع حدثت وأوغلت في مرايا الماضي، ولم تعد غير ذكرى في بطون الكتب. والشاعر ـ المسرحي، هنا، أعاد ترتيب تفاصيلها لا كما يرويها المؤرخ الرسمي، ولكن كما تقتضي أمانة خط الثورة واستمراره؛ ذلك الخط الذي لحظه الشاعر متنقلاً بين الأزمنة والعصور حاملاً الى العالم الحاضر نشيد الألم المستمر والمتجدد لضحايا ثورات التاريخ، أولئك الذين قتلهم أعداؤهم مرّة وقتلهم المؤرخون الظالمون في بطون الكتب مرات.

ان المسرح، هنا، ورشة عمل متكاملة ـ تجنّد فيها طاقات الشاعر الفنية لبناء مشاهد تأخذ من المسرح الحديث أهمّ منجزاته ـ وهو كذلك دراسة معمّقة، تستهدف إنتخاب الابطال «المجهولين»، حيث في التاريخ تشتعل المطاردة الخالدة بين الحكام والمحكومين، بين الثورة والقتلة، بين الخير والشر:

أنا أعرف كم هو أملس وكبطن الأفعى
جلد الخوف
أعرف وجه النخاس ووجه المعتمد بأمر الله

ووجه الخوف
أعرف خوف الجارية الطفلة إذ تدخل في باب السلطان،
لحجرته أول مرة...
سرّتها تتوهج كالجمرة...
عيناها تنسكبان كحقي كافور فوق السجادة...
قدماها تسترقان السمع من الهول...
ثم يمدّ يديه...
ثم تمدّ يديها...
ثمّ يسيل الصمغ الأسود،
يتجمّد فوق الفخذين(١٣).

يستفيد معين في استخدامه لعبة الزمن بين التراث والمعاصرة من فنون المسرح الحديثة، وخصوصاً «التغريب»، ولكن أيضاً على طريقته الخاصة. فنراه في «ثورة الزنج»، و«شمشون ودليلة»، وإلى حدٍ ما في «محاكمة كتاب إبن المقفع»، يحيل المشاهد الى بانوراما الظلم كما تنداح صورها من بطون الكتب وفهارس العتمة التي ختم عليها الخلفاء والمماليك وحكام العصر الظالمون بالغياب والنسيان فرقدت في بطون الكتب مجرّد حكايا نائمة، بعد أن قصّوا جذور ارتباطها السابق واللاحق بالحياة، وجعلوها تغادر لحظة الاستمرار الخالدة.

ان التغريب، هنا، ليس مجرد لعبة بين الزمانين، وان يكن الشاعر اعتمد فنياً هذه اللعبة، ولكنه وهذا هو المهم، إعادة الزمن الى خط اتصاله الصحيح بنفسه أولاً وبالاحداث الكبرى والصغرى المرتبطة به ثانياً. وهو الاتصال الذي ظلّ الشاعر يوقد له نيران الحياة حتى تدبّ فيه الروح، وحتى ينهض من كبوة القمع التاريخي الذي لم يتوقف ولم يهدأ طيلة الازمان:

قصيدتك... بئرك... تأليفك... لا أدري
لكن الكومبارس تمرّد
بدّل ثوبه...
هرب بسيفه...
هرب ومعه كل الكومبارس...
لم يبق هنالك كومبارس واحد...
أنظر...
لا عبد فوق الأرض...
كلهم هربوا...
هربوا...(١٤).

وكما تقتضي «المشاهد» كاسلوب أثير لدى معين، نراه اعتمد في بناء هذه المشاهد، في أعماله المسرحية، ديكورات بسيطة، يسهل تغييرها واستبدالها بسرعة، وهو ما منح هذا المسرح قيمة وصفة «المسرح الشعبي»، إذا جاز الوصف، حيث الديكور المتقشف والعدد المحدود من الممثلين، وحيث يمكن اقامة هذا المسرح في أية صالة، وهو ما تقصد الشاعر أن يؤكده المرة تلو المرة، حتى أن مسرحيته المعروفة «العصافير تبني أعشاشها بين الاصابع»، والتي حازت على

الجائزة الاولى في مهرجان للمسرح العربي في المغرب، في العام ١٩٧٣، نهضت على ثلاث شخصيات فقط وديكور لم يتعد كرسياً نقّالاً من تلك التي يستخدمها المقعدون ـ الامر الذي لفت انتباه النقاد العرب والأجانب، فكتبوا بكثير من الاعجاب عن ذلك العرض الذي صاغه للمسرحية المخرج الفلسطيني خليل طافش.

وإزاء هذه المواصفات المتقشفة لمسرح معين، فإن الشاعر تقصد أن يقدم في حواراته الشعرية المكثّفة، والحادّة في الوقت عينه، تعويضاً فكرياً يشدّ انتباه المتفرج، ويمنحه شغف المتابعة. ان كثيراً من حوارات الشاعر في مسرحياته ـ وهي كلها مسرحيات شعرية ـ أتى بمثابة قصائد جارحة في نقد الواقع وبفنية عالية لا تسقط في الاطالة أو الرتابة ولا تفقد العمل صفة المسرح، كما حدث، ويحدث، في أعمال مسرحية كتبها كثير من الشعراء. فالحوار عند معين غالباً ما أتى قصيراً مكثّفاً، ويندر أن نعثر في حوارات شخوصه على مطولات ينسى فيها المؤلف نفسه ككاتب مسرحي ويتحول الى شاعر. وفي هذا، فإن بعض الحوارات الطويلة نسبياً جاءت، باستمرار، منسجمة مع البناء الدرامي للحدث، وأسهمت في تطويره وتصعيده، ولم تأت، أبداً، على حسابه.

في مسرحية «شمشون ودليلة»، التي يشير اسمها الى الحكاية المعروفة، تعمّد الشاعر أن يعيد ترتيب الشخوص، وحجم الادوار، وأسماء الابطال. وفي مقابل الحكاية المعروفة التي منحت شمشون دور البطولة التي انتهت بتحطيم المعبد، مطلقاً صيحته الشهيرة «عليّ وعلى أعدائي»، فإن الشاعر كتب حكاية مسرحية جديدة من وحي هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧، وما أعقبها من تفجّر المقاومة المسلّحة في وجه المحتلين، وهي المقاومة التي لا تدع لشمشون فرصة التقاط الانفاس والتمتع بفاكهة انتصاره المسموم. «شمشون» في مسرحية معين لا يكاد يظهر إلّا في اللوحة الثانية من الجزء الثاني من النص. إنه يتوارى في جزء المسرحية الاول. وهو حين يحضر يعلن عن حضوره من خلال مكبّر صوت يدعو سكان العربة ـ رمز العرب ـ الى الاستسلام وعدم المقاومة. ولعلّ الشاعر قصد بذلك الترميز للاحتلال الذي لم تجر بينه وبين الجماهير العربية أية مواجهة مباشرة في العام ١٩٦٧. وهو إذ أعلن عن وجوده من خلال مكبّر صوت، إنما فعل ذلك كرمز متعاكس مع الاذاعات العربية التي كانت تذيع أناشيد الانتصار والأغاني الحماسية اللاهبة. فالشاعر إذ استعار شخوصه من التاريخ أو من حكايات شهيرة، أعاد تكوين هذه الشخوص ملمحاً وفكراً، وكأنه لا يريد أن تأتي استعارته حرفية ـ تقليدية، بل يريدها متفاعلة خاضعة لمنطق الحياة، حيث البشر يقبلون التطور والنمو، كما يقبلون التراجع. انها شخصيات افتراضية، أكثر منها استحضارات مباشرة. ونعتقد بأن منبع هذه الرغبة، يكمن في انتقال هذه الشخوص من ماضٍ سحيق وبمواصفات حضارية وفكرية معيّنة، إلى راهن حديث يفترض مواصفات حضارية أخرى، وحيث بين الزمانين تتحرّك ملامح التغيير.

هذه «اللعبة» التقنية نجدها بوضوح شديد في «شمشون ودليلة»، حيث عمد الشاعر ان يضع شمشون ودليلة (شخصيتين من الحكاية القديمة) في مواجهة شخوص من العصر الراهن (ريم، عاصم، الأب، الأم). أي أنه تقصّد ان يضع شمشون اليهودي، الطالع فكراً وعقلاً من ظلام العصور القديمة، في مواجهة أبطال ينتمون الى الحياة بكل تطوّرها وحركتها الدائبة. وفي ذلك إشارة واضحة الى الصراع الذي احتدم، ولا يزال، في فلسطين بين منطقين متضاربين: منطق الحلم التوراتي والمشاريع اللاهوتية التي لا تسندها حجة ولا تتماشى مع منطق العصر، وبين جموع الشعب الفلسطيني بوعيها الوطني الطالع من زماننا الحاضر، زمان تحرر الشعوب، وتقرير مصيرها بحرية.

أمّا «محاكمة كتاب كليلة ودمنة»، وهي مسرحية قصيرة من مشهد واحد، فإن حكايتها تلخص الصراع الضاري في المنطقة العربية بين الكاتب الحر المدافع عن فكره وبين السلطة الظالمة التي تصر على تكميم الأفواه وقمع الرأي المخالف. وكما في الكتاب، حيث تجري الحكايات على ألسنة الحيوانات، نرى شهود المحاكمة من الحيوانات أيضاً، ولكن بعد ان يجعل المؤلف من ابن المقفع (مؤلف الحكايات) بطلاً رئيساً في المسرحية، فنراه والجند يقتادونه مغلولاً الى المحاكمة بتهمة الزندقة والخروج على طاعة السلطان، وهو ما حدث في الواقع لابن المقفع. أي ان معين أعاد تركيب الحكاية من مصدرين: الكتاب («كليلة ودمنة») وحياة المؤلف ابن المقفع. وهو، هنا، جعل ابن المقفع بطلاً من أبطال حكاياته؛ وهذا، الى حدّ ما، شبيه بما فعله المسرحي الغربي بكتاب سرفانتس دون كيشوت، حيث نرى سرفانتس نفسه، وقد أصبح أحد أبطال المسرحية، وجزءاً من صراع وحوار مع أبطاله الذين صنعهم خياله وقلمه:

أول ما أتهم به المتهم هو الرمز
لو كان أميناً،
كتب كتاباً يفهمه القاصي والداني
لكن كليلة يا مولاي ودمنة
الراوي فيه الطائر والحيوان
والسامع فيه الانسان
وكأنّا في عصر لا يقوى الواحد منا،
ان يتكلم فيه بغير الرمز
ولهذا شاع على ألسنة السوقة والغوغاء
أصبح يقرأه الخباز ويرويه الاسكافي
ويفسّره الحطاب
الفتنة يا مولاي حذار من الفتنة
حين السوقي يخاطب يا مولاي
أخاه بالرمز
فالفتنة يا مولاي حذار من الفتنة
ولهذا اتهم المتهم الماثل
بالاثمين...
خان القاموس...
وخان الناموس...(١٥).

ستظل أعمال معين بسيسو المسرحية قابلة للتحقيق على الخشبة، حتى لو احتاج بعضها الى تصرّف المخرجين. وسيظل، علينا، تأكيد الدور الريادي الذي لعبه الشاعر الراحل من أجل تأسيس حركة مسرحية فلسطينية من خلال الكتابة، حيث النص المسرحي المحلي هو الأساس في عملية خلق مسرح وطني فلسطيني، يحمل ملامحه الخاصة، ويقول كلمته الخاصة، ويسهم، إلى جانب أشكال الأدب والفن الأخرى، في صراعنا من أجل الخلاص والاستقلال.

معين بسيسو نجم هوى ظلت أناشيده تتردد في سمائنا تشير إلى طريق الحرية، وإلى تميّز الشاعر.

---

(١) معين بسيسو، **الأعمال الشعرية الكاملة**، بيروت: دار العودة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧، ص ١٠.

(٢) **المصدر نفسه**، ص ٣٥.

(٣) **المصدر نفسه**، ص ٧٧.

(٤) **المصدر نفسه**، ص ٥٦.

(٥) **المصدر نفسه**، ص ٧٢.

(٦) **المصدر نفسه**، ص ١٠٥.

(٧) **المصدر نفسه**، ص ١٢٧.

(٨) **المصدر نفسه**، ص ٢٩١.

(٩) **المصدر نفسه**، ص ٥١.

(١٠) **المصدر نفسه**، ص ٣٨٠.

(١١) **المصدر نفسه**، ص ٦١٥.

(١٢) معين بسيسو، **الاعمال المسرحية**، بيروت: دار العودة، الطبعة الاولى، ١٩٧٩، ص ١٢٦.

(١٣) **المصدر نفسه**، ص ١٤٨.

(١٤) **المصدر نفسه**، ص ١٥٨.

(١٥) **المصدر نفسه**، ص ٤١٧.

أماكن المنفى في الرواية الكنفانية

علاقاتها وتحولاتها الدلالية

عبد الرحمن بسيسو

تتداخل النصوص الروائية لغسان كنفاني لتشكّل، عبر تضافر شفراتها وتشابك علاقاتها وتفاعلها المفتوح، سياقها الخاص، في إطار السياق العام للرواية الفلسطينية، الذاهبة نحو تأسيس مسارها داخل السياق العام للرواية العربية، والعالمية أيضاً. وتتأكد جدارة هذا الافتراض حين نتعامل، مباشرة، مع النصوص الروائية الناجزة لغسان كنفاني؛ الاربع الروايات المعروفة[1] والتي كان غسان قد أتمّها ونشرها قبل استشهاده، فلقد جاءت كل واحدة من هذه الروايات وهي تحمل سؤالها، وتترك الاجابة عنه مفتوحة، لنعثر عليها، أو على اتجاه البحث عنها، في الرواية التالية، فأبطال الرواية الاولى «رجال في الشمس» المقتلعون لتوهم من الوطن، والمقذوف بهم الى شراسة المنفى، والمدفوعون، قسراً وعنتاً، الى الانخراط فيه، يتساءلون عن علّة وجودهم في هذا الكون، ويبحثون تحت ضغط الضرورات الاجتماعية والطبيعية والاقتصادية والسياسية... الخ، عن حلول فردية لمآسيهم التي نظروا اليها على نحو فردي، فيذهب بحثهم نحو الاتجاه الذي تفرضه طبيعة هذه النظرة الفردية؛ اتجاه الانخراط في المنفى، والبحث عن منفى آخر في المنفى، اتجاه يسير في الاتجاه المعاكس للوطن، وهو مسكون بوعي عاجز عن وعي عقابيل الاذعان لسطوة القوى المروجة لفكرة وجود علّة للوجود، ولبناء المستقبل الفردي أو الجماعي، خارج الوطن، وخارج الانخراط في حركة جماعية تعمل، بدأب، من اجل استعادته وبناء مستقبله ومستقبل الانسان فيه. واذ تنتهي «رجال في الشمس» بموت رجالها الثلاثة داخل «خزان» وهم يحاولون اجتياز «الحدود» البعيدة عن «حدود» الوطن، نهاية فعلية، منطقية، لرواية درامية ولمسار الاحداث فيها، فإنها، أي الرواية، تعود لتحفر مساراً جديداً ينطلق من نهايتها، من الموت لتلقى ـ عبر مفصلها الاخير: القبر ـ بالجثث الثلاث في «مزبلة» في عراء الصحراء ومحرقة الشمس، ولتغرس سؤالها في صحراء الذات الفلسطينية الهاربة، وفي الكون: «لماذا لم تدقوا جدران الخزان؛ لماذا لم تقرعوا جدران الخزان؟ لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟»[2]. وهو السؤال ـ الفكرة التي تنزلق من رأس أبي الخيزران ـ سائق الشاحنة. لتتدحرج على لسانه، ولتبدأ «الصحراء كلها تردد الصدى»[3].

ينسل سؤال النهاية الثانية للرواية الاولى: «رجال في الشمس» ليحفر لنفسه مساراً في الرواية الثانية: «ما تبقى لكم»، بحيث يتطور الآخر من مجرد السؤال عن علّة الوجود، وعن مسارب البحث عن مستقبل في المنفى، وعن الموت الذي نجم عن العجز عن دق جدران الخزان ـ القبر، الى السؤال عن الهوية: مَنْ أنا؛ وهو سؤال مسكون بالاسئلة السابقة، بالقدر نفسه الذي ينفتح فيه على

أسئلة أخرى، تنبثق عنه، كإجابات تجيء على هيئة أسئلة تقذفها الشخصيات الروائية من مواقعها المتعارضة، ومن منظورات متباينة، لتخلق توتراً درامياً متصاعداً يشق مجراه في كلا موقعي الحدث: الصحراء والبيت، وليصل الى نهايته الحتمية التي تحقق بداية تشي بالمسار الذي ينبغي لسؤال البحث عن الهوية أن يخترقه، وهو المسار باتجاه الوطن الذي منه تنبع قدرة الذات على الاختراق والتجاوز، فإذا كان أبطال رواية «رجال في الشمس» يحاولون اختراق «باب جبار لقدر جديد مجهول»[٤]، في الوقت الذي عجزوا عن أن يدقّوا جدران الخزان ـ لأنهم يجرون ضد المسار الصحيح ـ فإن كلاً من «حامد» و«مريم» في «ما تبقى لكم» يخترقان بوابات القدر: الاول «بمزيج من المشاعر التي تملأ قبضتي مغامر شجاع وهما تدقان بوابة «مجهولة»[٥] والثانية «بكل ما في ـ ها ـ من قوة»[٦]، لأنهما يخطوان في المسار الذاهب باتجاه الوطن، والمتداخل معه، وفيه. غير ان هذا المسار الذي ينتهي بقتل حامد للجندي الاسرائيلي الذي يصادفه في صحراء النقب، وبقتل مريم لزكريا «النتن» الذي يطالبها بالتخلص من الجنين الذي حملت به، منه، سفاحاً، ليس غير بداية لتلمس الاجابة عن سؤال الهوية، والاسئلة التي تسكنه، لأن أياً من الفعلين، على الرغم من أنه يهدف في اتجاهات متقاطعة، الى اختراق حائط الضرورات، والى تجاوز الماضي المكبّل، والى الاعتماد على الذات في مواجهة ضراوة العالم، يظلّ، فعلاً فردياً، منطوياً في ذاته على شيء من الاحساس الفردي بالعجز المهيض، وعلى غياب الاستمرارية، وهو ما يترك سؤال الرواية مفتوحاً على امكانيات تطوير الاجابة عنه في سياق البحث عن هوية الذات؛ عن علّة وجودها، عن دورها في العالم، وعن الطريق الذي ينبغي ان يسلكه الفلسطيني في بحثه عن هويته، ومستقبل وجوده.

وتجي رواية «عائد الى حيفا» مواكبة، مثل غيرها من روايات كنفاني، المسار الواقعي للقضية الفلسطينية، ولأسئلة الفلسطيني، في المنفى، عبر وعيه الممكن الذي يستشرفه غسان كنفاني، ويكثّفه، ويفجّره أسئلة تبحث عن أجاباتها التي تفجّر بدورها أسئلة أخرى في رواياته؛ ولقد جاء التوحد الواقعي لفلسطين، حيث أكملت اسرائيل احتلالها، في العام ١٩٦٧، ليدفع غسان كنفاني الى طرح سؤال رواياته المكثّف: سؤال الهوية والطريق، من منظور علاقة الذات الفلسطينية بماضيها في الوطن، ماضيها الذي يسكنها، والذي ترى اليه بوصفه ماضياً قابلاً للاستعادة ليكون مستقبلاً، أو نقطة انطلاق لتواصل العلاقة مع الوطن، بمعزل عن الانقطاع الناجم عن الاحتلال، والاقتلاع، وذلك عبر نوع من الدفاع السيكولوجي، اللاواعي، الذي يحاول تغيّب هذا الواقع المرّ عن الوعي، أو عبر محاولة واعية لدفنه في أعمق أغوار الوعي الباطن، وكبت امكانية انفجاره. وإذ تطرح «عائد الى حيفا» سؤالها، فإنها تنتهي الى ترسّخ القناعة لدى بطلها «سعيد س» البرجوازي الصغير، بأنه وزوجته المسكونة، مثله، بثقل ذاكرة الماضي، قد أخطاءا حين اعتبرا «أن الوطن هو الماضي فقط»[٧]، ذلك لأن «فلسطين الحقيقية. فلسطين التي هي أكثر من ذاكرة، أكثر من ريشة طاووس، أكثر من ولد...»[٨] وأكثر من «مجرد تفتيش عن شيء تحت غبار الذاكرة»[٩]، لا يقود الاّ الى العثور على غبار جديد، هي فلسطين ـ الوطن، الذي يعرفه خالد، ويرى اليه، «فالوطن عنده هو المستقبل»[١٠] مثلما هو كذلك عند عشرات الالوف من أمثاله الذين «لا تستوقفهم الدموع المفلولة لرجال يبحثون في أغوار هزائمهم عن حطام الدروع وتفل الزهور»[١١]. إن خالداً وأمثاله «يصححون أخطاءنا، وأخطاء العالم كله[١٢]، كما يقول «سعيد س». وإذا كان هذا الاخير قد وقف حائلاً دون تحقيق رغبة ابنه «خالد» في الانخراط في حركة الكفاح المسلح، في بداية الرواية، فإنه، في إثر المواجهة الحامية بينه وبين ابنه «خلدون»[١٣] يكتشف عمق الوهم الذي خلّفه وعاش له وفيه، ويكتشف الخطأ الفادح الذي ارتكبه حين وقف حائلاً

دون انخراط ابنه «خالد» في حركة الكفاح المسلح من أجل استعادة فلسطين، لأنه بات على قناعة راسخة بأن استعادة البيت ـ الوطن «شيء تحتاج تسويته الى حرب»(١٤).

وهنا تتجاوب إجابات «عائد الى حيفا» مع إجابات «ما تبقى لكم» حيث يلتقي وعي البرجوازي الصغير مع وعي ابن المخيم في صوغ الاجابة، وتطويرها، وتوسيع حيّز حضورها في الذات الفلسطينية، التي تبدو وكأنما تصوغ ذاتها في الوقت الذي تصوغ فيه اجاباتها عن أسئلة الصحراء والموت: أسئلة منفاها وموتها في المنافي، أسئلة ماضيها الذي تحاول استعادته وترى فيه مستقبلها، أسئلة الوطن الذي اكتملت سرقته وبدا منكراً لأبنائه الذين اعتقدوا انهم عادوا الى ماضيهم فيه، واليه، باكتمال سرقته، وتوحّده تحت الاحتلال ـ كما نرى في عائد الى حيفا ـ وحين تجيب «عائد الى حيفا» عن كل هذه الاسئلة، وتكتشف وهم الاعتقاد بامكان مواصلة العلاقة مع الوطن في ظل الاحتلال، فإنها، بذلك، وبتجاوبها مع «ما تبقى لكم» تشير الى مغزى تجاوز الاطار الفردي، وتؤكد ان إعادة صوغ الذات الفلسطينية، وترسيخ هويتها، وحضورها في الحياة، يكون جماعياً أو لا يكون، وأن الطريق الوحيد الممكن لانجاز ذلك، هو النضال، وفي مقدم وسائله الكفاح المسلح، وهو الامر الذي تقوله الرواية الرابعة «أم سعد» على نحو شديد الجلاء والوضوح، وعلى نحو عميق التواشج في المنظور الرؤيوي بين أم سعد: «صوت تلك الطبقة الفلسطينية التي دفعت غالياً ثمن الهزيمة»(١٥) والراوي؛ المثقف الثوري، البرجوازي الصغير، الذي يعرف أم سعد، ويتعلم منها، لأنها «ليست امرأة واحدة»(١٦)، بل هي صوت تلك الطبقة «المسحوقة والفقيرة والمرمية في مخيمات البؤس»(١٧)؛ التي هي «المعلم الحقيقي الدائم، والذي في صفاء رؤياه تكون الثورة جزءاً لا ينفصم عن الخبز والماء وأكفّ الكدح ونبض القلب»(١٨).

ان عثور الاسئلة التي وضعت «رجال في الشمس» بداياتها، وغرست نواتها في تربة الابداع الروائي لغسان كنفاني، على اجاباتها في رواياته المتتالية زمنياً في خلال عقد الستينات، وفي حدود ست سنوات وحسب، لأمر ذو دلالة، على غير مستوى. فمن جهة، ثمة تكثيف واستشراف للواقع ولأقصى درجات الوعي الممكن لدى الطبقات الاجتماعية الفلسطينية التي تجد حضورها في روايات كنفاني، ومن جهة ثانية، ثمة تحويل عميق، فني، لزخم الواقع الفلسطيني في مرحلة التحولات المتسارعة في خلال عقد الستينات وهي المرحلة التي تتجاوب، في الواقع، مع تحولات عربية شديدة التسارع، ومن جهة ثالثة، ثمة تحويل فني لمغزى هذا التسارع في روايات كنفاني، وبخاصة «ما تبقى لكم» التي تشهد تحولات درامية لمفهوم الزمان، وتقيم تقابلاً حاداً بين الزمن الطبيعي والزمن الانساني، وترى أن الزمن يفقد ثقله وجموده، وثباته الباهظ، حين يكون مجالاً حيوياً لتحولات متسارعة، لا تكف عن اجتراح تحولات جديدة، يخلقها ويبدعها الانسان. ومن جهة رابعة، ثمة تحويل فني للمقولات الايديولوجية البارزة، والكامنة أيضاً، يعمّق صلة الرواية بالواقع، ويحفر للرواية الكنفانية، بوصفها قولاً لغوياً، أو ملفوظاً حكائياً، سياقها الفني الخاص، في إطار السياق العام للرواية الفلسطينية، ويحدّد لهذا السياق الخاص موقعه المتميز على المستوى الايديولوجي. وذلك باعتبار ان الفن «مجال خاص من مجالات الايديولوجيا»(١٩)، لأنه «تفكير عياني في تصورات تعميمية يجري انشاؤها بواسطة المفاهيم، وهو يعيد خلق الحياة في صور»(٢٠)، ويفسّرها، ويصدر حكمه عليها.

واستناداً لما سبق، قد يصدق على الرواية الكنفانية أنْ تسمى بـ «رواية التحول الفلسطيني في الستينات»، رواية سؤال الهوية والطريق، والبدء في صوغ الهوية في مجرى النضال، مثلما يصدق أن نرى الى غسان كنفاني بوصفه واحداً من صاغة الهوية الفلسطينية التي أخذت تتلمّس نفسها

في سديم المنافي، وفي عتمة الاحتلال، في اغتراب عن المكان ـ الوطن، وفي اغتراب مضاعف داخل المكان ـ الوطن، المحكوم بالاحتلال[٢١]. وإذا كانت درامية الحياة في كلا المكانين: الوطن المحكوم بالاحتلال، والمنـافي، قد فرضت أسئلة شديدة الدرامية، كسؤال التعرف على هوية الذات الفردية والجماعية، وسؤال علّة الوجود، ومغزى الحياة في عالم يمضي مسرعاً بينما الفلسطيني يقف في عرائه أمام قدر غامض، فإنّ الاجابة الفلسطينية الفردوية عن هذه الاسئلة، بتطورها وتفجيرها لأسئلة جديدة، أعطت تنويعاً دراميّاً ونموّاً جعل من وقوف الفلسطيني في ظاهر الحياة والواقع، حركة شديدة التوتر، في باطن الحياة، وفي أعمق أغوار الذات، وهو الامر الذي نجده جلياً في الروايات الثلاث الاولى، التي بدأت من البحث عن الذات وعن حضورها في العالم، خارج الذات وخارج الوطن، فانتهى بحثها الى موت مهين «رجال في الشمس» ثم غيرت اتجاهها فراحت تبحث عن الذات، وعن حضورها في العالم، داخل الذات، وداخل الوطن، جاعلة من الذات مجالاً حيوياً للسؤال والبحث عن اجابته؛ موضوعاً للتأمل والاكتشاف والكشف، ومن الوطن مجالاً حيوياً لوقع الخطوات التي تحفر مجراها فوق ترابه، فيلتقي الفلسطيني عدوّه، غاصب وطنـه، سارقه، وبهذا اللقاء ينبثق زمن آخر، هو «زمن الاشتباك» الذي تبدأ الذات الفلسطينية، مع بداياته، طريقها في العثور على أصوب الاجابات، وكأنما الدخول الى الوطن، دخول الى الذات، ، وكأنما الوطن لا يثق بمن يدخل اليه وهو خارج ذاته، أو هو يدفعه الى الدخول اليها، فيكون هو دائماً، أي الوطن، المجال الحيوي الوحيد لتحقيق الهوية، بمغزاها العميق، وهو وحده الذات الكلية العميقة للانسان الفلسطيني: ماضياً وحاضراً، ومستقبلاً مفتوحاً على أفق لا يُحد. وهذا شيء مما تقوله «ما تبقى لكم» وما تقوله «عائد الى حيفا». واذا ما كانت الرواية الاخيرة قد أكدت، عبر تجربة شديدة الدرامية، أن النضال خلّاق هوية، وأنه الطريق، فإن العبور الجماعي: الذهاب الجماعي الى الوطن، عبر النضال، هو ذهاب نحو الالتحام بالذات الكلية الجامعة، خلوصاً من تشظيات الذوّات وهوياتها الممزقة، وكأن تماسك الهوية الفردية لا يكون، ولا يتحقق، الّا بكونها تجلياً عميقاً للذات الكلية الجامعة. وهذا هو بالضبط ما يقف وراء «أم سعد» كشخصية ملحمية، تعكس من خلال خصوصيتها وتفردها، وارتباطها الجذري بالوطن، وحدة الخاص والعام؛ فتوجز في تكوينها سمات الشعب الذي تنتمي اليه. ولئن كانت أم سعد صوتاً صافياً للطبقة الباسلة، المسحوقة والفقيرة والمرمية في مخيمات البؤس، فإنها، في الوقت نفسه، كانت حاضنة صادقة للاصوات التي تجيء من مختلف فئات الشعب وطبقاته، توحّدها وتضفرها في سياق ملحمي واحد؛ ويكفي ان نشير، هنا، الى حميمية الصلة التي ربطت الراوي؛ المثقف الثوري البرجوازي، بـ «أم سعد» كأمٍ ومدرسة وصوت للشعب، وكيف كانت ترى إليـه كإبن وكناطق باسم وجدانها الأصيل. لقد جسدت «أم سعد» الشعب والوطن في لحظة التحامهما الملحمي حيث لا يمكن لقوة، مهما بلغت، أن تفصل بينهما مرة أخرى.

إن تحول الاجابات الفردية، أو الكشوفات الفردية للاجابات، عبر تراكماتها وتحولاتها النوعية، الى اجابة جماعية، ثم الانخراط الجماعي في حركة جماعية تحيل هذه الاجابات الى واقع يتواصل، يقتضي، كي يتم تحويله من «الواقع» الى «الفن» بناء ملحمياً يتصاعد ايقاعه مع تصاعد حركة النضال وهي تجيب عملياً عن سؤال الهوية والطريق، وذلك لأنّ الأدب والفن هما «إعادة خلق للواقع على اعتباره امكانية... [و] إن أي شيء لا يمكن ان يوجد في الواقع لا يمكن ان يكون أدبياً»[٢٢]. أي أن «الجمال لا يتحقق في الفن إلّا إذا تحقق الاصل الذي يصوغه في الواقع فعلاً»[٢٣]. فهل كان لرواية «أم سعد» أن توجد في بُنيتها الملحمية لو لم يكن الواقع الذي سعت الى تحويله، فنياً، واقعاً ملحمياً؟ أو لم يكن التحـول الذي شهـده الواقـع الفلسـطيني بالخـروج من «الزمن المـأسـاوي» الى

«الزمن الملحمي» دافعاً رئيساً، وأصيلاً، لانتقال الرواية الكنفانية من الدرامية الى الملحمية؟ إن «أم سعد» كرواية ملحمية مفتوحة، تتجاوب مع واقع ملحمي مفتوح، تظل، حتى هذه اللحظة من تاريخنا، وحتى ينتهي التاريخ أو ينغلق تاريخنا قابلة لاحتضان ايقاع الخطوات الفلسطينية في رحلتها الملحمية باتجاه الوطن، وفيه، وهي تدعونا، باستمرار، لأن نرى الى الدّالية التي برعمت وأن نتعهدها بالسّقاية، وبكل ما يجعلها قادرة على ترسيخ جذورها في الارض، وعلى النمو والاخضرار، ومواصلة الصعود، إنها تدعونا، الآن، الى التأمل في مسار الرحلة، والى قراءة ما أُجري ويجرى، وتحثنا على مواصلة الخطو كي نقطف ثمار الدّالية التي برعمت قبل ربع قرن أو يزيد.

على هذا النحو من التواشج العميق بين أسئلة الروايات واجاباتها، وللأسباب والعوامل التي بيّناها، تبدو كل واحدة من الروايات الأربع وهي تؤسس، عبر شفرتها، وجودها الخاص، فيما تشير، في الوقت ذاته، الى احتمال روائي جديد، آتٍ، يقوم فور انجازه، بإثراء دلالي للرواية السابقة، وبتطوير للسياق الروائي وإعادة بنينةٍ له، وفي هذا، وفي التواصل والتفاعل الجدلي الخلّاق، وفي مواكبة الرواية الكنفانية لمأساوية الواقع الفلسطيني؛ لدراميته التي عكستها الروايات الثلاث الاولى وهي تصوغ حكايات أفراد يواجهون أقدارهم. وللحميته التي عكستها «أم سعد» وهي تصوغ مسيرة شعب باشر في إعادة صوغ هويته، وعثر على جدارته في الحياة، وعلى حضوره في العالم، في كل ما سبق، تكمن بالضبط، خصوصية السياق الروائي الذي حفرته الرواية الكنفانية لنفسها، وفي هذه الخصوصية تكمن أهمية الرواية الكنفانية في صلتها بمقولتي الهوية والمنفى، أو لنقل: «القومية والمنفى»، على حد تعبير ادوارد سعيد، وعلى ما بين الهوية والقومية من تمايز، فالثانية حاضنة الاولى، يقول ادوارد سعيد: «المنفى والقومية... لا يمكن فصلهما أبداً. وفضلاً عن ذلك فإن المصطلحين ينحدران من أكثر المشاعر الجماعية جماعية، ومن أكثر التجارب الخصوصية خصوصية،... ولنأخذ السرد الروائي مثالاً لما أحاول أن أصف، فكما اقترحت من قبل نجد كل شعب أو أمة تبني وعيها الجماعي بذاتها حول رواية قومية تفسر ما نفعله «نحن» وكيف صرنا ما «نحن» عليه، وإلى أين نتجه «نحن». وبهذا المعنى فالسرد الروائي في قول فردريك جيمسون هو عملية اجتماعية رمزية مركزية، وهي ليست في متناول كل فرد من أفـراد الأمـة بتفاصيلها»[٢٤]. وفي هذه الصلة العميقة بين مقولات الوطن، الهوية، المنفى، السرد الروائي، الوعي القائم والممكن، والرؤية للعالم التي تعاملنا معها في الصفحات السابقة، وهي المقولات التي تتفاعل معاً في صوغ السياق الخاص بالرواية الكنفانية، عبر حيازتها على معادلاتها الموضوعية الفنية، يكمن مغزى دخولنا الى قراءة أي من تمظهرات المكان الروائي في الرواية الكنفانية.

المكان الروائي: آليات انبثاقه، بنيته، ومجالاته

إن قطبي التضاد: الوطن والمنفى، في مفاهيمها المتغايرة، والمتحولة عبر ما يقع بينهما من جدل يحركه سؤال الهوية والانتماء، وسؤال مواجهة الضرورات الحياتية وشروط الحياة القاسية الناجمة عن الاقتـلاع من الوطن، والانقـذاف في المنافي، أو البقاء في الوطن تحت شروط ضارية هي شروط الاحتلال، هما ـ أي الوطن والمنفى ـ القطبان المتضادان اللذان تتحرك بينهما الشخصيات الروائية بحثاً عن إجابات أسئلتها؛ وهما اللذان يعطيان للسرد الروائي علّة وجوده وآليات انبثاقه، وهويته، وهمـا، تالياً، وعبر السرد، اللذان يحددان مواقع الرؤية، وطبيعة الرؤى للعالم، التي تحمل الوعي القائم وتؤشر، دائماً، الى الوعي الممكن، الذي نعود فنجده وعياً قائماً يشي بوعي ممكن آخر تنهض عليه الرواية التالية كوعي قائم... وهكذا.

والمكان الروائي، بوصفه ملفوظاً لغوياً، حكائياً، خالصاً، لا يوجد، ولا يمكن له أن يوجد، الا من خلال اللغة التي يتوسلها السرد، وهو بالتالي مشروط بمقتضيات السرد وآليات انبثاقه وتواصله، التي أوضحناها، إنه مشروط باللغة التي تعطيه حضوره الحسي والتصوري، وباللغة ـ السرد تتحدد آليات انبثاقه ووجهة النظر التي نتعرف عليه من خلالها، أي تتحدد بنيته، يتحدد مدلوله، وتتحدد هويته في صلتها بإجابة الانسان الفلسطيني عن سؤال الهوية والطريق؛ سؤال الهوية والمجال الحيوي لنهوضها ونمائها وانجاز تحولاتها الممكنة في التاريخ.

ولقد أعطت القراءات المتتالية لروايات كنفاني، والاجراءات المنهجية الطويلة، والمعقّدة، التي حكمها منهج استقرائي، بحثاً عن بنية المكان الروائي، وتجلياتها المختلفة، وآليات انبثاقها وعلاقاتها المتشابكة مع مكوّنات النص الروائي، والسياق الروائي الخاص، وحضورها المضيء داخل النسيج الروائي وخيوطه المتشابكة، استنتاجاً مؤداه أن المكان في روايات غسان كنفاني لا يوجد الا من خلال التضاد بين فكرتين ـ مجالين هما: الوطن والمنفى، ولا يقع الا في احدهما أو في المسافة التي توغل بعيداً في المنفى، أو تكون بمثابة منفى داخل الوطن، من حيث صلة المكان الذي توجد فيه الشخصية ـ داخل الوطن ـ بابتعاده الجغرافي والنفسي والحياتي عن مسقط الرأس، وتناقضه مع قيم الحماية والألفة والاستقرار والتواصل التاريخي، والجذوري، التي كانت تتوفّر في أرجاء المدينة أو القرية التي اقتلعت هذه الشخصية أو تلك منها، وداخل البيت الذي أجبرت على الرحيل عنه.

إن وقوع الأمكنة الروائية في روايات كنفاني في مركزين مكانيين متعارضين، وفي المسافة بينهما مهما اقتربت، أو أوغلت في البعد عن أي من المركزين، يضعنا على مقربة من نظرية الحدّ كما هي عند يوري لوتمان، حيث يقوم الحدّ كصفة طوبولوجية بتقسيم المكان الروائي الى مكانين غير متقاطعين، يتوفر كل منهما على استقلاله، ولا منفذ لأحدهما على الآخر، لأنهما ينفصلان، بموجب الحدّ، وفق مبدأ أساسي هو انعدام قابلية الاختراق. غير أن وجود أبطال (شخصيات روائية) يقومون باختراق هذا المكان المحرّم أو ذاك، بموجب انتهاك لمبدأ الحدّ ـ الذي هو أشبه بقانون التّابو كما نرى ـ يؤدي الى امكانية استمرار السرد الروائي، ويخلق التشويق، وتوتّر الحدث، ويجعل من عملية اختراق التّابو (الحواجز والحدود) عملية دالة ذات مغزى. ونظراً لامكانية وجود أبطال يتباينون في انتماءاتهم الاجتماعية، والمكانية، داخل المكان الواحد، أي داخل هذا القطب أو ذاك من أطراف التضاد الثنائي، وداخل مسافة الحد التي تفصل بين المكانين، فإننا نكون بإزاء بنية مكانية أكثر تعقيداً، أي نكون بإزاء جملة من الانشطارات المتضادة داخل المكان ـ القطب الواحد، وتظل هذه الانشطارات ذات دلالة اجتماعية أو ايديولوجية أو سياسية، في غالب الاحيان.

وفي ضوء الاستنتاج الذي قدّمناه، والمعطيات التي وفّرتها نظرية الحدّ، وما أعطيناه لها من تكييف يتواءم مع مقتضيات بحثنا النابعة من النصوص الروائية التي نقوم بدراستها، وفي تناغم مع ما أجريناه من تحليل للروايات وفق المقولات التي تعاملنا معها، يكون بمقدورنا أن نذهب إلى بناء نموذج شامل للبنية المكانية التي تتوفّر عليها الروايات الاربع. وجليّ، في ضوء ما سبق، أننا بإزاء ثلاثة مجالات تنتمي اليها الأماكن الروائية في هذه الروايات، وهي المجالات التي يشكّل اثنان منها طرفان متضادّان هما: الوطن والمنفى، ثم المجال الواقع بينهما والذي هو الحدّ، أو مجال أماكن المسافة الفاصلة بين القطبين، غير اننا نلتقي في روايات كنفاني بأماكن تنتمي الى الحدّ تقع في المسافة بين المنفى ومنفى المنفى، وأخرى تقع في المسافة بين مكان داخل الوطن، هو مسقط الرأس، ومكان آخر داخل الوطن، هو منفى في الوطن، أو هكذا يجري النظر إليه من قبل الشخصيات، وهو ما

يحكمنا ويعنينا، دون أية محاولة لاسقاط ضوء من رؤية مغايرة على رؤيتهم. وهو ما يجعلنا ننظر الى هذه الامـاكن، كأمكنة في المنفى، بغض النظر عن الرؤية الجغرافية للمكان، أو الحدود التاريخية لفلسطين التاريخية، ذلك لأننا لا نتعامل، هنا، وفي أي عمل ابداعي، مع المكان كوجود موضوعي بقدر ما نتعامل معه كوجود وجداني، ظاهراتي، ذلك لأن «القيم» الشعورية، والوجدانية، «تغير الحقائق» الموضوعية، على حدّ تعبير غاستون باشلار، وكما سنرى بعد قليل. وفي تساوق مع الاقتراح الاخير، نذهب نحو اقتراح آخر يتصل بالأمكنة التي تذهب بعيداً في المنفى، أي نحو منفى المنفى، فمثلما نظرنا الى المنفى في الوطن بوصفه منفى، كذلك ننظر الى منفى المنفى بوصفه مكاناً في المنفى، ومثلما رأينا إلى المسافة الفاصلة بين المنفى في الوطن ومسقط الرأس بوصفها حدّاً، كذلك ينظر الى المسافة الفاصلة بين المنفى (هنا) والمنفى (هناك) حداً أيضاً، وذلك لأنه يتوجب على الشخصية الذاهبة نحو المنفى هناك، أن تخترق هذا الحدّ، مثلما يتوجب على الشخصية الذاهبة نحو الوطن ـ مسقط الرأس (هناك) أن تخترق الحدّ الذي يفصل بين المكانين داخل الوطن الواحد.

وفي ضوء هذا النموذج الشمولي، سنذهب الى قراءة أماكن المنفى في روايات كنفاني، وتحليلها، على مستـويات عدّة: آليات انبثاقها، تمظهراتها وتجلياتها المختلفة، علاقاتها مع المكوّنات الأخرى كالأحـداث والشخصيات، حركاتها الدلالية ومدلولاتها، وتحوّلات الدلالة، بحيث نبقى دائماً داخل النصّ الروائي وتشابك علاقاته، وداخل الضوء الذي يقدّمه نموذج البنية المكانية الكلية للرواية الكنفانية.

أماكن المنفى، علاقاتها وتحوّلاتها الدلالية

نبدأ تعرفنا على مجال المنفى، بوصفه واحداً من مجالات المكان الروائي في الرواية الكنفانية، تنهض بقراءته هذه الدراسة ـ بالتعرّف على سماته الطوبوغرافية، ومكوّناته المكانية، متابعين ما سبق الاشارة اليه من مستويات للتحليل، ومن خطوات منهجية واجراءات ضرورية. ويبدو لافتاً، منذ البدء، أن هذا المجال المكاني الذي يتشكّل في سياق النسيج الروائي، ينقسم الى حيزين أولهما: حيز المنفى داخل الوطن. وثانيهما: حيز المنفى خارج الوطن. وكل من الحيزين يتشكّل من أماكن جزئية متعارضة، أو متجاوبة، كالمدن والقرى والمخيمات، وداخل هذه الاماكن توجد أماكن صغرى، ومحتويات وأشياء تقبع داخل هذه الأماكن، قد تتعارض او تتجاوب: بنائياً ودلالياً، فثمة طرق وشوارع في المدن، وثمة أزقة وممرات ضيّقة في المخيمات والقرى، ثمة عمارات عالية وبيوت من إسمنت ومنازل في المدن، وثمة أسقف واطئة، وبيوت طين وأكواخ تنك في المخيمات، وثمة داخل هذه البيوت أشياء ومحتويات، مثلما توجد داخل المخيمات والمدن والقرى أماكن صغرى غير البيوت تحتوي أشياء ومكوّنات يجرى توظيفها في بناء أماكن المنفى كواحد من المجالات المكانية في الروايات التي نحللها.. فلنذهب، إذن، الى التعرّف على كلا الحيّزين، في ضوء ما قدّمناه حتى الآن.

الحيز الاول: أماكن المنفى داخل الوطن

من خلال تداعيات أبي قيس (أحد شخصيات رجال في الشمس) نتعرّف على جانب مما تختزنه ذاكـرتـه عن ماضيـه في الوطن، وعلى أحداث وقعت، ثم يتدخل الراوي، ليحدّد أماكن وقوع هذه الاحداث، ومن بين هذه التدخلات ثلاثة مواضع نتعرف من خلالها على مكان انتقل اليه أبو قيس، داخل الوطن، هو بمثابة منفى يلتبس فيه الجبر والاختيار، فأبو قيس هو الذي انتقل اليه، ولكنه انتقل من قريتـه، لأن هذه الاخـيرة كانت على خطوط القتـال، وهـذا ما نفهمه، ضمناً، من قول الراوي:

«كـان ذلك بعد شهر من تركه قريته، في بيت عتيق يقع في قرية أخرى بعيدة عن خط القتال»[٢٥]، ونتعرّف على شيء من مواصفات هذا البيت العتيق من خلال ثلاث عبارات أخرى، قصيرة، الاولى والثانية جاءت على لسان الزوجة، إحداها محمولة على صوت الراوي الذي يقدم لقولها، ويدعها تقول، والثانية من خلال حوار ينسرب عبر تداعيات أبي قيس، أما الثالثة فجاءت عبر صوت الراوي مباشرة. في العبـارة الاولى توجّـه أم قيس كلامهـا لابنهـا قيس فتقـول: «إذهب والعب يا قيس في الغرفة الاخرى»[٢٦]. وفي الثانية تقول لزوجها وقد فاجأتها آلام المخاض: «يا إلهي... إرفعني قليلاً، دعني أتكىء على الحائط»[٢٧]. وفي الثالثة يخبرنا الراوي أن أبا قيس «هرول الى الخارج، وحين صفق وراءه الباب سمع صوت الوليد، فعاد وألصق أذنه فوق خشب الباب»[٢٨]. ثمة إذنْ بيت عتيق، مكوّن من غرفتين على الاقل، مبنيّ من حوائط قوية، وله أبواب من خشب، وهذا كل شيء، إذ لا نعرف شيئاً عن محتويات البيت، ولا تنبثق من خلال الفقرات السابقة أية إشارات تدلّ على علاقة واضحة بين البيت وساكنيه، الاّ أن الراوي يعرفنا أن أم قيس «أنجبت بنتاً سمّاها «حسنا» ماتت بعد شهرين من ولادتها وقال الطبيب مشمئزاً: «لقد كانت نحيلة للغاية!»[٢٩]. ومغزى ذلك أن البيت مكان لذكرى أليمة، ولحالة من الفقر وعدم الاستقرار، وإذ نفهم من بعض الاشارات غير المباشرة أن البقاء في هذا البيت لم يستغرق طويلاً، نعرف أنه مكان انتقالي، عابر ومؤقت، كالقرية التي تحتويه، قد يقود الى عودة الى مسقط الرأس (القرية المتروكة ـ الوطن) وقد يقود الى المنفى خارج الوطن، ولأنه قاد الى الاحتمال الاخـير فإنـه يظلّ على صلة بمجال المنفى، وهو في التباسه بين الجبر والاختيار، وفي كونه بيتاً ذا مواصفات ملائمة لحياة الانسان يظلّ على صلة بالوطن، إنه محطة انتقالية بين هذا وذاك، وفيه يلتبس معنى الوطن والمنفى. وقد يكون في هذا، وفي حضور البيت كمكان لذكرى أليمة، ما يفسّر حضوره على لسان الراوي، وغيابه عن تداعيات أبي قيس، وكأنّ هذا الاخير يحاول دفنه في أغوار ذاكرته، أو كأن حضور البيت لم يبلغ الدرجة العالية من الكثافة التي تجعله يتفجر في الذاكرة، فظلّ غائباً عنها، مما دفع الراوي الى جذبه، واطلاعنا عليه، على هذا النحو الباهت، الذي تكاد تنعدم معه الصلة بين البيت والانسان وأحداث الحياة، كما هي في الرواية، وهو أمر ذو دلالة على أن البيت العتيق، والقرية التي تحتويه، محض محطة انتقالية لا يتجاوزان ذلك، وهما غير متجاوبين مع البيت الاصلي، ومع القرية الاصلية، حيث مسقط الرأس (الوطن).

وإذا ما حاولنا العثور على مثل هذا المكان الانتقالي، الذي هو بمثابة منفى مؤقت، داخل الوطن، وذلك في سياق بحثنا عن التكرارات المتجاوبة للأمكنة في روايات كنفاني، فإن محاولتنا ستكون أشبه بالتنقيب عن شيء نادر، يكاد يلامس حدود الغياب، اذ لا نعثر على هذا المكان الانتقالي، الا في حالة واحدة، فقط، هي حالة «سعيد س» وزوجته «صفية» في «عائد الى حيفا» وعبر إشارة عابرة، على لسان الراوي، أيضاً، نعرف من خلالها أن «سعيد س» حين غادر حيفا «على متن زورق بريطاني دُفع اليه دفعاً مع زوجته»[٣٠] انتقل الى عكا حيث قذفه الزورق «بعد ساعة على شاطىء عكا الفضي»[٣١]، غير أننا نعرف، على نحو ضمني، وعبر إشارة أخرى عن الحاح ذكرى «خلدون» على صفية، أنها وزوجها قد تنقلا بين أماكن كثيرة، وبيوت ـ أكواخ كثيرة[٣٢]، ولكن مجيء كلتا الاشارتين، على لسان الراوي، وفي سياق سرد لا يولي عناية خاصة بالمكان، يؤكد، إضافة لما سبق، غياب الحاحية حضور مثل هذه الاماكن عن بنية المكان في روايات كنفاني، ولهذا الغياب حركته الدلالية التي تشيء بانشغال عميق براهنية الحالة الفلسطينية، وبآفاق تحولاتها، أكثر من الانشغال بسرد وقائع حدثت في التاريخ، ولكنها باهتة الحضور، وعابرة.

وفي مقابل شبه الغياب الذي يسم حضور المكان الانتقالي، المنفى المؤقت، داخل الوطن، نجد حضوراً ذا كثافة نسبية للأماكن التي تحولت، مع مرور الزمن، الى منافٍ داخل الوطن، وهي على وجه التحديد، والدقة: المخيمات، إذ غالباً ما يتجاوب المخيم، سواء أكان داخل الوطن أم كان خارجه، في صفاته الطوبوغرافية والهندسية، وفي مدلولاته الاجتماعية، والسياسية، والشعورية، أي في صلته العميقة بمقولات: الوطن، والمنفى، والهوية. ويتبدى هذا التجاوب في صورتين للمخيم، نجد الاولى في رواية «ما تبقى لكم» والثانية في رواية «أم سعد»، وتصبّ في مجرى هذا التجاوب اشارات ترد في رواية «رجال في الشمس» فتساهم، أو هي تشكّل اللبنات الاولى في عالم غسان الروائي، لرسم صورة المخيم وتفجير حركتها الدلالية، وإذ سنأتي لاحقاً على قراءة صورة المخيم كمكان للمنفى في الخارج، فإننا نذهب الآن، الى قراءة صورته كمكان للمنفى داخل الوطن.

غزة حاضنة المخيم والغياب

تقدم رواية «ما تبقى لكم» رؤية مغايرة لتلك التي اتسم بها المكان الانتقالي كمنفى مؤقت، داخل الوطن، إذ نكون، مع هذه الرواية، بإزاء مخيم للاجئين، وبإزاء مكوّناته، وفي إطار مدينة غزة التي تحتضنه، وتتمايز عنه في آن، وترتسم صورة مدينة غزة في موضعين، فقط، أولهما في بداية الرواية، والثاني في وسطها تقريباً، وهذا يدل، كما هو واقع الحال، أن الاشارات الى غزة، جاءت في سياق صلتها بحركة «حامد» ووقع خطواته في صحراء النقب، والاحداث التي ينهض بها، وحالاته النفسية والشعورية المتحولة، وتجيء الاشارة الاولى، على لسان الراوي، وهو يتابع خطوات حامد مع اقترابه من اختراق الحدود، التي تفصل غزة عن باقي أعضاء جسد الوطن الفلسطيني، يقول الراوي: «وبعيداً وراءه غابت غزة في ليلها العادي، غابت مدرسته باديء الامر ثم غاب بيته، وانطوى الشاطىء متراجعاً الى قلب الظلام، وبقيت أضواء الشوارع معلقة هنيهة، متعبة وواهنةً، ثم انطفأت بدورها واحداً وراء الآخر»[٣٣]، أما الاشارة الثانية فتجيء على لسان حامد نفسه، وذلك بعد أن أوغل في الصحراء، وبعد جملة من التداعيات الطويلة، وبعد أن انفجرت حزمة الضوء الارجواني، والمتعدد الألوان، من السيارات العسكرية الاسرائيلية، ثمّ اختفت، وبعد أن خلا لنفسه متأملاً نفسه: «إجلس هنا تحت هذه السماء المرتدة الى أعماقها وفكّر بروية: غزة راحت الآن وامحت وراءك في الليل. خيوط الصوف كرت كلها، ولم تعد أنت مجرد كرة لفوا عليها خيطان الصوف ستة عشر عاماً، ولكن من أنت»[٣٤].

في كلا المقتبسين، تحضر غزة، موسومة بالغياب؛ إنها تغرق في سديم غامض غموض السديم الذي يلف مستقبلها، وليس ذاك الذي يبحر فيه حامد بحثاً عن هويته، وتغيب الاشياء: المدرسة والبيت والشاطىء وأضواء الشوارع، وفق تسلسل ابتعاد خطوات حامد عنها، وابتعادها عن الافق الذي يستطيع بصره أن يشمله، إن الرؤية في كلا المقتبسين هي رؤية حامد، ولئن جاء أحدهما على لسان الراوي، فإنه الراوي الذي يسكن الشخصية ويبوح بأعمق مشاعرها، إذ لا فرق يمكن العثور عليه بين المقتبسين: لغة وايقاعاً ونبراً وموقع رؤية ومنظوراً، هنا ينبثق المكان من خلال الوجدان والمشاعر، ويكون على صلة عميقة بالحدث ووقع الخطوات، وبانعكاس كل خطوة يخطوها حامد باتجاه الصحراء ـ الحد الذي يفصل الوطن عن الوطن ـ على ذاته الذاهبة نحو تلمس هويتها، فنكون بإزاء رؤية ظاهرية للمكان شديدة الكثافة، والشاعرية لأنها تنبثق من داخل الشعور، ويتداخل فيها الانسان والمكان: يوغل حامد في ليل الصحراء وسديمها غير العادي، وراءه تغيب غزة في ليلها العادي، تنبثق في

ليل الصحراء تلال ورمال نابضة بالحياة، وتسطع في ليلها أضواء أرجوانية، ومتعددة الألوان حسب انعكاسها على الكثبان الرملية وعلى الارض والسماء والافق، ووراءه تغيب المدرسة ويغيب البيت، وتنطفىء أضواء الشوارع «متعبة وواهنة»، ينطوي شاطىء غزة على ظلام يتراجع فيه، وكالسماء المرتدة الى أعماقها، الى ذاتها، يتكوّر حامد مرتداً الى أعماقه، متأملاً ذاته ومسيرة أعوام طويلة من الثبات والصمت، بايجاز: تغيب غزة بما انطوت عليه من سكون وثبات وركون الى العادي والمألوف واتكاء على حائط العجز والانتظار، تمحى في ليلها العادي، وتجيء الصحراء فجأة: «مخلوقاً يتنفس على امتداد البصر، غامضاً ومريعاً وأليفاً في وقت واحد»[٣٥] تجيء سديماً غامضاً يتفتح مع وقع الخطوات.

ولئن كنا، في ضوء ما سبق، نقيم تعارضاً بين صورة غزة وصورة الصحراء، فمرد ذلك الى أننا لا نقبض على مدلولات أي من الصورتين الا من خلال حركية الدلالة المتعارضة بينهما؛ حيث في وسط هذه الحركة يقبع حامد، ومنظوره الرؤيوي النابع من مشاعره الخاصة، ومن وقع الاحداث التي يواجهها مع اختراقه للصحراء، كحدّ، أو مكان محرّم. ويظل المغزى العميق لهذه الدلالة ماثلاً في التناقض الحادّ بين المدينة الغارقة في ثباتها وصمتها المميت، والموغلة في ليلها العادي، والصحراء! الصحراء تتفجر حياة، والتي تنفجر فيها أحداث مفتوحة على توترات غامضة ستكون دالة على انفجار «زمن الاشتباك».

وعلى الرغم من أن غزة تمارس حضورها في النص عبر لحظة غياب، ومع نهوض الرؤية السابقة على ادماج بين غزة والمخيم، فإننا نلحظ تمايزاً طفيفاً تشي به الاشارة الى شوارع غزة وأضوائها المعلّقة، وهي أشياء يفتقدها المخيم؛ المعتم دائماً، والذي ينكفىء على أزقته وممراته الضيّقة، كما سنرى.

المخيم: تجسيد واقعي لسديم المنفى

ينثق المخيم كمكان هو منفى داخل الوطن، من خلال آلية التداعي، التي تحكم السرد الروائي في «ما تبقى لكم»، وهو يتشكّل وئيداً وئيداً عبر تداعيات حامد ومريم، ولا يتسم تشكله بأية استقلالية عن حركة الشخصيات ورؤاها، ومسار الاحداث وتطوراتها، ونظراً لانشغال الرواية بمتابعة تفجرات حدثين، متوازيين ومتقاطعين، يقع أحدهما في الصحراء، والثاني داخل البيت في المخيم، وينهض بالأول منهما «حامد» وتنهض «مريم» بالثاني، فإن الاشارات الدالة على المشهد الخارجي للمخيم، ستحوز على كثافة حضورها من خلال الحدث الثاني، وعبر تداعيات «مريم»، وذلك لأن هذا الحدث يقع في البيت الواقع في الحيز المكاني للمخيم، ونحن لا نطلّ على هذا الاخير الا من خلال الموقع الذي تتخذه مريم خلف النافذة، أو من خلال تداعياتها عن حدث ما قادها الى التحرك في أزقة المخيم وممراته الضيّقة أو المرور أمام أماكن يحتويها، ولقد دلّت القراءة الاستقرائية للفقرات ذات الصلة بالكشف عن المشهد الخارجي للمخيم، على وجود عشر فقرات فقط، تجيء تسعة منها على لسان مريم، وواحدة فقط على لسان حامد، وعبر تداعيات الاثنين، وهذا ينطوي على استنتاج مؤداه أن المكان لا يوجد الا من خلال علاقته بالشخصية والحدث، وتطورات الموقف الدرامي، والرؤية التي تنطلق منها الشخصية في علاقتها به، وهو ـ أي المكان ـ لا يعيش منعزلاً عن عناصر السرد الروائي ومكوناته المختلفة، والرؤيات التي تحدد هويته وتحكمه.

ووئيداً وئيداً، ومن خلال تتبع الاشارات الدالة على المشهد الخارجي للمخيم، كما وردت في

الرواية، وفي سياق علاقات المكان المتعددة، يمكننا، عبر ادماجها واعادة بنائها، الحصول على صورة المشهد الخارجي كما تقدمها الرواية، ففي إشارة أولى، سابقة، نعرف ان حامد قد ابتعد عن مدرسته وبيته في المخيم، إذن، ثمة بيت ومدرسة. وفي إشارة تالية، عبر تداعيات مريم، نعرف ان حامد قد بعث إليها مع صبيّ الخباز قائلاً «سأغادر مع غروب شمس اليوم وسأكتب لك من الاردن - إذا وصلت»[٣٦]، إذن ثمة مخبز. وتجيء الاشارة الثالثة، لتضيء شيئاً عن زكريا والمدرسة، في آن معاً، فعبر تداعياتها، ومخاطبتها لزكريا النائم الى جوارها تقول مريم، مؤكدة أن زكريا لم يعرف حامد جيداً وأن حامد لم يعرف زكريا، وأنها هي وحدها التي عرفتهما، وذلك على الرغم من أنهما عملا معاً في «الخيمة التي كنت (تقصد حامد) تسميها مدرسة المعسكر»[٣٧]. إذن: المدرسة محض خيمة. وفي إشارة رابعة تقول مريم عبر تداعياتها عن علاقتها بزكريا: «ولم أعرف قط لماذا مررت ذلك المساء من أمام المقهى الذي تجلس فيه، كأنما بالمصادفة...»[٣٨]. إذن: ثمة مقهى، وفي إشارة خامسة، عبر تداعيات حامد هذه المرة، نقرأ: «يا إلهي! كان الجدار عالياً وراء المعسكر، وقد اقتادونا جميعاً إلى هناك، وفيما كنا نتزاحم على الممر الضيّق المؤدي الى ذلك البناء المهدّم كانوا يزجروننا تارة بالعبرية وتارة بالعربية المكسّرة، ثم أوقفونا صفاً واحداً، وانصرفوا يدرسوننا بإمعان واضعين فوّهات رشاشاتهم تحت آباطهم، موسعين ما بين أقدامهم، وفجأة أخذت السماء تندف رذاذها ببطء وكآبة، فيما غاص المعسكر وراءنا بصمت أسود. وعند الظهيرة تقدم الضابط ونادى سالم... وغاب وراء الجدار هنيهة. ثم جاء صوت طلقة واحدة»[٣٩]. إذن: ثمة بناء مهدّم يقبع خلف جدار عالٍ، وثمة زمن محدد لهذا الوصف، إنه شتاء عام ١٩٥٦، حيث احتلت اسرائيل غزة في سياق العدوان الثلاثي على مصر، وثمة ارتباط لا ينفك بين المكان والاحداث والشخصيات، وثمة مأساوية للاحداث التي تقع خلف الجدار! وفي إشارة سادسة، نعود معها الى مريم، نتعرف على اللحظة التي جاء فيها زكريا الى البيت في غياب حامد، لتسلّم نفسها اليه، مدفوعة بعطشها، وتحمل منه سفاحاً، ونعرف من خلال الحوار الذي جرى على باب البيت أن زكريا قد استفسر عن وجود حامد فقالت مريم: «لقد ذهب ليأتي بالاعاشة، أنت تعرف، انه أول الشهر»[٤٠]. وأوضح زكريا: «كنت ماراً بالصدفة قرب المركز ورأيت ازدحاماً لا يصدق. صحيح، انه أول الشهر»[٤١]. ثمة إذن مركز للاعاشة التي يجرى توزيعها مع مطلع كل شهر على اللاجئين من سكان المخيم المنفيين عن الوطن. وفي إشارة سابعة نطل مع مريم، ودائماً، عبر تداعياتها، من خلف شباك المطبخ فيرتسم أمامها، وأمامنا المشهد التالي: «ووقفت أرشف الشاي الساخن أمام شباك المطبخ فيما مضت عربة خشبية محطمة يجرها حمار صغير تتدحرج متعبة في أول الطريق، ويهتز فوقها رجل نائم، وكان الحيوان المتعب يسير بطيئاً في خط متعرج، ويشمشم الطريق ملتقطاً شيئاً بين الفينة والاخرى، وبدا مسيرهما المستسلم طوافاً فوق تيار مخيف يسوقهما معاً، وكان قرع الحوافر البعيدة يختلط بصورة مشوشة مع خطوات الساعة تدق في الجدار البعيد، دائرة حول نفسها، هي الاخرى، محمولة فوق سطح تيار لا يكبح ولا يسبر غوره»[٤٢]. ثمة إذن: طريق غير معبد، أزقة ملأى بالنفايات، وعربة خشبية محطمة يجرها حمار متعب هي وسيلة نقل، وانتقال. وفي إشارة ثامنة، ينبثق مشهد بيوت المخيم، وذلك من خلال ما ترويه مريم عن زكريا بعد استيقاظه، وعبر تداعياتها: «واقترب بطيئاً كمن يستكشف المكان. ثم وقف وأخذ يحدق في النافذة الى الطريق، ثم الى السماء السوداء الجاثمة فوق سطوح البيوت الواطئة، وأكواخ التنك وغرف الطين في الجهة المقابلة»[٤٣]. تلك هي بيوت المخيم: بيوت واطئة، أكواخ تنك، وغرف طين. وفي إشارة تاسعة، وعاشرة، وعبر تداعيات مريم تتكرر الصورة السابقة لبيوت المخيم: «ووراءه، عبر النافذة، ارتفعت السماء فوق السطوح الواطئة لبيوت الطين والتنك تاركة خطّاً رمادياً كثيفاً»[٤٤]. وتبدو لحظة انبثاق واحد من «نهارات» المخيم:

«كانت مخالب الليل قد خلت أسطحة المعسكر، فأخذت السماء ترتفع ببطء كأنها نسر ثقيل في لحظات انطلاقه»(٤٥).

ذاك هو المشهد الخارجي للمخيم كما ترسمه «ما تبقى لكم» عبر آليات انبثاقه التي توخّاها السرد الروائي فيها، ويستطيع القارىء، في ضوء ما سبق، أن يتأمل في المقتبسات وقد حازت على سياق جديد، عبر تتابعها الخطي، الذي لم نغفل، أثناء إقامته، العلاقات الترابطية التي حكمت أي من الاشارات الواردة في السياق الأصلي، ويستطيع القارىء ان يعيد عطف ملاحظاتنا السريعة التي أعقبت تلك المقتبسات، على بعضها البعض، ومن خلال كلتا الخطوتين، يستطيع القارىء، ان يكوّن تصوراً، ينبثق من هذه الاشارات الحسية ـ اللغوية المتتالية، للمشهد الخارجي الكلي للمخيم، وأن يرى الى آليات انبثاقه، والرؤى والحالات التي تحكمها، والى تضافر عناصره الجزئية المكوّنة لبنيته الكليّة، والى تفاعل هذه العناصر، وغيرها، في سياق السرد الروائي لخلق حركية الدلالة وانفجار المدلولات.

ويبدو لافتاً، في البدء، ان الرواية: «ما تبقى لكم» في تسميتها لهذا المكان قد استبدلت المعسكر بالمخيم، ونكاد لا نعثر على الاسم الاخير على امتداد النص، بينما لا نجد حضوراً للاسم الاول «المعسكر» في الروايات الاخرى، وبخاصة «رجال في الشمس» و«أم سعد» اللتين تسميان هذا المكان بـ «المخيم»، فهل ثمة مغزى يمكن لهذه المفارقة ان تنطوي عليه؟ وهل يمكن للمعنى التوقيفي الاصطلاحي المتباين بين كلا الاسمين(٤٦) أن يتدخل في تحديد مغزى هذه المفارقة؟ وهل يمكن للايحاءات المتباينة التي تنبثق من كلا الاسمين أن تساهم في العثور على مغزى هذه المفارقة؟

هي أسئلة، قد تحتاج الاجابة عنها الى دراسة مستقلة تتناول العلاقة بين أماكن اللجوء، وتسمياتها المختلفة، وتحاول تفسير استمرار تسميتها: معسكرات أو مخيمات، مع تغير مكوّناتها الطوبوغرافية، وتحولها في كثير من الأحيان والبلدان الى بلدات ومدائن! غير ان ما يعنينا، في إطار دراستنا هذه، هو العثور على مصدر هذه المفارقة ومغزاها، وذلك في سياق اعتقادنا أنّ تسمية الشيء الذي هو موضوع للتأمل أو الاكتشاف المعرفي، هي، في ذاتها، قبض على جوهر ماهيته، وذلك لأن التسمية لاحقة للمعرفة، وليس العكس؛ وبهذا المعنى لا تكون المفارقة السابقة بلا دلالة، ولكن دلالتها التي يمكن العثور عليها تظل، حتى انجاز الدراسة المشار اليها، احتمالية، ترجيحية، ونحن اذا ما عدنا الى الواقع، كمرجعية للنص، نجد أن أماكن تجمعات اللاجئين في غزة قد سميت «معسكرات» بينما سميت مثيلاتها في الضفة الفلسطينية ودول الطوق «مخيمات»، ونحن لا نملك تفسيراً محدداً لهذه المفارقة، التي هي مصدر المفارقة الحاصلة في الروايات؛ فالرواية التي تحكي عن مكان لتجمع اللاجئين في غزة، تسميه «معسكراً»، وتلك التي تحكي عن مثيله في غير غزة تسميه «مخيماً»، وهذا يعني أن غسان يستخدم التسميات الدارجة دون أن يكبح حريتها في بثّ ايحاءاتها الخاصة.

ومهما يكن من أمر، فإن أياً من الاسمين، سواء انطوى على فكرة «العسكرة» أو «التخييم»، يدل على المكان المتعيّن الذي يحتوي اللاجئين في منفاهم داخل الوطن وخارجه في آن معاً: إنه المكان الذي يجسد فكرة المنفى، واقعاً بامتياز.

ولا شك أن هذه الدلالة الكلية تتشكّل من تفاعل المدلولات الجزئية لمكونات المخيم وعناصره المكانية، وهي المدلولات التي تشير، باستمرار، الى طارئية تشكل هذا المكان، وإلى غياب أية مقوّمات تجعل منه بنية فاعلة في إطار بنية اجتماعية أوسع، إنه المكان المتاهة، وليس هو المكان المجتمع،

إنه المكان الذي يحتضن الموت لا الحياة، بل المكان الذي يتحوّل فيه الناس الى قطيع، ويرسل الذين يطلبون الحياة عبر الثورة عليه الى الموت (البناء المهدّم والحائط) وهو المكان الذي انوجد على عجلٍ لجمع شتات حشد هائل من بشر هائمين على وجوههم بلا مأوى، انه محض مأوى (بيوت الطين والتنك والأسطح الواطئة) لا تتوفر له أدنى شروط الحياة الانسانية (الممرات الضيقة والنفايات، وما سبق)، وهـو المكان الذي انوجد فيه مركز للاعاشة، ليقدم فتات الطعام. ومخبز، لتوفير الرغيف، كي يأكل الناس، قليلاً، ليظلوا على قيد حياة انتظار كثير وطويل، دون عمل ودون مستقبل، ودون سؤال. وهو المكان الذي اجترح لنفسه مدرسة هي خيمة، محض خيمة. ومقهى هو في حضوره، وفي ارتباطه بالنتن الخـائن زكريا ليس يحمل غير دلالة سلبية، أخلاقياً ووطنياً. إنه المكان الذي يكثّف دلالته المخيم بوصفه مكاناً لتزجية وقت بلا وقت، في خضوع مهين للضرورات القاهرة، واتكاء عاجز على حوائط الانتظار. بايجاز: ليس المخيم سوى سديم غامض يخيم فوق حشد لمّا يعرف كيف يكون حشداً، إنه التجسيد الواقعي لسديم المنفى الذي لا يولّد لدى المبحر فيه غير الشعور المر بالاقتلاع، وبالعراء المطلق في مواجهة عالم غادرته الرحمة، فهل يقود هذا الشعور الى العدم؟ أم يقود الى اجتراح معجزة الفعل؟[٤٧] إنه أمر متروك الى الوعي الانساني، الفردي والجماعي، وتحولاته، هذا هو ما تقوله الرواية الكنفانية، وما سنعود اليه في سياق تعرفنا على تحولات الدلالة وتباين المدلولات الخاصة بالمخيم.

تلك هي بنية غزة، التي تبدت في الرواية كبنية للغياب، تنطوي في مدلولها على ثبات عميق وغرق في عادية الليل، وتلك هي بنية المخيم الذي تحتضنه مدينة تنطوي على سكونها وتوغل في الظلام، إنها بنية المتاهة، بنية الولوج في سديم ليل بلا نهار، أو نهار ليس كالنهارات، بنية الزمن الضائع، والمكان الضـائع، والحضور الكثيف لشراسة المنفى وقسوة الاقتلاع، إنها بنية موت ليست كالموت، وحياة ليست كالحياة، وهما يخيّمان بوطأتهما العاتية ويغشيان وجدانات بشر اقتلعوا من وطنهم؛ من مدنهم، وقـراهم وبيـوتهم، وقذفوا الى عراء نبتت فيه بيوت طين وتنك، وأسقف واطئة، فصارت «معسكراً» وصاروا: لاجئين... فماذا عن هذه البيوت؟ وماذا عن ساكنيها؟

تقـدم «ما تبقى لكم» بيتاً ليس كالبيوت، لأنه البيت الذي فيه تتكثف المأساة، فيكون هو كل البيوت، فماذا عنه؟ كيف يرتسم في الرواية، كيف ينبثق ويتشكّل في بنية دالة وما هي مدلولات هذه البنية؟ هذا ما سنذهب الآن الى محاولة الاجابة عنه.

البيت: قبر... ونعوش وموتى

لا تقدم «ما تبقى لكم» أي وصف للشكل الخارجي، الهندسي، للبيت، فنذهب الى الاعتقاد بأنه لا يتميز عن البيوت الاخرى التي هي بيوت طين وتنك ذات أسقف واطئة، غير أن هذا الاعتقاد الذي نختزنه في الذاكرة ثم ننساه مع لهفة تتبعنا للأحداث في سياق قراءة أفقية، للنص، قد لا يظل على حاله لو تعمدنا نوعاً من القراءة الرأسية، العامودية، كالتي نحاولها الآن، ذلك لأن هذا النوع من القراءة هو وحده القادر على اكتشاف النص، والتعرف على بنياته الدالة ومدلولاتها، ولقد أعطت هذه القراءة استنتاجاً مؤداه ان المكونات الداخلية للبيت كبنية هندسية لا تتساوق مع الاعتقاد بأنه بيت طين أو تنك،واطىء السقف، فالاشارات المتكررة، والتي ينثرها السرد الروائي، هنا وهناك، حسب مقتضيات الحدث وتطوراته، وحركة الشخصيات داخل البيت الذي هو مكان للحدث الذي يتوازى ويتقاطع مع حدث آخـر يقع في الصحراء، كما سبق القول، هذه الاشارات تدل على أننا بإزاء بيت مغاير لتلك البيـوت. فلنـذهب، إذن، لقـراءة الاشـارات، متـوخـين الكشف عن آليـات انبثـاقهـا، وصلتهـا

بالسياق السردي وعلاقاتها المتشابكة، وهو الامر الذي يؤهلنا للقبض على حركتها الدلالية، ومدلولاتها العميقة.

تجيء الاشارات الدالة على البيت، ولا نقول الفقرات الواصفة، محمولة على ثلاثة أصوات: صوت الراوي، صوت حامد، صوت مريم، وعبر أي من الاصوات لا نجد استقلالاً، أو حضوراً موضوعياً للبيت ومحتوياته، فهو يتشكّل من خلال الاحداث ومشاعر الشخصيات وعلاقاتها، ففي الاشارة الاولى التي تجيء على لسان الراوي، نبدأ بالتعرف على شيء من مواصفات البيت ومحتوياته من خلال قيام الراوي بسرد الاحداث، والكشف عن مشاعر الشخصيات بعد أن «غادر آخر الضيوف» الذين حضروا عقد قران زكريا ومريم، وأغلق زكريا الباب، ولم يبق في البيت غير: حامد ومريم وزكريا، والراوي الذي يتجول في البيت، دون ان يراه أحد، مثلنا تماماً، ونحن ندخل عبر الاصوات جميعاً الى بيت مغلق الباب، يقول الراوي: «وحين غادر آخر الضيوف أغلق صهره الباب، وعاد كأن البيت بيته: خلع حذاءه وتمدد على المقعد، فبدا مجرد لطخة مصادفة في مكان غير مناسب. ثم تنهّد، وشبك كفيه وراء رأسه، وأخذ ينظر بارتياح مقيت الى أشياء الغرفة... ثم نهض كأن المقعد قذفه وأخذ يتجول في الغرفة ناظراً الى الارض»[٤٨]. ويقول الراوي، مستخدماً ضمير الغائب مثل ما سبق، ومشيراً هذه المرة الى حامد الذي قرر مغادرة البيت والمخيم والمدينة متجهاً عبر الصحراء الى حيث أمه في الاردن، يقول: «وأراد وهو يهبط السلم، ان يسمع أي نداء، ان يلحقه صوت مريم: «عد يا حامد!»... ولكنه لم يسمع الا أصوات خطواته وهي تخفق على السلم. وقبل ان يصل الرصيف صفق الباب وراءه...»[٤٩]. وتجيء الاشارة الثانية على لسان مريم، عبر تداعياتها، وعبر تداخل ضمائري، إذ تشير الى حامد بضمير الغائب، والى زكريا بضمير المخاطب، والى نفسها بضمير المتكلم، وهو التداخل الذي يعمّق انفلات التداعي ويقيم التوتر الدرامي والتشابك بين الاحداث والشخصيات والامكنة، تقول مريم: «وحين كنت اسمع خطواته تخفق مترددة فوق السلم حسبت أنه سيعود، وكنت ممزّقةً بينه، هو الماضي كله، وبينك، أنت ما تبقى لي من المستقبل... ثم خطوت وصفعت الباب فأغلقت كل شيء. ومضيت الى الغرفة الاخرى»[٥٠]. وفي إشارة ثالثة نعرف شيئاً أساسياً عن علاقة حامد بأمّه، وفي سياق الاشارة الى غياب حامد نعرف شيئاً عن المادة التي صنع منها باب البيت، تقول مريم: «لو كانت أمي هنا لكان لجأ اليها، للجأت اليها أنا، لقلنا كلمة واحدة عنه، لما تركنا لدفتي الباب الخشبيتين أن تمحواه محواً من هذا البيت بمجرد انغلاقهما»[٥١]. وفي إشارتين رابعة وخامسة، نعرف، من خلال تداعيات مريم، وعبر سياق الحدث وتطوراته ان حامد حين عاد الى البيت، بعد حادثة مقتل سالم على يد الضابط الاسرائيلي خلف الجدار في البناء المهدم، قد دخله هادئاً وجافاً، وجلس عاضّاً على شفتيه وهو ينظر الى مريم «ثم نهض ودخل الى المطبخ»[٥٢] وأبلغاها من هناك: «لقد قتلوا سالماً اليوم وغداً قد يجيء دور أي منّا»[٥٣]. فتلحق به مريم الى المطبخ ثم تخرج وتمضي «الى الشباك». وفي إشارة أخيرة عن المكوّنات الهندسية للبيت من الداخل، نعرف ان ثمة ممراً يصل بين المطبخ والغرف الاخرى، وتجيء معرفتنا هذه في لحظة بالغة التوتر، هي برهة من الزمن تنطوي على كثافة درامية تشي بفعلٍ درامي بالغ الحدة، وذا أثر تحويلي على الشخصية وعلى السرد الروائي وعلى السياق الحدثي بأسره، لأنه الفعل الذي ينهي هذا السياق، ويبلغ به ذروته الاخيرة فيعود لاضاءته من جديد، كاشفاً عن الشخصيات على نحو كامل ونهائي. تقول مريم: «مضت الساعة البعيدة المعلقة أمام السرير تدقّ، فتعبر الممر وتدخل الى المطبخ حيث كنّا نقف وجهاً لوجه صبيحة عرسنا»[٥٤].

نذهب الى اعادة بناء هذه الاشارات المتناثرة، فنعثر على بنية هندسية للبيت على النحو

التالي: ثمة بيت مكوّن من غرفتين، على الاقل، وثمة مطبخ، وممرّ يصل المطبخ بالغرف، وثمة سلّم يدل وجوده على ارتفاع البيت وعلى احتمال أن يكون مكوناً من طابقين، وثمة نوافذ وشبابيك، وباب خشبي ذو دفتين، وثمة احتمال لوجود غرفة ثالثة، يتبدّى من خلال إشارة مريم الى رغبة زكريا في «استبدال مقاعد الجلوس في الغرفة الاخرى»[٥٥]، غير ان الاستخدام الدائم لعبارة «الغرفة الاخرى» يعطي الانطباع بوجود غرفتين فحسب.

ومهما يكن من أمر فإن هذه المعطيات لا تدعنا نواصل الاعتقاد بأن هذا الذي نحن بإزائه بيت تنك أو طين ذو سقف واطىء، ولا سيما، أيضاً، أن الراوي والشخصيات لا يضيفون البيت الى التنك أو الطين، بل يستخدمون دائماً كلمة «البيت» لتسميته. وإنّ كنا نعتقد أن المواصفات الهندسية ليست دالّة على شيء في ذاتها، في سياق السرد الروائي، فإنها تظلّ دالة من خلال جدلية الحضور والغياب؛ أي حضور بعض المواصفات وتغييب بعضها الآخر، ومن خلال رؤية الشخصيات لمواصفات المكان، وعلاقاتها بالأحداث المروية. إنّ هذه المواصفات الهندسية، تعطي الانطباع، إن نظرنا اليها معزولة، أننا بإزاء بيت استثنائي بالنسبة لبيوت المخيم، غير أن النظر الى البيت من خلال علاقاته بالاحداث ووظائفه التي ينهض بها في الرواية، يؤكد أن استثنائية البيت لا تنبع من مواصفاته الهندسية بل من كونه مجالاً حيوياً لأحداث استثنائية يستحيل وقوعها، ولكنها تقع، ومن كونه مجالاً لانبثاق رؤية الشخصيات للمكان عبر مواقعهم المتباينة. إن زكريا ينظر الى أشياء البيت «بارتياح مقيت» بينما لا يرى فيه حامد غير «جُحر قميء» ولا ترى فيه مريم غير قبر تدفن فيه عمرها الضائع، ولئن كان الراوي يعكس المكنونات الداخلية لزكريا عبر نظراته، من خلال هذا التركيب اللغوي المتباين، لفظياً ودلالياً، ليعطي الانطباع الكافي عن رؤية زكريا للبيت، وعن رؤيته هو ـ أي الراوي ـ لرؤية زكريا، أو ليؤشر ايحائياً الى تناقضات مكبوتة داخل زكريا نفسه، أو غير ذلك، فإن المكان وأشياءه يصبحان مجالاً لوصف الشخصية لا لوصف المكان، وعلى هذا النحو، لا تنبثق رؤية حامد للبيت بوصفه جحراً قميئاً إلا من خلال المقارنة بينه وبين بيتهم الذي اقتلعوا منه يوم طردوا من يافا، ومن خلال طموح حامد الى إعادة جمع العائلة من جديد «في بيت أفضل من هذا الجحر القميء»[٥٦]. وعلى الرغم من ان مريم هي الاكثر صلة بالبيت، لأسباب عديدة، فإن رؤيتها له، تنبثق من خلال فكرة المقارنة مع البيت الذي كان، في الوطن الذي كان، ومن خلال احساسها المكثّف بمرور الزمن الذي كان بالنسبة لها «موتاً يعلن عن نفسه مرتين على الأقل»[٥٧]، وهكذا نجد ان أيّاً من حامد ومريم لم يولّدا أي شعور بالألفة مع هذا البيت، بينما بدا زكريا مستعداً لتوليد مثل هذا الشعور، وعلى العكس من هذا الاخير، فإن البيت بالنسبة لحامد، ولمريم، ليس غير مكان للموت المتربّص بهما، وليس غير مكان تتردد في جنباته ذكريات الموت، أو مكان للاعلان عن موت قد حدث للتو؛ فقد لاحظنا كيف أن البيت هو المكان الذي أعلن حامد فيه عن موت سالم، وكيف أن مريم تعيش فيه موتاً يعلن عن نفسه مرتين على الاقل، ولسوف نلاحظ من خلال تحليلنا لمحتويات البيت ووظائفها في الرواية، عبر تشابك علاقاتها، الكيفية التي يكون فيها البيت رديفاً للقبر، فيكون قبراً يحتوي الانسان والزمان.

أشياء البيت: الراديو، والأسرّة ـ النعوش

ليس ثمة من شيء من محتويات البيت الحاضرة في النص على غير صلة بالاحداث والشخصيات، سواء تلك الاحداث المستدعاة عبر الذاكرة وآلية التداعي، أو تلك التي تحدث الآن، أو الشخصيات الحاضرة التي تشارك في انفجار الحدث أو الغائبة التي هي، دائماً، على صلة به، وبأشياء البيت التي تحضر من خلاله. وتبدو الساعة؛ ساعة الحائط، وهي تمارس حضورها بكثافة عالية، بوصفها

أحد الابطال الخمسة في الرواية: حامد ومريم وزكريا والساعة والصحراء، فالساعة على صلة عميقة بالاحداث التي تجري، مثلما هي على صلة بالاحداث المستدعاة، وبالشخصيات الحاضرة في البيت، أو الغائبة عنه، واستناداً لهذا الدور التأسيسي والبنائي العميق الذي تلعبه الساعة في الرواية، ولكونها تتحول لتصبح مكاناً دالاً، فإننا نؤجل الحديث عنها، إلى ما بعد الفروغ من معالجة المحتويات الأخرى للبيت وهي: الراديو، والأسرة، والطاولة، ومقاعد الجلوس.

تجيء الاشارة الى الراديو، مرّة واحدة فقط، عبر تداعيات مريم بشأن الورقة التي أرسلها حامد مع صبي الخباز متضمنة قراره بالمغادرة الى الاردن؛ الى حيث أمه، فهي تقول: «ثمّ جاء التوقيع الصغير: «حامد» مكتوباً بهدوء تماماً كما كان يكتبه على قفا عُلبة تبغه حين كان يغادر البيت لسبب من الاسباب: «سأعود بسرعة ـ حامد»، ثم يترك العلبة متكئة فوق الراديو. كان يعرف أنني أتجه الى الراديو أول ما أصل الى البيت»[٥٨]. وتكشف الجملة الاخيرة عن الصلة الحميمة التي تصل بين مريم والراديو، وتتكشف دوافع هذه الصلة حين نعرف أن حامداً ومريم كانا يتلهفان، لأعوام طويلة، الى سماع خبر عن أمهما الغائبة التي لم تتمكن من اللّحاق بهما وخالتهما الى القارب الذي قذف بهم خارج يافا، وتتعمق صلة الراديو بالاحداث حين نعرف أن إمرأة عجوزاً متدثرة ببطانية كالحة قد جاءت الى البيت لتخبر الخالة بأن اسم أختها أم حامد قد جاء في الراديو، وسألت عنها «وعن حامد وعن مريم وطلبت أن تقولوا لها أين أنتم»[٥٩]. وحين نعرف ان مريم وحامد قد بعثا رسالة للاذاعة بحثاً عن مزيد من المعلومات عن أمهما، وأنهما تلقيا جواباً على رسالتهما يفيد بأنها تعيش في الاردن، تتأكد لدينا ضرورة حضور الراديو، وأهميته بالنسبة لانبثاق الاحداث، وللقرارات التي تتخذها الشخصيات، وخاصة حامد، الذي بدا بعد أن عرف أين أمه «يدق بثبات أرضاً بعيدة... واضحاً وصلباً... وحيداً أبداً، وربما ضائعاً أيضاً، ومهجوراً»[٦٠]، إذ عبر هذه الملامح التي تراها مريم في عيني أخيها الغاضبتين اليائستين، تتبدى نبوءة الحدث الآخر الذي يتفجر مع وقع خطوات حامد في الصحراء، وايغاله فيها. ولئن بدت وظيفة الراديو أساسية في تفجير حدث تتفجر بعده أحداث الرواية، فإنه يغيب تماماً بغياب وظيفته، ولكنه يظل دالاً على الوظيفة الواقعية التي لعبها في تلك المرحلة، حيث كان هو الوسيلة الوحيدة بالنسبة للاجئين لالتقاط كلمة أو خبر عن أهلهم وأقاربهم الهائمين في الارض، ويظل دالاً، أيضاً، على انشغال الرواية الكنفانية في تكثيف الايحاء بالتمزق الذي طال الأسر الفلسطينية بسبب احتلال الوطن واقتلاعهم منه.

أما الأسرّة فإنها تلعب دوراً في أحداث جزئية ذات مغزى ودلالة، وثمة ثلاث إشارات تتوارد، جميعاً، عبر تداعيات مريم عن خالتها وعن حامد وعن زكريا، وعن العلاقة التي بين الساعة والسرير، وبين السرير وحادثة استسلامها لزكريا، وبين السرير وموت الخالة، وبين ذلك كله والموت بهيمنته واطلاقيته. تقول مريم: «هذا سريره هو. لقد نمنا معاً في هذه الغرفة حين كانت خالتنا تنام في الغرفة الاخرى قبل أن تموت. وكان سريري يمتد تحت النافذة، وسريره في الجانب الآخر مقابل الساعة. ثم نقلت سريري الى الغرفة الخارجية بعد أن ماتت خالتنا وبقي هو هنا، مقابل الساعة، على هذا السرير، يستمع أغلب الظن الى دقاتها المعدنية المبتورة تخطو فوق الجدار حول نفسها دون لحظة توقف واحدة... وحين ماتت خالتي ماتت على سريره... ويخيل اليّ الآن أنه قصد الى ذلك قصداً، فحين كانت طريحة مرضها الاخير قرر فجأة أن ينقلها من الغرفة الاخرى الى سريره، ولم يقل قط لماذا، وقد ماتت هناك بعد أن دقت الساعة دقة واحدة، في الليل...»[٦١]. وتقول مريم عن سريرها في سياق تداعياتها عن استسلامها لزكريا: «وسقطنا معاً فوق الكرسي الطويل الذي كان سريري»[٦٢].

يغيب بعد الألفة، ولا تحضر غير ابعاد الكراهية والمقت... فالسرير؛ هذا المكان الاليف للانسان الذي يعيش حياة طبيعية، ينطوي، بمعنى أو بآخر، على قيمة القوقعة، على حد تعبير باشلار، وذلك لارتباطه بلحظات هدوء عميق، وخلوّ الى الذات، وراحة بعد عناء يوم عمل طويل، ولكنه هنا، يقف على النقيض تماماً، إنه المكان الذي فوقه تقع أشد الاحداث مأساوية وألماً: اغتصاب مريم، موت الخالة، استلقاء حامد عليه قبالة الساعة التي تكثّف في وجدانه قسوة الزمن ووقعه الضاغط، لأنه زمن فارغ غير معبأ بأي فعل انساني خلّاق. لقد بدا السرير في منظور حامد، وفي منظور مريم التي تكشف عن رؤية حامد دون أن تفسّرها، نعشاً حقيقياً، عليه ماتت الخالة وقبالته تموت اللحظات، وفوقه ماتت آمال مريم بزواج حقيقي، والسرير بهذا المعنى، يتجاوب في دلالته مع الساعة التي هي نعش للزمن المعلق ميتاً على جدار البيت، ومع الساعة اليدوية التي يحملها حامد، ثم، في ما قبل لحظة الفعل، يطرحها فوق رمل الصحراء، وفي هذا التجاوب ما يشي، دائماً، بالدور العميق الذي يلعبه الزمن في رواية «ما تبقى لكم» عبر تجسداته المكانية، ومن خلال حضوره المكثف في آليات التداعي التي تحكم السرد، وتأثيره البالغ الحدة على الشخصيات، وبخاصة: حامد ومريم، وعبر حضوره كبطل رئيس، كمجال حيوي فيه تتحرك الشخصيات وتقع الاحداث، وتحوز الأماكن على زمانيتها، فتصبح أمكنة زمانية تكثف المعاني المتحولة للزمان مع تحولات الاشخاص والمواقف.(٦٣)

ولا يبقى الآن من محتويات البيت غير الطاولة ومقاعد الجلوس، والطاولة ليست واحدة بل اثنتين، تجيء الاولى والثانية عبر اشارتين سريعتين، ومن خلال تداعيات مريم، الاشارة الاولى لا تنطوي على أي مغزى، فهي عابرة، ديكورية، فليس من شيء يمكن استنتاجه بشأن رؤية ذات مغزى للطاولة من القول: «ثم استدار ومدّ يده الى الطاولة، فخشخشت علبة الثقاب وأشعل لفافته...»(٦٤)، ليس من وظيفة غير الوظيفة العادية جداً التي تؤديها الطاولة في أي بيت، غير ان الطاولة الاخرى، طاولة المطبخ، تنطوي، بفعل صلتها بحدث عميق الدلالة، حدث هو ذروة الاحداث وهو نهاية الرواية: مقتل زكريا على يد مريم الذي يتقاطع مع مقتل الجندي الاسرائيلي على يد حامد في صحراء النقب، على مغزى عميق اذ تصبح الطاولة رديفاً للقبر، ولكن مغزى القبر هنا لا يتجاوب مع مغزاه الكامن في محتويات البيت الاخرى، كالسرير والساعة، إنه من وجهة نظر مريم ومن خلال الرؤية التي تبثها الاحداث عبر تقاطعاتها، قبر مغاير، فـ «قبر عن قبر يفرق» إن الطاولة قبر لواحد من الذين ساهموا في تحويل حياة حامد ومريم الى موت مخيّم، أي أنها قبر للموت نفسه: لزكريا، الخائن المخادع، النتين، الذي أدّت تحولات وعي مريم النابعة من غياب أخيها، واكتشافها لدناءة زكريا وقذارته، إلى ان تدفع السكين، بكل ما فيها من قوة، كي «يغوص في لحمه بطيئاً ولكن ثابتاً»(٦٥). حيث «انتفض وتساقط وتكوّم بين قدمي الطاولة»(٦٦) التي أصبحت قبراً لجثته، ورمزاً للخلاص، أو بدايات الطريق اليه... وعلى هذا النحو من التغاير الدلالي يمكن ان نرى الى صحراء الكويت ـ القبر بالنسبة للفلسطينيين في «رجال في الشمس» وصحراء النقب ـ القبر بالنسبة للاسرائيلي في «ما تبقى لكم» فـ «صحراء عن صحراء تفرق».

ولا تنطوي الاشارة الى مقاعد الجلوس على شيء غير الالماح الى أسلوب زكريا في التعامل مع مريم ومع البيت، والايحاء بانشغالاته التي تشي بإقراره بالامر الواقع، ورضاه باستبدال المخيم بالوطن، مع سعي «على قدر ما يسمح الجيب»(٦٧). الى تحسين شروط الحياة، اذ تخبرنا مريم، عبر تداعياتها، ان زكريا، غير المنشغل بغياب حامد، ورحيله عبر الصحراء، أو بانشغال أخته عليه قد استيقظ من النوم ليقول لها: «أعتقد أن السريرين لا بأس بهما، ولكن سنحاول استبدال مقاعد الجلوس في

الغرفة الاخرى»[٦٨].

لم يبق من محتويات هذا البيت الاستثنائي غير الساعة؛ ساعة الحائط التي كان حامد قد جاء بها الى البيت «في تموز ما» ووجد أنها «تشبه نعشاً صغيراً». فلنذهب في ضوء الخطوات التي نتبعها الى التعرف على هذه الساعة ـ النعش.

الساعة ـ النعش

مثّل كل شيء في رواية «ما تبقى لكم» تنبثق الساعة، وتتشكّل حركتها الدلالية، من خلال أسلوب التداعي، وآلياته التي يتداخل معها كل شيء بكل شيء: الاحداث، والشخصيات، والمواقف، والأزمنة، والامكنة... الخ، تداخلاً يجعل من السرد الروائي مجالاً للغوص في أعماق الذات، وقلب الاشياء، ولبّ الزمان والمكان، وشاشة تعرض ما لا يُرى، وصوتاً يقول ما لا يُقال.. انه مجال البوح وانبثاقات الذات العميقة التي تكتشف نفسها وتكشفها، فتضيء ما يُعرض على الشاشة، وتعطي للصوت ايقاعه الخاص، ونبرته الدالة، ومغزاه العميق.

وللساعة التي هي أحد أبطال «ما تبقى لكم» صوتها الخاص الذي ينسرب في ثنايا السرد، ولا يترك فراغاً بين الكلمات الا ويسعى الى الاستقرار فيه، إنه صوت الزمن الميت، أو هو صوت الصمت الذي يشتبك على امتداد السرد مع صوت الزمن الآخر، الزمن المحشود بالحياة، ممثّلاً في خطوات حامد في قلب الصحراء، وهذا الاشتباك بين الزمنين هو ما يعطي للرواية مغزاها وصيرورتها؛ فهو خالق التوتر الدرامي، وهو المجال الذي تموت فيه الشخصيات أو تحيا، وهو الحيز الذي تتحقق فيه الهوية أو تضيع، يصبغ الانسان والاشياء والمفاهيم بصبغته، فإن كان حياً عاشت، وإن كان ميتاً تموت، ولكنه قبل ذلك، وبعده، مشروط برؤية الانسان له، وبفعله أو ثباته فيه، انه مشروط بوعي الانسان لوجوده في الوجود، وبتحولات هذا الوعي وماهيته.

عبر تداعيات مريم، وكلمات حامد التي تأتي محمولة على صوت تداعياتها كحوار مستعاد أو خطاب موجه لحامد الطالع من الماضي، أو الغائب في الحاضر، وكلمات زكريا المنسربة عبر تداعيات مريم، أو عبر كلماتها الموجهة إليه وهو نائم الى جوارها، قريباً وبعيداً كالموت، وعبر اشتباك وتداخل بين الضمائر: المتكلم والمخاطب والغائب، عبر ذلك كله، وفي سياق السرد الروائي، ينبثق حضور الساعة وتتبدى تجلياتها ومنظورات الرؤية اليها، ودائماً، عبر مريم وتداعياتها. وفي أول إشارة للساعة في سياق السرد الروائي، وعبر توجيه الحديث الى زكريا النائم الى جوارها بعد ان غادر حامد البيت، تقول مريم: «ليس ثمة من تبقى لي غيرك... وأنت تبدو بعيداً، رغم أنك في فراشي... تتركني وحدي أحصي تلك الخطوات المعدنية الباردة تدق في الجدار. تدق. تدق. تدق. داخل النعش المعلق أمام السرير ـ لقد اشتراها هو وحملها من السوق في تموز ما... ونظر اليها بين ذراعيه: «ساعة حائط، ولكنها تشبه نعشاً صغيراً، أليس كذلك؟» ودخلنا فاتجه مباشرة الى الغرفة التي كنا ننام فيها، كان المسمار الكبير مثبتاً مباشرة أمام سريره، فعلّقها، وأنا أسند له الكرسي. ثم نزل وابتعد وأخذ ينظر اليها برضى، الّا أنها لم تتحرك. فكّر قليلاً، فقلت له: «ربما تحتاج الى تعبئة» فرفع رأسه نافياً وقال: «أعتقد انها ليست مستقيمة. إن ساعة الحائط ذات الرقّاص لا تشتغل اذا كانت مائلة»، وصعد الى الكرسي مرة أخرى وأخذ يحرّكها ببطء، وكأنه يصوبها تصويباً. وفي اللحظة التالية بدأت تدق ولاحظنا معاً أن دقّاتها المعدنية تشبه صوت عُكّاز مفرد. وحين أعاد الكرسي[٦٩] الى مكانه سألته السؤال الذي كان يتوقعه: «بكم اشتريتها؟» وأجابني الجواب الذي لم أكن أتوقعه: «لم أشترها، سرقتها»، ومنذ ذلك اليوم،

وهي معلّقة هناك، تدقّ خطواتها الباردة كصوت عكاز مفرد بلا توقف. تدق. تدق»[٧٠].

أطلنا الاقتباس السابق، مرغمين، لأنه يمثل مدخلاً ضرورياً لقراءة تمظهرات الساعة وتجلياتها وعلاقاتها المختلفة؛ فليس ثمة من كلمة نافلة فيه، إنه نص تأسيسي، يقول ويفتح آفاقاً للقول، إنه النص ـ البؤرة، منه تنفلت الخيوط الدلالية التي سيجرى تعميقها على امتداد السرد، وفيه تتكثف رؤية كل من حامد ومريم للزمن الضاغط ووطأته الثقيلة على النفس، فهما معاً، حامد ومريم، قد لاحظا أن للساعة «دقات معدنية» تشبه «صوت عكاز مفرد» وهذه الدقّات العاجزة المتكئة على عكاز يشي بالعجز، الملاحظة منذ البدء، هي التي ستتواصل على امتداد السرد حتى اللحظة الاخيرة التي تسبق نهايته، وبدء زمن آخر، وستتبدى هذه الدقّات عبر صور مختلفة ولكنها تصبّ في مجرى دلالي واحد، فهي، عبر رؤية مريم المنبثقة عبر توالي السرد، «الدقّات المعدنية المخنوقة في الجدار، أمامي، دقات النعش»[٧١]. وهي ما تبقى من حامد بعد غيابه «أصوات خطوات معدنية تدق على الجدار بلا نهاية مثل عكاز فقد اتجاهه ولم يتبق لي ما أفعله الا عدّها»[٧٢]. وهي «دقّات مبحوحة، قاطعة وساخرة تدقّ في الجدار بلا رحمة»[٧٣]. وهي أيضاً «تلك الدقّات الرهيبة للعكاز الذي فقد اتجاهه»[٧٤]. وهي صوت العكاز الذي «ينتزع نفسه بائساً وهو يدقّ خطواته الابدية المفردة في نعش صغير مغلق بإحكام»[٧٥]. إنها إذن دقات زمن ما يلبث ان يولد حتى يموت، لأنه يولد في نعش مغلق بإحكام ينتظر معجزة تفتح النعش أو ترسله الى قبر أبدي!

إن مريم التي رأت ما تنطوي عليه الساعة من تجسيد لزمن عاجز، ثم رأت فيها نعشاً، تستمر، على امتداد السرد في إقامة الموازاة، أي التقابل التجاوبي بين الساعة ـ النعش، وبينها، وفي اقامة تقابل ضدي بين دقات الساعة وخطوات حامد التي يقرعها بلا تردد فوق صدر الصحراء، وهو التقابل الذي تنهض الصحراء نفسها بإبرازه وإثراء دلالته، مثلما يؤكده حامد عبر حركته المتوثبة في الزمان. ونستطيع ان نرى بذره هذين الامرين في النص التأسيسي المشار اليه وذلك من خلال اثباته الايحائي لرؤيتين متغايرتين للزمن، وإشارته الى آليات اشتغاله، فثمة زمن مستقيم، وزمن مائل؛ فالساعة تكفّ عن الاشتغال حين تكون مائلة بينما تعمل حين تكون مستقيمة على الجدار، فتنسرب دقاتها في تسلسل وتوالٍ أفقي، وهكذا نكون بإزاء ثلاثة مفاهيم للزمن: زمن أفقي، وزمن مائل، وزمن رأسي يقف على النقيض من الزمن الاول. الزمن الافقي هو زمن التسلسل والتوالي، زمن يقذف باللحظات ويمضي، تجيء اللحظة وهي مسكونة بالموت، تقتل سابقتها لتحيا، فما تكاد تفعل حتى تموت، انه زمن للموت، يشتغل، ومن هنا وقع وطأته الثقيلة على الانسان الذي يتوق الى حياة الزمن، وحياته في الزمان، انه زمن الساعة ـ النعش المعلقة على جدار البيت. زمن حامد ومريم قبل ان يبادرا الى الفعل في الزمان. أما الزمن المائل فهو زمن بلا زمن، ووقت بلا وقت، إنه الفراغ المطلق والحياة خارج الحياة، سديم الكون قبل ان يكون والمخلوقات قبل ان تخلق، إنه زمن زكريا وأمثاله، زمن الاستكانة والسكون، والرضا بالحال، إنه الزمن الذي يقترح حامد على مريم ان تعبر اليه كي تعثر على هدأة البال: «إسمعي يا مريم، إذا كانت تلك الساعة اللعينة تسبب لك الأرق فلديّ الحل. أتعرفين يا مريم، إذا أملناها قليلاً الى الجانب توقف الرقّاص، أنا أعرف هذا النوع اللعين من ساعات الحائط، لا يتحرك رقّاصها الا اذا كانت معلّقة بصورة مستقيمة»[٧٦]. إن زكريا يرفض الزمن الافقي لأنه يذكّر بالزمن الذي مات والذي يموت، وهو أيضاً، يرفض الزمن الآخر الذي ذهب حامد لاجتراحه لأنه ينطوي على فكرة ان يكون الانسان فدائياً فادياً وفاعلاً في الحياة، وهي الفكرة التي تقف على الحدّ المناقض لاغراق زكريا في الخيانة، واستكانته، واستغراقه في النوم.

أمّا الزمن الرأسي، فهو الزمن الذي بدأه حامد منذ بدء السرد، إنه الزمن الذي تحتضن فيه اللحظة اللحظة، تتعانقان، فتولد لحظة ثالثة، هي شيء من هذه ومن تلك، إنه الزمن الذي يتواشج فيه الماضي مع الحاضر، عبر ما هو جدير بالحياة من كليهما، وما هو قادر على خلق لحظة المستقبل التي تتخلق في رحم إرادة الانسان، إنه زمن «دقّات محشودة بالحياة»(٧٧)، إنه زمن إجادة التصويب، زمن سرقة الزمن، أي جعله في حوزتنا، ملكنا، وهما الامران اللذان حاولهما حامد في النص التأسيسي المشار اليه، بما ينطويان عليه من مدلولات، وما يكثفان من نبوءات أحالهما حامد الى وقائع في الزمان لحظة أن أحست الصحراء «بخطواته على الحافة» أي لحظة أن غادر المخيم والبيت وغزة كأماكن يخيم عليها وعلى ناسها زمن أفقي باهظ لا يرحم، زمن يتوكأ على عكاز مفرد داخل نعش مغلق بإحكام.

ومثلما هي الساعة حيزاً ـ نعشاً لموت زمن باهظ، هكذا ترى مريم لنفسها فتقيم تقابلاً تجاوبياً، بينها وبين الساعة، هو على النقيض من التقابل الضدي القائم والمتنامي بين زمن حامد، زمن الصحراء، وبين زمن الساعة ـ النعش، الزمن المخيم على البيت وعلى المخيم. إن مريم التي تعيش الدقات الرهيبة للعكاز لا تعيش موت اللحظات بقدر ما تعيش موتها. انها «جثة تتوهج»(٧٨) داخل الثياب، وهي ترى الى الساعة وهي «تشيع نفسها كل صباح في نعشها الصغير»(٧٩) أمام عينها وهي تبدل ثيابها التي تظل مشتعلة بوهج الموت عندما تخلعها، وتعلقها على الجدار، إن الزمن الذي يموت داخل الساعة ـ النعش، هو نفسه الذي يموت داخل مريم ـ الجثة التي تتوهج بموتها. يصير جسدها نعشاً آخر، وتبدو هي أمام نفسها «فتاة» مقطعةً تشيّعها دقات مبحوحة، قاطعة وساخرة»(٨٠). إنها عاجزة عن التعرف على كينونتها، وعن إدراكها في تلاحمها وكليّتها، فليس في هذا البيت ـ القبر، مرآة واحدة يمكن أن تنعكس عليها صورة كلية لأي من سكانه، مثلما لا تعكس الساعة ـ النعش أي حضور كلي للزمن، بل تدفن الزمن الذي مات، والزمن الذي يولد ليموت، فتكثف بحضورها حضور الموت، فيتجسد موت الزمن في مكان هو الساعة ـ النعش، مثلما يتجسد موت الذات عبر تشظيها وتمزقها من خلال مرآة صغيرة تصبح بدورها نعشاً آخر، تقول مريم: «لم يكن ثمة في البيت كله مرآة كبيرة واحدة لأرى جسدي فيها مرة واحدة، كنت أرى وجهي فقط، وحين أحرّك المرآة فتمر صورة صدري وبطني وفخذي تبدو لي قطعاً غير موصولة بعضها ببعض»(٨١)، وعلى هذا النحو من الاحساس العارم تشظي الذات، وبتمزقاتها، ترى مريم الى نفسها في الساعة ـ النعش والسرير ـ النعش، والمرآة النعش، فهي وقد خلعت من حياتها «خمساً وثلاثين سنة... سنة سنة وقطعة قطعة»(٨٢)، وراحت تبحث عن حلّ لتشظياتها، ومأساة حياتها، عبر علاقتها بزكريا، لم تجد في هذه العلاقة غير تعميق للمأساة، ومزيد من التمزق والتشظي. وعلى هذا النحو يكون ماضيها هو ماضي حامد، غير ان لهذا الأخير حاضراً هو على النقيض من حاضرها، وهي إذ تدرك هذا الامر، عبر توترات طويلة تتكثّف في آخر الأمر في حوارها الكاشف مع زكريا، تكون قد أدركت أن لخطوات حامد مغزى عميقاً، إذ هي التي تعطي للزمن الانساني جوهره ومغزاه؛ تعطيه حياته وكينونته في الوجود.

ويكون هذا الادراك مقدمة ضرورية لتحول الوعي وانبثاق الوعي الممكن الذي يتخلق في لحظة الفعل نفسها، أو قبل برهة نكاد لا نقبض عليها، ويكون لتقاطع الفعل الذي تقدم عليه مريم، مع الفعل الذي يقدم عليه حامد، ووقوعهما في لحظة واحدة من الزمن المحشود بالحياة، مغزاه العميق: اجتماعياً ووطنياً بما ينطوي عليه من رؤية تصل التحرر الوطني بالتحرر الاجتماعي، وتجعل من التحرر من الماضي الميت مدخلاً ضرورياً للولوج في زمن الحياة والفعل.

قبل هذه البرهة التي نتحدث عنها يكون حامد قد اطّرح ساعته اليدوية التي بدت له «مجرد

قيد حديدي يفرز رعباً وترقباً مشوباً»[٨٣]، وبدت للصحراء مجرد «قلب معدني صغير في جسد عملاق»[٨٤] هو «الشيء الوحيد الخارج عن الزمن الحقيقي»[٨٥] الذي يرفع «ذلك الجدار الذي لا يخترق والذي يرفعه المجانين عادة بينهم وبين العالم»[٨٦]، وما أن يطّرح حامد ساعته اليدوية ـ قيده، «لتخبط بصوت مخنوق على الارض»[٨٧] ولتموت، وحيدة، فوق رمل الصحراء، حتى يشعر أنه اصبح حراً في مواجهة العالم، بلا قيد من ماضٍ أو حاضر عاجز، لأن اطّراحه الساعة ـ القيد وقبر الزمن، هو أشبه ما يكون بخلاص من «قشرة ناشفة لدمل قديم»[٨٨]، هكذا يصير حامد نداً للعالم: «لقد شعرت، من ثم، براحة أكبر وأنا أنفرد بالليل دون وسيط. انهدم الجدار فجأة، وأصبحنا ندّين في مواجهة مباشرة لعراك حقيقي بسلاح متكافىء وبشرف»[٨٩]. وتصير خطواته الواثقة الطليقة هي وحدها المقياس الحقيقي للزمن وهي وحدها التي تحشده بالحياة، ويصير العالم ـ الزمن، مسافة «من الخطوات غير مربوطة بعقربين صغيرين»[٩٠].

وفي سياق المواجهة المباشرة مع العالم تحدث التحولات العميقة في وعي حامد، وتتكثف هذه التحولات في سؤال الهوية: من أنا، ولا تتحقق الاجابة عن هذا السؤال الا بحوار الذات، وحوار الآخر ـ العدو، وفي سياق «زمن الاشتباك» حيث في الصحراء يلتقي حامد بذاته، مثلما يلتقي بعدوه ـ الجندي الاسرائيلي، وحين يقرر حامد الاستمرار في المواجهة، ويتخلى عن قرار الذهاب الى الأم ـ الملجأ ويواصل ترسيخ قدميه في أرض الأم ـ الوطن، ويرفض قتل الجندي الاسرائيلي قبل وصول الدورية العسكرية الاسرائيلية بأكملها ليؤكد انه لا يواجه فرداً اسرائيلياً بل مؤسسة عسكرية اسرائيلية سرقت فلسطين وشردت أهلها، حين يحدث كل ذلك، وحين يقع فعل الذروة ـ النهاية: قتل الجندي الاسرائيلي بالطريقة التي أرادها حامد وخطط لها، يكون حامد قد وضع خطواته الواثقة على الطريق المؤدي للاجابة عن سؤال الهوية والخلاص من زمن الموت، مؤكداً لنفسه، ولنا، أن الوطن هو المجال الحيوي الوحيد للزمن الرأسي الحاشد بالحياة الذي فيه تؤكد الهوية حضورها، وتواصل تخلقها في أفق مستقبل مفتوح.

وقبل هذه البرهة التي يصعب القبض عليها، تكون مريم قد قاربت نهاية الشوط في بحثها عن ذاتها ومستقبلها؛ ذلك المراوح بين أزمنة ثلاثة: زمنها الأفقي الذي فيه ماضي حامد وماضيها، وحاضرها، وزمن زكريا المائل الذي يحاول فرض حضوره عليها، وزمن حامد الرأسي الذي يدعوها الى الانخراط فيه. وتكشف المقارنات الدائمة التي تجريها مريم بين هذه الأزمنة عن توترات بالغة الحدة تنبىء بتحول في الوعي يقود الى فعل يجسّده. وينبثق هذا التوتر من الحضور الدائم للساعة ـ النعش، ولوقع خطوات حامد، ولاغراق زكريا في نومه، واستغراقه في زمنه المائل. إن الساعة النعش لا تكفّ أبداً عن اعلان حضورها في وجدان مريم: «كأن العكاز المفرد عثر على ممر ما فمضى يجربه كدأبه كلما خرجت من الغرفة»[٩١]. وخطوات حامد لا تكف عن الحضور والاعلان عن تناقضها الحاد مع دقّات الساعة ـ النعش، على امتداد السرد، انها الخطوات التي تدق بثبات أرضاً بعيدة، ولكنها تدق، عبر وجدان مريم ومشاعرها، في قلب البيت، وفوق جباه القابعين فيه، وفي المخيم، وفي غزة، وفي كل مكان للنفي والموت: «وكان حامد يبتعد، يدقّ فوق جباهنا خطواته العنيدة بلا رحمة، فيبدو وقد ذوّبه المدى، ولم يبق منه إلّا أصوات خطواته العنيدة التي لا تنتهي، آخر قطار غادر المحطة المهجورة، وتركنا على رصيفها المحطم، نستمع الى صوت الصمت المفعم بالغربة، والوحشة والمجهول. يدقّ. يدق. يدق»[٩٢]. ولا يجيء ادراك مغزى خطوات حامد الا بالمقارنة مع الساعة ـ النعش من حيث كونها تذكرة دائمة بالماضي الميت ونعشاً «يسجن الحاضر في الماضي»[٩٣]. ونعشاً يحتوي مريم نفسها لكونها حبيسة

زمن أفقي فيما يلوح في أفق مستقبلها المغلق: زمن مائل. تقول مريم موجهة خطابها الى حامد الغائب: «لقد منحتني هذا النعش، علقته أمامي، كي أدفنك فيه، ولكن خطواتك هي التي ستظل الى الأبد تقرع حوله، ولن يدفن فيه الا أنا، وحتى بعد أن أدفن في أعماقه ستظل خطواتك تقرع فيه وحوله وفوقه الى الابد، هذا النعش الصغير المعلّق سيحتوينا جميعاً. وستعلكنا خطواتك ونحن فيه. وستظل أنت فقط خارجه تكمل رحلتك التي لا تنتهي. لا تنتهي! يا إلهي! ليس بوسع أحد غيرك ان يعرف»[٩٤].

وبينما يكون هذا هو شأن الساعة النعش، وشأن خطوات حامد، في وجدان مريم، فإن زمن زكريا المائل ـ الزمن وزكريا معاً ـ يمارس حضوره عبر التجاوب الدلالي بين الساعة ـ النعش، والسرير النعش، وهو يحتوي زكريا الـ «مستغرق في النوم على بعد شبر واحد مني. بعيد كالموت»[٩٥].

ويؤدي اصطراع الازمنة داخل وجدان مريم الى اجتراح الفعل الذي يكشف عن الوعي والاختيار: يؤدي تهديد زكريا لمريم بتطليقها إن هي لم تستطع «إسقاط ذلك القرد الصغير»[٩٦] على حد تعبيره، الى الغاء أية امكانية لدخول مريم في زمن زكريا، ولا يبق أمامها، مع رغبتها في الاحتفاظ بالجنين، غير العودة مع جنينها، وماضيها كله، الى زمنها الأفقي، غير أن خشية العار والفضيحة، على المستوى الاجتماعي، تدفع مريم الى الغاء هذا الخيار، إذ فجأة، ودفعة واحدة يتدافع ضجيج العالم في أذنيها، وتحضر الأزمنة الثلاثة في اصطراع أخير: «الساعة البعيدة المعلّقة أمام السرير تدق، فتعبر الممر وتدخل الى المطبخ حيث كنا نقف وجهاً لوجه صبيحة عرسنا. وفاتني ان أعد دقاتها المستغيثة التي كانت تندمج في صوته العالي، وتتحول معه الى اصطفاق صنوج معدنية جبارة، تهز بدني هزاً»[٩٧]. يختلط الزمنان، زمن زكريا وزمن الساعة ـ النعش، فيتوحدان في دقّات استغاثة، ثم يتحولان الى «اصطفاق صنوج جبارة» تشي بانبثاق فعل رهيب، إن صوت زكريا هو صوت زمنه المائل، ودقّات الساعة ـ النعش التي تلحّ في حضورها، تعلن عن زمنها وتستدعي نقيضه: خطوات حامد، وتقف مريم في بؤرة اصطراع الأزمنة، وإذ تلمع سكين المطبخ، وسكين الجندي الاسرائيلي، تلك الملقاة فوق الطاولة، أو الملقاة على رمل الصحراء بين قدمي حامد، أمام عينيهما «بنصلها الطويل المتوقّد»[٩٨] في برهة واحدة ـ أنقول هي البرهة التي يصعب التقاطها... ربما ـ فإن مريم تكون قد قررت الدخول في زمن حامد، في اللحظة نفسها التي يكون حامد مهيئاً للاعلان عن ولادة زمنه: «زمن الاشتباك» بعد مخاض عسير يتقاطع مع المخاض الذي عبرته مريم. وإذ يقع الفعلان في اللحظة ذاتها ويتقاطعان، فإن حامد يكون قد أعلن انبثاق: زمن الاشتباك على المستوى الوطني، زمن انبثاق الهوية الوطنية من جديد، وتكون مريم بقتلها زكريا قد أجهزت على كلا الزمنين: الافقي والمائل، المتوحدين في صوت زكريا، وأرسلتهما معاً، الى القبر، بين قدمي الطاولة، في الوقت الذي تكون فيه، مثل حامد، قد أخرجت الزمن من أساره، فأعلنت حضور زمن آخر في البيت، يتجاوب مع الزمن الذي أعلن حامد حضوره في الصحراء ـ الوطن. وباختلاف الزمن، أي باختلاف مفهومه لدى كل من حامد وزكريا، تختلف رؤيتهما للأشياء والاماكن، فلا تعود الصحراء في رؤية حامد ـ أرضاً محرمة، أو عبارة بين خسارتين، أو حدّاً يتوجب اختراقه للوصول الى الام ـ الملجأ، بل تكون هي، كما كانت قبل الاحتلال والاقتلاع والنفي: الارض ـ الام ـ الوطن، دون تراتب أو تسلسل أفقي، بل بتداخل وتفاعل في المدلولات يكاد يجعل الكلمة الواحدة دالة على رديفاتها ومسكونه بما تنطوي عليه من معان، ومشاعر، وتصورات، أو يكاد يجعلها كلمة واحدة: الارض الأم الوطن، التي ينغرس حامد فيها، ويتخلّق في رحمها من جديد، فيولد، وتولد هويته في فضاء وطن ذاهب الى مستقبله.

وكذلك أيضاً، لا يعود البيت قبراً يحتوي أشياء هي نعوش وقبور، وأناساً هم جثث محنّطة،

أو أجساداً هي نعوش تحتوي موتى، لا تعود الساعة نعشاً؛ فقد خرج العكاز من إساره، وصارت دقات الزمن الجديد بديلاً له، خطوات تقرع في فضاء الوطن والعالم، ولا يعود السرير نعشاً، فقد ذهب زمن الاستلقاء العاجز قبالة الساعة ـ النعش لعدّ دقات زمن يموت، وذهب زكريا الذي جعل السرير نعشاً دفنت فيه أماني مريم، ذهب الى موت حقيقي لا يشبه ذاك الذي كانت تراه مريم في إغراقه في النوم. لا يعود شيء في البيت يحمل مدلوله القديم، ولا يعود البيت قبراً، لأن مريم نفسها لم تعد هي المستكينة العاجزة التي يصبغ موتها في الحياة رؤيتها لكل شيء.

إن أشياء البيت، والبيت نفسه، والمخيم، التي شكّلت معادلات موضوعية، فنية، للواقع، وتضافرت جميعاً، مع الصحراء، وأبطال الرواية لتصوغ الرواية كمعادل فني كلي للواقع الفلسطيني في المنفى، في تلك الحقبة من الزمن، وذلك عبر تحويل الواقعي الى المتخيّل، والايحاء الدائم بامكانية انبثاق واقع مغاير، والوصول في الرواية ذاتها الى الخطوة الاولى نحو انبثاق ذلك الواقع، نقول: إن البيت وأشياءه والمخيم، في ضوء ما سبق، لا يمكن لها ان تواصل الاحتفاظ بمدلولاتها القديمة، ذلك لأن تحول الرؤية للعالم يحوّل مدلولات الاشياء ويصبغها بصبغته، ومع حضور الوعي الممكن يصير الوعي القائم ماضياً، وعلى هذا النحو يصير ما أنجزته رواية «ما تبقى لكم» وعياً قائماً يبحث عن تحولاته، فيعثر على انفجاراتها في «أم سعد»، حيث تصير خطوات حامد ومريم، وقناعات سعيد س. الجديدة في «عائد الى حيفا» مداً جماهيرياً، ملحمياً، يحتضن وعياً قائماً يبحث عن وعيه الممكن، بثقة واقتدار، لأنه ناهض على وعي يتحول مع وقع الخطوات. وفي المسافة بين الوعي القائم والوعي الممكن تعثر أماكن المنفى خارج الوطن على تحولاتها الدلالية.

ولئن وقفنا عند ما قدمته «ما تبقى لكم» من تحولات لدلالة المخيم والبيت، كأماكن للمنفى داخل الوطن، ومن نبوءات تشي بانبثاق زمن الثورة والفعل من هذه الاماكن ذاتها، فإن روايتي «رجال في الشمس» و«أم سعد» تقدمان تجليات وتمظهرات للحيز الثاني في مجال أماكن المنفى؛ وهو حيّز المنفى خارج الوطن، وتصوغ «أم سعد» تحولات الرؤية للمكان مع تحولات الرؤية للعالم، عبر مخاضات عبرها الوعي الفلسطيني، وحاولت الروايتان، التعبير عنها فنياً.

الحيز الثاني: أماكن المنفى خارج الوطن

لا تنشغل رواية «رجال في الشمس» بتقديم مكثّف لأماكن المنفى كأماكن إقامة خارج الوطن، وذلك لأن أحداثها تقع في المجال المكاني الذي يفصل المنفى (هنا) عن المنفى (هناك) أي انها تقع في منطقة الحد، في الصحراء التي تفصل أماكن المنفى هنا، عن الكويت كمنفى هناك؛ أي صحراوات كثيرة كصحراوات الاردن والعراق والكويت. وأحداث رجال في الشمس القائمة على منطق الرحلة، وعلى اختراق أماكن الحد المحرّمة ـ كما هو حال حامد في «ما تبقى لكم» ـ تتكثّف في صحراء الكويت، وفي الاماكن الحدودية الحدّية ـ التي يتوجب على أبطال الرواية اختراقها، وهي لا تستدعي حضور المخيمات أو أماكن الاقامة في المنفى ـ هنا الا في سياق رسم خلفية الاحداث وتقديم ماضي الشخصيات والكشف عن الطموحات التي اتخذها كل منهم دافعاً لرحلته، وفي هذا السياق نعثر على إشارات، طفيفة غير أنها دالة، عن أماكن اقامة أبطال الرواية في المنفى، وهي الاماكن التي انطلقوا منها نحو منفى المنفى.

غرفة ما في مكان ما في المنفى

لا تحدّد «رجال في الشمس» المكان الذي انتقل اليه أبو قيس بعد اقتلاعه من الوطن، من

قريته، ومن القرية التي ضمت ذلك البيت العتيق الذي انتقل اليه، داخل الوطن، بعيداً عن خطوط القتال. غير أن الرواية، عبر تداعيات أبي قيس، وفي لحظة مكاشفة يخاطب فيها نفسه، تضيء شيئاً عن حالته، وعن المكان الذي يحتويه في المنفى، بعد اقتلاعه من الوطن... يقول أبو قيس: «في السنوات العشر الماضية لم تفعل شيئاً سوى ان تنتظر... لقد احتجت الى عشر سنوات كبيرة جائعة كي تصدّق أنك فقدت شجراتك وبيتك وشبابك وقريتك كلها... في هذه السنوات الطويلة شقّ الناس طرقهم وأنت مقع ككلب عجوز في بيت حقير... ماذا تراك تنتظر؟ أن تثقب الثروة سقف بيتك... بيتك؟ إنه ليس بيتك... رجل كريم قال لك: أسكن هنا! هذا كل شيء، وبعد عام قال لك أعطني نصف الغرفة، فرفعت أكياساً مرقّعة من الخيش بينك وبين الجيران الجدد... وبقيت مقعياً حتى جاءك سعد وأخذ يهزك مثلما يهز الحليب ليصير زبداً»[٩٩]. ثمة إذن غرفة في مكان ما في مجال المنفى خارج الوطن، تصير بعد عام من المكوث فيها نصف غرفة فحسب، لأن الغرفة شطرت بأكياس الخيش كي يشغل نصفها الآخر لاجيء آخر، بناء على رغبة فاعل الخير، الرجل الكريم الذي قدم الغرفة لأبي قيس وأسرته المكونة من زوجته وابنه قيس وطفل صغير، وجلي ان قيمة الانتماء الى المكان غير متوفرة، فأبو قيس يراه «بيتاً حقيراً» ثم لا يراه بيتاً بل غرفة، ولا يرى أنه بيته، فهو مسكون ببيته الذي هناك وبشجراته التي غرسها في حقله في قريته. وتبدو هذه الغرفة الفارغة تكثيفاً لسنوات المنفى «الكبيرة» و«الجائعة». ولسنوات «الانتظار» الطويلة.

وحين يجيء سعد ويحرّك في وجدان أبي قيس، وعقله، مسؤولياته إزاء الاسرة وتعليم قيس والأبن الذي سيكبر، ويدعوه الى شق طريق في المنفى، تنبثق في أحلام يقظة أبي قيس، المسكون ببيته وشجراته وقريته، امكانية اعادة انتاجها جميعاً في مكان ما، بالاضافة الى تعليم قيس، وذلك من خلال شق الطريق في المنفى بالذهاب الى منفى المنفى ـ الى الكويت، حيث: «سيكون بوسعنا ان نعلم قيس... وقد نشتري عرق زيتون أو إثنين... وربما نبني غرفة في مكان ما»[١٠٠]، تلك هي أولويات أبي قيس المسكونة بفكرة اعادة انتاج الوطن خارج الوطن، وتحقيق مبدأ الانتماء الى المكان من خلال فكرة الامتلاك: «نبني غرفة». وهي الاولويات التي تلحّ عليه فتتكرر في تداعياته والسيارة تلهب الطريق في صحراء الكويت[١٠١].

إن مبدأ «التعميم» الذي يتوخاه كنفاني في تجسيد الغرفة بوصفها غرفة ما، في مكان ما في المنفى، يعكس عبر تداخله مع مبدأ «التخصيص» الذي يحيل الغرفة الى أبي قيس تحديداً، فكرة مؤداها ان هذه الغرفة هي غرفة اللاجيء ـ المنفي خارج الوطن، فهي غرفة «نموذج» بضيقها وحقارتها وعرائها وخوائها، مثلما ان أبا قيس «نموذج» لفئة من اللاجئين قادتها الضرورات الضاغطة، والانتظار الساكت الطويل، وأحلام اليقظة، الى العمل على اعادة انتاج الوطن خارج الوطن!

المخيم، كوخ طين، بيت اسمنت، جنة إلهية

ولئن كنا غير قادرين على تحديد ما إذا كانت غرفة أبي قيس داخل المخيم أو خارجه، وهو أمر دال كما سبق القول، فإن «رجال في الشمس» تقدم صورة موجزة، ودالة أيضاً، لبيوت المخيم، الذي لا نعرف، أيضاً، في أي بلد يقع على وجه التحديد، وذلك من خلال تداعيات مروان التي تكشف عن خلفيته الاجتماعية، والبيت الذي يقيم فيه في المنفى، والدوافع التي قادته الى الانخراط في رحلة الصحراء والموت.

في رسالة هي أشبه ما تكون بالتداعيات، يكتبها مروان الى أمه من «فندق حقير مرمي في

طرف الكون»[١٠٢] هو الفندق الذي يقيم فيه في البصرة حتى يتمكن من ترتيب أمور تهريبه الى الكويت، عبر الصحراء، نتعرف على الاسباب التي جعلت أباه يترك البيت والاطفال الاربعة؛ أبناءه، ويطلّق زوجته. وفي سياق الكشف عن هذه الاسباب نعرف شيئاً عن مواصفات بيت المخيم، كما نعرف شيئاً عن مواصفات البيت الآخر الذي انتقل اليه الأب، باعتبار أن هذا البيت الذي شكّل أقصى طموحات الأب هو السبب وراء ما حلّ بالأسرة. يقول مروان متحدثاً لأمه، ولنفسه أيضاً، عن أبيه: «لقد كان طمـوحه كله... كل طموحه، هو أن يتحرّك من بيت الطين الذي يشغله في المخيم منذ عشر سنوات ويسكن تحت سقف من اسمنت، كمـا كان يقول...الآن، زكريا راح...آماله كلها تهاوت... أحلامه انهارت... مطامحه ذابت... فماذا تعتقدين أنه سيفعل؟ لقد عرض عليه صديقه القديم والد شفيقه ان يتزوجها... قال له إنها تمتلك بيتاً من ثلاث غرف في طرف البلد، دفعت ثمنه من النقود التي جمعتها لها منظمة خيرية»[١٠٣]. وعبر تداعيات مروان عن رسالة بعثها أخوه زكريا من الكويت نعثر على إشارة تفيد بوجود مدرسة في المخيم يتعلم فيها مروان ويدعوه أخوه الى تركها و«أن يغوص في المقلاة مع من غاص»[١٠٤]. ويكشف الرواي عن الغاية ـ الهدف الذي توخاه مروان من انخراطه في رحلة البحث عن منفى في المنفى، فهو يتطلع الى سد الفراغ الذي تركه زكريا يوم توقف عن ارسال «مئتي روبية»[١٠٥] شهرياً، كانت تحقق للأب بعض الاستقرار الذي يحلم به، وهو يتطلع الى ان يرسل كل قرش يحصّله الى أمه كي «يغرقها ويغرق إخوته بالخير حتى يجعل من كوخ الطين جنة الهية... ويجعل أباه يأكل أصابعه ندماً!»[١٠٦]. ومن خلال صوت الراوي، المتداخل مع تداعيات مروان، نتعرف على شيء من مواصفات بيت الاسمنت من خلال تعرفنا على ماحدث عندما ذهب مروان لتوديع أبيه، يقول الراوي: «صفق الباب وراءه وسار. كان ما زال يسمع صوت عكاز شفيقة يقرع البلاط برتابة، وعند المنعطف تلاشى الصوت»[١٠٧].

تلك هي جملة الاشـارات التي عثـرنـا عليهـا في سياق السرد الروائي عن كوخ الطين وبيت الاسمنت، عبر آليات انبثاقها المختلفة، وجلي هنا، كما هو الحال دائماً في روايات غسان كنفاني، أن الاماكن لا تحضر الاّ عبر صلتها بالشخصيات والاحداث، وهي هنا تجيء في سياق رسم الخلفية الاجتماعية لمروان، والطموحات التي سكنت أباه والتي تسكنه، وتلك التي سكنت أخاه زكريا. لا شك ان زكريا، في البدء، كان يتطلع الى انقاذ الاسرة من الجوع والفقر وكوخ الطين غير أنه ضاع في الكويت، وتخلى عن تطلعه، فانهارت بذلك أحلام الأب وتمزقت الاسرة، فجاء مروان حاملاً الطموحات ذاتها بل رافعاً سقفها الى الأعلى من خلال رغبته في تحويل كوخ الطين الى «جنّة الهية»! وهكذا يتبدى «البيت» في بؤرة أحلام اليقظة والطموحات على نحو مقارب لمّا رأيناه عند أبي قيس. ويتبدى بيت الاسمنت ذو الغرف الثلاث والسقف الاسمنتي والارضية المبلطة، نقيضاً لكوخ الطين في المخيم، وسقفاً للطموح الدافع الى رحلة البحث عن تحسين شروط الحياة في المنفى، بعيداً في المنفى. وهي الرحلة التي انتهت الى موت مهين داخل خزان، هو قبر في صحراء، هي مقبرة.

ولئن كانت الاشارات السابقة، لا تكفي لاقامة تصور واضح حول انعكاس بيوت المخيم والمخيم نفسه في روايات كنفاني التي تناولت أماكن المنفى خارج الوطن، فإن الاشارات الواردة في رواية «أم سعد» تساعدنا على اقامة مثل هذا التصور، فالاحداث والوقائع والتحولات الملحمية التي تقدمها روايـة «أم سعد» تقع في إطار المخيم كمكان للمنفى خارج الوطن، وتستحضر أماكنه، كأماكن في المنفى، وذلك لأن الشخصيـات التي تتحرك في الرواية، وخاصة «أم سعد» تسكن المخيم، وتعيش تحـولاتـه النـاجمـة عن تنـامي البـدايـات الاولى للثـورة الفلسطينية، وتحولها الى مدّ جماهيري

واسع؛ ملحمي الحضور والخطوات.

في المدخل الذي كتبه غسان كنفاني لرواية أم سعد ـ والذي نعتبره مع الاهداء، والعنوان، وعناوين اللوحات، مصاحبات نصية، تمثل مداخل وقنوات مهمة، ودوالاً لها أهمية خاصة في قراءة النص واكتشاف علاقاته وحركاته الدلالية ومدلولاته ـ يصف غسان المخيمات بـ «مخيمات البؤس»[١٠٨]، وسيجرى على امتداد السرد الروائي، وعبر صوتين هما صوت الراوي وصوت أم سعد، أو صوت الاخيرة محمولاً على صوت الراوي، تعريفنا على المكونات المختلفة لهذه الصفة: «البؤس» والأسباب التي جعلت غسان، والراوي وبطلة الرواية، بعده، يرون الى المخيمات وهي متسمة بهذه الصفة... وسنحاول اعادة بناء الاشارات الدالة على المخيم وبيوته، ثم نذهب، بعد ذلك، الى التعرف على أماكن أخرى، في المنفى، تقدمها الرواية في تضاد مع المخيم، ومع بيت أم سعد.

المخيم: هذا الحبس العجيب

تبدأ الرواية لوحتها الاولى «أم سعد والحرب التي انتهت» بالراوي واقفاً وراء نافذة بيته، في ذلك الصباح التعيس الذي انتهت فيه حرب حزيران ١٩٦٧ بهزيمة العرب التي جعلتنا «نطوي أنفسنا على بعضها كما تطوى الرايات»[١٠٩]، وفجأة، يرى أم سعد قادمة من رأس الطريق، فيقفز الى ذهنه سؤال من بين أسئلة كثيرة: «كيف تراها رأت المخيم حين غادرته هذا الصباح»[١١٠]. لا شك ان ما سبق سيدفعنا الى توقع رؤية للمكان ـ المخيم، محكومة بانعكاسات الحرب التي انتهت بالهزيمة، والتي كانت، مع اندلاعها، موضع أمل يحدو به اللاجئون والمنفيون بأن يعودوا الى وطنهم الذي اقتلعوا منه، ففقدوا بانتهاء الحرب، بالهزيمة، الوطن مرتين، وفقدوا الامل الذي راودهم طويلاً، غير أن هذا التوقع سرعان ما يتبدد ونحن نرى الى أم سعد وهي تدخل البيت، ثم، تسحب من صرتها الفقيرة التي كانت ألقتها في الركن «عرْقاً بدا يابساً»[١١١] هو عرق قطعته من دالية صادفتها في الطريق وتود غرسه قرب باب بيت الراوي، مؤكدة ان الدالية مثل الزيتون، لا تحتاج الى ماء، وأنها شجرة معطاءة، وأن الراوي في أعوام قليلة سيأكل عنباً... فمن أين تجيء أم سعد بهذا التفاؤل الذي يبدد توقعنا السابق لما يمكن ان تكون عليه رؤيتها للمكان، وللزمان أيضاً، أي رؤيتها للعالم التي تحدد رؤيتها لكل شيء... لن يمكث تساؤلنا هذا طويلاً، إذ يعرّفنا السرد بعد صفحة واحدة، بالضبط، على مصدر هذا التفاؤل، فحين يوجه الراوي سؤاله لأم سعد: «كيف كان المخيم اليوم؟»[١١٢] تنبثق الاجابات التي تكشف عن مصدر التفاؤل على الرغم من الاحساس العارم بالهزيمة: «بدأت الحرب بالراديو وانتهت بالراديو، وحين انتهت قمت لأكسره، ولكن أبا سعد سحبه من تحت يدي. آه يا ابن العم! آه»[١١٣]. ففي مقابل هذه الآهات المحبطة ثمة شعور بالقوة مصدره أن سعداً ـ ابنها ـ مع رفاقه من أبناء المخيم قد ذهبوا نحو الجبل كي يقطعوا الحدود: «وعاد ذراعها مرة أخرى يشير الى تلك الحدود»[١١٤]. وعلى هذا النحو لن نكون بإزاء رؤية واحدة الجانب، بل بإزاء رؤية جدلية، تماماً، يتضامن في بثها، عبر السرد، صوتا الراوي وأم سعد، فنرى الى المخيم وأمكنته وبيوته في واقعها، وفي سياق تحولاتها، وعبر انعكاسات المشاعر وهي تمر في قناة ذلك المنظور الرؤيوي.

ترى أم سعد ان المخيمات حبوس: «أتحسب أننا لا نعيش في الحبس؟ ماذا نفعل نحن في المخيم غير التمشّي داخل ذلك الحبس العجيب؟ الحبوس أنواع يا ابن العم! أنواع! المخيم حبس، وبيتك حبس، والجريدة حبس، والراديو حبس، والباص والشارع وعيون الناس... أعمارنا حبس، والعشرون سنة الماضية حبس...»[١١٥]. ولكنها في المقابل ترى أن سعداً «سيخرج من الحبس.

الحبس كله»[١١٦]. وتقول أم سعد: «اهترأ عمري في ذلك المخيم»[١١٧]، ولكنها في المقابل ترى أن سعداً ورفاقه سيخلصونها من اهتراء العمر: «كل مساء أقول يارب! وكل صباح أقول يا رب! وهاقد مرت عشرون سنة، وإذا لم يذهب سعد، فمن سيذهب؟»[١١٨]. وفي ضوء هذه الرؤية ترى أم سعد الى الفرق بين خيمة اللاجىء وخيمة الفدائي فتقول قولتها التي صارت مثلاً سارياً في وجدان الفلسطينيين: «خيمة عن خيمة تفرق»[١١٩].

ولئن كانت هذه الاقوال تكشف عن المنظور الرؤيوي، وهل تدخل في إطار التعبير عن أفكار ومقولات مجردة، فإن التجسيد الحيوي لمشهد المخيم، يتبدى من خلال إشارات تجيء غالباً على لسان الراوي، وهي اشارات تمكننا من رسم صورة طوبوغرافية تتكشف من خلالها شروط الحياة في المخيم ـ المنفى خارج الوطن. ولتحديد موقع هذا المخيم نعثر على إشارة واحدة، تجيء في سياق اللوحة الخامسة «الذين هربوا والذين تقدموا ونصها هو: «كانت أم سعد تعشّي ابنها الصغير حين سمعت دوي الانفجار الاول. مخيم البرج لا يبعد كثيراً عن المطار...»[١٢٠]، إذن، نحن بإزاء تحويل فنّي لمواصفات وخصائص مكان واقعي، هو مخيم البرج الذي هو أحد مخيمات اللاجئين الفلسطينين في لبنان، وفي بيروت تحديداً، وبإزاء فترة زمنية محددة هي الايام التي أعقبت هزيمة ١٩٦٧، الايام التي استغرقها عرق الدالية الناشف ما بين لحظة غرسه في بداية الرواية، ولحظة أن بزغ منه «رأس أخضر كان يشق التراب بعنفوان له صوت»[١٢١]، والحق ان هذا الكلام صحيح إذا ما دفعنا هذه الاشياء نحو أقصى احتمالاتها، وخارج سياقها، وجعلنا الواقع الذي تشي به مرجعية لنا في قراءة النص، ومحاكمته، غير أن ذلك ليس صحيحاً لأننا لا نبحث في الفن عن مطابقة الواقع بل عن تحويله فنياً، ولا نرغب في رؤية الواقع منسوخاً في الفن رغم أنه هو المرجع الاصيل لأي عمل فني، بل نتطلع دائماً الى اعادة خلق الواقع، عبر ادراكه جمالياً، وتفسيره ومحاكمته، وفي أفق هذا الضوء، نجد أن «أم سعد» التي تستلهم واقع «مخيم البرج» تصوغ صورة فنية لأي مخيم فلسطيني في أي مكان من أماكن المنفى خارج الوطن، من خلال «الخاص» الذي يشي بـ «العام» ويدل عليه، فما هي إذن، صورة المخيم، في إطار هذا الجدل القائم بين «الخاص» و«العام»؟

في أول إشارة ترد على لسان الراوي، نجده يذهب الى التعميم والى الوصف التجريدي، فيقول: «أم سعد، المرأة التي عاشت مع أهلي في «الغبسية» سنوات لا يحصيها العد، والتي عاشت، بعد، في مخيمات التمزق سنوات لا قبل لأحد بحملها على كتفيه...»[١٢٢]، فنضيف الى الوصف الاول الذي جاء على لسان غسان نفسه، في المقدمة، وصفاً مجرداً جديداً، دون أن نعثر على جديد.

يظل المخيم غائباً؛ حاضراً عبر كلمات مجردة، الى أن يصير هو نفسه مجالاً لوقوع الاحداث، فيبدأ في ممارسة حضوره كمكان روائي، ففي اللوحة الثالثة «المطر والرجل والوحل» تحضر أم سعد الى بيت الراوي في صباح يوم ماطر، وتكون السماء طوال الليلة الفائتة «تكبّ سطولاً»[١٢٣]، وحين تدخل أم سعد وهي تقطر بالماء، ويشاهد الراوي «شريطاً من الوحل الاحمر يطوّق طرف ردائها»[١٢٤] يلفت نظرها الى ذلك، فتتولد مناسبة نتعرف من خلالها على المخيم في ليل ونهار ماطران، تقول أم سعد: «طاف المخيم في الليل... الله يقطع هالعيشة»[١٢٥]. وتقول: «بكينا أكثر مما طافت المياه في المخيم ليلة أمس»[١٢٦]. وتقول: «أمضيت كل الليل غارقة في الوحل والماء. عشرون سنة... لا أريد أن أموت هنا، في الوحل ووسخ المطابخ؟ أريد ان أعيش حتى أراها»[١٢٧]. وتقول أيضاً: «كان الليل ثقيلاً، وكنا نشتغل بالوحل والماء»[١٢٨]. ويقول الراوي: «تعالي يا أم سعد. إجلسي هنا. أنت متعبة فقط، وربما كان شوقك لسعد وقلقك عليه هما اللذان يصدعان رأسك. وكذلك الطقس، أنت تشعرين بالتعاسة

لأنك تعرفين بأن المطر سيستمر طوال النهار، وستعملين في جرف الوحل طوال الليل. تعالي إجلسي، لا تسمحي لذلك كله ان يهدمك»[١٢٩]، غير أن أم سعد تعود الى تماسكها وترى الى الامر من جانبه الآخر، في ضوء ما يفعله سعد ورفاقه فتقول: وتتذكر ما كان سعد يفعله ويقوله حين كان يطوف المخيم: «كان يقف ويتفرج على الرجال وهم يجرفون الوحل، ثم يقول لهم: «ذات ليلة سيدفنكم هذا الوحل». ومرة قال له ابوه: لماذا تقول ذلك؟ ماذا تريدنا ان نفعل؟ هل تعتقد انه يوجد مزراب في السماء، وأن علينا ان نسده؟ وضحكنا كلنا، ولكنني حين نظرت اليه رأيت في وجهه شيئاً أرعبني، كان منصرفاً الى التفكير وكأن الفكرة راقت له، كأنه سيذهب في اليوم التالي ليسد ذلك المزراب... ثم ذهب»[١٣٠]. وفي ضوء الفكرة نفسها التي ترى الى الواقع وتحولاته، والانسان وموقفه ينظر الراوي، مرة أخرى، الى شريط الوحل الداكن المتدلي على طرف رداء ام سعد، فيراه: «شيئاً يشبه تاج الشوك»[١٣١]. وقبل ان تغادر ام سعد تكون قد أبلغت الراوي ان سعداً قد أرسل مع رفيق له يخبرها أنه سينسف في الغد سيارة اسرائيلية ويقدمها هدية لها، وتكون هذه مناسبة لأن يتحرك الراوي من بيته، في واحدة من المرات القليلة التي تحرك فيها، ويذهب الى المخيم، كي يخبر أم سعد انه سمع في الراديو نبأ سقوط سيارة اسرائيلية في كمين مقاتلين وأن الفدائيين عادوا الى قواعدهم سالمين، وبذهاب الراوي الى المخيم، نكون بإزاء صورة مباشرة، تتشكل الآن، في ذات اللحظة التي ترسمها فيها الكلمات ـ وهذه حالة نادرة في الرواية ـ صورة نشاهد فيها أم سعد والمخيم في لحظة التحام واحدة: «لست ادري لماذا مضيت من توي الى المخيم، وفي مستنقع الوحل شهدت أم سعد واقفة مثل شارة الضوء في بحر لا نهاية له من الظلام... وكان المطر ينهمر، ولم يكن رذاذة الصاخب في تلك اللحظة الا تطاير الماء أمام زورق صامد يشق طريقه كالقدر»[١٣٢]. هكذا تنعكس الرؤية الملحمية للعالم على كل شيء؛ فيبدو كل شيء منطوياً على نقيضه، فتصير مخيمات البؤس والتمزق ومستنقعات الوحل بحراً يحتوي قارباً يشق طريقه كالقدر لأن سعداً ورفاقه قد ذهبوا لاغراق مزراب الوحل الذي صبغ حياة الفلسطيني في المنفى لمدة عشرين عاماً، ولأنهم ذهبوا، وأم سعد «تخلف وفلسطين تأخذ»[١٣٣]، فإن شريط الوحل على ردائها يصير تاج شوك. وتصير مخيمات الاقتلاع والنفي معسكرات للثورة.

وحين تتحدث أم سعد عن تحولات زوجها أبي سعد بفعل هذا التحول العارم، نتعرف على أماكن أخرى داخل المخيم، أماكن تساهم في تشكيل طوبوغرافيته، وفي انبثاق مدلولاتها القديمة والجديدة، وفي سياق واحد، وعبر اللوحة التاسعة «البنادق في المخيم» نتعرف على مقهى المخيم، وساحته، وممراته الضيقة، وأسطح بيوته الواطئة، وذلك من خلال صوت «أم سعد» محمولاً على صوت الراوي، أو محوراً ومنقولاً عبر صوته الخاص، يقول الراوي: «فجأة تغير كل شيء: كفّ أبو سعد عن الذهاب للقهوة وصار حديثه لأم سعد أكثر ليونة... كان يأتي دائماً منهكاً، ويطلب طعامه بسؤال فظ... وحين كان يتعطل عن العمل كان يزداد فظاظة، ويأخذ في الذهاب الى القهوة حيث يشرب شاياً ويلعب الطاولة وينهر على كل الناس، وإذ يعود الى البيت كان لا يطاق... وذات يوم شمت أم سعد، مع لهاثه، رائحة الخمر... أما الآن فقد تغير كل شيء فجأة وصار إذ يسمع خطوات تمر من أمام شباك كوخه الواطىء، في ذلك الممر الموحل الضيق الذي لا يسع لمرور أكثر من شخص واحد يطل برأسه، ويشرع بالحديث مع الرجل العابر، موجهاً شتى الاسئلة، متحدثاً عن «الكلاشينكوف» الذي كان يفضّل ان يشير اليه بمجرد كلمة «كلاشن» مثلما يفعل سعيد حين كان يزورهم»[١٣٤]، وعوضاً عن الذهاب للمقهى، مكان العاطلين عن العمل والمعطوبين، وأصحاب الزمن المائل، والساقطين أخلاقياً ـ كما رأينا في «ما تبقى لكم»، وكما هي مدلولات المقهى في «أم سعد» قبل اندلاع الزمن الآخر؛ زمن الثورة والمقاومة الذي بدأته خطوات

حامد ومريم، فإن أبا سعد يذهب الى ساحة المخيم التي تحولت من مكان لتجميع قطيع المنفيين لتوزيع الاعاشة عليهم، أو تأنيبهم لفعل مخالف للأمن قد ارتكبه احدهم، الى ساحة للعرض العسكري، وللتدريب على فنون القتال: «لقد ذهب تلك الظهيرة الى حيث مكبر الصوت يعلو بحديث لم يكن يسمع مثله من قبل، ووقف هناك فوق الجدار يرقب، مثلما المصاب بالذهول، أطفال المخيم وبناته ورجاله يقفزون عبر النار ويزحفون تحت الاسلاك ويلوحون بأسلحتهم وقد شهد «سعيد» ابنه الاصغر يقدم أمام حشود الناس عرضاً عما يتعين على المقاتل ان يفعل حين يتعرض لطعنة حربة كي يتجنب الأذى... وحين نزل سعيد الى حلقة العرض أخذ الناس يصفقون... ودوّي تصفيق كالرعد في ساحة المخيم حين تجنب سعيد ضربة الحربة... وفجأة التفت رجل عجوز كان يجلس على حافة الجدار الى أبي سعيد وقال له: «لو هيك من الأول، ما كان صار لنا شيء»[١٣٥]. وفي اليوم التالي لهذا العرض العسكري يكون «الأفندي أول من بدأ المشيء خارج المخيم»[١٣٦]. كما تخبر أم سعد، والافندي هو الشرطي ـ رديف التسلط والقمع ـ وهو الامر الذي يشي، ضمناً، بوجود مركز للشرطة، لأن وجود الشرطي يستدعي وجود المركز، وهذا الاخير يتحول بغياب الشرطي عن دلالته القديمة ويصبح محض مكان، فالشرطي هو الذي يعطي لمركز الشرطة دلالته وليس العكس.

لقد أدت هذه التحولات الى مزيد من التحول في رؤية الناس للعالم، فحين ذهب سعد تحسن أبوه قليلاً، وحين رأى سعيداً يحمل السلاح في حلقة العرض، تحسن أكثر، وهكذا صار يرى المخيم «غير شكل»[١٣٧]، مثلما رآه الرجل العجوز، وحشد الناس الذين كانوا في ساحة المخيم، وأم سعد، والراوي، لأنهم جميعاً كانوا يرون الى الدالية التي برعمت.

أرادت أم سعد الا ترينا شيئاً أو مكاناً من المكونات الطوبوغرافية للمشهد الخارجي للمخيم بمعزل عن وجوده في بؤرة التحولات الدلالية، وعن دوره في الاحداث، وصلته بالشخصيات. وقد تعرفنا حتى الآن على المخيم في ليل ونهار ماطر، وعلى المقهى، والساحة، ومركز الشرطة، وعلى الازقة والممرات الضيقة، وعلى أسقف البيوت الواطئة... فماذا عن البيوت نفسها؟ عن مواصفاتها (الهندسية) وعن محتوياتها؟ كيف تنبثق وتتبدى في النص، وما هي حركتها الدلالية ومدلولاتها.

صدمة التعرف... أو فاعلية التضاد

تعرفنا الرواية على بيت وحيد من بيوت المخيم هو بيت «أم سعد»، ونبدأ دخولنا الى هذا البيت «النموذج» مع كلمات الراوي التي تجيء على هيئة جملة اعتراضية، بين قوسين، في اللوحة الخامسة «الذين هربوا والذين تقدموا». يقول الراوي متحدثاً عن أم سعد: «كان نهارها صحراء قاحلة من التعب المضني. منذ أبكر الصبح وهي تعتصر الملابس والمماسح، تنظف الشبابيك وتجلو الارض وتنفض السجاجيد (في بيوت الآخرين، طبعاً، فبيتها في المخيم غرفة مشطورة من النصف بحائط من التنك). كانت متعبة، وقد أخذت تعشّي ابنها الصغير لتضعه في فراشه وتنام، حين سمعت دوي الانفجار الاول»[١٣٨]. على هذا النحو لا يحضر بيت أم سعد الا من خلال علاقة تضاد مع بيوت الآخرين، فهذه بيوت، أما بيتها فهو محض غرفة مشطورة بحائط من التنك، تذكرنا بغرفة أبي قيس في «رجال في الشمس» المشطورة بأكياس الخيش.

وفي اللوحة الثامنة «أم سعد تحصل على حجاب جديد» ندخل الى البيت في سياق أحداث تقع داخله، وهي أحداث كانت قد وقعت قبل ان يغادر الافندي ـ الشرطي، المخيم، وقد روتها أم سعد للراوي الذي يعيد رواياتها، أو هو يكتبها، كما كانت طلبت منه أن يفعل، دائماً. اعتاد الافندي

ان يمر كل يوم، في أبكر الصبح، ببيت أم سعد، ليسأل عن سعد، ويلحّ عليها ان تكتب اليه أنْ يعود ـ كي يقبضوا عليه، بالطبع ـ وذات يوم يكون الافندي قد قرر شيئاً ربما تفتيش البيت، لذا تراه يجول في هذا الحيز الضيق الذي هو البيت، ومع جولانه هذا نتعرف على البيت من الداخل، وعلى محتوياته: «ودار الافندي في غرفة الصفيح دورة بطيئة، يحدق الى الاشياء، ويرمق الافرشة المكومة في الركن، وصحون المعدن التي لم تغسل بعد، والسقف المعدني الذي بدأ يتوهج بحرارة الصيف، وكومة الوحل على الباب... وصار الافندي الآن في جهة الباب، ولكنه توقف عند النافذة الصغيرة المفتوحة في الجدار، ورفع من على رفها الخشبي خرقة قماش صغيرة مثلثة وملوّنة ومربوطة الى خيط سميك، وأخذ يلوح بها بين أصابعه: أهذا هو حجابك القديم؟»[١٣٩]. وكان الافندي قد لاحظ أن أم سعد ترتدي حلية هي عبارة عن «سلسلة من المعدن تنتهي برصاصة مدفع رشاش، مثقوبة قرب قاعدتها النحاسية ومفرغة من بارودها»[١٤٠]. فسأل: «ما هذا العقد يا أم سعد؟»[١٤١]. فأجابته أن هذا ليس عقداً، إنه حجاب: «حجاب جاء به سعد»[١٤٢].

ليس ثمة في هذا البيت شيء ينطوي على قيمة من قيم الالفة، ولا تحتوي غرفة الصفيح غير أفرشة مكوّمة باهمال، وصحون معدنية لم تجد أم سعد حاجة ولا وقتاً لغسلها لأن وقتها ذاهب للعمل في بيوت الآخرين، وغير كومة وحل على الباب، ووعد بأن يتوهج السقف ناراً في الصيف، ولا تنطوي هذه الخصائص، مجتمعة، على شيء غير الدلالة على الوقوع تحت قهر الضرورات الطبيعية والاجتماعية، وعلى غياب أي من أبعاد العلاقة الانسانية الطبيعية التي تصل الانسان بالمكان، ولا شك أن هذه الضرورات ستظل ضاغطة على أم سعد، مثل غيرها من اللاجئين المنفيين، ذلك لأن «ثورتهم» لم تجيء كي تحسن شروط الحياة في المنفى، بل من أجل إعادة الحياة في أفق مستقبل مفتوح فوق أرض الوطن، وأم سعد تدرك ذلك، وتنتظر! لا... بل أنها تفعل، تبث روح الثورة والتفاؤل في النفوس، وتشيع الامل في مستقبل يتخلق على وقع خطوات حشد عرف كيف يصير حشداً، وتقدم أولادها واحداً تلو الآخر، وتتطلع بملء وجدانها وقناعتها أن تذهب الى الاغوار، مع الفدائيين، تطبخ لهم، وتعيش معهم في خيامهم لأن «خيمة عن خيمة تفرق»، تماماً مثلما تختلف دلالة حجاب عن حجاب.

ويبدو أن الحجاب هو الأبرز من بين محتويات البيت المهملة، والواضح انه كان من أشياء أم سعد الحميمة، تضعه في صدرها، وفي شغاف القلب، وتنتظر البركات واجتراح المعجزات التي تبدل حالاً بحال، ولقد طال انتظار أم سعد، فهي قد احتفظت بالحجاب الذي صنعه لها «شيخ عتيق» منذ كانت في فلسطين، غير ان الكارثة وقعت، وسقطت فلسطين، واقتلعت أم سعد من «الغسية» وقذف بها الى منافي الارض، ولم يجد الحجاب نفعاً، ولم تكف أم سعد عن الاحتفاظ به، وانتظار اللحظة التي يتفجر فيها ما ينطوي عليه الحجاب من مفعول أكيد! ومثلما انتظرت «أم سعد» مفعول الحجاب انتظرت مفعول الجيوش العربية، فجاءت هزيمة ٦٧ لتؤكد ان الجيوش العربية، كالحجاب تماماً، لا مفعول لها، وأن كليهما محض خواء مطلق، وأن فلسطين لن تعود لأبنائها، إلا إذا قرر أبناؤها ان يذهبوا اليها... وحين ذهب سعد، وذهب رفاقه، وتأهب سعيد للذهاب، تأهبت أم سعد لتحولات عميقة في وعيها فاستبدلت الرصاصة بالحجاب القديم، وليس بلا دلالة أن سعداً نفسه هو الذي جاء بالرصاصة الى البيت وتركها بين ثنيات الفراش، وأن أم سعد هي التي قررت تحويل الرصاصة الى عقد؛ حجاب جديد، وهي التي قررت أن تضعها في صدرها، فطلبت من ابن الجيران ان يثقبها ويخرج بارودها، ويربطها في سلسلة، فتلك هي المسافة بين جيلين، بين وعيين، وتلك هي دلالة القدرة الفائقة لدى أم سعد ـ الصوت والنموذج الدال على تلك الطبقة الباسلة المسحوقة والفقيرة والمرمية في

مخيمات البؤس ـ على اجتراح الفعل، وعلى إعادة تشكيل رؤيتها للعالم، بما يتواءم مع تفجير قدراتها على الفعل المؤدي الى خلاص حقيقي(١٤٣). وليس بلا دلالة أيضاً أن الرواية، في ما يتعلق بالحجاب، لم تضع الحجاب القديم في دائرة تحول دلالي، فقط، بل وضعته في سياق استبدالي، سياق نفي وتأكيد؛ الغاء واثبات، يكون معه، حضور الرصاصة ـ العقد، أو الحجاب الجديد على حدّ تعبير أم سعد، نفياً قاطعاً للحجاب القديم، إذ يصير الكفاح المسلح بالوعي وبالسلاح، بديلاً يشطب زمناً، ويجيء بزمن آخر؛ بشطب زمن الوعي الغائب والانتظار ـ العاجز، ويجيء بزمن الوعي القائم، والمتحول بحثاً عن أقصى حدود تجلياته الممكنة؛ عن وعيه الممكن.

غير ان هذا الوعي، كما تقدمه ام سعد: رواية وشخصية ملحمية، لا يتطور في اتجاه واحد، فهو في تطوره باتجاه العثور على طرائق مواجهة العدو الاسرائيلي على المستوى الوطني، يتطور، أيضاً، في اتجاه مواجهة القوى الاجتماعية المستغلة، على المستوى الطبقي، ومن خلال تفاعل كلا المستويين تتشكل رؤية أم سعد للعالم، وهي الرؤية التي يستلهمها، ويشارك في صوغها: الراوي، المثقف الثوري ذو الاصول البرجوازية.

ان بيت أم سعد الذي يكثّف مغزى تحول الوعي في مواجهة العدو الاسرائيلي (العدو القومي) من خلال القاء الحجاب القديم؛ الوعي القديم، بين الاشياء المهملة واستبدال الرصاصة ـ العقد؛ الحجاب الجديد، به، هو نفسه الذي يكثّف مغزى تحول الوعي في مواجهة القوى المستغلة (والعدو الطبقي) وذلك من خلال علاقة التضاد القائمة، منذ أول لقاء مع بيت أم سعد في النص، بين بيتها وبيوت الآخرين. ولئن جاءت علاقة التضاد هذه على نحو إشاري فحسب، ومن خلال جملة اعتراضية لها دلالتها على المستوى النصيّ، كما لاحظنا في اللوحة الخامسة، فإن هذه الجملة تصير نواة للوحة كاملة تنهض بتعميق علاقة التضاد، وتوليد فاعلية التباين والمغايرة التي تحدث التأثير المنبة، عبر احداثها لما يمكن تسميته بـ «صدمة التعرف»(١٤٤)، حيث في هذه اللوحة «الناطور وليرتان فقط». وهي اللوحة السابعة، نذهب مع أم سعد والراوي والمرأة اللبنانية الجنوبية للتعرف على بعض المواصفات الهندسية لبيوت الآخرين، وعلى ما يجري في هذه البيوت من استغلال للفقراء، فلسطينيين ولبنانيين، في آن معاً.

ولا تنبثق الاشارات التي تحمل المواصفات الهندسية لبيوت الآخرين إلا من خلال تكثيف حالة الاستغلال التي تتعرض لها أم سعد والمرأة اللبنانية من قبل صاحب احدى عمارات وسط المدينة، وبمساهمة «ناطور البناية» الفقير أيضاً. فإذ تخبر ام سعد الراوي عن الناطور الذي يطاردها للعودة الى العمل، وعن الاحداث التي وقعت قبل التحاقها بالعمل، وعن دوافعها الحقيقية لرفضها الاستمرار فيه، فإنها تكشف حالة الاستغلال التي تعرضت لها، هي والمرأة اللبنانية، وتقدم في هذا السياق شيئاً من المواصفات الهندسية لعمارات وسط المدينة ـ بيوت الآخرين ـ وهي المواصفات التي تعمق حدة التضاد بين بيت أم سعد ـ النموذج ـ وعمارة وسط المدينة ـ النموذج ـ فتتولد فاعلية التباين من خلال ادراكنا للتضاد عبر تعرفنا على بيوت الآخرين.

تقول أم سعد: «إنه ناطور البناية، وقد أرسله صاحبها، ومنذ جمعة وهو يتعقبني، وأنا يا ابن العم، لا أريد العمل هناك، ولا أريد ان أرى وجهه، وجه القرد، صاحب البناية تلك... أتعرف؟ جاءني الناطور ذات يوم وقال لي انه وجد لي عملاً في البناية التي يعمل فيها، شطف الدرج والمدخل من فوق، من الطابق السابع أو الثامن، لست أدري، الى الطريق. وقال لي: تأخذين خمس ليرات كل مرة،

كان الصعود صعباً فوعد أن يطلعني بالأسانسير، خفية عن صاحب العمارة، وذلك جعل العمل أكثر سهولة. ثلاث مرات في الاسبوع. قلت لنفسي إن ذلك شيء جيد، وأن الله يسرها... ولكن بعد شهر وثلاثة أيام...»[١٤٥]. ويجيء صوت الراوي ليكمل الحكاية، متحدثاً عن أم سعد بضمير الغائب، أو مقدماً لصوتها ولصوت المرأة اللبنانية بعبارتي: قالت أم سعد، قالت المرأة، حاملاً صوتيهما بين ثنايا صوتـه، فتتـوحـد رؤية الراوي، مع رؤية أم سعد، ويتبدى تعاطفه العميق مع موقفها، ومع المرأة اللبنانية. ومع تواصل السرد ندخل الى العمارة بوصفها مكاناً لوقوع الاحداث: «كانت أم سعد قد وصلت، نازلة، الى الطابق الثالث، لاهثة وراء المـاء ورغوة الصابون وبرد الشتاء يقرص قدميها الحافيتين. بلحم كفيها المضرجتين بآثار أحذية الصاعدين والهابطين كانت تفرك الارض الرخامية وسط ليل الناس النائمين عميقاً في دفء غرفهم المترامية وراء الابواب المغلقة، وفجأة أحست بامرأة تقف وراءها مكتّفة ذراعيها على صدرها ناظرة اليها بإمعان، كأنما كانت تنتظرها هناك منذ دهر...»[١٤٦].

لا شيء في هذا النص بلا دلالة على التضاد، اذ لا يعود التضاد قاصراً على بيت أم سعد وعمارة وسط المدينة، بل إنه يتعدى ذلك ليصير في تشابك وتفاعل، تضاداً بين أم سعد نفسها من جهة، وبين العمارة وسكانها، معاً، من جهة أخرى. إذ يصبح جسد أم سعد نفسها، وحالتها، بنية تقف على الحد النقيض للعمارة كبنية هندسية، ولسكانها كأجساد ونفوس تنعم بالرفاه والراحة؛ فأم سعد تعمل في تنظيف الدرج في عزّ الليل، وعزّ الشتاء، هي تعمل وسكان العمارة «نائمين عميقاً»، يقرص برد الشتاء قدميها الحافيتين وهم ينعمون «في دفء غرفهم»، تلسع وجهها وجسدها تيارات هواء جارف في عراء السلم البالغ الارتفاع وهم يسكنون الى «غرفهم المترامية وراء الابواب المغلقة»، تركض لاهثة وراء رغـوة الصـابون وهم في بيوتهم يسترخون أو يستغرقون عميقاً في النوم، يتضرج لحم كفيها بينما الارضية الرخامية للعمارة، ناعمة ملساء، وآثار أقدام الصاعدين والهابطين من سكان العمارة تزيده تضرجاً، هي نازلة وحسب، وهم صاعدون هابطون. هكذا تتبدى أم سعد في مقابل سكان العمارة، وعلى هذا النحو تتبدى صورة بيتها «غرفة الصفيح المشطورة»، في مقابل عمارة عالية، في وسط المدينة، تنعم بأبهج الصفات والمواصفات: سبعة أو ثمانية طوابق، مدخل، سلم طويل وأرضيات رخامية، مصعد ـ أسانسير على حدّ تعبير الناطور وأم سعد بعده! ـ أبواب مغلقة، تدفئة، وموقع مناسب على طريق واسع في وسـط مدينة مضاءة... وترى أم سعد الى هذه العمارة ومواصفاتها، بأندهاش بالغ يدفعها الى القول: «تلك العمارة الكبيرة تسوى أكثر من ألف ليرة، أكثر بكثير»[١٤٧]، وهل ثمة ما هو أكثر عمقاً من هذا القول البسيط للدلالة على التضاد الحاد، وتوليد فاعلية التباين الى أقصى حدّ ممكن؟

بعد حوارها مع المرأة اللبنانية تكتشف أم سعد أن هذه المرأة كانت تعمل في البناية نفسها قبل ان يستقدموها للعمل، وأنها كانت تتقاضى سبعة ليرات، وليس خمسة كما يدفعون الآن، فيدور في ذهنها ـ أي في ذهن أم سعد ـ ان صاحب البناية بالتواطؤ مع الناطور قد استخدموها بدلاً من المرأة اللبنانية لتوفير ليرتين... فقط! وإذ تعرف أم سعد أن المرأة اللبنانية هي من فقراء الجنوب، وأنها تقوم بتربية أربعة أولاد، تقرر ترك العمل، وتطلب الى المرأة ان تكمله، وأن تطلب من صاحب البناية ان يدفع لها أجرة الاسبوعين الاخيرين التي لم تتقاضاها أم سعد، وكأنها بذلك تكفّر عن ذنب لم تكن لها يد في ارتكابه، وتغادر أم سعد البناية، قلقة، الى ان تسمع صوت الماء يتدفق من جديد، فتعرف أن المرأة قد باشرت العمل، فترتاح قليلاً، الا ان دموعها تغلبها وهي تخرج الى الطريق.

يتعمّق في وجـدان أم سعـد احسـاس عارم بالاستغلال والظلم، فإذ يخرج الراوي معها كي

يوصلها الى الطريق العام، للحيلولة دون الناطور، الذي كان ينتظرها عند منعطف زقاق بيته، والاحتكاك بأم سعد، تكون أم سعد قد أبلغت الراوي بكل ما جرى، أي بكل ما أعاد قصّه علينا، وما أن يصلا الى الطريق العام، حتى تكون إعادة تذكرها لهذه الوقائع المؤلمة قد فجّرت في نفسها، فكرة مضيئة تشي بأنها ـ أي أم سعد ـ كانت تتأمل في كل كلمة تقولها، وتعيدها الى داخلها لتفكر فيها من جديد، فهي تقول للراوي: «إنني أصاب بالارتجاف حين أرى ذلك الناطور يتعقبني من قرية الى أخرى، يريدون ضربنا ببعضنا، نحن المشحّرين كي يربحوا ليرتين... وهم لا يهمهم... أن يدفعوا واحدة منا لتقطع رزق الاخرى، وأنظر ماذا يفعل ذلك الناطور! ذلك الناطور الكريه! انه يستجيب لهم، ويظل طول النهار يكرج على البسكليت ليوفر لهم ليرتين!»[١٤٨].

عبر التجربة، وعبر ادراكها العميق للتضاد الحادّ بين واقعها القائم، وواقع الآخرين القائم، تدرك أم سعد أن وعي الفقراء (المشحرين) القائم ينطوي على ممكنات كوامن، يمكن تفجيرها، لتحويل هذا الوعي من وعي قائم، راهن، الى وعي ممكن، وعي يكون مدخلاً أصيلاً، وضرورياً، لتحويل الواقع القائم الى واقع ممكن... تقول للراوي، في نهاية اللوحة: «لو أنا والناطور والحرمة قلنا للخواجا...»[١٤٩]، وتترك أم سعد الكلمة الاخيرة في هذه العبارة للفقراء كي يقولوها... أو يترك غسان للفقراء ان ينطقوا بها، أو يخطوها في المساحة المخصصة لها في بياض الصفحة.

والحق أن تطور وعي أم سعد، لا يتأتى من تجربة واحدة، مفردة، بل إنه ينبع من تراكم تجارب؛ ماضية وحاضرة، إنها تعيد قراءة الماضي في ضوء وعيها الحاضر، القائم الآن، وهي في فطرتها وصفاء رؤياها، تستلهم دروس الماضي لتقرأ الحاضر في ضوء من مغزاها، وتتداخل في هذه القراءة أبعاد شتى، فيكون للوطني انعكاسه على الاجتماعي، ويكون للأخير أثره على الاول، ولا تجد أم سعد عبر اسئلتها التي تحمل فحوى الاجابات أية امكانية لفصل هذا عن ذاك، فهي في اللوحة الخامسة «الذين هربوا والذين تقدموا» تخرج مع نساء المخيم لتنظيف الطريق ـ طريق المطار ـ من شظايا القنابل التي ألقتها الطائرات الاسرائيلية، وتتساءل عن أولئك الذين تركوا سياراتهم في عرض الطريق وهربوا، وبعد ان تحاول والنسوة ازاحة السيارات ويفشلن في ذلك لثقلها، يخفن أن يراهن أحد أصحابها فيتهمهن بالسرقة، فيتوقفن عن المحاولة، ومع إعادة سرد هذه التجربة للراوي يقول الاخير لأم سعد: «غلطانة يا أم سعد... أنت تقومين بعمل عظيم...»[١٥٠]. فتجيب أم سعد، ببساطة عميقة: «ـ أعرف، ولكنني يا ابن العم لا أستطيع ان أثق برجل ترك سيارته في عرض الطريق، تسدّ الدرب، وهرب...»[١٥١]. إن أصحاب البيوت المترفة هم أصحاب السيارات تلك، ومثلما تنظف أم سعد وأمثالها بيوتهم وهم نائمون، كذلك ينظفن الطريق، وهم هاربون، فالبيوت أمكنة والطرق أمكنة، وفي كل مكان ترتسم علامات التضاد، وتولد الاسئلة، ويولد الحاضر أسئلة تعيد محاكمة الماضي، ففي اللوحة السادسة «الرسالة التي وصلت بعد ٣٢ سنة»، تنبثق من ذاكرة أم سعد ذكرى أحداث وأناس ظلوا غائبين عن ذاكرتها عشرين سنة، فهي تتلقى رسالة من إبنها سعد، وحين تعرف ان سعداً يطلب اليها ـ في الرسالة ـ أن تذهب الى أهل البيت، جيرانهم في المخيم، وأن تثنيهم عن الاتصال بعبدالمولى؛ النائب العربي في البرلمان الاسرائيلي، للتوسط بشأن ليث الذي وقع في الأسر، تنبثق في ذاكرتها ذكرى ثورة ١٩٣٦، ويرتسم في مخيلتها مشهد ينطوي على تضاد مكاني دال على المستويين الاجتماعي (الطبقي) والسياسي (الوطني):

في ساحة قرية تقع الى الشرق من «الغبسية» كان عبدالمولى، زعيم حمولته والرجل ذو الارزاق الذي يملك زيتوناً وتبغاً، يقف على المنصة، و«يصعد الى الطاولة، ويبدأ بالحكي»[١٥٢]، بينما كان

فضل؛ الفلاّح الفقير، الذي «لا أرض ولا مَيْ... والذي يعمل في المعاصر و... كان من أول الذين طلعوا الى الجبـل»[١٥٣]، والعائد لتوه من هناك، بعد أن «جاء المكتوب من ملوك العرب، ونزل الرجال الى بيوتهم»[١٥٤] يجلس على عتبة دار تقع في آخر الساحة المحتشدة بالناس، ممزق القدمين والثياب، «متعباً ومستنزفاً حتى آخر أنفاسه»[١٥٥].

وحين يأخذ الحشد بالتصفيق لعبدالمولى ـ لاحظ مدلول الاسم ـ تكون أم سعد؛ الفتاة الصغيرة الواقفة بجوار فضل ـ لاحظ مدلول الاسم أيضاً ـ قد سمعت فضلاً يقول: «ولكو، إسا أنا الذي تمرّغت قدماه، وهذا الذي تصفقون له»[١٥٦].

هذه الحادثة الدالة، وهذا التضاد المكاني بما ينطوي عليه من مدلولات تستمد اشعاعها من تناقض الادوار بين الرجلين: الذي كان في الجبل، عالياً في مقاومة الاحتلال والغزو، يصير على العتبة، والذي كان هاربـاً، بل ومتعـاوناً مع العدو، يصير على المنصة، فيجني ثمار الهزيمة التي يسمونها انتصاراً! يصفق له الحشد، كانت دائماً في ذاكرة أم سعد التي تقول: «لم أكن أذكرها كل يوم، ولكنها كانت في رأسي ، وحين جاء مكتوب سعد جاء الاثنان معاً، عبدالمولى وفضل...»[١٥٧]. إن أم سعد لا تريد لعبدالمولى ـ النموذج ـ ان يعود مرة أخرى بعد عشرين سنة، وهي إذ تؤكد أنه، بطريقة أو بأخرى، قد قتل فضلاً ـ النموذج الآخر ـ فإنها لاتريد له ان يقتله مرة أخرى. وعلى هذا النحو يكون فضل مستمراً في ليث، ويكون عبدالمولى مستمراً بحضوره وأمثاله، وتدرك أم سعد ان هؤلاء يتواصلون مثلما يتواصل أولئك، وترى، واصلة بينها وبين فضل، أن هذا الاخير الذي «ركبوا على ظهره في المعصرة وفي الجبل، لو جاء الى المخيم لركبوا أيضاً على ظهره»[١٥٨]. وترى انه كان أحسن لفضل أن «يظل في الجبل»[١٥٩]. وتتساءل: «آه يا ابن العم! لو يومها قام فضل عن العتبة وطخّ عبدالمولى، أما كانت هذه المشكلة قد انتهت؟»[١٦٠]. وهنا يلوذ الراوي بالصمت ازاء أم سعد، غير ان صوته يأتينا، متجاوباً مع رؤية أم سعد، ومؤكداً قولها في نفسه: «لو حدث ذلك لما حدثت أشياء كثيرة، ولما أمضت هي نفسها عشرين سنة في المخيم»[١٦١]. ويعود الراوي ليؤكد لأم سعد، ما تولّد في وجدانها وهي تصغي لرسالة سعد، وتتذكر فضلاً وعبدالمولى: «إنه يريد ألا يجعل من ليث، فضلاً، آخر...»[١٦٢]. ويأتي صوت أم سعد، حاملاً الامر الى مسؤولية يتوجب على المثقف الثوري أن ينهض بها، فتقول للراوي وهي تلمح الى قوله «لو ظل في الجبل، يا أم سعد، لما استطاع عبدالمولى أن يقيم الحفلة»[١٦٣] تقول: «لم يقل أحد ذلك كله لفضل المسكين... فلماذا لا تقوله أنت الآن، أنت الذي تعلمت من الكتب والمدارس، لماذا لا تقوله لأهل ليث؟»[١٦٤].

إن هذا التجاوب العميق في الرؤية بين أم سعد والراوي؛ المثقف الثوري، والتداخل المتواصل لصوتيهما على امتداد السرد الروائي، وهو التداخل الذي يؤكد أن الرواية تنهض على إقامة حوار مفتـوح، ومتفاعل، بين أم سعد؛ صوت الطبقة المسحوقة، والراوي؛ النموذج للمثقف الثوري ذي الاصول البرجوازية، يمثل مدخلاً مهماً لقراءة علاقات المكان ومدلولاتها، في هذه الرواية عموماً، غير أن هذا التجاوب الرؤيوي يحوز على أهمية خاصة في قراءة «بيت الراوي» نفسه، وهو البيت الذي يمارس حضوره مع حضور الكلمة الاولى في السرد، كما بينا، والذي يمثل نموذجاً وحيداً، وفريداً في السياق الروائي الخاص بغسان كنفاني، وبخاصة في تجسيده لأماكن المنفى، سواء في إطار حيزها الاول: داخـل الوطن، أو حيزها الثاني: خارج الوطن. فلنذهب الى قراءة هذا البيت، والى محاولة الكشف عن علاقاته ومدلولاتها.

بيت الراوي، ألفة ملحمية

في أي من روايـات غسـان كنفاني، لا يوجد أثر للاهتمام بتقديم أماكن المنفى التي تحتوي الفلسـطينيـين المنفيين والذين يسكنون خارج المخيمات، أي أولئك الذين ينتمون الى «البرجوازية الفلسطينية» بالمعنى الواسع للمصطلح، وربما يعود ذلك الى أن ابطال الروايات هم، غالباً، من المخيم، أو لأن انشغالات غسان، وموضوعاته، كان تنأى عن مثل هذا الاهتمام وتذهب عميقاً نحو الاماكن التي تكثّف المأساة وسديم المنافي: المخيمات، غير أن هذا الافتراض الذي ينسجم مع كل ما سبقت معالجته من أماكن، قد لا يصمد طويلاً أمام حضور أبطال ينتمون الى هذه الطبقة في روايتي «رجال في الشمس» و«عائد الى حيفا» دون حضور الأماكن التي يعيشون فيها، بينما يحضر الابطال الذين يسكنون المخيمات وبيوتها وتحضر أماكنهم، في الروايات نفسها، ففي رواية «رجال في الشمس» توفّرت لدى غسـان امكانية مجردة للولوج بنا الى المكان الذي يقطنه «أسعد» المناضل السياسي والمثقف الثوري، غير أن هذه الامكانية تظل امكانية مجردة لا تتحول الى امكانية فعلية في الرواية، ذلك لأن كل ما تقوله الرواية حول مكان سكنى أسعد وبيته، في المنفى، هو إشارة عابرة نعرف من خلالها أنه يسكن بيتاً قريباً من «جبل عمان»، وتجيء هذه الاشارة في سياق سرد ما تم بين أسعد والسائق أبو العبد، بشأن تكفّل الثاني بتهريب الاول ـ المطلوب للجهات الامنية والسياسية ـ الى العراق، عبر الصحراء الاردنية «فقد كانت السيارة الضخمة واقفة الى جانب البيت قرب جبل عمان حين تفاوض معه»[١٦٥].

ومرة أخرى في رواية «عائد الى حيفا» نلتقي بـ «سعيد س» وزوجته «صفية» اللذين ينتميان الى الطبقة البرجوازية، ونعرف أن الاسرة تقطن بيتاً في رام الله، وأنها تنقلت بين بيوت وأكواخ كثيرة، غير ان هذه البيوت والاكواخ، تظل غائبة، مثلما يغيب البيت الذي تقطنه الاسرة الآن، في رام الله، حيث لا نعرف شيئاً عنه وعن علاقة الاسرة به، وذلك لانشغال الرواية بموضوعها الرئيس. وهو ما يؤكد صحة الافتراض الذي قدمناه، مثلما يؤكده انشغال «رجال في الشمس» بالماضي السياسي لأسعد أكثر من انشغـالهـا بخلفيته الاجتماعية وانعكاسات المنفى عليه من حيث مكان سكناه، فقد كان هذا المناضل ضيفاً دائماً في السجون.

ومهما يكن من أمر، فإننا لا نسأل النص عما هو غائب منه، بقدر ما نسائل عناصره الحاضرة، وتبقى لهذا الغياب دلالته التي بيناها استناداً الى مسائلتنا لما هو حاضر في النصوص، وعلى هذا النحو نجد ان المكان الغائب، في الروايات الثلاث، قد مارس حضوره في الرواية الرابعة «أم سعد» وللأسباب نفسها التي أدت الى غيابه في تلك الروايات، فغسان، في «أم سعد» شديد الانشغال بالعلاقة بين «المثقف الثوري» و«الطبقة الباسلة، المسحوقة والفقيرة والمرمية في مخيمات البؤس»[١٦٦]. ولذا يحضر الراوي، غير المسمى، نموذجاً للأول، وتحضر «أم سعد» المسماة؛ نموذجاً للثانية، ويحضر المخيم وبيت أم سعد، بما ينطويان عليه من علاقات وتحولات دلالية، بيناها، ويحضر بيت الراوي؛ المثقف الثوري القاطن، في منفاه، في بيت خارج المخيم، بما ينطوي عليه من علاقات دالة على العلاقة التي تنشغل الرواية في التأمل فيها.

ليس ثمة إشارة واحدة في الرواية، يحضر من خلالها بيت الراوي، بمعزل عن حضور «أم سعد»؛ فمنـذ المشهد الاول الذي ينبثق مع الكلمة الاولى في الرواية، نكون بإزاء المحيط الخارجي للبيت، ونكون داخل البيت، مع التفاتات الراوي، ونحن نتوقع دخول أم سعد الى البيت في لحظة قادمة.

في ذلك الصباح الحزيراني التعس، يقف الراوي، مهموماً خلف نافذة بيته، فتبدو له الشمس «مجرد قرص من النار يلتهب تحت قبة من الفراغ المروع»[١٦٧]، غير ان رؤيته لأم سعد، وهي قادمة من «رأس الطريق المحاط بأشجار الزيتون»[١٦٨] تجعله لا يرى في ذلك الفراغ غير خلفية صامتة لـ «شيء ينبثق من رحم الارض»[١٦٩] ذلك لأن أم سعد كانت «تمشي بقامتها العالية كرمح يحمله قدر خفي... تصعد من قلب الارض وكأنها ترتقي سلماً لا نهاية له»[١٧٠]. ففي مقابل يأس الراوي وهبوطه، وإحباطه المقيم الذي جعله يطوي نفسه كالراية المهزومة، ويرى الى الاشياء على النحو الذي رأيناه، تبدو أم سعد شامخة وصاعدة، فتضفي على المشهد المأساوي للمحيط الخارجي للبيت، كما يتبدى في عيون الراوي، جلال التحول وانبثاق التجاوز... وإذ يلتفت الراوي الى أشياء بيته تبدو، في نظره، كئيبة مصبوغة بالتفاهة: «كنت أسمع هدير الحرب من الراديو، ومنه سمعت صمت المقاتلين، وهو يتكىء على الطاولة ورائي ينوح مثل أرملة، ويطلي بصوته المهزوم كل أشياء الغرفة بالتفاهة: المكتبة، والمقعد والزوجة، والاطفال وصحن الطعام، وأحلام المستقبل، ويجعل الحبر بلا لون»[١٧١]. غير ان دخول أم سعد الى البيت، يعطي للبيت وأشيائه مغزى آخر، ويضفي على رؤية الراوي لبيته، بعداً جديداً: «دخلت أم سعد ففرحت في الغرفة رائحة الريف»[١٧٢]. ولا يبقى المشهد مسكوناً ببعد واحد، فثمة صمود وأمل، في مواجهة التعاسة واليأس: «حين تدق باب البيت وتضع أشياءها الفقيرة في المدخل تفوح في رأسي رائحة المخيمات بتعاستها وصمودها العريق، وببؤسها وآمالها»[١٧٣]. وهكذا، بدخول أم سعد، يعود الراوي الى شيء من علاقة الالفة التي تصله بغرفته وأشياء بيته، فتبدو الغرفة كما كانت عليه «قبل عشرة أيام فقط»[١٧٤] أي قبل الحرب ووقوع الهزيمة، فأم سعد، بحضورها، في بيت المثقف الثوري، بما ينطوي عليه هذا الحضور من مدلولات، تعطي الأمل العميق بتجاوز الهزيمة. وفي هذا الضوء تنعدم علاقة الالفة بين المثقف الثوري، ومكبتة، وأشياء بيته، بل وأهل بيته (زوجته) في غياب علاقة التوحد مع «أم سعد» بكل ما ترمز اليه، ولا تحضر هذه العلاقة الا بحضورها «وقامت، ففاض في الغرفة مناخ من البساطة، بدت الاشياء أكثر ألفة، ورأيت فيها بيوت الغبسية مرة أخرى»[١٧٥].

وتبدو هذه العلاقة التجاوبية مع المكان، دالة على التجاوب الرؤيوي، والتفاعل القائم بين المثقف الثوري من جهة، وأم سعد من جهة أخرى، فأم سعد، أيضاً، تحس بالألفة، في بيت الراوي الذي اعتادت المجيء اليه كل يوم ثلاثاء، ومنذ سنوات، فهي «تنظر الى الاشياء شاعرة حتى أعماقها بحصتها فيها، تنظر اليّ كما لأبنها»[١٧٦]. وتتجول أم سعد في بيت الراوي، كما لو كان بيتها تماماً، تذهب الى الشرفة، وتعبر الممر، وتدخل المطبخ، وتخرج الى الحديقة، قرب الباب كي تغرس عود الدالية، وتعود، تعبر الغرفة، وتتكىء على حاجز الشرفة، و«تنظر الى حقول الزيتون المطلة على مدارج التلّة»[١٧٧]، ويلحق بها الراوي، يسألها ويحاورها في حديث متواصل لا ينقطع، وفي تجاوب رؤيوي لا يخدش.

وعلى الرغم من المواصفات الهندسية التي للبيت، والتي تشي بتناقض مع بيت أم سعد، كما هو حال عمارة وسط المدينة، فإن هذه المواصفات تفقد دلالتها التناقضية، مع حضور التجاوب في الرؤية والموقف، مما يؤكد ان السمات الطوبوغرافية والخصائص الموضوعية للأمكنة لا تنطوي على أية دلالة بمعزل عن المشاعر الانسانية، والرؤية للعالم التي تحكم، وتحدد، علاقة الانسان مع نفسه، ومع الآخرين، ومع العالم. إن حضور أم سعد الدائم في بيت الراوي لا يجعل من هذا البيت مكاناً لاجترار عذابات المنفى بقدر ما يجعل منه حيزاً مكانياً، في المنفى، يتيح للمثقف الثوري ان ينهض بدوره

في الاسهام الفاعل في الثورة على طريق الذهاب الى الهوية الوطنية الراسخة في الوطن... وفي مستقبل الوطن.

(١) الروايات الاربع الناجزة لغسان كنفاني هي: «رجال في الشمس» وصدرت عام ١٩٦٣، و«ما تبقى لكم» وصدرت عام ١٩٦٦، و«عائد الى حيفا» وصدرت عام ١٩٦٩، و«أم سعد» وصدرت عام ١٩٦٩، أما الروايات غير الناجزة فهي: «العاشق، والأعمى والاطرش، وبرقوق نيسان، ويتضمن المجلد الاول من الآثار الكاملة لغسان كنفاني جميع هذه النصوص الروائية.

(٢) غسان كنفاني، **الآثار الكاملة**، المجلد الاول، بيروت: الروايات، لجنة تخليد غسان كنفاني ودار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الاولى ١٩٧٢، ص ١٥٢.

(٣) **المصدر نفسه.**

(٤) **المصدر نفسه**، ص ١٢٩.

(٥) **المصدر نفسه**، ص ١٧٨.

(٦) **المصدر نفسه**، ص ٢٣٣.

(٧) **المصدر نفسه.**

(٨) **المصدر نفسه**، ص ٤١١.

(٩) **المصدر نفسه**، ص ٤١٢.

(١٠) **المصدر نفسه.**

(١١) **المصدر نفسه.**

(١٢) **المصدر نفسه.**

(١٣) تتلخص العقدة الاساسية «الحبكة» لرواية عائد الى حيفا، في توجه «سعيد س» وزوجته «صفية» من رام الله الى حيفا، بتصريح من الحاكم العسكري الاسرائيلي، بعد احتلال عام ١٩٦٧ مباشرة، وذلك للبحث عن ابنهما «خلدون» الذي تركاه ـ مضطرين ـ في بيتهما في حيفا حين طردا منها إثر هزيمة ٤٨، وإذ يذهبان الى بيتهما في حيفا يكتشفان ان أسرة يهودية (بولونية) تعيش فيه، وهي مكونة من الاب «ايفرات كوشن» والأم «مريام» وابنهما «دوف» ويكتشفان ان «دوف» الضابط في الجيش الاسرائيلي هو «خلدون» نفسه، إذ تبنّته الاسرة اليهودية وتعهدته بالرعاية والتربية. ولمزيد من التأمل في عقدة الرواية ومعالجتها لسؤال الانسان والانتماء ـ راجع دراسة كاتب هذه السطور في كتابه: استلهام الينبوع، المأثورات الشعبية وأثرها في البناء الفني للرواية الفلسطينية، الاتحاد العام للكتاب والصحافيين ومؤسسة سنابل للنشر والتوزيع، نيقوسيا، الطبعة الاولى، ١٩٨٣.

(١٤) كنفاني، **مصدر سبق ذكره**، ص ٤١٣.

(١٥) **المصدر نفسه**، ص ٢٤١.

(١٦) **المصدر نفسه.**

(١٧) **المصدر نفسه.**

(١٨) **المصدر نفسه.**

(١٩) غينادي بو سبليوف: **الجمالي والفني**، (ترجمة)، عدنان جاموس، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، الطبعة الاولى، ١٩٩٠، ص ٢٤٢.

(٢٠) **المصدر نفسه**، ص ٢٢٢.

(٢١) تتميز روايات اميل حبيبي وسحر خليفة بالتعبير الفني الموائم عن هذا الاغتراب المضاعف، أو المزدوج، بينما تعكس روايات كنفاني، فنياً، اغتراب الفلسطيني في منافيه، وكلا الاتجاهين يصوغان رحلة الانسان الفلسطيني في اغترابه، وتلمس هويته، والبدء في صوغها عبر تواصل تاريخي يذهب باتجاه المستقبل.

(٢٢) بيلنسكي: **الاعمال الكاملة**، المجلد الثامن، ص ٢٣٤، أورده: لافريتسكي: **في سبيل الواقعية**، (ترجمة): د. جميل مضيف، عالم المعرفة، (بيروت)، د. ت، ص ٩٤.

(٢٣) عبد المنعم تليمة: **مقدمة في نظرية الادب**، القاهرة: دار المعرفة، ١٩٧٣، ص ١٤٤.

(٢٤) ادوارد سعيد، **تأملات في المنفى**، **الكرمل**: العدد ١٢، ١٩٨٤، ص ٢٠.

(٢٥) كنفاني، **مصدر سبق ذكره**، ص ٤٤.

(٢٦) المصدر نفسه.

(٢٧) المصدر نفسه، ص ٤٥.

(٢٨) المصدر نفسه.

(٢٩) المصدر نفسه، ص ٤٤.

(٣٠) المصدر نفسه، ص ٣٧١.

(٣١) المصدر نفسه، ولاحظ ان وصف شاطىء عكا بـ «الفضيّ» من خلال الاضافة، لا تعكس الحالة النفسية للمقذوفين، بقدر ما تعكس رؤية الراوي الخارجية، ذلك لأن لون الشاطىء لا يكون كذلك في عيون مدماة، هي عيون المقذوفين عليه.

(٣٢) المصدر نفسه، ص ٤٥.

(٣٣) المصدر نفسه، ص ١٦٢.

(٣٤) المصدر نفسه، ص ١٩٧.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ١٦١.

(٣٦) المصدر نفسه، ص ١٧١.

(٣٧) المصدر نفسه، ص ١٧٢.

(٣٨) المصدر نفسه، ص ١٧٣.

(٣٩) المصدر نفسه، ص ١٧٥ ـ ١٧٦، وتتكرر هذه الاشارة على نحو مقارب ص ٢٠٠، وص ٢١٥ مما يؤكد الحاحيتها على وجدان حامد، وتأثيرها في تحولاته، وتعميقها لموقفه الرافض لزكريا (النتن) و(الخائن) الذي وشى بسالم، والذي ألصق بحامد العار باعتدائه على أخته مريم، وجعل حياته، وحياتها، بتنكره لها، مأساة تتوالد.

(٤٠) المصدر نفسه، ص ١٧٨.

(٤١) المصدر نفسه، ص ١٧٩.

(٤٢) المصدر نفسه، ص ٢١٨ ـ ٢١٩.

(٤٣) المصدر نفسه، ص ٢٢٠.

(٤٤) المصدر نفسه، ص ٢٢٢.

(٤٥) المصدر نفسه، ص ٢٢٣.

(٤٦) حول التمايز القائم بين المعاني الاصطلاحية للكلمتين، ومصادر اشتقاقهما انظر: ابن منظور: لسان العرب، وقارن بـ : الامام الرازي: مختار الصحاح، وقارن ايضاً بـ : مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط أو المعجم الوجيز.

(٤٧) ينبغي دائماً إقامة الصلة بين ما نقوله في سياق الكشف عن مدلولات المكان عبر بنيته، مع ما سبق أن ناقشناه بصدد تفاعل مقولات: الوطن، المنفى، الهوية، الوعي: القائم والممكن، السرد الروائي، والرؤية للعالم في صوغ السياق الخاص بالرواية الكنفانية. واقامة صلته باعادة صوغ الهوية الوطنية للشعب الفلسطيني.

(٤٨) كنفاني، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٧، ولاحظ كيف يقذف المقعد زكريا، وكأنه يرفضه، وكيف ان زكريا سيعلن، في ما بعد، عن رغبته في تغيير المقاعد.

(٤٩) المصدر نفسه، ص ١٦٨.

(٥٠) المصدر نفسه، ص ١٧١.

(٥١) المصدر نفسه.

(٥٢) المصدر نفسه، ص ٢٠١.

(٥٣) المصدر نفسه.

(٥٤) المصدر نفسه، ص ٢٢٩.

(٥٥) المصدر نفسه، ص ١٨٤.

(٥٦) المصدر نفسه، ص ١٩٨.

(٥٧) المصدر نفسه، ص ١٨٧.

(٥٨) المصدر نفسه، ص ١٧١ ـ ١٧٢.

(٥٩) المصدر نفسه، ص ١٩٣.

(٦٠) المصدر نفسه، ص ١٩٤.

(٦١) المصدر نفسه، ص ١٧٤.

(٦٢) المصدر نفسه، ص ١٧٩.

(٦٣) لا ريب في ان دراسة الزمن في روايات كنفاني ستكون مرشحة للوصول الى نتائج دالة على أكثر من مستوى غير ان خروج هذا الامر عن موضوع دراستنا هذه، يدفعنا الى الالماح السريع الى ما يتكشف أمامنا من تواشج علائقي بين الزمن والأمكنة التي ندرسها في سياق علاقاتها المتعددة.

(٦٤) كنفاني، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٣.

(٦٥) المصدر نفسه، ص ٢٣٣.

(٦٦) المصدر نفسه.

(٦٧) المصدر نفسه، ص ١٨٤.

(٦٨) المصدر نفسه.

(٦٩) الكرسي هو أحد محتويات البيت التي لم تأت على ذكرها، وكذلك المرآة، وجلي أن وظيفته في الحدث لا تتجاوز الوظيفة التي للطاولة الى جانب السرير. تلك تحمل الاشياء، وهذا يرفع الانسان كي يعدّل الساعة.

(٧٠) كنفاني، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٧٠ ـ ١٧١.

(٧١) **المصدر نفسه**، ص ١٧٢.

(٧٢) **المصدر نفسه**.

(٧٣) **المصدر نفسه**، ص ١٧٧.

(٧٤) **المصدر نفسه**.

(٧٥) **المصدر نفسه**، ص ١٨٠.

(٧٦) **المصدر نفسه**، ص ١٢٠.

(٧٧) **المصدر نفسه**، ص ١٧٢. ولاحظ فكرة تعبئة الساعة ـ الزمن، أي شحذها، عبر فعل انساني، بالحياة، في صلتها بقول مريم السابق: «ربما تحتاج الى تعبئة».

(٧٨) **المصدر نفسه**، ص ١٧٦.

(٧٩) **المصدر نفسه**.

(٨٠) **المصدر نفسه**، ص ١٧٧.

(٨١) **المصدر نفسه**؛ ولاحظ هنا ما تنهض به المرآة ـ كأحد محتويات البيت، من وظيفة دالة تتجاوب فيها مع مدلولات الأشياء الاخرى كالسرير، والساعة.

(٨٢) **المصدر نفسه**، ص ١٧٧.

(٨٣) **المصدر نفسه**، ص ١٩٠.

(٨٤) **المصدر نفسه**.

(٨٥) **المصدر نفسه**، ص ١٩١.

(٨٦) **المصدر نفسه**.

(٨٧) **المصدر نفسه**، ص ١٩٠.

(٨٨) **المصدر نفسه**، ص ١٩١.

(٨٩) **المصدر نفسه**، ص ١٩٠ ـ ١٩١.

(٩٠) **المصدر نفسه**، ص ١٩١. وفي هذا السياق يقول غسان كنفاني: «عند المواجهة يتحول حساب الخسائر بالنسبة للفلسطينيين الى حساب أرباح... يصبح الزمن رفيق الفدائي، بعد أن كان خصم اللاجيء». أنظر حديث لغسان كنفاني، **المثقف العربي**، (بغداد): العدد السابع، آب ١٩٧٠، ص ١٠٥. أورده، احمد ابو مطر، **الرواية في الأدب الفلسطيني ١٩٥٠ ـ ١٩٧٥**)، الجمهورية العراقية، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٨٠، ص ٢٧٩.

(٩١) كنفاني، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٩٢.

(٩٢) **المصدر نفسه**، ص ٢٢٥.

(٩٣) رضوى عاشور، **الطريق الى الخيمة الاخرى**، بيروت: دار الآداب، الطبعة الاولى ١٩٧٧، ص ٧٥.

(٩٤) كنفاني، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢١١.

(٩٥) **المصدر نفسه**، ص ١٧٢.

(٩٦) **المصدر نفسه**، ص ٢٢٩.

(٩٧) **المصدر نفسه**، ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩.

(٩٨) **المصدر نفسه**، ص ٢٣٠.

(٩٩) **المصدر نفسه**، ص ٤٦ ـ ٤٧.

(١٠٠) **المصدر نفسه**، ص ٤٨.

(١٠١) **المصدر نفسه**، ص ١٣٠.

(١٠٢) **المصدر نفسه**، ص ٨٤.

(١٠٣) **المصدر نفسه**، ص ٨٠.

(١٠٤) **المصدر نفسه**، ص ٨٥.

(١٠٥) **المصدر نفسه**، ص ٧٩.

(١٠٦) **المصدر نفسه**، ص ٨٥.

(١٠٧) **المصدر نفسه**، ص ٨٦.

(١٠٨) **المصدر نفسه**، ص ٢٤١.

(١٠٩) **المصدر نفسه**، ص ٢٤٥.

(١١٠) **المصدر نفسه**، ص ٢٤٦.

(١١١) **المصدر نفسه**.

(١١٢) **المصدر نفسه**، ص ٢٥٠.

(١١٣) **المصدر نفسه**.

(١١٤) **المصدر نفسه**، ص ٢٥٢.

(١١٥) **المصدر نفسه**، ص ٢٥٥.

(١١٦) المصدر نفسه، ص ٢٥٦.

(١١٧) المصدر نفسه، ص ٢٦٣.

(١١٨) المصدر نفسه.

(١١٩) المصدر نفسه، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

(١٢٠) المصدر نفسه، ص ٢٩٣.

(١٢١) المصدر نفسه، ص ٣٣٦.

(١٢٢) المصدر نفسه، ص ٢٥٩.

(١٢٣) المصدر نفسه، ص ٢٦٩.

(١٢٤) المصدر نفسه.

(١٢٥) المصدر نفسه.

(١٢٦) المصدر نفسه، ص ٢٧٠.

(١٢٧) المصدر نفسه، ص ٢٧٠ ـ ٢٧١.

(١٢٨) المصدر نفسه، ص ٢٧٢.

(١٢٩) المصدر نفسه، ص ٢٧١.

(١٣٠) المصدر نفسه، ص ٢٧٢.

(١٣١) المصدر نفسه، ص ٢٧١.

(١٣٢) المصدر نفسه، ص ٢٧٣.

(١٣٣) المصدر نفسه، ص ٣٣٤.

(١٣٤) المصدر نفسه، ص ٣٣١ ـ ٣٣٢.

(١٣٥) المصدر نفسه، ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

(١٣٦) المصدر نفسه، ص ٣٣٥.

(١٣٧) المصدر نفسه، ص ٣٣٦.

(١٣٨) المصدر نفسه، ص ٢٩٤.

(١٣٩) المصدر نفسه، ص ٣٢٥.

(١٤٠) المصدر نفسه، ص ٣٢٤.

(١٤١) المصدر نفسه.

(١٤٢) المصدر نفسه، ص ٣٢٥.

(١٤٣) حول الجانب السلبي العاجز في التراث الشعبي وحول ظاهرتي: الايمان بالاولياء، وانتظار المخلص، أنظر معالجتنا لتناول الرواية الفلسطينية لهذه الظواهر في كتابنا: **استلهام الينبوع**، وفيه تجد الفصول الثلاثة التالية: جدلية العجز والفعل، وجهان للولي، وجهان للمخلص.

(١٤٤) حول مفهوم فاعلية التغاير، ورموز الكاتب، ورموز العالم، وتكنيك المغايرة أنظر: كولن ولسن: **فن الرواية** (ترجمة) محمود درويش، بغداد، دار المأمون للترجمة والنشر، ١٩٨٦، الفصل التاسع، التكنيك والبناء، من ص؟

(١٤٥) كنفاني، مصدر سبق ذكره، ص ٣١٦.

(١٤٦) المصدر نفسه، ص ٣١٦ ـ ٣١٧.

(١٤٧) المصدر نفسه، ص ٣١٩.

(١٤٨) المصدر نفسه.

(١٤٩) المصدر نفسه.

(١٥٠) المصدر نفسه، ص ٢٩٦.

(١٥١) المصدر نفسه.

(١٥٢) المصدر نفسه، ص ٣٠٨.

(١٥٣) المصدر نفسه، ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨.

(١٥٤) المصدر نفسه، ص ٣٠٧.

(١٥٥) المصدر نفسه.

(١٥٦) المصدر نفسه، ص ٣٠٨.

(١٥٧) المصدر نفسه.

(١٥٨) المصدر نفسه، ص ٣١٠.

(١٥٩) المصدر نفسه.

(١٦٠) المصدر نفسه، ص ٣٠٩.

(١٦١) المصدر نفسه، ص ٣١٠.

(١٦٢) المصدر نفسه.

(١٦٣) المصدر نفسه.

(١٦٤) المصدر نفسه.

(١٦٥) المصدر نفسه، ص ٥٤.

(١٦٦) المصدر نفسه، ص ٢٤١.

(١٦٧) المصدر نفسه، ص ٢٤٥.

(١٦٨) المصدر نفسه.

(١٦٩) المصدر نفسه.

(١٧٠) المصدر نفسه.

(١٧١) المصدر نفسه، ص ٢٤٦.

(١٧٢) المصدر نفسه.

(١٧٣) المصدر نفسه، ص ٢٥٩.

(١٧٤) المصدر نفسه، ص ٢٤٦.

(١٧٥) المصدر نفسه، ص ٢٦٤.

(١٧٦) المصدر نفسه، ص ٢٥٩.

(١٧٧) المصدر نفسه، ص ٢٥٠.

واقع الادب الفلسطيني وآفاقه

«الاسئلة البديهية هي أكثر الاسئلة صعوبة، لأنها تحتاج الى أجوبة غير بديهية». ومع ذلك، فان ما تبدو أسئلة بديهية، في لحظة تاريخية، هي، في حقيقتها، اسئلة المصير نفسها. والقضية الفلسطينية تبدو، اليوم، معرضة، أكثر من أي وقت مضى للسؤال المصيري، الذي يسعى كثيرون للاجابة عليه، كل من موقعه وغاياته وأهدافه السياسية والحضارية. ولذلك، يصبح السؤال عن ماهية «الادب الفلسطيني»، في علاقته بالأدب العربي المعاصر، ودوره النضالي، وعلاقته بالسياسي مشروعاً.

في هذا الاطار، دعت **شؤون فلسطينية** عدداً من الكتاب والنقاد والشعراء الفلسطينيين والعرب كي تستنبط اجابة، أو على الاقل، مشروع اجابة لهذا الموضوع الحيوي، وهم: الكاتب والروائي والناقد، الياس خوري، واستاذ الأدب العربي المعاصر في الجامعة الاردنية، د. عبدالرحمن ياغي، والشاعر والروائي، ابراهيم نصرالله، والناقد، يوسف اليوسف، واستاذ الأدب المقارن في كلية الآداب ـ جامعة دمشق، د. عبدالنبي اصطيف.

○ **شؤون فلسطينية : لعبت القضية الفلسطينية طيلة ما يقارب الخمسين عاماً دوراً محرضاً في انتاج أشكال أدبية متميّزة اصطلح على تسميتها بـ «الأدب الفلسطيني». وقد اختلط هذا المصطلح على الكثيرين، الامر الذي أدّى الى ضرورة البحث عن مقاربة تعريف لهذا المصطلح، وإبراز علاقته الجدلية مع الأدب العربي المعاصر. إن خصوصية القضية الفلسطينية ومركزيتها وموقعها في أولويات السؤال الثقافي العربي، باعتباره سؤال النهضة والتحرر، جعل لهذا الأدب سماته الخاصة من حيث الشكل أو من حيث المضمون أو كلاهما معاً. فكيف ترون هذه الخصوصية؟ وإلى أي مدى يصح القول بوجود «أدب فلسطيني» خاص؟ وما هي سمات هذا الأدب إنْ وجد؟ وهل يمكن وضع تعريف دقيق للأدب الفلسطيني؟**

□ **خوري**: الأسئلة البديهية هي أكثر الاسئلة صعوبة، لأن الجواب لن يكون بديهياً. أستطيع ان أقول، في البداية، لا بد من وجود أدب فلسطيني طالما هناك شعب فلسطيني ينتج أدباً. ولكن هل نستطيع التمييز بين الأدب الفلسطيني والأدب اللبناني أو السوري أو المغربي، الخ؟ بالطبع نستطيع على مستوى المضمون. الأدب الفلسطيني يعالج مشكلات فلسطينية. والأدب الفلسطيني، من حيث المضمون، طرح العديد من الافكار والمقترحات الخاصةبه: المنفى، الأرض. ومن حيث التجربة المعاشة، فلقد أنتجت التجربة الفلسطينية المعاشة مزيجاً بين المضمون الرمزي والرؤية النضالية لا نعرفها في نتاجات أدبية أخرى في العالم العربي. لقد أعطى الأدب الفلسطيني علامات المنفى كما نجدها عند غسان كنفاني، وتحويل الارض الى رمز كما عند محمود درويش، واستعاد شخصية جحا كما في أدب أميل حبيبي وفي مسرح الحكواتي. كل ذلك نتاج الخصوصية التي يعيشها الفلسطينيون داخل الارض المحتلة وفي المنفى، وهي مرتبطة بالسياق السياسي ـ الاجتماعي الخاص به.

□ **اليوسف**: لا ريب في أن الأدب الفلسطيني جزء لا يتجزأ من الأدب العربي، فهو متواصل

معه، متأثر به ومؤثر فيه، بحيث لا يسهل علينا أن نميّز بين ما هو فلسطيني وما هو غير فلسطيني. وأبرز ما في الأمر أن الكتّاب الفلسطينيين كثيراً ما ينمون عن تجانسهم مع الحركة الثقافية في أي قطر يعيشون فيه، لا سيما في المشرق العربي. وعلى أية حال، فإن من العسير على المرء أن يقدّم تحديداً أو تعريفاً للأدب الفلسطيني من شأنه ان يلقى قبولاً لدى جميع الناس. فلئن قلت بأن الأدب الفلسطيني هو ما يكتبه الفلسطينيون، قيل لك بأن ثمة أدباً مداره على القضية الفلسطينية، ولكن الذين كتبوه أناس ليسوا فلسطينيين بالولادة، وإنما هم فلسطينيون بالانتماء. وبالطبع، لا يسعك أن تخرج هؤلاء من دائرة اهتمامهم وانتمائهم، وذلك نظراً لصدق عاطفتهم وحرارة وجدانهم. ان رواية «عرس فلسطيني» التي كتبها اديب نحوي، وهو سوري، منذ أكثر من عشرين سنة، لا تقلّ انتماء لفلسطين عن أية رواية أخرى كتبها الفلسطينيون المولودون في فلسطين. ثم أن هنالك فلسطينيين كتبوا أدباً لا مدار له على القضية الفلسطينية، بل على شؤون اجتماعية وثيقة الصلة بجميع البلدان العربية، ومثال ذلك معظم ما كتبته سميرة عزام من قصص، وخاصة تلك القصص التي تدور حول موضوعة المرأة، والتي لها نظائر كثيرة في كل قطر عربي. فهل نعد هذا الأدب أدباً فلسطينياً أم لا؟ أيكفي أن يكون المرء سليل أسرة فلسطينية كي يكون كل عمل من أعماله الكتابية جزءاً من الأدب الفلسطيني؟ ولكن، أليس في الميسور القول بأن كل ما كتب من أدب داخل الارض المحتلة هو أدب فلسطيني، مهما يكن موضوعه، وأيّاً كانت درجة تأثره بالأدب العربي خارج الأرض المحتلة؟ أظن ان ذلك ممكناً، إذ لقد قيل بأن الأدب ابن بيئته، وبالتالي لا بدّ من أخذ المكان بالحسبان.

□ **د. اصطيف**: أنا أرى ان «الادب الفلسطيني» مصطلح مؤلف من مفهومين: ينتمي الاول منهما الى عالم الفنون الجميلة، لأن الأدب واحد منها ولربما كان أبرزها؛ وينتمي الثاني منهما الى رقعة جغرافية تقع في قلب العالم القديم، وفي الملتقى ما بين قارتين، وفي نقطة التقاء مشرق الوطن العربي بمغربه. والخطير في المفهوم الثاني انه يمنح الاول هويته، وفي حقيقة الامر، وجوده المتميّز. والجمع ما بين هذين المفهومين في الآداب القومية جدٌّ طبيعي. فنحن نتحدث بشيء غير يسير من البساطة والوضوح عن الأدب الفرنسي والأدب الالماني والادب الصيني والادب الياباني وغيرها. ولكننا عندما نأتي الى هذا الادب الذي ينتمي الى هذه الرقعة الجغرافية المحدّدة نجد أنفسنا أمام اشكالات عدّة: أولها، ان هذه الرقعة منطقة لم تأخذ هويتها القطرية الّا حديثاً، وكانت باستمرار، وحتى عهد قريب، جزءاً لا يتجزأ من بلاد الشام؛ وثانيها، ان هذا الاقتطاع عن الارض ـ الأم تمّ على أيدٍ خارجية ولاعتبارات خارجية ومصالح خارجية لا تمت بأي صلة الى الطبيعة الاصلية لها أو الى أهلها الاصليين؛ وثالثها، ان هذا الاقتطاع تحقق في ظروف وشروط تاريخية غاية في التعقيد، وهي ظروف وشروط أملتها، أساساً، أوضاع عالمية لم يكن للعرب الّا دور محدود في خلقها أو تطوّرها أو مآلها؛ ورابعها، أنها غدت، ولا زالت، موضع نزاع بين قوّة غاشمة مسلّحة بأيديولوجية عنصرية، وفكر متزمت، وتقدم علمي وتقني متميّز، ودعم حيوي من قوى العالم الاكثر نفوذاً وجبروتاً وتقدّماً تقنياً. وقوة مغلوبة على أمرها مسلّحة بإيمان مطلق بحقها، وبصلابة صقلتها وقائع المواجهات اليومية مع القوة الغاشمة، وبأمة مفكّكة مجزأة ضعيفة، تدعم، بالقلب، أكثر ممّا تساند بالفعل، وكثيراً ما تلقي بظلال أوضاعها على هذه القوة المغلوبة؛ وخامسها، ان هذا النزاع متداخل الى حدّ مروّع بالاوضاع العالمية، وأنه، بالتالي، لا يمكن ان يحسم؛ وسادسها، ان هذه الرقعة بكل مافيها، أرضاً وتاريخاً وتراثاً وحضارة بل وحياة انسانية، أصبحت عرضة للقضم والابتلاع من القوة المزروعة فيها والتي تحاول ان تغيّر كل شيء فيها وتطبعه بطابعها المغاير، تماماً، للطبيعة الاصلية لهذه الرقعة. ان الوعي بهوية هذه

الرقعة وهوية أهلها من العرب تنامى في ظل مواجهة شاملة ومعقّدة وعلى جانب معتبر من المفارقات مع الآخر ـ الخارجي المختلف الذي يسعى لمحو معالمها وتبديد خصائصها وطمس قسماتها والقضاء على أهلها الاصليين أو «تطهيرها منهم» لتبقى له. والآخر ـ الداخلي المؤتلف الذي يسعى لابراز هذه الهوية وتعميق ملامحها للحفاظ على حق أهلها فيما استلب منهم بالقوة الغاشمة، وهو في أعماقه يشعر بأنه يصطنع ذلك اصطناعاً فرضته عليه الظروف، بل انه كثيراً ما يمارس دور ولي الامر العارف الخبير بمصالح المنتمين اليها وواقعهم ومستقبلهم أكثر منهم، ولربما يقوده ذلك الى مواقف من المواجهة والخلاف لا يريدها ولا يريدونها هم أنفسهم. والمهم، في نهاية المطاف، اننا أمام هوية مصدرها الانتماء الى هذه الرقعة، قلباً وعقلاً ومصيراً، مرهوناً بمستقبل مجهول في الحدود الدنيا، وعضّاً بالنواجذ، ومعاناة يومية، وتضحية مستمرة، ودماء مراقة، وتحدّياً اسطورياً، ومجابهة غير متكافئة في الحدود العليا. إذن، ثمة أدب ينتجه منتمون الى هذه الرقعة. وهذا الأدب الذي تتحدد هويته بها هو أدب يقع فيه موقع القلب لأنها تمثل فسحة الحياة الحقيقية له ولمنتجيه. ولكن المشكلة أن هذه الرقعة تكاد تمثل، بالنسبة للعرب الآخرين ما تمثّله، تماماً، أو الى حدّ بعيد، بالنسبة للمنتمين اليها من الفلسطينيين: فلسطينيو الأرض المحتلة في العام ١٩٤٨، وفلسطينيو الارض المحتلة بعد العام ١٩٦٧، وفلسطينيو الشتات في الوطن العربي وخارجه. فهؤلاء الاخيرون، انْ رغبنا في استخدام لغة المجاز، فلسطينيون بالنسب يمثّلون القبيلة ـ الأم، والعرب الآخرون فلسطينيون بالولاء يمثّلون موالي هذه القبيلة، مع فارق معتبر هو أن القبيلة ـ الأم باتت تستجير بمواليها ـ فلسطينيي الولاء، وهؤلاء ينتجون أدباً فلسطينياً من نوع ما يضعنا، من جديد، أمام إشكال آخر. فماذا نسمي مجموعة «التراب الحزين» (١٩٦١) و«حين يورق الحجر» (١٩٩٠) للدكتور بديع حقي؟ وما موقع هذين العملين وهما منتجان من جانب كاتب فلسطيني بالولاء، ومثله كثر؟ إذن، أنا أؤكد ان الكتّاب العرب المنتمين بالولاء الى فلسطين ينتجون أدباً تقع فيه فلسطين موقع القلب الخافق الذي يحيا به، وهو، بالتالي، أدب فلسطيني بدرجة فلسطينية أدب المنتمين نسباً الى هذه الرقعة الغالية من وطننا العربي.

□ **د. ياغي:** الأصل في الأدب ان يبدأ بمدخل يحدد خصوصيته ومن ثم ينطلق الى الأبعاد الاخرى، الاجتماعية، والسياسية، والفنية. فالأدب يبدأ بالخصوصية ويمتد الى الشمولية. وبدون هذه الخصوصية يفقد الأدب طعمه، والأدب الفلسطيني، ولا شك، شغل بخصوصية الواقع الفلسطيني، وأخذ معه خصوصية القضية الفلسطينية، وانطلق منها الى علاقات في واقعه الاجتماعي ثم الى الدائرة الانسانية الكبرى، لأن المبدع لا يكون موفقاً في إبداعه الا إذا أدرك وجود عالمين بشبكتي علاقات، عالم الواقع الاجتماعي بكل معارفه، وعالم الواقع الفني المعادل له بكل علاقاته، والانتقال من عالم الواقع الى عالم الفن، نتيجة لاختراق عالم الواقع ومن امتداد عالم الواقع الذي اخترقه، يشكّل شبكة علاقاته الفنية، ويعيد صياغتها فنياً، بحيث يدخل في حالة جدل مع البعد الزماني، وفي حالة جدل مع البعد المكاني والتاريخي والانساني، الخ، ثمّ حالة جدل مع اللغة. هذا التركيب الفني والدخول في حالة جدل مع هذه الابعاد يجعل ملامح الزمان والمكان والانسان واللغة متمثّلة في العمل. ولما كان المبدع صاحب قضية، فإن هذه القضية تمنح ملامحها لهذه الابعاد. ومن هنا جاءت خصوصية الأدب الفلسطيني وسماته المميّزة وامتداده الى شبكة العلاقات الفنية العربية والعالمية. وفي ضوء هذا، كانت ملامح الأدب الفلسطيني تميل الى الجرأة الزائدة أحياناً في اقتحام الممنوعات والمحظورات، وفي اللغة الجارحة أحياناً لثوابت القيم. من أجل هذا، أخذت الكلمة والتركيبة الابداعية الفلسطينية حرارتها من حرارة القضية، فكانت ساخنة، وابتعد الأدب الفلسطيني،

في معظمه، عن موضوعات الفنية والتشكيلات الملتوية، وجنح الى وضوح الرؤيا، والى سلاسة السرد الواقعي في قصصه وروایاته، ومال الى الحركة بعد السكون، والى اقتحام الأبعاد الانسانية، وتأثّر بإبداع أميركا اللاتينية، وأخذ ينظر الى الجهات الثورية في العالم ليبدع أعمالاً ثورية، ومال الى قضايا الانسان في جميع أنحاء الأرض.

□ **نصرالله**: أعتقد أن الأدب الفلسطيني كان، دائماً، أحد روافد الأدب العربي الحديث، مؤثراً ومتأثراً، وتابعاً أو متقدّماً، ولكن ضمن خصوصية المكان الفلسطيني، والزمان الفلسطيني؛ وأبعاد هذه القضية، وهذه أمور يسعى لتحقيقها كل أدب جيد ينبع من التفاصيل الدقيقة لبيئته. ولكن الدائرة التي يتحرك فيها الأدب الفلسطيني، الآن، بدأت تتسع أكثر مقارنة بالستينات وأوائل السبعينات، بحيث أصبحت رؤية هذا الأدب للعالم أكثر عمقاً وأكثر جرأة على صعيد الفن الأدبي، شعراً كان أم رواية أم قصة. فالقضية الفلسطينية سياسياً، تلك التي كانت رافعة هذا الأدب، بدأت تتسع وتتخذ اتجاهاً انسانياً يساهم في ترسيخ صورة وروح الانسان الفلسطيني بكل أبعادها الوطنية والوجودية، وكأن الادب الفلسطيني بعد أن رسّخ قضيته الوطنية بدأ بالالتفات أكثر الى حميميات انسانها، وهذه، في اعتقادي، كانت الانطلاقة الثانية لهذا الأدب، خاصة وأن المبدع الفلسطيني وجد نفسه في خضم معركة حضارية، كان عليه أن يثبت أنه قادر على ابتكار مستويات فنية عالية ليكون أكثر اخلاصاً لقضيته. وهذا وسّع في دائرة هذا الأدب من أدب المقاومة الى الادب الانساني. فقضية كبرى كالقضية الفلسطينية لم تكن لتبقى حاضرة بهذه القوة لولا ذلك المستوى الرفيع لأدبها، إضافة الى عوامل أخرى كثيرة خارج هذا الأدب. ولكنني أحب أن أقول، هنا، ان تماس الحالة الفلسطينية وتداخلها مع الواقع العربي ساهم، بطريقة أو بأخرى، بايجاد أعمال ابداعية عربية فلسطينية بشكل مدهش وعميق، مثل تلك الاعمال التي كتبها ممدوح عدوان، شوقي بغدادي، علي الجندي، وشعراء الجنوب اللبناني... وروائياً الياس خوري. ويمكن ادراج أمل دنقل وكثير من قصائد أحمد عبدالمعطي حجازي أيضاً. بحيث يمكننا القول ان هناك أدباً فلسطينياً كتبه لبنانيون وسوريون ومصريون، وتجلى في عدد كبير من أعمالهم. وهذا، في اعتقادي، طبيعي؛ ففلسطين امتحان يومي لضمير العالم، ونحن لا نكتب عنها لأننا فلسطينيون فقط، نكتبها لأننا بشر أولاً وأخيراً.

○ **شؤون فلسطينية : المكان، القضية، والمباشرة... هذه هي مقومات الأدب الفلسطيني وفق ما يمكن استنتاجه من هذه الآراء. أليس هناك مقومات أخرى تميز الـ «أدب فلسطيني» إضافة الى ذلك، كمسألة الأداة / اللغة مثلاً؟ كذلك انعكست القضية الفلسطينية، بكل أبعادها، على شكل تيارات شعرية وروائية وفنية، الامر الذي انعكس، بالتالي، على توظيف الكلمة الشعرية وتفجير طاقاتها كما خلق لغة روائية خاصة رغم تنوعها. كيف يمكن تلمّس هذه الانعكاسات في علاقاتها المباشرة مع التطورات الفلسطينية والعربية والدولية، وانعكاس الانتفاضة فيها اليوم؟**

□ **د. اصطيف**: هذا صحيح، فاللغة ليست مجرد أداة عاطلة لفن الأدب، بل هي أداة حيّة مشبعة بالموروث الثقافي للأمة، وهي أداة التفكير والتعبير والتواصل مع الآخرين ومع المواريث الثقافية المدوّنة بها أو المنقولة إليها. فهذا الأدب الفلسطيني يتخذ من العربية أداة له، في معظم الاحيان، وهو يشترك فيها مع الأدب العربي الحديث الذي يتخذها أداة له. وهو كذلك يتخذ من اللغات الاخرى أداة، في بعض الاحيان، بل قد يصل الامر به حدّ استخدام لغة الآخر ـ الخارجي المهدّد للوجود والهويّة الفلسطينية، كما في رواية أنطوان شماس الاخيرة (عرابسك). وفضلاً عما تقدّم فإنه إذا ما كان منتجو الأدب الفلسطيني أنفسهم يستخدمون لغة غير العربية في انتاجهم لأدبهم، فما موقع الانتاج

الأدبي الذي يتخذ من المسألة الفلسطينية موضوعاً له. ولكنه يتخذ غير العربية لغة له لأن منتجه غير عربي أصـلاً، وبالتالي هو من فلسطينيي الولاء، وإنْ كانت درجة موالاته أو ولائه أدنى من درجة الكاتب العربي. ان تحديد أبعاد مصطلح «الأدب الفلسطيني» عملية معقّدة وشائكة إذا أخذنا بعين الحسبان كل ما تقدم. ومع ذلك، فإنه يبدو لي أننا يمكن ان نتخذ من عملية المواجهة الشاملة التي يعيشها الفلسطينيون (بالنسب أو بالولاء بالمعنى المجازي لا بالمعنى العرقي) أساساً في تحديد هوية الأدب الذي ينتجونه. وبذلك يمكن ان نقول ان الأدب الفلسطيني هو أدب ينتجه الفلسطينيون (نسباً وولاء) في سياق مواجهتهم للعدو الصهيوني، وأنه وجه هامّ وأساس وحيوي خطير في هذه المواجهة لأنه يعمل على تأكيد الوجود الفلسطيني الحي، ونشر الاحساس به في الوطن ـ الرقعة المقتطعة، والوطن ـ الأم بلاد الشام وسائر أقطار الوطن العربي، وفي العالم حيث ينتشر فلسطينيو الشتات. مرة ثانية أعود الى المكان: فلما كان مصدر هوية هذا الادب هو هذه الرقعة فإنه مرتبط بها ارتباطاً عضوياً. من هنا كان عنصر الارض مكوناً أساسياً فيه، وخيطاً من أبرز خيوط نسيجه. ونحن نجد ذلك حتى لدى فلسطينيي الولاء، كما هو شأن أعمال الدكتور بديع حقي بعناوينها الموحية: التراب الحزين، وحين يورق الحجر، على سبيل المثال. وهذه الارض تمثل فسحة الحياة الوحيدة الممكنة كما يتضح ذلك من قصيدة محمود درويش «تضيق بنا الارض» التي يتمنى فيها لو أنه قمحها حتى يموت ويحيا بوصفه جزءاً منهـا. وعـلى الرغم من استنكاره لضيق الارض بوصفه أمراً غير طبيعي، فانه يتمسّك، مثل العصافير والنبات بحقه في الحياة ويؤكد ان دمه المراق بغير حق سيخط اسمه باللون القرمزي في الفضاء، وسيغرس زيتونه ليتحدى الفناء في الأرض. وكذا الشأن بالنسبة الى غسان كنفاني الذي أكد في روايته القصيرة «رجال في الشمس» ان كل الطرق التي تمضي بعيداً عن الارض لن تؤدي الاّ الى الموت، بل وربما تنتهي بالفلسطينيين على اختلاف مشاربهم ودوافعهم وتطلعاتهم الى الرمي في مقلب للقمامة في العراء بعد سلبهم من كل ماله قيمة ولو كان عرضاً بسيطاً من أعراض الدنيا. ان هذا التمسّك بالأرض التي تمنح الهوية للوجود المهدّد من جانب الآخر، هو، في جوهره، التمسّك بفسحة الحياة، ولذلك فإننا نرى الارض تتخذ أبعاداً أسطورية في الأدب الفلسطيني، ويرتقي التمسّك بها بالوجود والتحدي الفلسطينيين، وما يمثلانه بالنسبة الى الآخر ـ الخارجي، الى مستوى الاسطورة التي تتحدى الزمان. وأخيراً، أؤكد على مقولة ان الأدب الفلسطيني نشأ ونما وتطوّر في ظل المواجهة ـ التحـدي للآخـر، ولذلك فإنه مرتبط بعملية المواجهة الشاملة هذه بوصفها كلاً متكاملاً، والوجوه السياسية لهذه المواجهة هي جزء منها.

□ **د. ياغي**: ان ما يحدّد قيمة أي عمل أدبي هو مدى دخوله في حالة جدل مع الواقع وخروجه منه الى إعادة صياغة مواده بصورة فنية كمخرج: الواقع المألوف ليصبح واقعاً فنياً غير مألوف، ولا يعني تحطيم المألوف وإنما يمضي به بعيداً الى أن يمنحه بعداً جديداً، وقيمة جديدة، ومذاقاً جديداً. فحينها يدخل المبدع الفلسطيني في حالة جدل مع واقعه في بعده الزماني وأحداثه ويعيد تشكيل هذا البعد وينسجه في شبكة علاقات جديدة، بحيث يعطي الزمان والحدث والمكان والانسان ملامحهم الخاصة، وتأتي اللغة لتتشابك مع هذا كله ولتأخذ ملامحها من هذا كله، ولتمنح ملامحها لهذا كله. ومن هنا، نجد طعماً خاصاً للغة في الابداع الفلسطيني، بحيث نراها هي البطلة في رواية بكاملها، ونراها على لسان المرأة المكافحة في المخيم لها طعمها ومذاقها ولها معناها وقيمتها الخاصة، تمتد حتى تبلغ الابعـاد الانسـانيـة في اللغات. وأصبح للحجر في الانتفاضة، وفي ابداع الانتفاضة حضور كحضـور الانسـان، وأصبـح الحجر يحمل قضية كقضية الانسان، بل بديلاً للانسان، ولم يعد

مجرد مادة صلبة، كما هو الحال عليه في كثير من القصص والروايات والمسرحيات والقصائد.

□ **اليوسف**: لقد صيغ هذا السؤال على نحو غامض بعض الشيء. وإنْ كنت قد فهمته، حقاً، فإن مداره حول صلة محتوى الأدب الفلسطيني بشكله أو باسلوبه. من المؤسف القول، بأن الادب الفلسطيني درس دراسة مضمون، بالدرجة الاولى، ولم يدرس دراسة شكل الا على نحو نادر وحسب. فالنقد مازال ينصبّ على هذا السؤال: كيف قال الكاتب ما قال؟ والفرق بين «ماذا» و«كيف» هو فرق حاسم؛ إذ بالاجابة عن سؤال «الكيف» نكون قد استصدرنا حكم القيمة، وهو ما أراه المهمة الختامية لكل حركة نقدية متقدمة. وعلى أية حال، ان هذا السؤال ليس عسيراً وحسب، بل الأهم من ذلك أنه يحتاج الى دراسة خاصة. والحقيقة، ان مثل هذه الدراسة لا يقنعها ما هو أقل من مجلد ضخم.

□ **نصرالله**: لقد حرّر الكاتب الفلسطيني قضيته، في المرحلة الاولى، حين دفعها عبر ابداعه لأن تكون حاضرة، وغير قابلة للذوبان أو الغياب؛ ثم جاءت المرحلة التي كان عليه أن يحرر ابداعه من خلال تعزيز قدرته الفنية على الارتقاء والوقوف بشجاعة أمام أهمّ ما ينتج من ابداع في العالم العربي، والعالم. وبعد أن كان الأدب الفلسطيني يسعى ككل لايجاد ملامحه الامينة لقضيته، وانسانية هذه القضية، بدأ الكاتب الفلسطيني، كفرد، يسعى للتطور والتميّز داخل حركة هذا الأدب وتياره. وهنا بدأنا بجني الثمار الكبيرة لهذا الأدب. كل ذلك من خلال الدخول الى آفاق أرحب، حيث لم يعد هذا الأدب أدب العناوين الكبيرة، بل أصبح أدب التفاصيل الدقيقة المتطلع للولوج بعمق أكبر الى الابعاد الاجتماعية والانسانية لقضيته في تماسها وتقاطعها مع ما يحيط بها من واقع عربي وعالمي. وقد استطاع الشعر، بشكل خاص خلال الثمانينات وما بعد أواسط السبعينات، ان يقوم بالدور الأكبر، فظل هذا الشعر هو ديوان الفلسطينيين، وباستثناء نماذج قليلة في مجال الرواية، مثلاً، فإن الرواية الفلسطينية، بشكل عام، لم تقم بتقديم نماذجها المتفوقة أو المضاهية لما ينتج من رواية حديثة في العالم العربي والعالم. ولكنني أرى ان التسعينات ستكون حقبة الرواية الفلسطينية الاكثر حداثة، خاصة وقد تطوّر الوعي بالعالم الآن. والوعي بالذات، أيضاً؛ فالرواية لا تستطيع العيش إذا لم تملك القدرة الكافية للمشي على الارض، لأن مهمة التحليق يختطفها الشعر الى حد كبير. وهكذا، فالراهن العربي والعالمي، بكل متغيّراته، سلباً أو ايجاباً، أفرز حالة انسانية كان لا بد للأدب الفلسطيني من ان يتمثّلها، وهنا تصاعد التفكير الايجابي. أمّا بالنسبة للانتفاضة، فثمة نصوص حقيقية انسانياً وفنياً خرجت من رحمها قد لا تكون على مستوى العدد كثيرة، لكن فيها انتفاضتها الخاصة، وأظهرت ان مشكلة الادب مع الانتفاضة كانت تتمثل في أن الانتفاضة كانت تحيا وتقتل في الوقت نفسه، ممّا أدّى الى وجود نوع من الاحساس بالذنب تجاهها، فقد أُجري ترويج مقولة ان كل الادب أقل أهمية من قطرة دم. وعلى الرغم من النبل الكبير في هذه المقولة، الا أنها مقولة قامعة، روّجها العقل العربي العقيم الذي فوجيء بالانتفاضة، في حين ان الادب الفلسطيني لم يكن خارج قيامة هذه الانتفاضة في أي يوم من الايام، قبلها وخلالها. ولذا، أرى ان الانتفاضة كان يمكن ان تكون أعمق تأثيراً لو لم يجر العمل منذ اندلاعها على تعميق حالة العجز عربياً، على الرغم من حالة نهوض الروح التي تمثّل جوهرها هذه الانتفاضة. وقلت مرة: ربما لم يكن بامكاني كتابة «الامواج البرية» لو لم أكتب هذا الكتاب عن الانتفاضة قبل اندلاعها.

□ **خوري**: بالنسبة لسؤال الشكل والمضمون، سأقول، منذ البداية، أنني لا أعتقد بأن هناك طغيان للخطاب السياسي على المضمون في الأدب الفلسطيني الا في النتاجات الرديئة منه، وهذا لا نجده في الأدب الفلسطيني بل في كل الأدب. الأدب الرديء هو في المستوى الأول للقراءة، أما

الأدب الجيد فيمكن قراءته في مستويات مختلفة، ويمكن أن يقرأ في أزمنة مختلفة. الأدب الفلسطيني مثل أدب المشرق كان يبحث عن ايقاع الحياة الجديدة في التعبير الأدبي. هكذا بدأ الشعر الحديث، وهكذا بدأت الرواية بوصفهما محاولة للبحث عن نبض الحياة اليومية، ونبض التغيير في الحياة داخل المبنى الأدبي، عبر تطويع هذا المبنى ليصبح قادراً على استيعاب واستقبال الجديد. وأستطيع ان أتحدث عن انجازات شكلية كبرى قام بها الأدب الفلسطيني. إذا توقفنا، مثلاً، عند تجربة محمود درويش الشعرية نكون أمام تجربة كبرى في الأدب العربي من أجل استحداث القصيدة المتعددة الصوت، المتعددة المنحى، والتي تعبّر عن التجربة الفلسطينية بوصفها تجربة انسانية. وإذا توقفنا عند أدب غسان كنفاني نجد بنسب متفاوتة هذا البحث. أي ان الأدب الفلسطيني تحرر منذ زمن طويل من الخطاب المباشر، وتحوّل الى شهادة انسانية كبرى، لأنه يعبّر عن إحدى المآسي الكبرى في القرن العشرين.

○ **شؤون فلسطينية : في علاقة السياسي بالثقافي، ثمة آراء تقول باختلاف الوظيفة بين ما هو نضال سياسي، وبين ما هو نضال ثقافي؛ فالسياسي ـ كما يقال ـ قادر ـ أو مرغم ـ على المناورة والتكتيك أو تقديم بعض التنازلات، فيما لا يجوز للثقافي أن يتنازل عن الاستراتيجي في المجال التاريخي والوظيفة الحضارية. ولهذا فإن المثقفين مطالبون بالتمسّك بموقفهم الثابت والاستراتيجي، وعدم التفريط بحضارتهم ومستقبل أطفالهم. كيف تنظرون الى هذه العلاقة، في ما يتعلق بالدور الذي يجب ان يلعبه الأدب الفلسطيني ضمن تعريفكم وفهمكم الخاص له؟**

□ **د. ياغي**: الحقيقة الاولى، انه ليس هناك من تناقض ما بين السياسي والثقافي الفني، لأن العلاقة بين السياسة والأدب علاقة جدلية، فلا يستطيع مبدع متفوّق أن لا يكون له موقع طبقي يستند اليه، ومواقف يصدر عنها تتلاءم مع هذا الموقع، وزاوية رؤية معيّنة لحركة التاريخ الانساني ومفاصل التحول فيها، وان يكون له فكر فلسفي ـ اجتماعي يمكنه من رؤية طريقه، إنْ كان يسير الى الأمام أم لا؛ وهذا كله مرتبط بوعيه السياسي، هذا الوعي الضروري للانجاز الأدبي، ولكنه ينجزه بأدوات وطريقة غير التي ينجز بها السياسي. فهو يعرف ما يعرفه السياسي، ولكنه لا يقول ما يقوله، فهو يدخل في دائرة إبداع تبدو خارجة عن هذا السياسي كله، ولكنه كامن فيها. وللثقافي أدوات مختلفة، ولغة مختلفة، لذلك لا تدخل في حساباته معايير السياسي، ولا يحب ان تدخل، فله معاييره ولغته ودلالاته وتراكيبه. المبدع يقوم بدور، لكنه يقوم به بأدوات مختلفة، وهذا يخرجه الى دائرة أخرى، ويقيسه بمعايير أخرى.

□ **خوري**: أنا أعتقد ان الأدب لا علاقة له لا بالتكتيكي ولا بالاستراتيجي. هاتان الكلمتان منقولتان من القاموس العسكري الى السياسي، ولا يمكن نقلهما مرة ثالثة الى القاموس الادبي. فالأدب لا رسالة له؛ رسالته هي التعبير، والتعبير هدف بحد ذاته، لا يوجد هدف للتعبير سوى التعبير، يمكن للقراءة أن تجعل من التعبير أهدافاً، أمّا الكتابة فهي لا تستطيع ان توظّف نفسها ضمن أي هدف. بهذا المعنى، فإن الأدب الفلسطيني كغيره من آداب كل الشعوب يعبّر عن مأساة الانسان، ولا يحق له أن يوظف نفسه لخدمة أي هدف سياسي مهما كان نبيلاً. وعند وجود الخطأ، فهذا يعني ان ما نقرأه ليس أدباً بل هو نص من طبيعة أخرى. أعتقد ان هذا السؤال مرتبط بما يحكى عن سلام أو عن اتفاقات سياسية، ونحن نذكر ان الحروب الصليبية كانت مليئة بما يشبه هذه الاتفاقات، وان ما يعنينا نحن كأدباء ليس التمسّك بشيء سوى التعبير عن حقيقتنا، وحقيقة الشعب الفلسطيني هي أنه شعب تعرّض ويتعرّض لظلم لا مثيل له، وأنه شعب معرّض للنفي والالغاء بشكل دائم.

الأدب يحافظ على لغة هذا الشعب ويكشف ويكتشف ويستكشف هويته. هذه هي مهمة الأدب، أما الثورات والاتفاقات السياسية والسياسيين فإنها تعمل في حقل المؤقت.

□ **نصرالله**: الثقافي لم يسع، في أي يوم من الايام، لاحداث هذا الشرخ في الجسم الروحي الوطني الفلسطيني، ولم تكن هذه المسافة قائمة بين الثقافي والسياسي، الّا بعد ان بدأ السياسي بالعمل جاداً على استلاب دور الثقافي وتهميشه من خلال احتوائه، مما أفرز لدينا طبقة من الكتّاب تنتمي الى الجانب الثقافي، لكنها حقيقة مرهونة للسياسي، وتابعة له، بحيث أنهت دورها بنفسها. والسياسي لم يتفهم، يوماً، ما يدعونا اليوم للمضي فيه، وأقصد حماية الاهداف الكبيرة للشعب الفلسطيني. لقد أراد هذا السياسي ان يكون الثقافي مرهوناً للخطة السياسية. وكثير من الكتّاب تحوّلوا الى كتبة داخل المؤسسة الفلسطينية. الآن يجرى الانتباه لأهمية دور الثقافي، ولكن هناك نمطاً من المثقفين لم يعد أمر استعادته هيناً ليمارس دوره القديم، لأن سنوات وسنوات من الارتهان غيّرته وبدّلت لغته وعزلته حتى فنياً؛ هذا في الحالة الفلسطينية الحالية. ولكن الأدب الفلسطيني الحقيقي لم ينعزل عن جوهر الروح المقاومة، أو المقاومة ذاتها، لأنه ببساطة سبقها. الانعزال، أو ايجاد مسافة بين السياسي والثقافي كان لا بدّ ان يتمّ حين تعمّق وعي الثقافي بما يدور، ولم يعد بإمكانه ان يبقى تابعاً في الوقت الذي يراد له ان يكون رائداً، لم يعد بإمكانه أن يبقى مرحلياً، في الوقت الذي يجب عليه ان يكون فيه كذلك. المطلوب أدب فلسطيني متمرّد، كأي أدب عربي متمرّد. وستزداد حاجتنا لهذا النوع من الأدب كلما اقتربنا من الدولة.

□ **اليوسف**: ان الدوائر الحضارية القديمة جهلت أية وصاية على الثقافة، ولهذا فإن الاقدمين لم يطرحوا سؤال العلاقة بين الثقافة والسياسة في حدود ما أعرف. والحقيقة، ان هذا السؤال هو سؤال أوروبي حديث طرح، لأول مرة، في القرن التاسع عشر. ولقد استهلكته اوروبا كلياً، أمّا نحن فما زلنا نجترّه ونعيد اجتراره حتى اليوم. شخصياً، لا أؤمن الّا بالعقل الحر المستقل. وهذا مبدأ يترتب عليه الكثير. وأول ما يترتب عليه ترك الكاتب ليختار الموضوع الذي يريد أن يكتب فيه، وبالطريقة التي يريد. والزمن طبيب كل شيء. فما صمد أمام الزمن فهو عظيم. وما سقط فهو هش ساعة ولادته. للكاتب الفلسطيني وغير الفلسطيني ان يتجاوز «الاستراتيجي» وأن يخرج عنه أو ان يلتزم به أو يناور على تخومه. والحقيقة ان مبدأ الوصاية على الكتابة، وهو مبدأ ارهابي، مارسته الاحزاب على الكتّاب، وقد أسهم اسهاماً شيطانياً في تخريب جزء كبير من الأدب العربي المعاصر. وأبرز ما في هذا التخريب، انه منع الكاتب من أن يكون رؤيوياً، وجعل منه، في الغالب الأعم، مجرد تابع صغير لا يطمع الّا في نيل الرضى من السادة القيّمين على المصير. ولهذا فقد جاءت الحداثة العربية مبتسرة أو مسطحة. وعندي أنه ما من خطيئة في عالم الكتابة سوى الضحالة أو التسطح. وأغرب ما في أمر هذا العصر الراهن ان الكتابة أصبحت تبعيّة وهامشية تحت شعار كبير يتلخّص في «حرية الكاتب».

□ **د. اصطيف**: سبق أن أشرت ان الأدب الفلسطيني نشأ ونما وتطوّر في ظل المواجهة ـ التحدي للآخر، ولذلك فإنه مرتبط بعملية المواجهة الشاملة هذه بوصفها كلاً متكاملاً. ومعنى ذلك ان علاقة السياسي بالأدبي ينبغي ان ينظر اليها في إطار هذه المواجهة الشاملة وما يطرأ عليها من تغيّرات. وأريد، هنا، ان أؤكد، أيضاً، على أن الاستراتيجي والتكتيكي في الأدب مرتبطان، على نحو وثيق، بما هو استراتيجي وتكتيكي في هذه المواجهة، دون ان يعني ذلك التبعية الآلية، لأنهما يتفاعلان ويتبادلان التأثير مع ما هو استراتيجي وتكتيكي في المواجهة الشاملة التي يرجى لها أن تنتهي، في خاتمة المطاف، بعودة الحقوق وعودة السلام الشامل الى الرقعة المقتطعة، والى الارض ـ الأم، والى

الأرض ـ العمق، مثلما تنتهي بانتصار إرادة الأمة المغلوبة على أمرها اليوم.

○ **شؤون فلسطينية : ما هو برأيكم، الآن، الدور الذي لعبه «الأدب الفلسطيني»، أو يجب ان يلعبه في صيرورة النضال والتحرر والنهضة الفلسطينية والعربية المعاصرة؟**

□ **اليوسف**: في الواقع، ما من سؤال ذهني أقلق الانسان، منذ فجر التاريخ والوعي وحتى اليوم الراهن، أكثر ممّا أقلقه سؤال المصير (الصيرورة). والحقيقة التي لا تقبل مراءً ان الأدب الفلسطيني ملتزم بالمصير الكلي (الوطني والاجتماعي) منذ انبثاقه إثر وعد بلفور وحتى هذا العقد الأخير من عقود القرن العشرين. أمّا ماهيّة هذا الدور فهي تعبيرية وتحريضية في آن. ومن الواضح ان الأدب الفلسطيني كان يشتد ساعده كلّما تطوّرت الاحداث الوطنية واشتدت الأزمة الفلسطينية. بحيث يمكن القول بأن الأدب الفلسطيني صار أقوى بعد ثورة العام ١٩٣٦ ممّا كان عليه قبل تلك الثورة، ثم صار أقوى، مرة ثانية، بعد النكبة، ولكنه اشتد أكثر بتصاعد النضال الفلسطيني إثر حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧. وخلاصة القول، ان الأدب الفلسطيني واكب الحركة الوطنية الفلسطينية، منذ نشوئها وحتى الوقت الحاضر، وعكسها وعبّر عنها، حتى يمكن القول بأن ثمة جبهة ثقافية تقف الى جانب الجبهة النضالية.

□ **د. ياغي**: الابداع الفلسطيني تعامل مع قضية نضالية بصورة متحرّكة غير ساكنة ممّا منحه قدرة على اشعال الارادة الجماهيرية وتحريكها ومحاولتها الانتقال الى موقع متقدّم. لقد عمل هذا الأدب على جعل القضية بالرغم من كل محاولات تجميدها وتسكينها، ساخنة، دائماً، حتى في انكساراتها وانتكاساتها، ولم تستطع قوة أن تدفنها أو تضعها في ثلاجة، والأدب قام بهذا الدور وهو دور ليس بقليل.

□ **نصرالله**: اعتقد ان مهمة الأدب الفلسطيني تتمثل في أن يوصل هذا الأدب بالروح الى هيكليتها لتنتصب من جديد. فكلما لمّ الأدب هذه الروح جاءت هزيمة وبعثرتها. فالكاتب الفلسطيني العربي «سيزيف» هذا العصر، بكل أبعاد هذه الكلمة، وأعتقد أن المرحلة المقبلة تحتم علينا، ككتاب، مهام غير عادية، حيث اختلاط الجهات وتراجع الأهداف الكبرى ـ كلها تربض لنا في الدرب.

□ **د. اصطيف**: ان دور الأدب الفلسطيني بوصفه أدباً ينبع من تأثيره في المتلقي، وحفز هذا المتلقي على الاستجابة لواقعه على نحو إيجابي ومجد، وليس من خلال إلقائه للتوجيهات والتعليمات والارشادات على سبيل المنشورات السياسية التي لها مجالها الخاص بها، وهو مجال مغاير للأدب بوصفه فنّان الفنون الجميلة التي تعمق القيم الانسانية التي لا يكون الانسان انساناً حقاً الاّ بها.

○ **شؤون فلسطينية** : أخيراً، نشكر السادة الكتّاب والنقاد والأدباء الذين شاركونا في هذه الندوة، ونتمّنى أن تفتح آفاق جديدة لقراءة «البديهيات» في واقعنا الفلسطيني، لأن هذا العصر يحتاج الى قراءة جديدة حقاً.

أعدّ الندوة وحرّرها: مهنّد عبدالله

نحو حل عادل للمشكلة الفلسطينية

Ateek, Naim Stifan; *A Palestinian Theology of Liberation: Justice and only Justice,* New York, Orbis Books, 1989.

هيمنت على أفكار ومشاعر المؤلف عوامل عدة؛ منها انه قس مسيحي فلسطيني يؤمن بحرارة في عدالة المسيحية المفتقدة في وطنه على يد الذين اساءوا الى معلمه في الماضي، ويسيئون الى شعبه في الحاضر، يساندهم في جورهم شعوب وحكام ينتحلون المسيحية شكلا ويعادونها في ممارساتهم مضموناً، ومنها معاناته ومعاينته للتشرد الفلسطيني القسري والاقتلاع من الارض والمسكن ليصبح لاجئاً في وطنه مثله في ذلك مثل عشرات الآلاف من شعبه الذين اصبحوا لاجئين في داخل الوطن وخارجه وقد مضى على مأساتهم أربعة عقود ونيف من دون ان يتحقق لهم أدنى حدّ من العدالة لتخفيف مأساتهم بسبب تعنّت حكّام اسرائيل من جهة، ودعم الغرب المسيحي الذي يشارك فيه قسس مسيحيون للمواقف الاسرائيلية الظالمة من جهة أخرى.

ومن واقع هذه المعاناة المرّة، قدّم الأب عتيق فكرته «اللاهوتية» علّها تكون حلاً للمشكلة الفلسطينية المستعصية، وخشبة خلاص لمأساة شعبه، وهي وإنْ كانت لا تحقق العدالة الكاملة بكل أبعادها، فانها تحقق بعضها في ظل الأوضاع القائمة والظروف الدولية والعربية الراهنة.

يتألف الكتاب من مقدّمة وثمانية فصول مع ثبت بالمراجع وفهارس للاعلام والمؤسسات. ويبدو الأب عتيق، مع اقراره، من حيث المبدأ، في تشخيصه للمعضلة وفي تقديمه الحل لها من خلال المقدمة، بالحق الفلسطيني التام دون منازع، الاّ انه استناداً الى معطيات الواقع القائم، فان الحل يكمن لديه في التعايش الفلسطيني ـ الاسرائيلي بقيام دولة فلسطينية الى جانب دولة اسرائيل. وبذلك يتحقق السلام لا بالممارسات النازية التي يمارسها حكام اسرائيل بحق الشعب الفلسطيني، ولا بالادعاءات الباطلة بالحق «التاريخي» او «الديني» أو «الأمني».

وانطلاقاً من كون المؤلف قساً كاثوليكياً، سعى الى دحض المزاعم المغرضة حول الادعاء «بالوعد الالهي» لبني اسرائيل «بأرض الميعاد»، مستنداً الى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، مؤكداً أمرين: أولهما، ان «الوعود» شملت العرب واليهود على السواء؛ وثانيهما، ان «الوعود» تمّت في الماضي ولم تقطع وعود جديدة، وان قيام اسرائيل، حالياً، لم يتمّ بوعد الهي، بل تم بالبندقية الاسرائيلية والحراب الغربية.

استعرض المؤلف، بعد المقدمة، سيرة حياته مع اسرته، وهي سيرة حياة مئات الآلاف من الفلسطينيين. فلقد نغّص الاحتلال الاسرائيلي لبلدته بيسان في الثاني عشر من أيار (مايو) ١٩٤٨ حياته وحياة أسرته، وتمّ اقتلاع كل سكان هذه المدينة، التي لم تقاوم، بعد اسبوعين من احتلالها، وجرى نقل المسيحيين منها، قسراً، الى الناصرة التي لم تكن سقطت بيد الاسرائيليين. أمّا المسلمون فقد تمّ ترحيلهم الى الاردن. وعبثاً حاولت اسرة الأب عتيق، كغيرها، العودة الى بيسان بعد الاحتلال الاسرائيلي للناصرة؛ وهكذا أصبح هذا الأب ابن الحادية عشرة لاجئاً في وطنه.

وعندما أصمّ العالم اذنيه عن سماع الحيف الواقع على الفلسطينيين وعن سماع طلباتهم العادلة لجأوا الى النضال المشروع لاستعادة حقهم السليب وكرامتهم المطعونة، وأمسى هذا النضال «ارهاباً» في عرف اسرائيل

ومن يقف وراءها.

لقد خرجت الفكرة الصهيونية من رحم الفكر الاستعماري الاوروبي في القرن الماضي متشربة رؤاه، متسلّحة بحرابه، مستغلة التأويلات التوراتية بما يتوافق مع أهدافها، وهو الأمر الذي وجد مناخاً ملائماً في الغرب بعد ظهور حركة الاصلاح الديني البروتستانتية، حيث تمّ التزاوج بين المصالح السياسية والتأويلات التوراتية عند الجانبين الغربي والصهيوني.

الزمت بريطانيا نفسها، في خلال الحرب العالمية الاولى، بثلاثة التزامات متناقضة: اتفاقية (حسين ـ مكماهون)، وتنكرت لمضمونها في ما بعد، واتفاقية (سايكس ـ بيكو) وقد راعتها الى حد ما، و«وعد بلفور» الذي التزمت بتنفيذ الجانب المتعلق «بالوطن القومي اليهودي»، من دون مراعاة الشق الثاني المتعلق بعرب فلسطين على الرغم، من احتجاجاتهم وانتفاضاتهم وثوراتهم التي قابلتها بالقمع والقسوة مفسحة في المجال للجانب الصهيوني لتكوين بنية دولة ضمن الدولة الانتدابية.

وخلال الحرب العالمية الثانية، أفادت الحركة الصهيونية من الاضطهاد النازي من نواح عدّة، ذلك انها كسبت العطف الاوروبي ـ الاميركي، ودفع هذا الاضطهاد عشرات الآلاف من اليهود للهجرة الى فلسطين، كما أتاح للوكالة اليهودية ان تنشىء قوة عسكرية مدرّبة ومنظّمة ومسلحة. لكن الامر الاهم هو تمكن الحركة الصهيونية من جذب الولايات المتحدة الاميركية الى جانبها، وحملها، بنجاح، لممارسة الضغوط على بريطانيا للاستجابة لمطالبها. وهذه الضغوط اجبرت بريطانيا على اشراك الولايات المتحدة الاميركية في القضية الفلسطينية، واجبرتها على الغاء الكتاب الابيض للعام ١٩٣٩، ومن ثم تدويل القضية باحالتها الى هيئة الامم المتحدة التي اصدرت جمعيتها العامة، بالضغوط الاميركية، قرار التقسيم في ١٩٤٧/١١/٢٩، والذي كان بنتيجته اندلاع المعارك في فلسطين، وممارسة المنظمات الارهابية الصهيونية المذابح الجماعية، كما حدث في دير ياسين وسواها، لحمل عرب فلسطين على الهرب والاستيلاء على اراضيهم ومنازلهم واحلال مهاجرين يهود مكانهم.

وعقب نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين في ١٩٤٨/٥/١٥، تمّ استيلاء اسرائيل على المزيد من الأراضي الفلسطينية، غير المخصصة لليهود في مشروع التقسيم، وتمّ تشريد مئات الآلاف من سكان عرب فلسطين، كما تمّ ازالة معالم اكثر من خمسمئة وخمسين قرية عربية. وعلى الرغم من قبول عضوية اسرائيل في الامم المتحدة المشروط بتنفيذ القرارين ١٨١ و١٩٤ المتعلقين بالتقسيم والسماح بعودة اللاجئين والتعويض لغير الراغبين بالعودة، فانها سنّت قوانين اباحت لنفسها فيها مصادرة أراضي المشردين، ومصادرة أراض كثيرة من الاقلية العربية المتبقية في فلسطين، التي اخضعتها للحكم العسكري، ومارست عليها المضايقات السياسية والاقتصادية والتربوية باستمرار، ورفضت، على الدوام، عودة اللاجئين.

وتأكيداً لطبيعتها التوسّعية واستراتيجيتها القائمة على الحروب الوقائية، شنّت اسرائيل سلسلة من الحروب تمكّنت في حرب العام ١٩٦٧ من الاستيلاء على كامل التراب الفلسطيني، وتشريد المزيد من عرب فلسطين والاستيلاء على ممتلكاتهم وزرع المستوطنين اليهود فيها.

أدّى الاحباط الذي انتاب الفلسطينيين من جرّاء الممارسات الاسرائيلية، ومن جرّاء اللامبالاة الرسمية العربية، ومن خيبة الامل بالامم المتحدة الى الاعتماد على أنفسهم لاسترداد حقهم السليب. ونجم عن ذلك ولادة الثورة الفلسطينية التي مكّنتها هزيمة الأنظمة العربية في حرب العام ١٩٦٧ من الوقوف على قدميها، والتي أعطاها الصمود البطولي في معركة «الكرامة» ثقة بالنفس وايماناً بالكفاح لانتزاع الحق السليب، فرسّخت بذلك الهوية الفلسطينية العربية التي حاولت اسرائيل طمسها على الدوام، بحيث لم تعد القضية الفلسطينية قضية لاجئين، بل قضية شعب يسعى لنيل حقه المهضوم الذي طالما تجاهلته اسرائيل وتعمدت طمسه، ومضت قدماً في تهويد الارض فجوبهت بالتحدي في الثلاثين من آذار (مارس) ١٩٧٦ بانتفاضة يوم الارض، وجوبهت بالتحدّي الآخر في ١٩٨٧/١٢/٨ (ولادة الانتفاضة) الذي لا يزال مستمراً على الرغم من العسف الاسرائيلي في

الداخل والغزو الاسرائيلي للبنان في الخارج العام ١٩٨٢، وخروج الثورة الفلسطينية منه مثخنة بالجراح.

انتقل المؤلف، بعد هذا العرض، الى استعراض موقف الكنيسة في فلسطين الذي اتصف بالصمت المطبق أول الأمر ازاء الممارسات الاسرائيلية الظالمة. غير ان الكنيسة خرجت عن صمتها في عقد الستينات عندما ناضل المطران يوسف ريا لاعادة سكان قريتي اقرت وكفربرعم الى اراضيهم. وارتفعت أصوات اكليركية أخرى تفضح الديمقراطية الاسرائيلية المزيفة مندّدة بالممارسات الاسرائيلية الجائرة، كما ارتفعت اصوات الشباب العربي المثقف منتقدة هذه الممارسات والمضايقات على كل صعيد، فقوبلت هذه المواقف بمزيد من القمع والمضايقات، الأمر الذي حمل بعض هذه النخبة الى الهجرة حيث وجدت مناخاً في الغرب يتيح لها ان تعمل لنصرة الحق الفلسطيني. واما بعضها الذي صمد فقد استمر في النضال مطالباً كنيسته ان تشاركه الموقف النضالي في مواجهة الاحتلال، وفي مناصرة المظلومين ضد ظالميهم اسوة بموقف المسيح.

وبالفعل، أخذت الكنيسة تلعب دوراً سياسياً مناهضاً للاحتلال ومناهضاً للممارسات الاسرائيلية على الرغم من المضايقات وعلى الرغم من الصعوبات من مواقف اكثرية الكنائس الغربية التي لا تزال متمسكة بتأويلات النبوءات، والتي لا تميّز بين اسرائيل التوراة، ودولة اسرائيل المعاصرة، والتي تربط بين مناصرة «يهوه» ليشوع، ومناصرته لاسرائيل المعاصرة في انتصاراتها على العرب، علماً بان اسرائيل المعاصرة نشأت بالبندقية ولم تنشأ بمشيئة سماوية. وفي بعض هذه الكنائس رموز اكليركية متصهينة وذات نفوذ واسع في المجتمعات الغربية من امثال هوارد جونسون، وبول فان بيرن، وجري فول وول. فهؤلاء وامثالهم رؤا في قيام اسرائيل مقدمة لمجيء المسيح، ولم يبالوا للمذابح التي تقترفها في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، لمطالبة سكانهما بالحقوق والعدالة. ولقد غاب عن بالهم عدالة الله، واعمت ابصارهم الاضاليل الصهيونية والتأويلات التوراتية المغلوطة. فيما وقفت قلة من رجال الدين في الغرب موقفاً مغايراً لهؤلاء، وشاركهم في ذلك بعض الجماعات اليهودية.

من المسلمات المحقة التي أوردها الكاتب، ان الفلسطينيين داخل وطنهم وخارجه يشعرون بظلم مرير لسلبهم أرضهم واجلاء اكثريتهم عنها، ولما يلاقونه من عسف الممارسات، وفي ذلك انتفاء للعدالة التي هي محور الدين، وفي غيابها انكار للدين. والممارسات الاسرائيلية المعاصرة مجافية للعدالة وهي بذلك مجافية للدين نفسه. ولقد أدت هذه الممارسات المتخذة من التوراة نموذجاً للعمل ومقياساً للسلوك، بالاضافة الى التأويلات اللاهوتية المسيحية في الغرب الى نفور المسيحيين الفلسطينيين من الكنيسة، ومن الكتاب المقدس، وزاد من نفورهم فتاوى بعض الحاخامين من أمثال موشيه سيغال واسرائيل هس، استناداً الى التوراة، بتشبيه الفلسطينيين، حالياً، بالعمالقة في التوراة الذين أجاز «يهوه» ابادتهم.

أوضح الكاتب، هنا، ان هذا المفهوم لا يمت الى الله بصلة، وهو مناقض للمفهوم المسيحي الحقيقي المبني على الرحمة والعدالة والتسامح. ان مفهوم الله في التوراة مفهوم قبلي بدائي صيغ كما أراده واضعوه، ويجرى تأويله وفق رغبات ومصالح القائمين بالتأويل، لا كما هو الله في الواقع الحقيقي؛ فالله مصدر العدالة، نصير المظلومين، مقتصّ من الظالمين، وهذا ما فعله بالملك آخاب وزوجته حيث كان مصيرهما الهلاك لقتلهما نابوت الفقير واستلابهما لارضه، كما جاء في التوراة، وحال تعسف آخاب مماثلة لحال تعسف اسرائيل اليوم، وحال نابوت مع الملك كحال الشعب الفلسطيني مع حكّام اسرائيل.

تطرّق المؤلف، بعد ذلك، الى النواحي اللاهوتية، مستنداً الى العهدين القديم والجديد من الكتاب المقدس لدحض المقولات المتعلقة «بالشعب المختار» و«الوعد» الالهي «بأرض الميعاد» كافة، وخلص الى القول، بأن اسرائيل، اليوم، لا تتماشى في ممارستها مع روح الدين ولا مع الديمقراطية، وهي تنهج ـ بعد حرب العام ١٩٦٧ ـ الى التأويل التوراتي الكيفي الذي يخفي وراءه المطامع التوسعية العدوانية في عدم التنازل حتى عن الضفة والقطاع المحتلين، وهذا يعني ابقاء القضية الفلسطينية من دون حل، متجاهلة ان الوعد المقطوع لاسحق كان مقطوعاً لاسماعيل، وعرب فلسطين من نسل اسماعيل، بينما المستوطنون اليهود «الاشكنازيم» ليسوا من نسل اسحق اذا سلّمنا جدلاً بالتأويل التوراتي، علماً بأن الكنعانيين والفلسطينيين سكنوا فلسطين بأزمان قبل ان

يعد اليها العبرانيون، وفي ذلك نفي للادعاء بالحق التاريخي الذي يدعيه اليهود.

استغرب المؤلف الممارسات الاسرائيلية الظالمة بحق الفلسطينيين الشبيهة بالممارسات النازية بحق اليهود الذين لا يزالون يتحدثون، باستمرار، عمّا حصل لهم على يد النازيين، وهم يمارسون الأسلوب عينه. وأبشع هذه الممارسات ما تقوم به السلطات الاسرائيلية في مواجهة الانتفاضة. وهذه الممارسات لا تقرها عدالة السماء ولا تقرها القوانين الدولية، اما القوانين الكيفية التي يشترعها حكام اسرائيل فلا أثر فيها للعدالة، والاحكام التي تصدر عنها ظالمة. وفي مجمل هذه الممارسات خروج واضح عن كل المقررات الدولية، وخروج عن اتفاقية جنيف للعام ١٩٤٩ وهذا يعني غياب العدالة في المفهوم الاسرائيلي وفي الممارسات الاسرائيلية، الامر الذي دفع الكنائس المسيحية في فلسطين الى اصدار بيان في ١٩٨٨/١/٢٢ تنتقد فيه، بشدّة، الممارسات الاسرائيلية الشرسة في مواجهة الانتفاضة، بيد ان الرقابة العسكرية حالت دون نشر البيان في الصحف.

ولاحظ المؤلف ان السلم لن يتحقق في الشرق الاوسط في غياب العدالة والقانون، وان القوة لن تحقق السلام في غياب العدالة والقانون. وما لم تعدل اسرائيل من نهجها العنصري الاستبدادي في معاملة الفلسطينيين، كما قال رئيس لجنة حقوق الانسان في اسرائيل، اسرائيل شاحاك، فان العنف سيستمر وان المآسي ستتلاحق. وان السلم الحقيقي لن يتحقق ما لم ينـل الفلسطينيون حقهم الشرعي التام في اقامة دولتهم الخاصة في الضفة والقطاع، وما لم ينالوا المساواة التامة في المعاملة ضمن دولة اسرائيل، وهو الامر الذي يصر حكام اسرائيل على رفضه كما سبق لهم رفض اقتراح منظمة التحرير الفلسطينية بقيام دولة ديمقراطية موحّدة في فلسطين.

وأشار الى ان التصلّب والغطرسة في الموقف الاسرائيلي بالاستناد الى القوة لن يؤدي الى السلام، وان المطامع التـوسعيـة لتحقيق «اسرائيل» الكبرى سيجر الى مآسي وكوارث، فلقد أدّى الابتعاد عن العدالة واللجوء الى التصلّب والغطرسة الى دمار الهيكل وتشتت اليهود بالماضي، وها هو التاريخ يعيد نفسه، وعلى اسرائيل ان تتعظ بعبرة فتعزف عن التصلّب وترضى بقيام دولة فلسطينية بالضفة والقطاع، الى جانب المساواة بالحقوق والواجبات لعرب فلسطين ضمن الدولة اليهودية.

تكمن أهمية كتاب الأب عتيق في انه صادر بالانكليزية عن رجل دين مسيحي فلسطيني تخرج من جامعات اميركا، وعاد الى وطنه ليخدم شعبه، وبقي على صلات وثيقة بالكنائس المسيحية في الولايات المتحدة الاميركية التي تمّ طبع كتابه هذا على أرضها. وهو صرخة انسان معذب في وجه حماة ظالميه وظالمي شعبه علّها توقظ الضمير الاميركي فيجنح للعدل بدل دعم الظالمين.

ويزيد من اهمية الكتاب اشتماله على سيرته وسيرة أسرته التي هي جزء من سيرة الشعب الفلسطيني، وفي ذلك اعطاء صورة حيّة صادقة عن مأساة الشعب الفلسطيني التي عاناها وعاينها شخصياً، وفي ذلك، أيضاً، محاولة تنوير الرأي العام الاميركي الجاهل بعضه بحقيقة القضية الفلسطينية، والمضلل بعضه الآخر بالدعايات المغرضة.

على ان أهم محتويات الكتاب، عدا عن عرضه لتاريخ القضية الفلسطينية والمظالم النازلة بالفلسطينيين، والتعريف بهذين الشأنين، تكمن في المباحث اللاهوتية الداحضة للمقولات الشائعة: «الوعد» «أرض الميعاد»، «الشعب المختار»، «مجيء المسيح»، بالاضافة الى تناوله النواحي القانونية والتاريخية والاخلاقية.

وفي تناول المؤلف لشتّى هذه المواضيع، فانه طرحها بأسلوب ذكي يتناسب مع عقلية القارىء الغربي بضربه على الوترين: الديني والحقوقي، وبعرضه حلاً معقولاً ومقبولاً قد يكون مقنعاً للقارىء، وفي ذلك محاولة جادّة جديرة بالتقدير والتقليد.

يوسف حداد

قراءة جديدة للتاريخ السياسي الفلسطيني

بيـان نويهض الحوت، **فلسطين. القضية. الشعب. الحضارة**، بيروت: دار الاستقلال للدراسات والنشر، ١٩٩١، ٥٧٢ صفحة.

هذا الكتاب هو العمل التأريخي الثالث للكاتبة بيان نويهض الحوت، أستاذة مادة القضية الفلسطينية في كليـة الحقـوق والعلوم السيـاسيـة في الجامعة اللبنانية. وقد سبق للمؤلفة ان نشرت كتابها المرجعي الاول؛ «القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ١٩١٧ ـ ١٩٤٨»، في بيروت العام ١٩٨١، من خلال مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ثمّ أعادت دار الأسوار في عكا العام ١٩٨٤ نشره ثانية. كما أصدرت المؤلفة كتاب «الشيخ المجاهد عزالدين القسّام في تاريخ فلسطين»، ضمن سلسلة أوراق الاستقلال، في بيروت العام ١٩٨٧.

جاء في مقدمة الكتاب، ان من أهدافه الاجابة على الاسئلة التالية: «فلسطين لمن؟ من شعبها؟ ما قضيتها؟». وتناولت الباحثة هذه الاسئلة في خمسة أقسام رئيسة. وفي الخاتمة، عرضت موجزاً لاستخلاصاتها وفقاً لما أوردته من معلومات، معتبرة كتابها هذا، الجزء الاول من عمل موسوعي تعتزم القيام به. وأملت الباحثة في «إصدار الكتاب الثاني عن فلسطين ونضال شعبها ضد الانتداب والصهيونية، وفي اصدار الكتاب الثالث عن فلسطين ونضال شعبها، في مرحلة الشتات إلى قيام م.ت.ف. والثورة، حتى الانتفاضة المباركة» (ص XXIII).

تناول القسم الاول فكرة الحق الديني اليهودي في فلسطين، مفنداً اياها، لينتقل إثر ذلك الى موجز لتاريخ فلسطين القديم عبر مصادره التاريخية القديمة: السامية والكنعانية والاسرائيلية.

أما القسم الثاني، فتناول، بلمحات ومقتطفات، تطور الشعوب والقبائل العربية الاولى في فلسطين، وتتالي حكم الامبراطوريات الثلاث عليها: الفارسية واليونانية والرومانية، ومن ثمّ ميلاد المسيحية، مع التعرّض لدور القبائل العربية كالانباط والغساسنة. وتطرّق الى الفتح العربي الاسلامي، وخلص الى «ان المفهوم الاسلامي للتاريخ، هو ان الاسلام جاء مكملاً الرسالات السماوية، ومعترفاً بجميع الانبياء السابقين الذين انتموا ديناً ومولداً وتراثاً الى هذا المشرق» (ص ١٣٣).

وتنـاول القسم الثالث، عبر أربعة فصول، جذور القومية العربية، وانهيار الدولة العثمانية، والجمعيات والاحزاب العربية، وفلسطين والثورات العربية.

وتعـرّض الفصل الاول، من القسم الثالث، الى نظرية وحدة اللغة ووحدة الارادة، وانتقل، بعد ذلك، الى التعرّض للحركات الوهابية والسنوسية والمهدية كحركات تجديد، والى الاصلاح الديني والقومي عند عبدالرحمن الكواكبي، ومن ثم تعرض الى رُسل الدعوة الاصلاحية في فلسطين، وكان من أبرزهم، الشيخ عزالدين القسّام، والمفتي الحاج أمين الحسيني، والشيخ سليمان التاجي الفاروقي.

وتنـاول الفصل الثاني، انهيار الدولة العثمانية، بدءاً بما عرف بالمسألة الشرقية، والسياسة الطورانية، وصولاً لتناول الجمعيات والاحزاب العربية، في الفصل الثالث، كالمنتدى الادبي، وجمعية العهد وجمعية العربية الفتاة وحزب اللامركزية، والمؤتمر العربي الاول. وفي الفصل الرابع من القسم الثالث، تناول البحث، مقدّمات الثورة العربية ودور الفلسطينيين فيها، وموقع فلسطين في مراسلات حسين ـ مكماهون. ومن ثم فلسطين في الحـرب الكـونيـة الاولى. ومن خلال الاستعـراض السريـع والمكثّف لفصـول القسم الثـالث، يبـرز أمـام

القارىء، التساؤل التالي: لِمَ كان البحث عن الفلسطينيين في ملفات الحركة العربية الواحدة، لا سيما وان البحث عن الدور السوري أو اللبناني، أو خلافه في مطلع القرن العشرين، هو أمر ملتبس الى حد ما؛ يعود ذلك لوحدة الحركة من جهة، وعدم وضوح الفواصل والتخوم الاقليمية من جهة أخرى؟ حول هذا التساؤل، أجابت الباحثة، «ان الشعب الفلسطيني جابه من أخطار العدوان على هويته القومية، ومن إنكار وجودها أصلاً، ما لم يجابهه شعب عربي آخر. فالانتداب البريطاني لفلسطين كان مختلفاً عنه في الاردن أو العراق؛ فهو جاء فلسطين مع الوعد بالوطن القومي لليهود، وهذا الوعد بحاجة الى بلد بلا شعب، فكانت بداية الصراع إنكار الهوية القومية للشعب الفلسطيني، وإنكار وجود فلسطين في الحركة العربية. وبريطانيا التي تنكّرت لعهودها بأن تكون فلسطين الارض جزءاً من الدولة العربية، ما كان في استطاعتها الّا ان تتنكر للشعب الذي علّق أمانيه القومية على الدولة العربية المقبلة وناضل من أجلها» (ص ٢٢٠).

أمّا القسم الرابع، فتألّف من أربعة فصول، تعرّض الاول منها الى التجمّعات اليهودية في أوروبا، وذلك من خلال درس النظرية القومية والصهيونية، وأوروبا والصهيونية ومسائل الغيتو والاضطهاد، ونظريات حل المسألة اليهودية، عبر التحرر أو الاندماج، ومسألة معاداة السامية. ودرس التناقضات الصهيونية والعوامل المهّدة لظهورها، وكذلك العوامل الجذرية الاخرى لبنائها، ومنها الجذر العاطفي والديني والاستعماري. وتعرّض الفصل الثاني من القسم الرابع، الى العوامل الدافعة الى ظهور الصهيونية، وكان أبرزها، «معاداة السامية»، وفشل الاندماج، والهجرة اليهودية من اوروبا. أمّا الفصل الثالث، فتناول روّاد الحركة الصهيونية، واتجاهاتها الرئيسة، وهي الدينية والثقافية ـ الروحية، وأحباء صهيون، والصهيونية السياسية.

وفي الفصل الرابع، تعرّض الكتاب الى انطلاقة الصهيونية منذ ظهور فكرة «الدولة اليهودية» عند تيودور هرتسل، وطرحها في مؤتمر بازل، ومن ثم طرح المشاريع المتعددة، ومنها مشروع الارجنتين ومشروع فلسطين ومشروع قبرص وسيناء والعريش ومشروع شرق افريقيا. كما درس زعامة هرتسل للحركة الصهيونية، والتيارات والاحزاب السياسية الصهيونية، وأبرزها التيار الديمقراطي العلماني والتيار الديني والتيار الاشتراكي.

واستخلصت الباحثة، من خلال استعراضها المكثّف هذا، ثلاث حقائق رئيسة، وهي: «ان الحركة الصهيونية كانت دخيلة على فلسطين، فهي حركة نشأت وترعرعت في أوروبا، وهي ما زالت، حتى يومنا هذا، خارج فلسطين، وان استبدلت مركز ثقلها الاوروبي بالاميركي لأسباب ديمغرافية (يهودية) وأخرى سياسية واقتصادية؛ وثانياً، ان الحركة الصهيونية ما كان ممكن لها أن تستمر لولا تحالفها الاستراتيجي مع القوى الاستعمارية؛ وثالثاً، ان الحركة الصهيونية، حركة استعمارية استيطانية عنصرية لا يصح مقارنتها مع أية حركة استعمارية أخرى» (ص ٤٨٧).

أمّا القسم الخامس والاخير، فتألف من أربعة فصول، أيضاً، تناول الاول منها تطوّر أوضاع اليهود في فلسطين، منذ «اليشوف القديم» والقوانين العثمانية، انتقالاً للهجرة الاولى ١٨٨٢ ـ ١٩٠٤، والثانية ١٩٠٥ ـ ١٩١٤ وصولاً لاحصاءات «اليشوف» القديم والجديد والمستعمرات. وفي الفصل الثاني درست المؤلفة الاوضاع العامة للسكان العرب، من زواياها الادارية والسياسية والاجتماعية والثقافية، وكذلك التطوّر الزراعي والصناعي والتجاري. وتناول الفصل الثالث، المقاومة العربية للنشاط الصهيوني منذ ارهاصات الوعي العربي على الخطر الصهيوني وبروز الاقلام القومية العربية، وتطوّر الموقف العثماني، ودور النواب العرب في مواجهة الصهيونية، وانعقاد المؤتمر العربي الاول ونشوء الاحزاب والجمعيات. وخصّصت الكاتبة الفصل الرابع الى دراسة وعد بلفور من أبعاده المختلفة: التوقيت، القانونية، الاهداف والدوافع الحقيقية، وردّات الفعل الدولية التي تلته.

وفي الخاتمة، استخلصت الباحثة، بأن هنالك عاملين، كان لهما الاثر الاكبر في تاريخ فلسطين الحضاري والسياسي منذ فجر التاريخ، وهما: العامل الجغرافي «وهو موقع فلسطين، همزة الوصل بين القارات الثلاث، وبين الحضارات المتعددة؛ اذ أضحت، بحكم موقعها هذا، ملتقى للطرق التجارية، والقوافل، وممراً للجيوش المتقاتلة». أمّا العامل الثاني، فهو ديني؛ اذ كانت فلسطين منبت الديانات السماوية الثلاث. «ومن أجل هذين العاملين: عامل الجغرافيا ـ السياسية (الجيو بولتيك) وعامل الديانة ـ السياسية (الثيو بولتيك) كان تاريخ فلسطين

ساحة للصراع، وما زال كذلك» (ص ٤٨١).

كما أوجزت الخاتمة، اجاباتها حول ما طرحته من تساؤلات رئيسة ثلاثة في مقدمة الكتاب، وهي فلسطين لمن؟ من شعبها؟ وما قضيتها؟ فأرجعت أصول الفلسطينيين الحضارية الى آلاف السنين «الى العهد الذي اشتهرت فيه اريحا ويبوس وكريات أربع وأشدود وعكو وياقي وغزة، وسواها، بصفتها مدناً كنعانية مزدهرة. ثم الى القبائل العربية؛ العمالقة، والمديانيين، والاسماعيليين، والمعنيين، وقيدار. وإلى الانباط والغساسنة والى لخم واليمن والحجاز والفتح الاسلامي وأبطاله، والى قبائل المغرب العربي» (ص ٤٨٨). وتأسيساً عليه، أكدت الكاتبة، ان فلسطين هي جزء من كل «أي جزء من دولة كبرى أو وطن أكبر». أمّا قضيتها، فترجع الباحثة ولادة القضية قانونياً الى العام ١٩١٧. «بعدما تنكّرت بريطانيا لشعب فلسطين في وعد بلفور، فلم تذكره بالاسم، وسلبته حقوقه، وكذلك فعلت الشيء نفسه في صك الانتداب. وطوال عهد الانتداب البريطاني، كانت القضية الفلسطينية، قضية نضال لتحرير فلسطين، واستعادتها وطناً عربياً سيداً، واقامة حكم وطني ديمقراطي على أرضها» (ص ٤٨٩).

المنهج

على الرغم من بروز المنهج التخصصي في الدراسات التاريخية الفلسطينية، الّا ان ظهور الدراسات الموسوعية لازال ينمو ويتطوّر. وفي هذا السياق، يبرز ما قام به اتحاد الجامعات العربية، بنشر الجزء الاول من كتاب «القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الصهيوني» العام ١٩٨٣، وضمّ هذا الكتاب مجموعة من المقالات الهامة لمؤرخين وكتّاب بارزين، باشراف د. وليد الخالدي، وفي العام ١٩٨٩، قام اتحاد الجامعات بنشر الجزء الثاني، وكان باشراف د. عبدالعزيز الدوري.

وفي العام ١٩٩٠، صدر القسم الثاني من الموسوعة الفلسطينية باشراف د. أنيس صايغ، وساهم فيها أربعة وستون باحثاً، وتوزّعت موادها بين الدراسات الجغرافية والاقتصادية والتاريخية والحضارية. كما ويمكن اعتبار ما قام به المؤرخ مصطفى مراد السائح، في سلسلة «بلادنا فلسطين» بأجزائها العشرة، جزءاً من النهج الموسوعي ذاته.

ولعل بالامكان اعتبار كتاب الباحثة، بوصفه جزءاً أول سيليه ثاني عن فلسطين ونضال شعبها ضد الانتداب والصهيونية، وثالث عن فلسطين ونضال شعبها من مرحلة الشتات الى قيام م.ت.ف. في سياق التوجه الموسوعي ذاته، مع اختلاف في المنهج؛ اذ ان الباحثة لم تلجأ الى الاسلوب السردي وفقاً لتسلسل الاحداث التاريخية فحسب، بل انها لجأت الى المنهج الشامل والمتخصص في آن. والجديد في الكتاب انه لم ينشر ما لم ينشر بعد، وإنما أحاط بالاجزاء المتأثرة في تاريخ فلسطين وشعبها، وهو ما أطلقت عليه الباحثة، وبشيء من الجرأة، إسم «الفلسطينو لوجيا».

وعلى الرغم من ان رفع راية «الفلسطينو لوجيا»، يحمل في ثناياه الكثير من الجرأة العلمية، فقد تمكّنت الباحثة من ان ترسم هيكلية ملائمة لمنهج البحث الذي اتبعته، يتوافق مع الاسلوب والغاية. وعلى الرغم من الصعوبات الاولية المتعلّقة بالمصادر والاقتباسات، فقد تمكّنت الباحثة، ورغماً عن وفرة المصادر وتعدّد ألوانها في المجال التاريخي الفلسطيني، من ان تمحصها، وتفرز الغث من السمين، خدمة للوصول الى الحقيقة، وقد جاءت بعض الاقتباسات طويلة؛ الامر الذي يمكن ان نعزوه الى طبيعة البحث.

من خلال ذلك، تمكّنت الكاتبة، تجنّب الضياع في الجزئيات، رغم تشعب الموضوع وطول فترته الزمنية، وحرصت على الاقتراب، بشكل دائم، من الكليات. وبذلك، يمكن القول، وبشيء من الارتياح، من ان كتاب بيان نويهض الحوت، يشكّل، وبحق، الخطوة الاولى في طريق ما أطلقت عليه «الفلسطينو لوجيا»، وهو علم، دون أي شك، متشعب، وشائك وطويل.

سميح شبيب

الولايات المتحدة الاميركية والشرق الاوسط:

عقد من التحدي والتغيير

تحت هذا العنوان عقد مؤتمر في المعهد العسكري الاميركي بمدينة لكسنتون في ولاية فرجينيا في الفترة ما بين ١٣ ـ ١٥ أيلول (سبتمبر) ١٩٩٢، تحت رعاية كل من شركة بترول موبيل، والمجلس الوطني للعلاقات العربية ـ الاميركية، ومؤسسة جورج مارشال للابحاث التابعة للمعهد العسكري الاميركي.

وتكمن أهمية هذا المؤتمر في نقطتين أساسيتين: أولاهما، المراكز المرموقة التي يحتلها العديد من المحاضرين، في هذا المؤتمر، في أجهزة المخابرات الاميركية (سي.آي.ايه) والمخابرات العسكرية (دي.آي.ايه)، وكذلك كبار المحللين من وزارة الخارجية ومجلس الامن القومي، بالاضافة الى العديد من الخبراء والاكاديميين المدنيين المرموقين. وثانيهما، ان موضوع الندوات وحلقات النقاش، التي دارت في المؤتمر، كانت حول السياسة الاميركية الحالية في الشرق الاوسط وتصوّر هؤلاء المحللين لهذه السياسة في العقد المقبل.

في افتتاح المؤتمر، قال مدير مكتب شؤون دول الخليج في وزارة الخارجية الاميركية، رونالد نيومان، ان هناك تغييراً كبيراً يجرى في الشرق الاوسط، الآن، بخصوص النزاع العربي ـ الاسرائيلي، يعود الفضل فيه الى الجهود الدبلوماسية التي بذلها الرئيس، جورج بوش، ووزير الخارجية السابق، جيمس بيكر، من أجل جلب جميع أطراف النزاع الى طاولة المفاوضات. وأضاف، انه بغض النظر عمّن سيكون الرئيس الاميركي المقبل، فانه يتوجب على الولايات المتحدة الاميركية مواصلة جهودها من أجل احراز تقدم في عملية السلام. وحذّر نيومان المتفائلين من احراز تقدّم سريع في عملية السلام قائلاً: «اننا متأكدون ان هذه العملية ستكون عملية شاقّة وطويلة وقد لا تحقق السلام في الشرق الاوسط في فترة ما بعد الانتخابات، ومع ذلك فانه اذا ما توفّرت الارادة عند الولايات المتحدة الاميركية وجميع الاطراف الاخرى فانه بالامكان مواصلة هذه المسيرة السلمية، ويبقي الدور الاميركي دوراً أساسياً في هذه المرحلة».

وأضاف نيومان في معرض حديثه عن الاستقرار في الخليج، بأن الانتفاضة الفلسطينية كان لها أثر بالغ في رفع درجة الوعي السياسي بين العناصر الشابة في دول الخليج، وانه في حال عدم نجاح عملية السلام، يتوجب على الولايات المتحدة الاميركية التعامل مع هذه الظاهرة في الخليج على المستوى البعيد، لأن الكثيرين من هؤلاء الذين يتعاطفون مع القضية الفلسطينية سيصلون الى السلطة وسيضغطون في سبيل حل عادل لها.

وبخصوص الارهاب، قال نيومان هناك تضخيم ومبالغة في هذا الموضوع، الآن. وأضاف بأن فرص الموت في شوارع أميركا بحوادث سيارات أكبر كثيراً من خطر الموت بسبب الارهاب. وعزا النجاح الاميركي في مقاومة الارهاب الى السياسة الثابتة التي انتهجتها الادارات الاميركية في عدم التعامل مع والتنازل للارهابيين. وقال «ان هذه السياسة هي التي جعلتنا ننهي بسلام مرحلة الرهائن الاميركيين في لبنان». وقال بأن الولايات المتحدة الاميركية في حربها ضد الارهاب قد طوّرت العديد من آليات العمل (قوات ردع الارهاب، التحالفات الدولية، الامم المتحدة) لوضع ضغوط على الدول التي تؤيد الارهاب.

أمّا الخبيرة في شؤون العراق والمدرسة في معهد الدراسات الاستراتيجية، التابع لجامعة الدفاع الوطني، د. فيب مار، فقالت بأن تدخل الولايات المتحدة الاميركية في الخليج بسبب النفط

وعدم تدخلها لحل القضية الفلسطينية قد ولّد امتعاضاً لدى العديد من القوى المحلية التي لاحظت، بوضوح، تعامل الولايات المتحدة الاميركية في الشرق الاوسط بمكيالين. وأضافت بأن عدم احراز تقدّم في عملية السلام الحالية سيكون له أثر عكسي على الاستقرار وعلى المصالح الاميركية في المنطقة، واعتبرت عملية السلام الحالية من أهم الانجازات التي حققتها السياسة الاميركية في أعقاب حرب الخليج.

أمّا مسؤول قسم المعلومات المتعلقة بالشرق الادنى وجنوب آسيا والارهاب في وكالة المخابرات العسكرية، جون مور، فقد وصف البرنامج النووي الاسرائيلي، في معرض حديثه عن التسلّح وأسلحة الدمار الشامل في الشرق الاوسط، بأنه برنامج ردعي، وان اسرائيل قد تنظر، الآن، نظرة أخرى لهذا البرنامج بعد دخولها عملية السلام، وبعد قبولها مبدأ مبادلة الارض بالسلام. ووصف جون مور، أيضاً، عملية السلام بأنها خطوة في الاتجاه الصحيح. ونبّه الى انه بالرغم من التعامل مع النزاع العربي ـ الاسرائيلي من خلال عملية السلام، فإن النزاع بين العراق وايران قائم، وكذلك ما زال قائماً بين العراق والكويت، ولم تزل أسباب هذه النزاعات قائمة، حتى الآن.

في سياق آخر ألقى خبير المياه المعروف والذي يعمل حالياً في معهد الدراسات الاستراتيجية التابع لجامعة هوبكنز، د. توماس ستوفير، محاضرة قيّمة حول مشكلة «المياه في الشرق الاوسط»، ذكر فيها ان الشرق الاوسط يواجه مشكلة حقيقية تتمثّل في التحوّل الديموغرافي الذي يتمثل في النمو السكاني الكبير، وكذلك مشكلة ندرة المياه في المنطقة، وعدم ادارتها بصورة سليمة.

وحذّر د. ستوفير من احتمال نشوب حروب ونزاعات مقبلة في الشرق الاوسط بسبب مشكلة المياه، وضرب أمثلة على تلك النزاعات المحتملة بين كل من مصر واثيوبيا والسودان حول مياه النيل، وبين العراق وتركيا وسوريا حول مياه الفرات، وكذلك بين سوريا والاردن ولبنان واسرائيل بسبب مياه نهر الاردن والليطاني واليرموك. وأوضح ان اسرائيل تقوم بادارة مسألة المياه واستخدامها بطريقة ماهرة جداً، وقال بأن ٤٥ بالمئة من نسبة المياه التي تستخدمها اسرائيل تأتي من الاراضي التي احتلتها في العام ١٩٦٧. واعتبر هذا الامر، بحدّ ذاته، بمثابة عقبة في طريق احلال السلام، لأن اسرائيل لن تتخلّى عن مصادر هذه الكمية الهائلة من المياه ضمن تسوية سياسية. وأضاف بأن استخدام المياه في اسرائيل هو كما يلي: ٢٥ بالمئة من الاستهلاك يتمّ للشؤون البلدية والسكانية، و٧٥ بالمئة للامور الزراعية. وقال ستوفير انه في حالة تخلّي اسرائيل عن ٤٥ بالمئة من مصادر المياه التي تحصل عليها من الارض المحتلة، فلن يكون أمامها حل الّا تخفيض الانتاج الزراعي والاعتماد على الواردات الزراعية في المستقبل. وعلّق على مشروع النهر الاصطناعي في ليبيا قائلاً انه بالرغم من كل التقارير التي تهكمت على هذا المشروع الذي كلّف ليبيا بين ٤ ـ ٦ مليار دولار، الّا ان المشروع يعتبر ناجحاً، من الناحية الاقتصادية، ومن ناحية تكلفة المياه اللازمة للاستخدام السكاني والزراعي في السواحل الليبية. وقال: «ان دول الشرق الاوسط لم تبد اهتماماً جدياً في المحادثات متعدّدة الطرف المتعلّقة بالمياه»، وانه يقدر ان الدول العربية لا تريد مواجهة هذا الموضوع الآن.

ما هي النظرة الاميركية لمنطقة الشرق الاوسط في العقد المقبل؟ أجاب عن هذا السؤال احد كبار موظفي دائرة الأبحاث التابعة لوكالة المخابرات المركزية (سي.آي.ايه)، بروس هاردكاسل، ان نظام «خلافة الحكم» في حالة موت الزعيم لا يعني، بالضرورة، تغييراً في نهج واتجاه هذه الدولة. ومع ذلك، فان هناك تغييرات كبيرة تجرى على مستوى أجيال وتغيّرات قبلية في المنطقة يجب التعامل معها بحذر شديد. وأضاف: «لقد كان جهدنا، في الماضي، قبل انتهاء الحرب الباردة يتركّز، دائماً، حول عدم السماح لأنصار الاتحاد السوفياتي بالوصول الى رأس السلطة في دول الشرق الاوسط. أمّا الآن فان اهتمامنا ـ في أجهزة المخابرات ـ يتمركز حول ضمان وصولنا الى منابع النفط، وأمن وسلامة اسرائيل، ومسألة الاستقرار في المنطقة».

وأوضح هاردكاسل ان الولايات المتحدة الاميركية تسعى لامكان تغيير في كل من العراق وايران، حيث لا تزال الدولتان معاديتين لها. في العراق، تسعى واشنطن الى تغيير النظام القائم

هناك، أمّا في ايران فتسعى الى وصول البراغماتيين الى السلطة حيث من السهل التعامل معهم.

أمّا عن الاستقرار في المنطقة فوصفه هاردكاسل بأنه عنصر هام للمحافظة على المصالح القومية الاميركية. وفي رأيه ان الديمقراطية قد تؤدي الى حدوث عدم استقرار في المنطقة ـ مثال وصول القوى الاصولية للسلطة ـ من طريق استخدام الديموقراطية مثل ما حدث في الجزائر. وأضاف هاردكاسل ان هناك تغييراً هاماً يجرى في اسرائيل قد يؤدي الى تغيير دراماتيكي، وذلك بسبب الاعداد المتزايدة لهجرة اليهود السوفيات. وقال انه «مع استمرارنا في عملية السلام في الشرق الاوسط ومع حدوث نتائج لتلك العملية، فاننا نتوقع تغييراً كبيراً قد يكون له أثر واضح على المنطقة. وقد ينعكس هذا التغيير على ظهور عناصر قيادية جديدة في كل من سوريا والاردن ولبنان وكذلك بين الفلسطينيين».

أمّا التغيير في الخليج، فقد تحدث عنه الخبير في معهد الدراسات الاستراتيجية التابع لجامعة الدفاع الوطني، د. ديفيد لونغ، حيث قال ان التغيير في دول الخليج في العقد المقبل سيكون تغيير اجيال حيث سيصل الى مواقع السلطة قيادات شابة متعلّمة بعكس كثير من القيادات الحالية الكبيرة سناً وغير المتعلّمة في أغلب الاحيان. وأضاف انه بالرغم من تغيير الاجيال المتوقع الّا ان هناك أشياء ثابتة في الشرق الاوسط لا تتغيّر مثل القيم الدينية، وعلاقة الحاكم بالمحكوم، ومدى مشاركة الشعب في العملية السياسية. ولذلك كله، لا يمكن ان تُحكم هذه الدول مثلما تحكم الدول الغربية. ويمتاز الحكم في الخليج بأنه حكم شخصي. وأضاف، بأن التحدي الرئيس في الخليج سيكون موضوع الاستقرار والامن. وأضاف ان منطقة الخليج ستشهد تغييراً ديموغرافياً يتمثّل في زيادة هائلة في عدد السكان وخاصة في ايران والعراق. وقال بأن الاسلام سيصبح أداة تنفيس غضب الجماهير في المنطقة، وسيصبح الاسلام اصطلاح السياسة مثلما كانت الاشتراكية العربية هي اصطلاح السياسة في عهد الرئيس المصري الراحل، جمال عبدالناصر. ولم يتوقع د. لونغ أي مشاكل في نظام الخلافة في دول الخليج التقليدية التي تدور في الفلك الاميركي، وأضاف ان العراق وايران لا زالتا دولتين معاديتين للولايات المتحدة الاميركية، ويجب مراقبة ما يجرى فيهما من تغييرات بحذر فائق.

وفي الختام، نظر العديد من المشاركين في ندوات هذا المؤتمر وخاصة العاملين في أجهزة الادارة الاميركية الى الشرق الاوسط وكأنه حقل كبير من النفط يجب على الولايات المتحدة الاميركية ادارته بمهارة للمحافظة على مصالحها، وقزّم كثير منهم الشرق الاوسط وحصره في دول مجلس التعاون الخليجي، ودعا الى اعادة تسليح هذه الدول بحجة المحافظة على أمنها، وتجاهل الكثير منهم العامل البشري في الشرق الاوسط وما يسود الدول الاخرى غير المصدّرة للنفط من تطلّعات الى المستقبل.

أمّا بخصوص التيار الاصولي في المنطقة، فقد أجمع المحاضرون في المؤتمر على ان الاسلام سيكون هو اصطلاح السياسة في الشرق الاوسط في العقد المقبل. وقد قسّموا التيار الاسلامي الى اتجاهين: الاول متطرّف يجب مواجهته وآخر وسطي يمكن التعامل معه اذا ما وصل الى السلطة.

خليل فوطة

المقاومة الفلسطينية ـ سياسياً

المسار التفاوضي والاصطفافات الجديدة

ما أن بدأت الجولة السادسة للمفاوضات الثنائية الاسرائيلية ـ العربية أعمالها في واشنطن، حتى أُثيرت التساؤلات الساخنة في الاوساط السياسية الفلسطينية كافة، حول موضوع مركزي، وهو، هل يفترض متابعة المسار التفاوض الفلسطيني ـ الاسرائيلي أو الانسحاب منه، خصوصاً ان النتائج لا تزال سلبية؟

الاجابة، بالطبع، ليست سهلة ولا يسيرة، وعبر شعابها وحيثياتها، توزّعت المواقف، وبرز المزيد من الاصطفافات داخل الصف الفلسطيني. ولتدارس كل ذلك، والوقوف على حيثياته، عقد المجلس المركزي الفلسطيني دورة اجتماعاته في تونس، بتاريخ ١٧/١٠/١٩٩٢، وعلى الرغم ممّا تمخّض عنه من نتائج سياسية واضحة وحاسمة، الاّ ان الخلاف الداخلي لا يزال قائماً حول جدوى المشاركة الفلسطينية في مفاوضات واشنطن.

المسار التفاوضي

دأبت قيادة م.ت.ف. خلال مشاركتها في جولات المفاوضات السابقة، توظيف الفرص كافة، لابراز الصلات العلنية مع الوفد الفلسطيني المفاوض. ولعلّ لقاء الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، مع أعضاء الوفد الفلسطيني في تونس، ولأكثر من مرة، جاء ليقول: «أنه عبثاً يتمّ تجاهل دور م.ت.ف. في كل ما يحدث، لأنه في ساعة الحقيقة يجب ان تتخذ في تونس كل القرارات الصغيرة والكبيرة في ما يتعلّق بالمفاوضات. وبهذه التعليمات الجديدة التي لا تخلو من قدر من المرونة، اراد الرئيس الفلسطيني التأكيد على ان سير المفاوضات ونجاحها يكونان أسهل لو تمّت الاستعانة عن هذه الطريقة بالتحاور المباشر مع العنوان والمصدر الرئيس الذي يستطيع اتخاذ القرارات في الجانب الآخر» (حسين حجازي، «مفاوضات واشنطن، لعبة أسمها الرهان على الوقت»، **الحياة**، لندن، ٦/٩/١٩٩٢). وبذلك، فقد شكّل سير المفاوضات، بالنسبة لقيادة م.ت.ف.، فرصة لتأكيد ذاتها السياسية، بعيداً من أوهام الجولات، وما ستحمله من نتائج.

وفي هذا السياق، أكد عضو اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عبدربه، بأن المنظمة «لم تكن تتوقع تحقيق تقدّم فعلي في [الجولة السادسة]؛ فاسرائيل لا تريد الدخول في بحث جوهري قبل موعد الانتخابات. لقد حصل رابين على معظم ما أراده من الادارة الحالية، في خلال زيارته لواشنطن، وخصوصاً لجهة ضمانات القروض والتفهم الأميركي لسياسته التي تقوم على السعي الى تحقيق اتفاقات جزئية مع الاطراف العربية، على ان تكون هذه الاتفاقات منفردة مع كل طرف على حدة. لذلك، فان اسرائيل سوف تنتظر، كما يبدو، مجيء الادارة الاميركية المقبلة لتحديد طريقة التعامل مع عملية السلام» (مقابلة مع ياسر عبدربه، **النهار**، بيروت، ٢٨/٩/١٩٩٢).

وبذلك، أُختتمت الجولة السادسة في ٢٤/٩/١٩٩٢، من دون تحقيق أيّاً من التوقعات التي بنيت على أساس التغيير في الحكومة الاسرائيلية. وافترق المفاوضون، العرب والاسرائيليون، في واشنطن على موعد لقاء جديد في الحادي والعشرين من تشرين الاول (أكتوبر) ١٩٩٢، تقطعه الانتخابات الرئاسية الاميركية. ولعلّ احدى مفاجآت الجولة السادسة، هي، ان الجانب الاميركي ظل بعيداً من المفاوضات، «بل ربما قرر الابتعاد، عمداً، لأسباب عديدة، منها انه لم يعد يعتبر تدخله مجدياً، وأصبح يرى ان أي خطوة غير محسوبة في اتجاه المفاوضين يمكن ان تكون ضارة لحملة الرئيس جورج بوش الانتخابية» (**السفير**، بيروت، ٢٥/٩/١٩٩٢).

الى ذلك، أكد عضو اللجنة التنفيذية

لـ م.ت.ف. سليمان النجاب، ان الولايات المتحدة الاميركية، خلافاً لما تردد، لم تتقدم بمقترحات بنّاءة خلال جولة المفاوضات السادسة من أجل دفع العملية التفاوضية بين الفلسطينيين والاسرائيليين الى الامام. وأضاف ان الجانب الاميركي تقدم فقط بنصيحة واحدة ووحيدة الى الوفد الفلسطيني المفاوض، وهي: «ابدءوا الاشتباك التفاوضي واقبلوا بتشكيل لجان عمل تبحث الموضوعات الواردة في المشروع الاسرائيلي» (**الشرق الاوسط**، لندن، ٢٣/٩/١٩٩٢). وقال النجاب: «ان هذه النصيحة غير مقبولة من جانبنا ولا نتفق مع الجانب الاميركي في ما يطرحه من تبريرات لنصيحته هذه» (**المصدر نفسه**).

وفي سياق المفاوضات الفلسطينية ـ الاسرائيلية، خلال الجولة السادسة، أشارت أوساط سياسية عربية، بأن الجهود الدولية التي بذلت لاقناع رئيس الحكومة الاسرائيلية بالاستجابة لمتطلبات السلام، لم تفلح، «فقد رفض [رابين] باصرار مناقشة موضوع الارض وأصرّ على مشروع الحكم الاداري المحدود للفلسطينيين الذي وضع سلفه شامير خطوطه العريضة وينطلق من مقولة ان الحكم الذاتي للسكان وليس للأرض» (**تشرين**، دمشق، ١١/١٠/١٩٩٢).

وبالفعل، فما أن فرغ الوفد الفلسطيني من جولة المفاوضات السادسة، حتى واجه مزيداً من التساؤلات من مختلف المصادر والاوساط. ولعلّ تلك التساؤلات انطلقت من ثلاث مناطق أساسية وهي: «منطقة توتر على جانبي الموقف السوري ـ الفلسطيني لم يصل الى قلب العلاقة الثنائية، وليس متوقعاً ان يبلغ هذا المستوى. ومنشأ هذا التوتر خشية من تقدم على الجبهة السورية في جولة المفاوضات الثنائية السابعة، ينتهي بعقد صفقة ثنائية بين دمشق وتل ـ أبيب، تترك الفلسطينيين وحدهم في ساحة تفتقر الى الحماية العربية. ومنطقة تمركز حركة المنظمات الفلسطينية المعارضة لعملية السلام التي أطلقت، اخيراً، قوة ضغط، هي الاولى من نوعها، بلغت ذروتها في الاضراب الذي دعت له عشر منظمات تتخذ من دمشق مقراً لها، والتقاء هذه المنظمات حول الدعوة الى الانسحاب من المفاوضات أو مقاطعتها، واجراء استفتاء شعبي حول الموقف منها، وانفراد بعضها بالتشكيك، علناً، بصفة الوفد الفلسطيني التمثيلية. ومنطقة التفاوض التي غادرها الفلسطينيون وقد ضاق هامش مناورتهم بسبب منع اسرائيل أي تقدم عملي نحو المسائل الجوهرية، واحتفاظها بخطوط حركة تفاوضية دون مستوى تمكين الطرفين من بلوغ صيغة اتفاق حدّ أدنى حول اعلان مبادىء مشترك» (ربعي المدهون، «هموم البيت الفلسطيني وزوابع مفاوضات رابين الاعلانية»، **الحياة**، ٦/١٠/١٩٩٢).

الى ذلك، فقد أجمعت الاوساط السياسية الفلسطينية، على ان الجانب الاسرائيلي المفاوض، واظب على تبني سياسة شامير تجاه الاراضي العربية والفلسطينية العام ١٩٦٧. «بما يعني رفض الانسحاب، واخراج القدس من جدول أعمال المفاوضات، وعدم الالتزام بالوقف الشامل للاستيطان، والاكتفاء بمنح الفلسطينيين في الضفة [الفلسطينية] وقطاع غزة حكماً ادارياً ينطبق على السكان من دون الارض وما فيها من ثروات» (محمود شقير، «الجولة السادسة... ملاحظات»، **الرأي**، عمّان، ٢٧/٩/١٩٩٢).

ورأت أوساط سياسية فلسطينية أخرى، ان غاية اسرائيل الحقيقية، من وراء المرحلة الانتقالية والحكم الاداري للسكان بمعزل عن الارض، هي استخدام تلك المرحلة، «للتوصل الى حل نهائي يدفن الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني وفي مقدمها حق تقرير المصير»، وتحويل الشعب الفلسطيني في الداخل، «الى مجرد أقلية قومية بدون حق المواطنة، ويلحق الارض أو القسم الاكبر منها باسرائيل» (بشير البرغوثي، «على درب السلام لا على درب الآلام»، **الطليعة**، القدس، ١٧/٩/١٩٩٢). وأضافت تلك الاوساط الى ان المشكلة «ليست في الاختلاف على هذا الجانب أو ذاك في مسؤوليات ومجالات الحكومة الانتقالية، بل في المفهوم العام لتلك الحكومة وفي موقعها ودورها لتحقيق الانسحاب الشامل من [على] الاراضي الفلسطينية والقدس العربية في مقدمتها وفي مركزها» (**المصدر نفسه**).

وبمحاولة تنشيط المسار التفاوضي، وما اعتراه من جمود، وما أثاره من اشكالات، قام الرئيس الفلسطيني بجولة عربية، بدءاً من القاهرة، حيث تباحث والرئيس المصري، حسني مبارك، في

جوهر عملية التفاوض، وأبعاد الموقف الاسرائيلي المتعنّت. وصرّح عرفات، قبيل مغادرته القاهرة في ١٩٩٢/٩/٢٨، انه عرض على الرئيس المصري ما وصلت اليه المفاوضات الثنائية في واشنطن، مضيفاً انه لا يريد ان يقول ان المسار الفلسطيني ـ الاسرائيلي وصل الى طريق مسدود بل هو في مأزق. وأكد انه طلب من مبارك «مساعدة الفلسطينيين، لأن اسحق رابين كان يدلي في أثناء المعركة الانتخابية [الاسرائيلية] بتصريحات جميلة، وعندما تسلّم الحكم غيّر اتجاهه ١٨٠ درجة خاصة في ما يتعلّق بالوضع الفلسطيني» (**الحياة**، ١٩٩٢/٩/٢٩). كما قام عرفات، وللغاية ذاتها، بزيارة رسمية الى المملكة الاردنية الهاشمية بتاريخ ١٩٩٢/١٠/٦، أجرى خلالها مباحثات رسمية مع الملك حسين، تناولت آخر تطورات مفاوضات التسوية العربية ـ الاسرائيلية تمهيداً لاستئناف المفاوضات في جولتها السابعة المقررة في ١٩٩٢/١١/٢١ (**السفير**، ١٩٩٢/١٠/٧).

من جهة أخرى، رأت أوساط فلسطينية معارضة، ان استمرار المفاوضات بات أمراً ضاراً بالقضية الوطنية ذاتها، وطالبت: «بأن يكون مسار المفاوضات الفلسطينية ـ الاسرائيلية، كما هو مسار المفاوضات العربية ـ الاسرائيلية الاخرى، أي في اطار قراري مجلس الامن الدولي ٢٤٢ و٣٣٨، والارض [في] مقابل السلام، وأن يكون على مائدة المفاوضات وفد يمثل كل الشعب الفلسطيني من القدس والضفة والقطاع والشتات» (مقابلة مع نايف حواتمة، **الشرق الاوسط**، ١٩٩٢/١٠/٩). وطالبت تلك الاوساط قيادة م.ت.ف. العدول عن مشاركتها، والانسحاب من مسار المفاوضات. لكن الاوساط السياسية الرسمية في المنظمة استهجنت تلك الدعوة، وتساءلت: «هل المطلوب انسحاب الوفد الفلسطيني فقط؟ ولماذا لا تطالب سوريا ولبنان والاردن بالانسحاب من المفاوضات؟». وأضافت: «إذا كان أصحاب فكرة الانسحاب لا يقصدون الوصول الى أي من هذه النتائج، فالتفسير الوحيد لموقفهم بعدم مطالبة الدول العربية المشاركة بالانسحاب هو تجنب التصادم مع أي من هذه الدول. وهذا موقف واقعي وعقلاني نؤيده ونشجعه لكنه يقودنا الى سؤال، أليس من الأولى ان تمارس الواقعية والعقلانية في إطار العلاقات الوطنية الفلسطينية الداخلية، وفي محاكمة موقف م.ت.ف. من المشاركة في مؤتمر السلام أسوة بالدول العربية الاخرى؟» (ممدوح نوفل، «المجلس المركزي الفلسطيني: دورة عادية وقضايا استثنائية»، **الحياة**، ١٩٩٢/١٠/١٧). وفي السياق ذاته، أكد سليمان النجاب، بأن الجانب الفلسطيني ما زال مصرّاً على الاستمرار في المفاوضات، «وعدم اعطاء اسرائيل الفرصة لالقاء اللوم على الفلسطينيين كمسبب لانقطاع المفاوضات» (**الرأي**، ١٩٩٢/١١/٤).

وتأسيساً على ذلك، شارك الوفد الفلسطيني في مفاوضات الجولة السابعة في واشنطن، بتاريخ ١٩٩٢/١٠/٢١. ومع بداية تلك الجولة، سرعان ما أشار المراقبون «الى ان المواقف الاسرائيلية أصبحت تتعامل مع المفاوضات من منطلقات تتعلّق بالانتخابات الرئاسية الاميركية، ويبدو ان الاسرائيليين يفضلون التريّث قبل طرح مقترحات مثيرة لاهتمامات الاطراف العربية، بانتظار معرفة ما ستسفر عنه نتائج الانتخابات الاميركية» (**أخبار الوفد الفلسطيني**، واشنطن، ١٩٩٢/١٠/٢٥). كما ألمح المراقبون الى ان «إحجام حكومة رابين عن تقديم مقترحات جديدة، خلال الجولة [السابعة] هو بمثابة صفعة للادارة الاميركية ونكران للجميل... ومن هنا، فانه من الصعوبة بمكان احراز أي تقدم في مفاوضات الجولة السابعة قبل اجراء الانتخابات الاميركية، التي ستغير نتائجها كثيراً حسابات الاطراف المشاركة في المفاوضات، وخاصة الطرف الاسرائيلي» (**المصدر نفسه**، ١٩٩٢/١٠/٢٣).

ولدراسة مستجدات الوضع، في ضوء التعنت الاسرائيلي، عقدت اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. في تونس، يومي ٥ ـ ١٩٩٢/١١/٦، اجتماعاً موسّعاً ضمّ عناصر قيادية أخرى، نوقشت فيه الاوضاع الناجمة عن الانتخابات الاميركية، والاتفاق الاردني ـ الاسرائيلي، ونتائج زيارة عرفات الى عمّان (**وفا**، تونس، ١٩٩٢/١١/٦).

وفي السياق ذاته، قام وفدان فلسطينيان بزيارة الى كل من عمّان ودمشق. ضمّ الاول اعضاء اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عمرو وسليمان النجاب، وياسر عبدربه، ورئيس اللجنة التوجيهية

للوفد الفلسطيني، فيصل الحسيني. وقد حمل الوفد الى المسؤولين الاردنيين مذكرة تضمّنت «ملاحظات أخوية حول إطار الاتفاق الاسرائيلي ـ الاردني» (**القدس**، لندن، ٨/١١/١٩٩٢).

أمّا الوفد الثاني الى دمشق، فقد ضمّ رئيس الدائرة السياسية لـ م.ت.ف. فاروق القدومي، وعضو اللجنة التنفيذية، شفيق الحوت، وعضو اللجنة المركزية لحركة فتح، أبو ماهر غنيم. وتشاور الوفد مع القيادة السورية حول المستجدات وبحث العلاقة بين سوريا وقيادة م.ت.ف.

وعلى صعيد آخر، عقدت في كل من لاهاي وباريس لجنتا البيئة والتنمية الاقتصادية جلسات عمل، بمشاركة الوفدين الفلسطيني والاردني. وكان الحدث الابرز في جولة المفاوضات المتعددة مطالبة اسرائيل اقصاء عضو المجلس الوطني الفلسطيني، د. يوسف صايغ، عن رئاسة الوفد الفلسطيني، كشرط لحضورها. وقد تمّ إقصاءه، وتعيين رجل الاعمال الفلسطيني، زين مياسي، بدلاً منه.

انتهت المرحلة الاولى من الجولة السابعة للمفاوضات، انتظاراً للانتخابات الاميركية، التي أسفرت عن فوز المرشح الديمقراطي بيل كلينتون. ومن ثمّ استأنفت المرحلة الثانية من الجولة السابعة أعمالها في ظل ارتباك وغموض متزايد. وباجماع المراقبين، فلم تسفر تلك الجولة عن نتائج تذكر.

ولتدارس ما أضافته تلك الجولة من مستجدات داخل الصف الفلسطيني، عقدت القيادة الفلسطينية دورة اجتماعات لها في تونس، انتهت بتاريخ ٢٤/١١/١٩٩٢، وصرّح عرفات على اثرها، بأن القيادة الفلسطينية كادت ان تبادر الى وقف مشاركتها في المفاوضات، الاّ أنها إرتأت، قبل ذلك، اجراء اتصالات عربية ودولية (**إذاعة مونت كارلو**، ١٥/١١/١٩٩٢).

وبانتظار نتائج تلك الاتصالات، فإن ثمة مؤشرات، باتت واضحة في الافق السياسي الفلسطيني، وتشير، الى احتمال ادخال عناصر جديدة في تحرك م.ت.ف. السياسي، من شأنها اعطاؤه أبعاداً جديدة.

اجتماعات المجلس المركزي

عقد المجلس المركزي الفلسطيني دورة اجتماعاته في الفترة الواقعة ما بين ١٥ ـ ١٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٩٢، في مدينة تونس العاصمة، برئاسة رئيس المجلس الوطني الفلسطيني، الشيخ عبدالحميد السائح، وبحضور الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات. كما شارك في الاجتماع، رئيس الوفد الفلسطيني المفاوض، د. حيدر عبدالشافي.

استمع المجلس الى كلمة شاملة، من الرئيس الفلسطيني، والى تقرير الدائرة السياسية حول الاوضاع والتطورات الاقليمية والدولية، والى تقرير أمين سر اللجنة العليا للانتفاضة، والى تقارير مفصّلة من رئيس وأعضاء الوفد الفلسطيني ولجنة متابعة المفاوضات. وناقش المجلس مسيرة المفاوضات الجارية، مركزاً على الجولة السادسة التي تميّزت بالتركيز على المرجعية التفاوضية والتأكيد أن قرارات الشرعية الدولية هي المرجعية الاساسية للمفاوضات والتقيد بمبدأ الارض في مقابل السلام والانسحاب من على جميع الاراضي العربية والفلسطينية المحتلة، بما في ذلك القدس (**وفا**، ١٧/١٠/١٩٩٢).

وفي هذا السياق، أوجز د. حيدر عبدالشافي، نتائج المفاوضات، محدداً أسباب الخلاف مع الوفد الاسرائيلي، بسبع نقاط، وهي: «أولاً، الاستيطان الذي سيستمر ضمن لعبة رئيس الوزراء الاسرائيلي، اسحق رابين، الذي يميّز بين مستوطنات أمنية وسياسية. وثانياً، موضوع القدس والاستيطان فيها. وثالثاً، موضوع الكيانية السياسية للفلسطينيين على أرضهم، وهذا ما يرفضه الاسرائيليون. ورابعاً، ضرورة انسحاب القوات الاسرائيلية الى أماكن يتفق عليها مؤقتاً. وخامساً، الغاء كل القوانين الاحتلالية المفروضة على الفلسطينيين. وسادساً، السلطة المنتخبة في شكل ديمقراطي لها سلطة التشريع. واخيراً، الأمن الوطني من صلاحية السلطة الانتقالية مع امكانية اشتراك الاسرائيليين الذين سيبقون في الارض المحتلة» (**الحياة**، ١٧/١٠/١٩٩٢). كما أجاب عبدالشافي، على استفسارات الجبهتين الشعبية والديمقراطية. وشهدت مناقشات المجلس، التي استمرت على مدى أربع جلسات، خلال ثلاثة أيام، مداخلات

عديدة، شارك فيها محمود عباس (ابو مازن)، ونائب الامين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ابو علي مصطفى، والامين العام لجبهة النضال الشعبي الفلسطيني، سمير غوشة، وعضو اللجنة التنفيذية، ياسر عبدربه، وعضو اللجنة المركزية لـ «فتح»، هاني الحسن.

اصطفافات فلسطينية جديدة

مع اقتراب مؤتمر مدريد من اختتام عام على بدء اعماله، نشطت الحوارات داخل الفصائل الفلسطينية، خاصة تلك التي كانت تتحفظ على مبدأ المشاركة الفلسطينية بالمفاوضات، أو تلك الرافضة لها جملة وتفصيلاً. ولعلّ ما شجّع تلك الحوارات والدعوات التي أُطلقت، مطالبة بمقاطعة المفاوضات، هو ان العام الاول منها مضى، دونما تحقيق نتائج تذكر. وسرعان ما أخذت تلك الدعوات في التلاقي والتشكّل، على شكل اصطفافات جديدة، لم تشهدها الساحة الفلسطينية قبلاً، لعلّ أبرزها، هو تشكيل الهيئة القيادية الموحّدة للجبهتين الشعبية والديمقراطية، والاعلان عمّا سمّي بالفصائل العشرة. إضافة الى تشكيلات رباعية، ضمّت الشعبية والديمقراطية، وجبهة التحرير الفلسطينية، والنضال الشعبي (جناح خالد عبدالمجيد).

وفي هذا السياق، أعلنت الجبهتان، الشعبية والديمقراطية، عبر بيان رسمي صادر عن مكتبهما السياسي، «تشكيل هيئة قيادية موحّدة للجبهتين، مسؤولة عن قيادة العمل المشترك بينهما في مختلف المجالات السياسية والجماهيرية والنضالية في إطار النضال من أجل اسقاط مخطط الحكم الاداري الذاتي ومشاريع التوطين والتهجير... وصون م.ت.ف. ودورها كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني» (**الهدف**، دمشق، ٢٧/٩/١٩٩٢).

الى ذلك، رأت أوساط سياسية فلسطينية، بأن تلك الاصطفافات باتت لافتة للنظر، ذلك ان موقف المعارضة الفلسطينية «تصاعد في الآونة الاخيرة، على نحو قد يمسّ، في ظروف لاحقة، الوحدة الوطنية الفلسطينية، وقد يؤدي الى انقسام يطال القيادة الوطنية الموحّدة للانتفاضة، وبقية مؤسسات م.ت.ف. ممّا يدعو الى ضرورة تدارك الامر، والى ادارة حوار موسّع مع المعارضة» (محمود شقير، «الجولة السادسة»، **الراي**، ٢٧/٩/١٩٩٢).

من جهة أخرى، رأى د. حيدر عبدالشافي ان الاتهامات التي توجهها المعارضة الفلسطينية الى الوفد الفلسطيني بتقديم تنازلات للمفاوض الاسرائيلي والراعي الاميركي «غير مسؤولة وغير صحيحة بتاتاً» (**الحياة**، ٢/١٠/١٩٩٢).

ومن الجدير ذكره، في هذا السياق، هو ان الجبهتين، الشعبية والديمقراطية، على الرغم من مشاركتهما بصيغ الاصطفافات الجديدة كافة، الاّ انهما تؤكدان وبمختلف المناسبات، بأن تلك الاصطفافات، من وجهة نظرهما، لا تشكّل بديلاً عن المنظمة. ولعلّ لقاء الامين لعام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، د. جورج حبش، مع الرئيس الفلسطيني في عمّان، بتاريخ ٧/١٠/١٩٩٢، جاء ليؤكد مضمون ذلك.

الى ذلك، رأت أوساط اعلامية فلسطينية، «بأن وجود قضايا خلافية حول المشاركة في عملية السلام الراهنة ليست جديدة في ساحتنا الفلسطينية». وأضافت: «كان يمكن لهذا الخلاف ان يستمر فيؤكد الوفاء الفلسطيني للالتزام بالتعددية الفكرية والسياسية كقانون تجسيد عملي لديمقراطية الساحة الفلسطينية التي تجيز لكل فصيل أو مجموعة أو فرد، الحق في أن يقول ما يشاء ويصدر ما يشاء من بيانات منفردة أو مشتركة مع آخرين من داخل م.ت.ف. وخارجها، ما دام ذلك يتعلق بالقضية الوطنية، ويعكس موقفاً فلسطينياً، ولا يكون صدى لقرارات أو مواقف خارجية عن القضية الوطنية» (**فلسطين الثورة**، نيقوسيا، ١١/١٠/١٩٩٢).

س. ش.

تبدل في لغة التفاوض

بدأت الجولة السادسة العربية ـ الاسرائيلية بروح عمّها «التفاؤل» الى حد ما؛ فقد قال وزير الخارجية المصري، عمرو موسى «ان موقف رئيس الوزراء الاسرائيلي الجديد، اسحق رابين، مختلف تماماً عن موقف رئيس الوزراء السابق، اسحق شامير... [و] لذلك نتوقع ان تصدر الحكومة الاسرائيلية الجديدة توجيهات لوفودها في عملية السلام بالتعاون والدخول في لبّ المفاوضات»؛ غير ان موسى أضاف القول «لا يمكن احراز تقدم ملموس باتجاه التوصل الى تسوية دائمة دون تجميد كامل لبناء المستوطنات والتعامل مع جميع الجبهات، ويعني ذلك احراز تقدم بشأن الضفة [الفلسطينية] وقطاع غزة... ويعني، أيضاً، التقدّم بشأن مرتفعات الجولان، ولبنان، وهكذا... اننا نتحدث عن تسوية شاملة... [فـ] مناخ المفاوضات أفضل بكثير مما كان من قبل... [انما] ليست هذه مفاوضات سهلة يمكن توقع احراز تقدم فيها بين يوم واخر، غير انه بامكاني الاعراب عن بعض التفاؤل» (**القدس العربي**، لندن، ١/٩/١٩٩٢).

وبدا ان الموضوع الفلسطيني سيكون محور مفاوضات تلك الجولة، اعتماداً على تصريح سابق لرئيس الحكومة الاسرائيلية، رابين، كان أشار فيه الى أولوية الموضوع الفلسطيني، حيث حمل الوفد الفلسطيني النقاط التي ستكون موضوع التفاوض، ذكر منها عضو الوفد، د. صائب عريقات «١ ـ القدس والاستيطان... وعلى رابين ان يختار، بكل وضوح، فاما ان يختار استكمال الاستيطان أو السلام؛ واستمرار الاستيطان يعني تحقيق ' نتائج المفاوضات على الأرض ' خارج طاولة المفاوضات؛ أي ان اسرائيل تريد تحقيق الوقائع والحقائق مما يقوض أسس السلام العادل؛ ٢ ـ حقوق الانسان وتطبيق [اتفاقية] جنيف [الرابعة]؛ ٣ ـ طبيعة المرحلة الانتقالية وهياكلها وطرائقها ومفاهيمها والربط بين المرحلة الانتقالية والمرحلة النهائية وتحديد مصدر السلطات؛ ٤ ـ ... وحتى يتمّ نقل السلطات لنا، فلا بد من اجراء انتخابات سياسية تشريعية عامة في الأراضي المحتلة وبالاشراف الدولي المناسب تمهيداً لنقل السلطات بصورة سلمية ومناسبة... كما ان مسألة القدس لا تحتمل التأجيل أبداً، وان اجراءات اسرائيل في شأن مدينة القدس وما يقوم حولها حالياً يتناقض مع رسالة الدعوة الى مؤتمر السلام» (**الدستور**، عمّان، ٢٤/٨/١٩٩٢). وقال رئيس اللجنة التوجيهية الفلسطينية، فيصل الحسيني «ان المفاوضات، التي استؤنفت في واشنطن، سوف تتركز على موضوع نقل السلطة»، مؤكداً انتظار الفلسطينيين لرأي الوفد الاسرائيلي في النقاط العشر التي طرحها الوفد الفلسطيني على الوفد الاسرائيلي، «حيث يتطلع الفلسطينيون الى انتخابات تشريعية حرة وديمقراطية في الأراضي المحتلة، وليس انتخابات ادارية فقط» (**الشعب**، الجزائر، ١٥/٩/١٩٩٢).

انما على غير ما كان متوقعاً، استأثر الموضوع السوري بأجواء المفاوضات، واحتل الواجهة بدلاً من الموضوع الفلسطيني، و«بدأت فكرة تفاوض سوريا واسرائيل على تسوية مؤقتة على الطريق نحو معاهدة سلام تلقى تأييداً؛ وقال دبلوماسيون عرب واسرائيليون ان آلية الاتفاق المؤقت قد تبني الثقة، وتساعد الجانبين على التغلب على مسألة الانسحاب الاسرائيلي الكامل من مرتفعات الجولان المحتلة والذي تطالب به سوريا، ولكن اسرائيل غير مستعدة للموافقة عليه... وكان من المتوقع ان تكون المحادثات الاسرائيلية ـ السورية هي الأصعب، ولكن دبلوماسيين قالوا ان جو المفاوضات طيب. وقال مسؤولون، ان اسرائيل اقترحت بحث اجراءات لبناء الثقة المتبادلة... وقال مصدر اسرائيلي اننا مهتمون بالبحث عن اتفاق مؤقت، وتقييمنا هو ان السوريين ربما يكونون مهتمين أيضاً» (**القدس العربي**، ١/٩/١٩٩٢). وتقدم الوفد السوري بورقة

عمل، ورد فيها ان سوريا «اشترطت على تل ـ أبيب البدء في التطبيع التدريجي للعلاقات بالاتفاق قبل ذلك على تسوية تقضي بانسحاب القوات الاسرائيلية من الجولان المحتل» (السلام، الجزائر، ٢٣/٩/١٩٩٢)؛ ولفت انتباه المراقبين عبارة الجولان السوري المحتل لدلالتها الجغرافية، حيث لم يذكر شيء في الورقة عن مسألة العودة الى خطوط وقف اطلاق النار قبل حرب العام ١٩٦٧، وفسّره البعض «باستعداد سوريا لاحداث تعديلات في الحدود» (المصدر نفسه). أمّا ديباجة الورقة السورية، فقد أكدت «على ضرورة التوصل الى سلام شامل وكامل ودائم يتمّ على أساس قراري مجلس الأمن الدولي ٢٤٢ و ٣٣٨ ومبدأ الأرض [في] مقابل السلام ومشروع الرئيس الأميركي، جورج بوش، ورسائل التطمينات التي تسلمتها الأطراف المعنية من وزير الخارجية الأميركية، جيمس بيكر، عشية انعقاد مؤتمر مدريد» (المصدر نفسه)؛ وتضمنت الورقة السورية «وعداً بالتطبيع مع اسرائيل بمجرد المباشرة في تنفيذ عملية السلام على ان يبدأ هذا التطبيع تدريجياً، ويشمل الغاء قرارات المقاطعة السابقة... ومباشرة التبادل التجاري والغاء جميع الحواجز المفروضة على تنقل الأفراد والبضائع بين البلدين... [و] دعت الورقة السورية الى اعتراف متبادل ومتزامن والى الشروع باقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين يكون تقدمها بمقدار تقدم عملية السلام، ووقف الحملات الاعلامية العدائية والغاء حالة الحرب» (المصدر نفسه). وقال رئيس الوفد السوري الى المفاوضات، موفق العلاف «ان الوثيقة التي قدمها الوفد السوري للوفد الاسرائيلي... ترتكز على الثوابت العربية، وهي السلام الشامل والعادل والقائم على انسحاب اسرائيل من الأراضي العربية المحتلة والجنوب اللبناني وهضبة الجولان السورية» (القدس العربي، ٩/٩/١٩٩٢)، وقال، أيضاً «اننا نأتي بقلب مفتوح لجميع ما يلزم لاقامة سلام حقيقي في المنطقة» (المصدر نفسه، ٢٨/٩/١٩٩٢)؛ وصرح مسؤول سوري بان الورقة السورية «تأخذ في الاعتبار مصالح البلدين... [و] توضح في شكل جيد بان سوريا مستعدة لابرام اتفاق سلام مع اسرائيل، اذا وافقت هذه الأخيرة على مطالبها [سوريا] واذا سجل هذا الاتفاق في الأمم المتحدة... [لكن] الاسرائيليين يمنعون تحقيق أي تقدم بسعيهم للحصول على ما يريدونه حتى قبل ان يعلنوا موقفهم حول مستقبل الجولان» (المصدر نفسه، ١٧/٩/١٩٩٢). وربط وزير الخارجية السوري، فاروق الشرع، بين التوقعات، التي رافقت جولة المفاوضات السادسة، وبين المسلك السوري في تلك المفاوضات، فقال في كلمته في الجمعية العامة للأمم المتحدة «ان ما رافق الجولة الأخيرة من توقعات كبيرة وزخم ملحوظ، انما جاء بفضل المساهمة الجادة للجانب العربي والصدى الواسع في الساحتين الاقليمية والدولية، اللذين أحدثتهما الوثيقة السورية؛ هذه الوثيقة التي تضمنت، بشموليتها، أسس ومبادىء التسوية السلمية للصراع العربي ـ الاسرائيلي وفق ميثاق الأمم المتحدة وقراراتها التي عقد على أساسها مؤتمر السلام في مدريد... لقد قلنا ونؤكد مجدداً ارادتنا في سلام كامل مقابل الانسحاب الكامل من جميع الأراضي العربية المحتلة. هذا هو التحدي الذي نطرحه أمام اسرائيل... والذي بقي حتى الآن دون جواب» (من نص الخطاب، في: تشرين، دمشق، ٢٩/٩/١٩٩٢، ص ١١).

خوف من سلام منفرد مع سوريا

أثارت الضجة الاعلامية، التي رافقت مجرى المفاوضات السورية ـ الاسرائيلية، الحذر الفلسطيني من تسوية منفردة بين سوريا واسرائيل، فقد دعا الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، الى ان «تتحسّس الخطة الاسرائيلية كما نتحسّسها نحن الفلسطينيون... [حيث ان] هدف رئيس الوزراء الاسرائيلي هو تطبيع علاقات اسرائيل مع الدول العربية، وبالذات سوريا، على حساب القضية الفلسطينية والحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني» (القدس العربي، ٣٠/٩/١٩٩٢)؛ وقال عرفات في مقابلة مع مجلة «المصور» المصرية «ان اسرائيل أشاعت انطباعاً بأن سوريا قد تنفرد بحل، غير ان الرئيس السوري، حافظ الأسد، قد طمأنه... بقوله اطمئن يا أبو عمار، فالموقف السوري لن يتغير» (المصدر نفسه، ١/١٠/١٩٩٢)؛ وأوضح عرفات، في مقابلة مع صحيفة «لاريبوبليكا» الايطالية «انه لا يتوقع ان 'يكون السوريون مستعدين للتوقيع على اتفاق سلام منفرد مع اسرائيل' وان اسرائيل

هي التي تحاول الايحاء بأن سوريا مستعدة لذلك... [فـ] رابين يرغب في التوصل الى اتفاق كامب ديفيد آخر ' لكن ليس في الامكان قيام سلام دائم في المنطقة دون الفلسطينيين، ولن يتحقق استقرار في المنطقة بالقفز فوق حقوقنا' » (**الحياة**، لندن، ٢٠/٩/١٩٩٢). وكانت الناطقة باسم الوفد الفلسطيني، د. حنان عشراوي، حذّرت «من ان الحديث عن اتفاق محتمل بين اسرائيل وسوريا سابق لأوانه... [حيث] ان اسرائيل تحاول دق اسفين بين الأطراف العربية» (القدس العربي، ١٥/٩/١٩٩٢)؛ وفي الاتجاه نفسه، قال رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية، فاروق القدومي (أبو اللطف) «اننا نتفاوض مع عدو، وعلينا اتخاذ جانب الحذر من جوانب الدعاية التي تهدف الى شق الصف العربي، ويخطىء من يستجيب منا لها قبل التأكد من صحتها» (من مقابلة معه في **القدس العربي**، ١٣/١٠/١٩٩٢، ص ٥). إلّا ان مسؤولين فلسطينيين آخرين لم يروا في امكانية حدوث تقدم في المفاوضات بين سوريا واسرائيل ما يقلق الجانب الفلسطيني، فقد قال المستشار السياسي للرئيس الفلسطيني، د. نبيل شعث «ليس لدينا تخوف من توصل سوريا واسرائيل الى تقدم في طريق الحل... [فـ] هذا لن يقلقنا في شيء لأننا نرى أي انجاز على الساحة السورية واعلان اسرائيل استعدادها للانسحاب من الجولان يعتبر مكسباً فلسطينياً» (**القدس العربي**، ١/١٠/١٩٩٢)؛ ووصف رئيس الدائرة الاعلامية في م.ت.ف. ياسر عبدربه، ما تردد عن تطور في المباحثات بين سوريا واسرائيل «بالأمر الايجابي خاصة في ضوء تأكيد دمشق على رفض الحل المنفرد وعلى تأكيد الحل الشامل وفق القرار [الرقم] ٢٤٢ على جميع الجبهات» (**المصدر نفسه**، ١٤/٩/١٩٩٢).

وانتقد مستشار الرئيس المصري للشؤون السياسية، د. أسامة الباز، سلوك اسرائيل في مفاوضات السلام، حيث قال: «هناك كلام عن رغبة اسرائيل في التزامها بالمفاوضات مع طرف عربي، وعدم القيام بأي تقدم مع الأطراف الأخرى... اننا ننتقد هذه الطريقة، لأنه يجب التقدم بشكل متوازٍ على كل الجبهات» (**القدس العربي**، ٣٠/٩/١٩٩٢)، كما أكد «انه ليس هناك تخوف فلسطيني من ان تعقد سوريا اتفاقاً منفرداً مع اسرائيل، لأن كل المؤشرات تؤكد ان هناك التزاماً عربياً بالتنسيق» (**المصدر نفسه**).

وحاولت سوريا، بدورها، تطمين الجانب الفلسطيني. ففي لقاء عمّان الذي عُقد في ١٧/١٠/١٩٩٢ للتنسيق فيما بين أطراف التفاوض العربية قبل بدء الجولة السابعة من مفاوضات السلام، صرح وزير الخارجية السوري «ان دمشق لا تنوي التوقيع على اتفاقية سلام منفردة مع اسرائيل، معلناً تمسك بلاده بالسلام الشامل على كل الجبهات، وان ما تروج له اسرائيل من امكانية التقارب بين تل ـ أبيب ودمشق انما هو اصطياد في المياه العكرة» (**الشعب**، ١٩/١٠/١٩٩٢).

وبعد انتهاء أعمال لقاء عمان، قال عضو الوفد الفلسطيني، د. صائب عريقات «ان الفلسطينيين والسوريين وضعوا حداً لسوء التفاهم الذي كان يطبع سلوكهما التفاوضي» (**الخبر**، الجزائر، ١٩/١٠/١٩٩٢).

تبدل شكلي

بالرغم من طول المدة التي استغرقتها جولة المحادثات السادسة، وبالرغم من بعض التفاؤل في امكان حدوث تقدم في العملية السلمية بعد الانقلاب السياسي في اسرائيل، وبالرغم من بعض الايجابية التي طبعت أجواء المحادثات، جاءت تقويمات الأطراف العربية المشاركة في تلك المفاوضات سلبية، فقد قال رئيس الوفد السوري، موفق العلاف «ان الجولة السادسة من هذه المحادثات التي بدأت في ٢٤ آب (اغسطس)... انتهت... دون نتائج جوهرية تذكر... [و] السبب في عدم تحقيق مثل هذه النتائج... يعود الى عدم تقدم الجانب الاسرائيلي بالتزام أكيد بالنسبة لبعض الأسس التي لا غنى عنها لاقامة السلام العادل والشامل في المنطقة، ولا سيما انسحاب اسرائيل من جميع الأراضي العربية المحتلة واعترافها بالحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني» (**الثورة**، دمشق ٢٥/٩/١٩٩٢)؛ وأكد «أن كل الذي حدث لم يكن سوى تغيير في الأسلوب، وان الوفد الاسرائيلي لم يرد، حتى

الآن، على الوثيقة السورية التي يجب ان تكون قاعدة لكل تسوية... مؤكداً، مرة أخرى، رفض سوريا القطعي لكل سلام جزئي لأنه لن يحقق السلام المنشود» (**المنبر**، ٢٨/٩/١٩٩٢)؛ وهذا ما أكده وزير الخارجية السوري في كلمته في الامم المتحدة، بقوله «من المؤسف ان تنتهي الجولة الأخيرة [السادسة] من محادثات السلام... دون ان يغيّر الجانب الاسرائيلي من جوهر معالجته للانسحاب الكامل من الجولان وبقية الأراضي العربية المحتلة بما فيها القدس... [و] يخطىء كثيراً مَن يعتقد في اسرائيل انه يمكن تحقيق سلام كامل دون انسحاب اسرائيل التام من جميع الأراضي العربية المحتلة... [امّا] اللقاءات على مستوى أعلى التي تطالب بها اسرائيل، فهي محاولة لتقويض الاطار والآلية التي التقت بموجبها الأطراف العربية والاسرائيلية في مؤتمر مدريد للسلام» (من نص الخطاب، **تشرين**، ٢٩/٩/١٩٩٢، ص ١١). لكن مصادر صحفية، نقلت عن مصادر دبلوماسية غربية قولها «ان المحادثات السورية ـ الاسرائيلية قطعت شوطاً كبيراً من التقدم بخلاف ما يتردد من أخبار لا تستند الى الواقع... [حيث] ان الهام في العملية السلمية الجارية بين الجانبين، السوري والاسرائيلي، هو وجود قاعدة ثابتة لمنطلق اتفاق دائم وعادل بينهما؛ فالاسرائيليون باتوا على استعداد لتقديم تنازلات في الأرض، والسوريون أعربوا، بكل صراحة، عن استعدادهم لاقامة السلام... [فـ] الجانب الاسرائيلي تعهد للادارة الأميركية بانه سيعمد الى الاعتراف بمبدأ سيادة سوريا على مرتفعات الجولان، أي بمعنى اخر التراجع عن قرار الضم الصادر العام ١٩٨١... في مقابل ان تقوم القوات الأميركية بدور القوة العازلة على الحدود السورية ـ الاسرائيلية من أجل توفير حماية للدولتين من بعضهما البعض» (**الديار**، بيروت، ٢٦/٩/١٩٩٢).

ولم تكن الحال أفضل على الجانب الآخر من محادثات السلام فيما بين الاسرائيليين والفلسطينيين، تلك التي كان من المتوقع لها ان تكون أسرع من غيرها، حيث تحولت «الى مناقشة معقدة عن السلطات التي يتعيّن ان يحصل عليها مجلس فلسطيني منتخب في الضفة [الفلسطينية] وقطاع غزة في اطار الحكم الذاتي المؤقت» (**القدس العربي**، ١/٩/١٩٩٢)؛ وقالت الناطقة باسم الوفد الفلسطيني، د. حنان عشراوي «لقد حاولنا، حتى اللحظة الأخيرة، تحاشي الوصول الى الفشل، وكانت المشكلة الأساسية تكمن في ان اسرائيل ترفض دائماً الاعتراف بأن أساس عملية السلام هي مبادلة الأرض بالسلام وقرار مجلس الأمن الرقم ٢٤٢» (**الثورة**، ٢٦/٩/١٩٩٢)؛ ولاحظ رئيس الوفد الفلسطيني، د. حيدر عبدالشافي «عدم الوصول الى نتيجة ملموسة... [إلّا] ان الجولة السادسة أتاحت لكلا الجانبين التعرف على آراء الجانب الآخر بصورة أكثر تحديداً» (**المصدر نفسه**)، وأضاف عبدالشافي، في وقت لاحق، القول «ان المفاوضات مع الطرف الاسرائيلي كانت وما زالت في مأزق بسبب اختلاف وجهتي النظر الفلسطينية والاسرائيلية حول مفهوم الفترة الانتقالية وارتباطها بالفترة النهائية وصلاحيات الحكومة الانتقالية» (**الشعب**، ٧/١٠/١٩٩٢). وقال عضو الوفد الفلسطيني، د. غسان الخطيب «ان المقترحات التي تقدمت بها اسرائيل على مائدة المفاوضات لا ترقى حتى الى موقف اسحق رابين، رئيس الوزراء الاسرائيلي، قبل انتخابه في حزيران (يونيو) الماضي... [و] أشير الى تصريحات رابين التي قال فيها انه مستعد لتسليم الفلسطينيين السيطرة على كل المجالات المتعلقة بحياتهم، باستثناء الأمن والشؤون الخارجية» (**القدس العربي**، ٢٢/١٠/١٩٩٢). وعلى ذلك، قال رئيس اللجنة التوجيهية، السيد فيصل الحسيني «ان اسحق رابين، رئيس الحكومة الاسرائيلية الحالي، يختلف عن اسحق شامير الذي سبقه، حيث انه [رابين] يريد التفاوض والتوصل [من] طريق المفاوضات الى الذي كان يريد شامير التوصل اليه دون مفاوضات» (**الشعب**، ١٧/٩/١٩٩٢).

وعلى الجانب الأردني من المفاوضات، قال رئيس الوفد الأردني، عبدالسلام المجالي، انه «جرى تبادل وجهات النظر... في ما يتعلق بمسألة أسلحة الدمار الشامل واللاجئين... [حيث] ركزنا مباحثاتنا حول مسألة الأمن وعلاقة ذلك بالأسلحة الكيماوية والبيولوجية في المنطقة وموضوع اللاجئين وقرارات الأمم المتحدة بهذا الشأن» (**السلام**، ٢٤/٩/١٩٩٢)، لكن تقويم المجالي للنتائج لم يختلف عن تقويم السوريين والفلسطينيين لها،

حيث «لم يظهر في الجولة السادسة أي شيء يستحق الذكر... [لكننا] لم نصل الى الطريق المسدود، ونأمل ان نصل الى حلول في الجولة المقبلة» (**الثورة**، ٢٦/٩/١٩٩٢). وقال الناطق باسم الوفد الأردني، د. مروان المعشر «ان الاسرائيليين أصروا على مواقفهم السابقة، ولم يتوصل الطرفان الى وضع جدول أعمال مشترك منذ بداية المحادثات... [كما] ان بطء المحادثات قد يرتد سلباً على عملية السلام» (**المصدر نفسه**).

كذلك، لم يكن الحال أفضل في المفاوضات مع الجانب اللبناني، وأعرب رئيس الوفد، سهيل شماس، عن أمله «في أن تؤدي الجولة المقبلة من المحادثات الى اقامة ديناميكية تصب في خاتمة الأعمال الفعلية» (**المصدر نفسه**)؛ وربطت مصادر دبلوماسية غربية بين الوصول الى تسوية لبنانية ـ اسرائيلية وبين تسوية المشكلة الفلسطينية، حيث قالت «صحيح ان الاتفاق السوري ـ الاسرائيلي يمكن ان يشجع على التوصل الى اتفاق مماثل بين اسرائيل ولبنان... لكن المشكلة مع لبنان تبقى مرتبطة، بشكل كلي، بالحل الشامل للقضية الفلسطينية، أو بالأحرى بقضية الشعب الفلسطيني الموجود على أراضيه، حيث هناك امكانية كبيرة لتوطينهم في جزء من الأراضي اللبنانية» (**الديار**، بيروت، ٢٦/٩/١٩٩٢).

ومصر التي صار نشاطها ملحوظاً في عملية المفاوضات بعد صعود حزب العمل الى السلطة، اعتبر وزير خارجيتها، عمرو موسى، ان «التقدم الذي تحقق في الجولة السادسة من المفاوضات... لم يكن كافياً... [اذ] لا يمكن اقامة سلام في الشرق الأوسط سوى على أساس الانسحاب الاسرائيلي التام من الأراضي العربية المحتلة مقابل السلام الكامل... [فـ] صيغة الانسحاب التام مقابل السلام الكامل هي السبيل الوحيد لتضييق هوّة الخلافات في محادثات السلام العربية ـ الاسرائيلية... [و] لا سبيل غيرها» (**القدس العربي**، ٢/١٠/١٩٩٢)، وهو يعني، حسب قول موسى، «كما قال وزير الخارجية السوري، الكل في مقابل الكل. انسحاب كامل في مقابل سلام كامل» (**المصدر نفسه**، ٩/١٠/١٩٩٢)، وتصريح موسى الأخير أطلقه في اسرائيل بعد لقائه كلاً من رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق رابين، ووزير الخارجية، شمعون بيرس؛ وأكد موسى «ان مصر لا تتحدث عن تسويات منفردة. وان التسوية الشاملة هي لبّ الموقف المصري... [حيث] لا بد من احداث تقدم على جميع الجبهات» (**تشرين**، ٤/١٠/١٩٩٢).

ومن دول المساندة، نشير الى موقف الجزائر، حيث رهن وزير خارجية الجزائر، الأخضر الابراهيمي، الوصول الى سلام في الشرق الأوسط بحل القضية الفلسطينية، وقال في كلمته في الجمعية العمومية للأمم المتحدة، ان «نجاح مسيرة السلام التي بدأت في مدريد يتوقف على ما تبديه اسرائيل من استعداد للامتثال لمتطلبات الشرعية الدولية... اضافة الى الالتزام بمواصلة المسيرة السلمية حتى التوصل الى حل شامل يضمن كل الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني... [و] موقف الجزائر، التي ترى في القضية الفلسطينية ومشكلة الشرق الأوسط قضية واحدة لا تقبل التجزئة، وبالتالي فانه لا يمكن للحل الذي يجب التوصل إليه ان يكون جزئياً، أو يقتصر على بعض الأطراف دون غيرها» (**الشعب**، ٣٠/٩/١٩٩٢).

جولة سابعة وآمال معلقة

رأى وزير الاعلام الأردني، محمود الشريف، ان ضعف الموقف العربي في المفاوضات مع اسرائيل ناجم عن عدم توفر دعم عربي لأطراف التفاوض التي تنسق فيما بينهما بشكل جيد؛ فهذه الأطراف «تنسق دائماً فيما بينها، وهناك اجماع على رفض أي حل انفرادي، وان الحل النهائي هو حل جماعي... [لكن] التشرذم العربي يسبب مرارة وخيبة أمل للمفاوضين؛ فالأطراف المعنية التي أيديها في النار هي التي تحاول منفردة حل قضاياها دون أي دعم عربي، واذا كان هناك دعم فهو معنوي ضعيف... وليس ذي قيمة... [فـ] الموقف الخليجي لا زال محكوماً بما جرى في حرب الخليج. ولا زال الأخوة في الخليج يجترون منطق الثارات والقطيعة والانتقام» (من مقابلة مع الشريف، **القدس العربي**، ١٤/٩/١٩٩٢، ص ٤). وتمهيداً للجولة السابعة من مفاوضات السلام التي تقرر عقدها في واشنطن، أيضاً، في ٢١/١٠/١٩٩٢، اجتمع في عمّان في ١٧/١٠/١٩٩٢ وزراء خارجية

الدول المعنية بالتفاوض اضافة الى وزير الخارجية المصري، وأصدروا في ختام يومين من الاجتماعات بياناً، أكدوا فيه «على مواصلة الأطراف العربية العملية السلمية... [و] كذلك تمسك الأطراف العربية بالحل الشامل والسلام الكامل القائم على انسحاب اسرائيل من جميع الأراضي العربية المحتلة، وضمان حقوق الشعب الفلسطيني فوق أرضه وتراب وطنه، وتحقيق الحل الشامل على جميع الجبهات ورفض أي تسوية منفردة... [وأكدوا التزام] الأطراف العربية المعنية بالتنسيق والتعاون لمواجهة أية مناورة اسرائيلية» (**الشعب**، ١٩/١٠/١٩٩٢).

وقد افتتحت جولة المحادثات السابعة عشية الانتخابات الرئاسية الأميركية، ولم تحظ بالحرارة التي حظيت بها سابقتها، فقد اعتبر رئيس الوفد السوري، موفق العلاف، العرض الذي قدمه الاسرائيليون مع بداية الجولة «بأنه مجرد أفكار قديمة في صياغة جديدة، وانها ما زالت بعيدة عن الأسس الجوهرية اللازمة لاقامة السلام العادل والدائم في المنطقة... [الذي] يشمل جميع أطراف الصراع... وليس سلاماً منفرداً وتسوية جزئية» (**الشعب**، ٢٧/١٠/١٩٩٢).

وربطت الناطقة باسم الوفد الفلسطيني، د. حنان عشراوي «تحقيق تقدم خلال هذه الجولة [السابعة] بالتزام اسرائيل بالقواعد التي بدأت محادثات السلام على أساسها، والتزامها على الأقل بالاطار الزمني الذي تمّ الاتفاق عليه عند بدء عملية السلام» (**المصدر نفسه**).

إلا ان المستشار السياسي للرئيس الفلسطيني، د. نبيل شعث، رأى «عدم امكانية حصول أي انجاز في المفاوضات قبل الانتخابات الرئاسية الأميركية» (**المصدر نفسه**). وتوقفت مفاوضات الجولة السابعة في ٢٨/١٠/١٩٩٢، على ان تُستأنف، بعد الانتخابات الأميركية.

احمد شاهين

دبلوماسية الاستمرار

في الفترة القريبة الماضية، تفاوتت حرارة المفاوضات الثنائية العربية ـ الاسرائيلية، في جولتها السادسة والسابعة، في واشنطن، بين هبوط وصعود، فيما اتجهت انظار الاطراف المتنازعة الى نتائج الانتخابات الرئاسية الاميركية، التي أسفرت عن فوز المرشح الديمقراطي، بيل كلينتون، وهي تتساءل عن مصير العملية السلمية برمتها في اثناء ولايته التي تمتد أربع سنوات.

في هذا السياق، اعتبرت مصادر اميركية مسؤولة ان صعود وهبوط حرارة المفاوضات الثنائية، في جولتها السادسة، كان «أمراً طبيعياً». فالجميع يعرف جيداً الصعوبات التي تواجه المفاوضات الشائكة على مختلف الجبهات، والجميع يعرف، أيضاً، على حدّ تعبير هذه المصادر، ان «الممنوع الأكبر» في العملية هو «التراجع» عنها أو «الانسحاب» منها. وهذا يشمل الجانبين، العربي والاسرائيلي، علماً بأن لدى الاطراف المتفاوضة «حرية الكر والفر» وتغيير اسلوب التعاطي. وقالت ان ما يهم الراعي الاميركي، اكثر من غيره، هو ان «يظهر ان عملية السلام لا تزال على السكة والباقي تفاصيل» (**انترناشونال هيرالد تريبون**، ١٩ ـ ١٩٩٢/٩/٢٠).

على هذا الاساس، أعربت وزارة الخارجية الاميركية عن ارتياحها الى مجرى مفاوضات الجولة السادسة. وأشار الناطق باسمها، ريتشارد باوتشر، الى الخطوات الايجابية التي اتخذها الاسرائيليون للمساعدة على ايجاد أجواء مشجعة. وتحدث عن «التبادلات» المثيرة للاهتمام التي قدّمتها الاطراف المختلفة، لكنه أوضح ان المسؤولين الاميركيين يعون، في الوقت عينه، «تعقيد العملية» (**المصدر نفسه**، ١٩٩٢/٩/٢).

من جهته، أكد الرئيس الاميركي، جورج بوش، التزام بلاده العمل «كمساعدة وكقوة دافعة» من اجل السلام في المنطقة. وجدّد اقتناعه بأن أي حل قابل للحياة يجب ان يرتكز على مبادلة السلام بالارض، بموجب قراري مجلس الامن الدولي ٢٤٢ و٣٣٨، وان يأخذ في الاعتبار أمن اسرائيل وجميع شعوب المنطقة، وكذلك الحقوق السياسية المشروعة للشعب الفلسطيني (**نيويورك تايمز**، ١٩٩٢/٩/١٤).

وعلى الرغم من ان مفاوضات السلام العربية ـ الاسرائيلية، الجارية في واشنطن، مستمرة ضمن الاطار المرسوم لها؛ وتبدو وكأنها تمتلك قوة دفع ذاتية، فان ثمة تعقيدات عديدة قد تبرز من شأنها اطالة المدة الزمنية التي ستستغرقها. وفي اعتقاد مصادر مسؤولة في الادارة الاميركية، ان الجولة الاخيرة من المفاوضات بين الفلسطينيين والاسرائيليين تعقّدت «بسبب موقف الجانب الفلسطيني» الذي أصرّ على التفاوض على الوضع النهائي للارض الفلسطينية المحتلة، بينما كان الاتفاق المبدئي يقضي بأن يتوصل الطرفان، الاسرائيلي والفلسطيني، الى توافق على المرحلة الاولى من التسوية، أي الحكم الذاتي الانتقالي للفلسطينيين، والبحث بعد ثلاث سنوات من ذلك في الوضع النهائي للارض الفلسطينية المحتلة (**انترناشونال هيرالد تريبون**، ١٩٩٢/١٠/٢١).

ولاحظت المصادر نفسها، ان الجانب الفلسطيني أصرّ على مناقشة موضوع الانسحابات الاسرائيلية، والمطالبة بضمانات، والحديث عن المرحلة النهائية قبل الدخول في «مناقشة بناءة» للتسوية في المرحلة الاولى من ترتيبات الحكم الذاتي الفلسطيني. واعتبرت ان «من مصلحة الفلسطينيين ألا يتخذوا مواقف تؤدي الى تعثر المحادثات بينهم وبين الاسرائيليين، لأن محادثات السلام مرتكزة، في كل الاحوال، على مبدأ القرارين ٢٤٢ و٣٣٨. وأضافت، ان هذا الامر أكده، مراراً، جيمس

بيكر، عندما كان وزيراً للخارجية، وان التفاوض على المرحلة الاولى ضروري للطرفين، «ومن مصلحة الفلسطينيين ان يوجدوا واقعاً على الارض عبر قبولهم ترتيبات الحكم الذاتي، بما فيه ادارة شؤونهم وفرض الضرائب» ليتمكنوا من التفاوض، استناداً الى واقع موجود على الارض مع الطرف الاسرائيلي (**المصدر نفسه**).

لكن تلك المصادر اعترفت بأن رفض اسرائيل تخويل سلطة تشريعية لمجلس الحكم الذاتي، مشكلة للفلسطينيين. وان الادارة الاميركية يمكنها المساعدة على التقدم في هذا الموضوع. بيد انها أشارت الى ان الانطباع المتكوّن لدى الادارة، انه اذا استمر الجانب الفلسطيني في التحدث عن المرحلة النهائية، فان المحادثات ستصل، بصورة محتومة، «الى طريق مسدود». أمّا اذا أوجد الفلسطينيون واقعاً وتولّوا أمورهم في المرحلة الاولى، فان هذا الواقع سيكون له وزنه في المحادثات في شأن الوضع النهائي، «مثلما فعل الاسرائيليون بايجاد واقع لمستوطناتهم» (**المصدر نفسه**).

تزييت المفاصل

واذا كان الامر كذلك، فان السؤال الذي يطرح هو: هل سيبقى الراعي الاميركي متابعاً للمحادثات من دون التدخل المباشر لتزييت مفاصل العملية السلمية؟

المسؤولون الاميركيون المعنيّون بمتابعة العملية لا يتفقون مع الذين يرسمون هذه الصورة المتشائمة لمجراها، ويؤكدون، في المقابل، ان استمرار الاطراف في المحادثات، والتزامها بالعملية السلمية، وعدم ابداء أي مؤشر على الانسحاب منها هو «تقدم» في حد ذاته؛ أو كما قال مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الاوسط، ادوارد جيرجيان، ان جلب جميع الاطراف الى مائدة التفاوض وجهاً لوجه، بعد أربعين عاماً من النزاع، «هو انجاز في حدّ ذاته»، وأكد ان الجولات السابقة وإنْ لم تحرز التقدم المطلوب، فانها حققت انجازاً تمثّل في بدء الاطراف في بحث القضايا الجوهرية (**المصدر نفسه**، ٢٤ ـ ٢٥/١٠/١٩٩٢). كما ان البعض الآخر من المسؤولين الاميركيين شدّدوا في القول، ان الولايات المتحدة الاميركية «ستظل تحثّ الاطراف المتفاوضة على التقدّم، وتذكّرهم بفوائد التوصل الى السلام»، وان الراعي الاميركي «يتطلع الى الاطراف نفسها لتسوّي التباين والخلاف في مواقفها» (**المصدر نفسه**).

ويبدو، حسب بعض المراقبين المتابعين عن كثب، ان الرئيس الاميركي، الذي أطلق عملية السلام الحالية قبل عام، كان حريصاً على ان يعلن للناخبين الاميركيين قبل التوجه نحو صناديق الاقتراع، ان مفاوضات السلام التي هندسها وأطلقها بمساعدة وزير خارجيته، جيمس بيكر، حقّقت تقدّماً ملموساً على طريق تسوية سلمية ما في الشرق الاوسط (**نيويورك تايمز**، ٣ ـ ١٩٩٢/١٠/٤).

غير ان مراقبين آخرين شدّدوا على انه حتى لو كانت الاطراف المتفاوضة انجزت تقدّماً يمكّن الرئيس بوش التحدث عنه، فان الارجح ان هذا ما كان سيؤثر كثيراً في تحسين فرص الرئيس الاميركي للفوز على منافسه الديمقراطي، بيل كلينتون، بالنظر الى ان القضايا الخارجية تحتل مرتبة ثانوية في معركة الرئاسة، مقارنة بقضايا أكثر أهمية في نظر الناخبين هي تلك المتصلة بشؤون الضرائب والوضع الاقتصادي وفرص العمل والبرامج الاجتماعية (**المصدر نفسه**).

على ان الاهمية الضئيلة، نسبياً، لقضايا السياسة الخارجية في معركة الرئاسة الاميركية لا تعني، بالطبع، عدم تأثّر محادثات السلام العربية ـ الاسرائيلية بنتائج هذه المعركة؛ اذ ان هوية الرئيس الاميركي المقبل تظل ذات أهمية بالنسبة الى مصير هذه المفاوضات، وطبيعة النتائج التي يمكن ان تسفر عنها، والمدة الزمنية التي ستستغرقها.

في هذا الخصوص، أعلن أحد مستشاري الرئيس الاميركي المنتخب، مايكل ماندلبوم، ان الادارة الديمقراطية الجديدة ستعمل، بنشاط، لدفع عملية السلام الى أمام، وان الرئيس الجديد سبق له ان أكد التزامه استمرار عملية المفاوضات الحالية، وسيتبع «سياسة الاستمرار» التي بدأها الرئيس بوش، ولن «يسعى الى تغيير القواعد، ولن يحاول تجميد المفاوضات أو تأخيرها». وأكد ان موقف كلينتون من القدس العربية المحتلة «يبقى على

حاله»، وهو الاعتراف بالقدس عاصمة موحّدة لاسرائيل، لكنه «لن ينقل السفارة الاميركية اليها الاّ بعد تحقيق السلام الشامل في المنطقة» (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ٤/١١/١٩٩٢).

من هنا، استبعدت الاوساط الديمقراطية المقربة من الرئيس الاميركي المنتخب ان يطرأ تبدّل جذري على السياسة الاميركية في الشرق الاوسط. وأضافت، ان كلينتون أكد، مجدداً، دعمه عملية السلام، وضرورة المضي في المفاوضات الثنائية بين الاطراف العربية والاسرائيلية. وأشارت الى ان الرئيس المنتخب يعارض قيام دولة فلسطينية مستقلة، ولا يختلف موقفه عن موقف الرئيس بوش، لكنها لاحظت ان احدى الطروحات المتداولة، حالياً، تدعو الى «أخذ العملية السلمية الى ابعد مما تصورته اتفاقيتي كامب ديفيد قدر المستطاع» على نحو يترك الباب مفتوحاً أمام الفلسطينيين ليمكنهم، في المستقبل، من اقامة دولتهم المستقلة (**المصدر نفسه**، ١٥/١١/١٩٩٢).

أكثر من ذلك، لا يستبعد المراقبون، في هذا المجال، ان يدعم الرئيس الاميركي المنتخب فكرة الانتخابات في الارض المحتلة «لأن ذلك يدخل في إطار تشجيعه العملية الديمقراطية». ويعترف هؤلاء، بأن هذا الدعم لن يكون كافياً لارضاء الفلسطينيين، في الوقت الحاضر، لأنه لا يلحظ انتخاب مجلس اشتراعي (**المصدر نفسه**).

هل الاعتبار هذا في محله؟ ليس كثيراً، تجيب المصادر الدبلوماسية في واشنطن، ذلك ان مواقف كلينتون بدت منحازة الى اسرائيل، ومتخلية عن «الحياد» النسبي الذي انتهجته الادارة الجمهورية السابقة حيال هذا الصراع الاقليمي المزمن. وحسب هذه المصادر، فان حقيقة المواقف الشرق أوسطية للرئيس الاميركي الجديد الذي سيتسلم السلطة، فعلاً، في العشرين من كانون الثاني (يناير) المقبل، ستركّز على أمور ثلاثة، هي الآتية:

«اولاً ـ الضغط على الاطراف العربية لكي تخفف «تشنّجها» في مؤتمر السلام، ولكي تقبل تسوية تضمن استمرار التفوّق العسكري النوعي لاسرائيل في الشرق الاوسط، وتأمين المصالح الاسرائيلية قبل العربية.

«ثانياً ـ اعتبار اسرائيل الحليف الاستراتيجي للولايات المتحدة الاميركية، واستبعاد أي ضغط من قبل واشنطن عليها لتقديم تنازلات للاطراف العربية من دون مقابل.

«ثالثاً ـ دعم اسرائيل بسلاح وفير حديث وأموال لتنشيط اقتصادها وتمكينها من استيعاب مئات ألوف المهاجرين اليهود الجدد» (**نيويورك تايمز**، ١٤ ـ ١٥/١١/١٩٩٢).

مواقف كلينتون

هل المواقف الشرق أوسطية التي قد تتخذها الادارة الديمقراطية الجديدة دقيقة؟

الاجابة تكمن في التصريحات التي أطلقها الرئيس المنتخب، في اثناء الاستحقاق الانتخابي وما بعده. ولعلّ أول ما يلفت النظر اليه هو انتقاد كلينتون سياسة سلفه، «لأنها تعاملت، في بعض الاحيان، مع النزاع العربي ـ الاسرائيلي وكأنه مجرد نزاع آخر بين الاديان والدول، بدلاً من اعتباره نزاع على محكه بقاء اسرائيل الحليفة والديمقراطية» (**الحياة**، لندن، ٣/١٠/١٩٩٢).

أكثر من ذلك، قدم كلينتون امتحانه في تأييد اسرائيل في مؤتمر جمعية «بني بريت» اليهودية مزايداً على منافسه بوش في انتخابات الرئاسة، حين شدّد على «العلاقات الفريدة من نوعها» بين الولايات المتحدة الاميركية واسرائيل. ودعا الى الغاء المقاطعة الاقتصادية العربية لاسرائيل. وبعدما قال ان المفاوضات الجارية في واشنطن هي أفضل فرصة لاحلال سلام دائم في الشرق الاوسط، رأى ان هذا السلام «لا يزال بعيداً»، وان اسرائيل «لا تزال تنتظر عرضاً للسلام من جيرانها العرب» (**المصدر نفسه**، ١٠/٩/١٩٩٢).

ولكن مع ان هذه سياسة اميركية ثابتة منذ عقود، فان خروج بوش مهزوماً من البيت الابيض، من شأنه ان يسلط الاضواء، من جديد، على الفريق الاميركي المشرف على متابعة المفاوضات، ذلك ان الفريق القديم أصبح متمرساً في عمله ومعروفاً لدى الاطراف المتفاوضة، بينما لا أحد يعرف بمَنْ سيأتي كلينتون لاداء هذا الدور؟ وما ستكون عليه ميولهم واتجاهاتهم؟

في هذا الخصوص، تؤكد الاوساط الدبلوماسية والسياسية المطلعة، ان الاتصالات وعمليات جسّ النبض بين المسؤولين الاميركيين الحاليين والقيّمين على السياسة الخارجية في الفريق الانتقالي لادارة كلينتون المقبلة جارية، حالياً، بغية تفادي وقوع انقطاع في عملية السلام خلال الفترة المتبقية، وان فكرة عودة رئيس موظفي البيت الابيض الوزير السابق، جيمس بيكر، الى أداء دور في عملية السلام، وامكان قيامه بجولة أخيرة في الشرق الاوسط سعياً الى تحقيق التقدم قائمة ويجرى تداولها (**المصدر نفسه**، ٤/١١/١٩٩٢).

ولاحظت الاوساط نفسها، ان الاهتمام الاميركي يعكس، بصورة أو بأخرى، وجود اتفاق بين الرئيسين، بوش وكلينتون، على ضرورة المضي في عملية السلام وانجاحها، خصوصاً ان تحقيق الادارة الحالية، قبل انطفاء عهدها في ٢٠ كانون الثاني (يناير) المقبل، تقدّماً في المفاوضات سيساعد الادارة المقبلة على تسلّم العملية السلمية ومتابعتها في شكل ايجابي، فضلاً عن تفادي المأزق الذي يمكن ان يصل اليه الوضع في المنطقة اذا ما تركت المفاوضات تصل الى طريق مسدود (**المصدر نفسه**).

وأوضحت الاوساط الاميركية، ان الوزير السابق، بيكر، لا يزال يدرس امكان القيام بجولة في المنطقة، شرط ان يكون تكليفه هذه المهمة مشتركاً بين بوش وكلينتون. واستبعدت ان يقوم بجولته اذا لم يكن لديه الحد الادنى من فرص النجاح، خصوصاً في المسارين الفلسطيني والسوري. وأضافت، ان فكرة جولة بيكر تعود، في الاساس، الى أحد كبار مساعديه، دنيس روس، الذي يتوقع ان ينتقل، قريباً، من البيت الابيض الى منصبه القديم مديراً للتخطيط السياسي في وزارة الخارجية الاميركية. لكنها أكدت ان مساعدين آخرين لبيكر، ومن بينهم الناطقة السابقة باسم وزارة الخارجية، مارغريت تتوايلر، يعارضون الفكرة، لأنها لن تؤدي الى نتائج ملموسة تتوّج أعمال الوزير الاميركي السابق، الّا اذا كانت المفاوضات وصلت الى درجة باتت الخلافات في الرأي بين الاطراف محدّدة؛ اذ يمكن، عندئذٍ، ان يتوجه بيكر الى المنطقة لاجراء المزيد من المحادثات مع زعمائها للتقريب بين وجهات النظر (**المصدر نفسه**).

من جهة أخرى، استبعدت الاوساط الاميركية المطلعة ان تنهار المفاوضات الثنائية المباشرة؛ اذ هناك تقدّم يكفي لابقاء العملية عائمة ومستمرة، وهي ستستمر، ببطء، ولكن مع تحقيق القليل من التقدم، «الّا أنها لن تتقدّم الى درجة يمكن ان تفتح الباب لجولات مكوكية اميركية بين قادة الدول المعنية». وحذّرت من المبالغة في تحليل تصريحات الرئيس الجديد قبل الانتخابات، لأن ما قاله، في السابق، لن يقوله، بالضرورة، في شباط (فبراير) المقبل، خصوصاً انه سيستشير مساعديه، فضلاً عن ان الصورة التي كان يراها كمرشح للوضع، ستختلف عن الصورة بعد دخوله البيت الابيض والاطلاع على أسراره (**المصدر نفسه**).

لكن هذه الاوساط تعتقد بأن ما قاله كلينتون لجهة تركيزه على «استمرار المفاوضات في الاطار الشامل»، يشكّل سياقاً عاماً لسياسته. وبمعنى آخر، أكد للاطراف العربية والاسرائيلية انه يؤيد المفاوضات بالطريقة التي تسير عليها الآن، وانه لن يحدث تغييرات ضخمة في السياسة (**المصدر نفسه**).

د. نبيل حيدري

تراجع دور «الوحدات الخاصة»

عودة النشاطات الجماهيرية

جاءت احداث الفترة الاخيرة، بين منتصف آب (اغسطس) ومنتصف تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٩٢، معاكسة، تقريباً، للاتجاه الذي كان برز في الشهور السابقة. فبعد ان حققت السياسة العسكرية الاسرائيلية، المرتكزة الى نشاط «الوحدات الخاصة» السرية وتقليص مجالات الاحتكاك الاخرى، بعض النجاح ونقلت المبادرة الى جانبها، عادت العمليات المسلّحة الفلسطينية والمواجهات الجماهيرية الى التصاعد والسيطرة على الميدان. وانعكس ذلك في مؤشرات العمليات والشهداء والاصابات الاسرائيلية التي سجّلت ارتفاعاً تدريجياً، ممّا دفع السلطات الاسرائيلية الى اعتماد اجراءات متناقضة احياناً، على الرغم من محاولتها المستمرة لتقييد مسبّبات وفرص المواجهة. وفي هذه الاثناء، تجددت الاشتباكات بين أنصار حركتي «فتح» و«حماس»، وتكررت عمليات الاغتيال في مخيمات لبنان واشتدت المجابهة مع قوات الاحتلال الاسرائيلية والحليفة لها في جنوب لبنان.

شرارة المقاومة المسلّحة

دلّت التقارير اليومية على وقوع ما لا يقل عن ٤٦ عملية مسلّحة ضد قوات الاحتلال الاسرائيلية، في الفترة قيد المراجعة، أي بزيادة ١٥ بالمئة عن الفترة السابقة، علماً بأن الصحافة والتصريحات الرسمية الاسرائيلية تجاهلت حوادث عدة ولم تتناقلها. وتوزّعت تلك العمليات بين ثماني عمليات إلقاء قنابل يدوية، وست عمليات زرع عبوات ناسفة، و١٧ عملية اطلاق نار أو كمائن، و١٦ عملية طعن أو محاولة طعن، ومحاولة تسلّل واحدة عبر نهر الاردن. وتسبّبت اجمالاً في مقتل سبعة اسرائيليين، بينهم ثلاثة جنود، وجرح عشرة، بينهم أربعة جنود، عدا عشرات الجرحى الذين اصيبوا برشق الحجارة أو القاء القنابل الحارقة.

امّا العمليات النوعية فقد بدأت بمقتل اسرائيلي طعناً بسكين في مزرعته الواقعة في منطقة كفرسابا بتاريخ ١٩٩٢/٨/١٩، ورجحت المصادر الامنية الاسرائيلية ان يكون ثلاثة عمال فلسطينيين نفّذوا الحادث (**القدس العربي**، لندن، ١٩٩٢/٨/٢٠). ونجا جندي في موقع مراقبة في مخيم البريج من محاولة مشابهة، في اليوم ذاته، وتمّ اعتقال المهاجم. كما نجا جنود من الاصابة بهجوم لافت، في اليوم التالي، اذ كمن مسلّحون مجهولون لقافلة عسكرية كانت تحمل ذخائر قرب بئر السبع، ولم تتمكّن القوات الاسرائيلية من القبض على المهاجمين (**المصدر نفسه**، ١٩٩٢/٨/٢١). غير ان المواجهة الحقيقية حصلت في ٢٦ الشهر، حين اندلعت معركة بالاسلحة النارية بين مجموعة من الشبان المطاردين ينتمون الى خلايا «الفهد الاسود» التابعة لـ «فتح» وأفراد الوحدات الخاصة، في جنين، ممّا أدى الى استشهاد ناشطين اثنين وامرأة ومقتل قائد الوحدة الاسرائيلية المتنكّرة (**انترناشونال هيرالد تريبيون**، ١٩٩٢/٨/٢٧). وانتهى شهر آب (اغسطس) بجرح مستوطن بالرصاص قرب مخيم بلاطة. فيما دلّ احصاء اولي على وقوع ما مجموعه ٢٩ هجوماً نارياً و١١ بالعبوات الناسفة وخمسة بالقنابل اليدوية، عدا ١١٤ حالة القاء قنابل مولوتوف، طيلة الشهر (**فلسطين الثورة**، نيقوسيا، ١٩٩٢/٩/١٣).

وتتالت العمليات البارزة، والتي أدّت الى سقوط المزيد من الاصابات الاسرائيلية، في ٤ أيلول (سبتمبر)، حين هاجمت فتاة فلسطينية احد أفراد الشرطة بعنق زجاجة مكسورة في القدس القديمة، وجرحته، قبل اعتقالها. وكشف تقرير، غير مؤكد،

عن طعن مدني اسرائيلي في حادث آخر في المدينة في اليوم ذاته (**القدس العربي**، ٥/٩/١٩٩٢). وانفجر الموقف بعد تعرّض دورية من «حرس الحدود» الى النيران في مخيم الشابورة، في ١٠ الشهر، فوقع اشتباك امتد لساعات، سقط بنتيجته شهيدان وجريح بين الناشطين، فيما تمكّن اثنان من الافلات بفضل تدخل حشود المواطنين الذين تصدّوا للجنود (**المصدر نفسه**، ١٢ ـ ١٣/٩/١٩٩٢). وأعلنت «فتح»، لاحقاً، ان المجموعة تابعة لقوة «الفهد الاسود» (**فلسطين الثورة**، ٢٠/٩/١٩٩٢).

ثم سقط مهاجر روسي قتيلاً في ميناء حيفا، في ١٢ أيلول (سبتمبر)، اثر قيام عامل فلسطيني، من قباطية، باطلاق النار عليه وعلى اثنين من البحارة البولنديين. وقد اعتقل المهاجم مساء ١٥ الشهر (**القدس العربي**، ١٧/٩/١٩٩٢). وأُصيب جندي بجروح عقب طعنه قرب مستوطنة نتساريم (قطاع غزة)، في ١٨ الشهر. وتبيّن انه كان صعد الى سيارة فقبض عليه الركاب وكبّلوه قبل قذفه جريحاً الى الخارج، بعملية أعلنت حركة «حماس» مسؤوليتها عنها (**المصدر نفسه**، ١٩ و٢١/٩/١٩٩٢). وبالمقابل، أدّت عملية القاء قنبلة يدوية باتجاه مركز للشرطة يقع على سطح مبنى في نابلس، بعد يومين، الى اصابة ستة مواطنين فلسطينيين بشظايا. ولم تكن هذه الحالة الوحيدة التي تخطىء فيها العمليات اهدافها، اذ استشهد مواطن مسنّ متأثراً بجروحه اثر انفجار قنبلة يدوية عند موقع عسكري في نابلس، في ٢٢ الشهر (**المصدر نفسه**، ٢١ و٢٥/٩/١٩٩٢).

وبتاريخ ٢٢ أيلول (سبتمبر) لقي جندي اسرائيلي حتفه عندما أطلق ناشط فلسطيني، يرتدي زيّاً عسكرياً، النار عليه من بندقية آلية، في القدس الشرقية. وتمكّنت الاجهزة الامنية الاسرائيلية من إلقاء القبض على المهاجم في وقت لاحق (**المصدر نفسه**، ٢٣/٩/١٩٩٢). وفي معركة أخرى، في اليوم ذاته، نجحت القوات الاسرائيلية في اعتقال أربعة من ناشطي «الفهد الاسود»، في أعقاب كمين فلسطيني ومطاردة مضادة في منطقة قريبة من بني سهيلة، وأدّى الاشتباك الى جرح اثنين من الناشطين وخمسة مدنيين (**المصدر نفسه**، ٢٣/٩/١٩٩٢). ولم يمر سوى يوم واحد حتى أصيب اسرائيلي اصابة بالغة بعد ان قام ثلاثة أو أربعة فلسطينيين باطلاق النار عليه عند مستوطنة قاديش. وقد فرّ المهاجمون بسيارة مسروقة وتركوها عند «الخط الاخضر» قبالة منطقة جنين، علماً بأن الاجهزة الامنية اعتقلت مواطناً وولديه في قرية سولم من مناطق الـ ٤٨، بتهمة تنفيذ العملية (**المصدر نفسه**، ٢٤/٩/١٩٩٢).

ووسط اعمال اطلاق الرصاص المستمر، سقط المزيد من الاسرائيليين بفعل عمليات الطعن، وأولهم طالب ديني في القدس جُرح على يد مهاجم تمكّن من الفرار، في ٢٤ أيلول (سبتمبر). ثم قتل شرطي طعناً عند مفرق «ازور» على طريق القدس ـ تل أبيب، في ٣٠ الشهر. واستمر المسلسل بطعن وجرح مدني اسرائيلي قرب حائط المبكى، في عملية اعتقل المهاجم في اثنائها، وبجرح جندي في انفجار قنبلة يدوية قرب دورية في قرية معن في ٦ تشرين الاول (اكتوبر)، وبطعن جندي في ساقه في الحي اليهودي في القدس في ٧ الشهر، وجرح آخر في انفجار قنبلة يدوية القيت على دورية في خان يونس ليل ٨ الشهر. واكتملت القائمة بمقتل مستوطن طعناً في مستوطنة غوش قطيف، في ١١ الشهر، على يد مهاجمين مزوّدين بالسكاكين والفؤوس، وبمقتل مدني آخير في قرية ميتاف طعناً، على يد ثلاثة فلسطينيين استخدموا سيارته في الهرب الى الضفة الفلسطينية في ١٥ منه (**الحياة**، لندن، ١٦/١٠/١٩٩٢).

على صعيد آخر، تجدّد الصراع بين حركتي «فتح» و«حماس» بعنف في الثلاثين من أيلول (سبتمبر)، حين هاجم مئتا عنصر ينتمون الى «حماس» منزلاً قرب جامع في مخيم خان يونس، فتدخل أفراد «الفهد الاسود» ودارت معركة استخدم في خلالها المولوتوف والمسدّسات وأدّت الى سقوط حوالى سبعين جريحاً من الطرفين (**الحياة**، ٢/١٠/١٩٩٢). ثمّ هدأت الاوضاع حتى ٤ تشرين الاول (اكتوبر)، حين قام عدد من اتباع «حماس» باطلاق النار من داخل سيارة، فجرحوا أربعة من أنصار «فتح» قرب الجامع عينه، ممّا دفع الى عمليات انتقامية، وتعرّض احد الاشخاص الى الطعن (**القدس العربي**، ٥/١٠/١٩٩٢). وتجدّدت الاشتباكات في ٦ الشهر، فسقط جريح من «حماس» بالرصاص، فيما ادّعى الدكتور عبدالعزيز

الرنتيسي، احد زعماء «حماس» بأنه نجا من محاولة اغتيال، حيث هاجمه ثمانية اعضاء من «فتح» بالسيوف (**المصدر نفسه**، ٨/١٠/١٩٩٢). الاّ ان الهدوء عاد الى منطقة الاشتباك، حين أعلن قادة من «حماس» انهم سيلتقون الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، في الخرطوم من أجل فضّ الخلافات نهائياً (**المصدر نفسه**، ١٢/١٠/١٩٩٢).

اجراءات متشابكة

جاء تصاعد العمليات المسلّحة الفلسطينية بمثابة الصدمة لسلطات الاحتلال الاسرائيلية، التي تطلّعت الى تحقيق السيطرة الميدانية من خلال مزيج من الاجراءات «السلبية» و«الايجابية». فمن جهة اولى، لوحظ تراجع عدد الشهداء من الناشطين الفلسطينيين الذين سقطوا عى أيدي «الوحدات الخاصة» الاسرائيلية، فبلغ عددهم ستة شهداء، بينهم امرأة قُتلت خطأ وناشط لم يتأكد مقتله على أيدي «فرق الموت». بالمقابل، ارتفع عدد الشهداء الفلسطينيين عموماً، إما بسبب المبادرات القتالية الفلسطينية أو نتيجة لانفجار العبوات الناسفة بين أيدي ناشطين أو مواطنين، كما وقع بتاريخ ٦ و٩ و٢٢ أيلول (سبتمبر) و٦ تشرين الاول (اكتوبر)؛ يضاف الى ذلك استشهاد ناشط هاجم ضابطاً بفأس في طريق بني يعقوب، في الثلاثين من أيلول (سبتمبر)، وسجين انهار في مستشفى عسكري في تل ـ أبيب، بعد اضرابه عن الطعام لمدة اسبوعين، في ١٤ تشرين الاول (اكتوبر). وباضافة الشهداء الذين سقطوا في اثناء المجابهات والمظاهرات الاخرى، يكون العدد الاجمالي للشهداء منذ بدء الانتفاضة ١٢١٠ شهيداً.

تدل هذه الاحصاءات على تراجع تأثير الوحدات الخاصة الاسرائيلية، ولو ظرفياً ولأسباب غير واضحة تماماً. وذلك ما يناقض إثناء رئيس الوزراء الاسرائيلي، اسحق رابين، في ٢٥ آب (اغسطس)، على نشاط تلك الوحدات، اذ أكد لهم «انكم تقومون بعمل جيد» (**الحياة**، ٢٧/٧/١٩٩٢). وربما كمن احد أسباب التراجع في تنامي وتجدد روح المواجهة الجماهيرية، كتلك التي تبدّت في معركة العاشر من أيلول (سبتمبر) في مخيم الشابورة. فقط سقط حوالى أربعين جريحاً في القطاع، وخصوصاً في جباليا والنصيرات، بين ١٥ و١٧ الشهر ذاته، وحوالى مئة ضمن مسيرات التضامن مع السجناء المضربين عن الطعام، في ٧ تشرين الاول (اكتوبر)، و٥٢ في أثناء القيام بمسيرات مشابهة في العاشر من الشهر، و٤٧ في اليوم التالي، وعشرين في ١٢ الشهر، جرح معظمهم في انحاء مختلفة من قطاع غزة.

كما تبيّن اتجاه الناشطين المستمر نحو اعادة بناء خلاياهم المسلّحة، وذلك من خلال اعلان سلطات الاحتلال عن اعتقال المزيد من الناشطين السريين. وشملت القائمة خلية مؤلفة من سبعة أفراد تابعين لمجموعة «النسر الاحمر» المنضوية تحت لواء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، في رفح، في ١٨ آب (اغسطس)، وخلية لـ «فتح» في منطقة البيرة ورام الله، في ٢١ الشهر، وخلية ثالثة، تابعة لـ «فتح»، أيضاً، في غزة، في ٢٢ منه. غير ان الحدث البارز كان الاعلان، في ٣١ الشهر، عن اعتقال طالبة جامعية في رام الله، واتهامها بقيادة عمليات «فتح» في المنطقة منذ سنتين. وحسب المصادر الامنية، فقد دبّرت عبير الوحيدي قتل احد المستوطنين في نهاية العام ١٩٩١، فيما أكد اقاربها بأنها تعرّضت للسجن الانفرادي في «التابوت» لمدة ٣٥ يوماً، منها ١٦ حُرمت في خلالها من النوم بعد اعتقالها في ٢١ تموز (يوليو) (**القدس العربي**، ٥ ـ ٦/٩/١٩٩٢؛ **وفلسطين الثورة**، ١٣/٩/١٩٩٢). وتمّ الاعلان، في مطلع أيلول (سبتمبر) عن اعتقال ربحي قطامش في رام الله، وهو أحد مسؤولي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، مع احد معاونيه. وأوضحت المصادر الاسرائيلية ان قطامش مطلوب منذ ١٦ سنة، وانه اختبأ بمنزله طيلة المدة مزوّداً بأوراق ثبوتية مزوّرة، كما زعمت انه تمّ العثور لديه على قوائم تكشف أسماء مئات الاعضاء من الجبهة وخطة عمل عسكرية وغيرها من وثائق، وهو الخبر الذي نفته الجبهة الشعبية بشدة (**هآرتس**، ٢٠/٩/١٩٩٢؛ **والقدس العربي**، ٢٣/٩/١٩٩٢).

ووقعت خلايا أخرى بين أيدي قوات الاحتلال، ومنها خلايا لـ «فتح» ضمّت ثلاثين شخصاً في منطقة نابلس، ضمنهم المسؤول الامني المطلوب منذ ثلاثة سنوات (**المصدر نفسه**، ١٦/٩/١٩٩٢).

كما أُلقي القبض على ناشط، في ٢٨ آب (اغسطس)، اعترف بحقن سم الفئران في الخضار والفواكه واللحوم ووضعها في السوق الاسرائيلية، وهي المحاولة العشرين خلال سنتين، حسب تأكيد الشرطة (**المصدر نفسه**، ١٦/٩/١٩٩٢). وبموازاة كل ذلك، اصدرت المحاكم العسكرية احكاماً بالسجن المؤبّد على خمسة مواطنين بتهم القتل والاعدام في الفترة المعنيّة.

ولعلّ هذه النجاحات التكتيكية هي التي دفعت الجنرال، موشيه يعلون، قائد المنطقة الوسطى، الى التصريح في ٨ تشرين الاول (اكتوبر)، بأن الانتفاضة قد خمدت تماماً، وانه لم يبق سوى ١٥٠ مطارداً طليقاً من أصل ستمئة قبل عام (**القدس العربي**، ٩/١٠/١٩٩٢). وكان رئيس الاركان، الجنرال ايهود باراك، قد صرّح، في العاشر من أيلول (سبتمبر)، بأنه تم اعتقال سبعمئة منذ مطلع العام ١٩٩٢، بينهم ٤٥٠ وصفوا بأنهم «خطيرون» عدا عن مئة استسلموا طوعاً (**هآرتس**، ١٠/٩/١٩٩٢). وترافق مع اطلاق التصريحات المتفائلة هذه، اطلاق مئات عدة من السجناء الذين شارفت مدة احتجازهم على الانتهاء، في أواخر آب (اغسطس) ومطلع أيلول (سبتمبر)، بالتزامن مع عودة المباحثات الثنائية للسلام في واشنطن، فيما كشف ناطق عسكري في ٢٢ أيلول (سبتمبر)، النيّة عن اقفال قسم من معتقل انصار ـ ٣، الذي يضم حالياً ما بين سبعة آلاف وسبعة آلاف وخمسمئة سجين (**القدس العربي**، ٢٣/٩/١٩٩٢).

غير ان اجواء التفاؤل تبدّدت فجأة، اذ خرج رابين في ١١ تشرين الاول (اكتوبر)، في اثناء زيارة تفقدية قام بها الى غزة، بتصريحات متشدّدة، وعدت باللجوء الى حظر التجول وغلق المنازل والمناطق واستخدام الأساليب والوسائل العسكرية من اجل وقف الاضطرابات (**المصدر نفسه**، ١٢/١٠/١٩٩٢). كما اعترف يعلون، أيضاً، في اليوم ذاته، بتزايد الصدامات الجماهيرية والمسلّحة، في أعقاب اضراب السجناء الفلسطينيين عن الطعام (**المصدر نفسه**، ١٢/١٠/١٩٩٢). وبالفعل، فان سجل الاحداث دلّ على قوة المواجهة الجماهيرية المتنامية، اذ سقط ٤٦٥ جريحاً وتعرّض ٥٠٨ مواطنين للاعتقال و١٤٥ للاحكام في شهر آب (اغسطس)، بينما سقط ٤٩٤ جريحاً وتعرّض ٢٤٤ مواطناً للاعتقال و١٥٣ للاحكام في شهر أيلول (سبتمبر) (**فلسطين الثورة**، ٩/١٣ و١١/١٠/١٩٩٢).

كما وشكّلت المجابهات الجماهيرية والعمليات المسلّحة نكسة بالنسبة الى الخطة الاسرائيلية القاضية بتقليص مجالات الاحتكاك. وكان رابين قد أعرب، في أواخر آب (اغسطس)، عن نيّته خفض حجم القوات الاسرائيلية العاملة في الارض المحتلة، من خلال تقليص العدد في المدن وغلق المواقع ونقاط المراقبة (**القدس العربي**، ٢٩ ـ ٣٠/٨/١٩٩٢). وأكد يعلون، بعد حوالى الشهر، ان حجم القوات بات يوازي نصف ما كان عليه عند اندلاع الانتفاضة (**هآرتس**، ٢٤/٩/١٩٩٢). غير انه تبيّن ان الجيش الاسرائيلي قام، فعلياً، بتحسين الجدار الامني عند نهر الاردن، ليصبح مشابهاً للجدار الامني عند الحدود اللبنانية والمزوّد بالاجهزة الالكترونية والكمائن، ممّا يدل على توقعات غير متفائلة (**دافار**، ٩/٩/١٩٩٢). كما تمّ كشف النقاب عن البدء باقامة وحدة حرس حدود جديدة في القدس بغرض الحماية من أعمال المقاومة. ولوحدة «حرس الحدود ـ ٢» مهام استخباراتية وميدانية، ويأتي افرادها من قوة حرس الحدود الاصلية (**كول هعير**، ٢٦/٩/١٩٩٢).

جرأة في الجنوب

شهد جنوب لبنان تصاعداً ملحوظاً في عمليات المقاومة الوطنية ضد قوات الاحتلال الاسرائيلية وقوات «جيش لبنان الجنوبي» العميل، اذ بلغت ١٥ عملية على الاقل، أظهرت جرأة ونتائج متنامية، ومنها مقتل أربعة لحديين، احدهم رئيس شبكة المخابرات العميلة، وجرح جندي اسرائيلي. وتوزّعت العمليات في انحاء الشريط الحدودي المحتل، ما عدا تفجير لغم تحت آلية اسرائيلية في بقعاتا في هضبة الجولان، في الثلاثين من آب (اغسطس). وازاء التوتر المستمر، توقّع قائد البحرية الاسرائيلية، اللواء عامي ايالون، في ١٣ تشرين الاول (اكتوبر) وقوع هجمات بحرية، بعد ان اضطرت «مجموعات ارهابية بحرية عدة»، على حدّ قوله، الى الرحيل من ليبيا

والانتقال الى لبنان (**الحياة**، ١٤/١٠/١٩٩٢). وجاء التعبير عن التخوّف الاسرائيلي في شكل غارات جوية نفّذتها طائرات مروحية هجومية ضد مواقع «لحزب الله»، في الثلاثين من أيلول (سبتمبر) والاول من تشرين الاول (اكتوبر).

امّا في الجهة الاخرى، فقد شهدت الساحة الفلسطينية في لبنان المزيد من الاقتتال الداخلي، اذ وقعت سلسلة من الاغتيالات بين «فتح» وجماعة «ابو نضال ـ المجلس الثوري». وقد انطلق المسلسل الجديد بمقتل الضابط هاني الدبيكي في بيروت، في الثاني من أيلول (سبتمبر)، وتواصل مع محاولة اغتيال كادر آخر في مخيم البرج الشمالي، في ٢١ الشهر، وبمقتل عضو اقليم لبنان في صيدا، في ٢٣ منه، وجميع المستهدفين من حركة «فتح» (**القدس العربي**، ٣ و٢٢/٩/١٩٩٢؛ **والحياة**، ٢٥/٩/١٩٩٢). بالمقابل، تعرض أحد مسؤولي جماعة أبو نضال، المدعو جهاد رشيد، لمحاولة اغتيال في مدينة صيدا، بتاريخ ٢٤ الشهر، تلا ذلك محاولة ضد ضابط أمن في «فتح»، في صيدا، في اليوم التالي، ممّا أصاب أربعة مدنيين لبنانيين بجروح. ثمّ قضى رئيس جماعة «ابو نضال» في صيدا، يوسف الخليل، في ٢٧ الشهر، بينما قتل مسؤول سابق في الجماعة ذاتها ويدعى احمد عنتر، في المدينة نفسها، في ١٢ تشرين الاول (اكتوبر)، وسط موجة من التفجيرات التي أصابت مخيم عين الحلوة، وقتلت امرأة وجرحت تسعة مواطنين، بينهم خمسة أطفال (**المصدر نفسه**، ١٤/١٠/١٩٩٢).

ازاء هذا التصعيد، أعلنت حركة «فتح» عن محاكمة عدد من المتهمين بعمليات الاغتيال، وأصدرت حكماً باعدام ثلاثة وسجن اثنين لمدة ٥ ـ ١٠ سنوات من بين ٦٢ معتقلاً لديها بتهم القتل والتفجير (**المصدر نفسه**، ٢٦/٩/١٩٩٢). غير ان جهات عدة ناشدت «فتح» بعدم التنفيذ، فيما تحرّكت الاوساط اللبنانية الصديقة للتوسط وانهاء الاقتتال (**المصدر نفسه**، ٤/١٠/١٩٩٢).

د. يزيد صايغ

الوفد الاسرائيلي: آليات التفاوض

في سياق الجولة السادسة من المفاوضات الثنائية برز شبه اجماع لدى غالبية المراقبين السياسيين على ان هذه الجولة من مفاوضات السلام التي أُجريت في واشنطن خلال شهري آب (اغسطس) وأيلول (سبتمبر) ١٩٩٢، مثّلت البداية الحقيقية والجادة للمفاوضات. وقد جاء هذا الاستنتاج على خلفية تصريحات رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق رابين، قبل اجراء الانتخابات وبعد تشكيله الوزارة الجديدة تجاه تغيير سلم الاولويات، واعطاء المسيرة السياسية «أولوية متقدمة»، وما صاحب ذلك من تجميد الاستيطان في الارض المحتلة؛ وارسال ايماءات ايجابية تجاه الوفد الفلسطيني والى الجانب السوري كذلك.

وبناء على ما تقدّم، عقدت الجولة السادسة في اجواء تفاؤل من جانب الوفود العربية بالنظر الى اعلان اسرائيل ان قرار مجلس الامن الدولي الرقم ٢٤٢ يندرج في إطار المفاوضات. وفي هذا السياق، ذكرت افتتاحية «هآرتس»، انه قبيل بدء المحادثات، قامت حكومة رابين بسلسلة من الاجراءات تجاه سكان الارض المحتلة تصب في خانة «حسن النوايا»، ابتداء بالغاء اوامر ابعاد احد عشر عربياً، وانتهاء باصدار أوامر باعادة فتح البيوت التي تمّ غلقها، وتقليص اشكال العقاب الاخرى، بهدف تمهيد الارضية لمفاوضات سلام مثمرة (هآرتس، ١٩٩٢/٨/٢٦). اضافة الى هذا، قررت السلطات الاسرائيلية، أيضاً، الافراج عن ١٨٠ معتقلاً فلسطينياً، كما قررت فتح المؤسسات التعليمية كافة في الضفة الفلسطينية دفعة واحدة خلافاً للعادة. وتوقّعت مصادر أمنية رفيعة المستوى، تقديم تسهيلات اخرى في موضوع جمع شمل العائلات (دافار، ١٩٩٢/٩/١).

وفي السياق ذاته، صرّح نائب وزير الخارجية الاسرائيلية، د. يوسي بيلين، بأن الفلسطينيين سيدركون، عمّا قريب، الفرق بين اقتراحات الحكومة الاسرائيلية الحالية واقتراحات الحكومة السابقة برئاسة اسحق شامير، وبأن حكومة رابين هي الاكثر اعتدالاً، وهي القادرة على تلبية احتياجات الفلسطينيين في الاراضي المحتلة (الاتحاد، حيفا، ١٩٩٢/٨/٢٤).

وفي معرض التعليق على هذه الاجراءات، ذكر مصدر صحافي ان سكان الضفة والقطاع ينتظرون ان تتخذ حكومة رابين خطوات تلغي اجراءات الحكومات السابقة منذ العام ١٩٨٠ ـ ١٩٨١، مثل اعادة الاراضي الشاسعة التي تمّ الاستيلاء عليها بقرارات وادعاءات باطلة باعتبارها «اراضي دولة»، وتسهيل حرية الحركة والتنقل على جسور نهر الاردن، والغاء أوامر الاعتقالات الادارية (داني روبنشتاين، هآرتس، ١٩٩٢/٨/٢٦).

صلاحيات المجلس الاداري

قبيل بدء الجولة السادسة من المفاوضات الثنائية المباشرة بين اسرائيل والاطراف العربية، أكد الطاقم السياسي الاسرائيلي على ضرورة الاسراع في التوصل الى اتفاق مع الفلسطينيين حول المرحلة الانتقالية، وامكان تأجيل التوصل الى اتفاق مع السوريين والاطراف العربية الاخرى الى ما بعد ذلك.

وتمشياً مع هذا الاتجاه، صرّح رئيس الوفد الاسرائيلي للمفاوضات مع الوفد الفلسطيني، الياكيم روبنشتاين، انه جاء الى واشنطن بروح ايجابية مع تجديدات واقتراحات مختلفة عن الجولات السابقة (الاتحاد، ١٩٩٢/٨/٢٤). لكن الواقع كان مختلفاً حيث خيّم جو الاحباط على الطرفين. ووصفت مصادر اسرائيلية المحادثات مع الفلسطينيين بأنها «محبطة ومخيبة للآمال»، ووصفها الجانب الفلسطيني بأنها بمثابة

«طريق مسدود» (**يديعوت احرونوت**، ١٩٩٢/٩/١). فقد واصل الوفد الاسرائيلي ترداد مواقفه السابقة الداعية الى التفاوض حول التفاصيل قبل الاتفاق على المبادىء والاسس. وتمشياً مع هذا النهج، قدّم الوفد الاسرائيلي وثيقة من ٣٢ صفحة تناول فيها انتخاب مجلس اداري للفلسطينيين، وصلاحيات هذا المجلس خلال السنوات الخمس لفترة الحكم الذاتي المؤقت قبل البت في الوضع النهائي للضفة الفلسطينية وقطاع غزة المحتلين.

وقال روبنشتاين ان «الاقتراح الاسرائيلي يتضمّن موافقة على اعطاء المجلس صلاحيات لسنّ قوانين ثانوية وقوانين محدودة واجراء تعديلات دستورية، لكن اسرائيل ترفض منح هذا المجلس صلاحيات سنّ قوانين أساسية، كما هو معمول به في برلمانات الدول المستقلة» (**هآرتس**، ١٩٩٢/٨/٢٧). وأضاف، «ان الوفد الاسرائيلي اقترح تشكيل لجان فرعية لبحث مواضيع مختلفة، مثل الشرطة الفلسطينية والضرائب». واستدرك قائلاً: «بالطبع لا نقصد فصل اسرائيل عن الارض [المحتلة]، حيث ستكون هناك حركة اتصالات وحركة بضائع» (**المصدر نفسه**).

في مقابل هذا الطرح الاسرائيلي، يتطلع الفلسطينيون الى منحهم حكماً ذاتياً لفترة انتقالية يؤدي، تلقائياً، الى دولة مستقلة، على ان يكون المجلس المنتخب للحكم الذاتي هو مصدر الصلاحيات خلال الفترة الانتقالية، مع مظاهر سيادة، مثل طوابع البريد والعملة وعلم وطني وغيرها. كما يرى الفلسطينيون ان يكون المجلس المنتخب موسّعاً عدد أعضائه ١٨٠ عضواً، ويتمتع بصلاحيات تشريعية، وادخال القدس الشرقية ضمن حدود الحكم الذاتي (**معاريف**، ١٩٩٢/٨/٢٤).

لكن اسرائيل رفضت مثل هذا الطرح، وبرّر رئيس الحكومة، رابين، هذا الرفض، بقوله: «ان اقامة مجلس تشريعي سيؤدي، بالضرورة، الى اقامة دولة فلسطينية، وهذا ما لا نوافق عليه». واتهم م.ت.ف. بعرقلة التقدّم في مسار التسوية (**هآرتس**، ١٩٩٢/٩/٤). وأضاف بأن الفلسطينيين يتهربون من مواجهة القضايا الحقيقية، «وتكتيكهم هو الحديث عن حقوق الانسان والاعتقالات وهدم البيوت. انهم يتناولون اعراض المرض وليس المرض نفسه» (**دافار**، ١٩٩٢/٩/٦).

شاركه في هذا الرأي وزير الخارجية الاسرائيلية، شمعون بيرس، الذي وجّه نقداً لموقف الوفد الفلسطيني، واتهمه بالخشية من الدخول في مناقشة القضايا الجوهرية، وقال ان «نجاح المفاوضات يتوقف على شجاعة وقدرة الوفد الفلسطيني في اتخاذ القرارات» (**يديعوت احرونوت**، ١٩٩٢/٩/٤).

ومن جهته، قال رئيس الوفد الفلسطيني انه لا تزال هناك هوة عميقة تفصل بين الموقفين، الاسرائيلي والفلسطيني، ازاء القضايا الجوهرية المتعلّقة بالمفاوضات. وأكد ان الوفد الفلسطيني لم يلمس أي تغيير حقيقي في الموقف الاسرائيلي، مشيراً الى ان الاسرائيليين يحاولون التملّص من مناقشة القضايا الجوهرية وجرّ الوفد الفلسطيني الى بحث أمور تفصيلية (**عل همشمار**، ١٩٩٢/٩/٣).

وفي المرحلة الثانية من الجولة السادسة التي استؤنفت بتاريخ ١٩٩٢/٩/١٤، أعلن رئيس الوفد الاسرائيلي، انه قدّم الى الوفد الفلسطيني اجوبة تشكّل قاعدة جيدة لاستئناف المحادثات؛ مؤكداً انه لا ينبغي تجاوز الاطار الذي حدّد في مؤتمر مدريد، أي يجب التركيز حول اقامة الحكم الذاتي في الاراضي المحتلة من دون اتخاذ قرار مسبق بشأن الوضع النهائي لهذه الاراضي (**معاريف**، ١٩٩٢/٩/١٥).

ومن جهته، صرّح رئيس الوفد الفلسطيني، ان الرد الاسرائيلي على المقترحات الفلسطينية ليس مرضٍ؛ لكن الفلسطينيين سيدرسونه بامعان. وطالب، مجدداً، بالوقف الفوري والشامل لاعمال الاستيطان في الارض المحتلة (**المصدر نفسه**). كذلك، قام الوفد الفلسطيني بتقديم وثيقة الى الوفد الاسرائيلي تتضمّن ثلاث نقاط: وجوب اعتبار قرار مجلس الامن الدولي الرقم ٢٤٢ أساساً لمراحل المفاوضات كافة، الانتقالية والنهائية؛ ضرورة تركيز المفاوضات حول الاراضي كافة التي احتلت في العام ١٩٦٧؛ ايجاد الحلول المناسبة لمشكلة فلسطينيي الشتات، وبأن الوثيقة الاسرائيلية لا تشكّل أساساً للمفاوضات، بل الوثيقة التي يتمّ بلورتها من

قبل الجانبين (عل همشمار، ٢٣/٩/١٩٩٢).

وحول الخلافات في وجهات النظر بين الاسرائيليين والفلسطينيين، قال مؤسس المركز الاسرائيلي ـ الفلسطيني للابحاث والمعلومات، الباحث غرشون باسكين، ان الاسرائيليين يزعمون «بأن الفلسطينيين منقسمون وانهم غير مستعدين للتحدث عمّا هو أقل من دولة فلسطينية، وانهم غير معنيين باحراز نتائج ملموسة. والفلسطينيون، من جانبهم، يرون ان المواقف الاسرائيلية لم تتغيّر في أعقاب الانقلاب السياسي، وان روح اسحق شامير لا تزال تحوم فوق مائدة المفاوضات. ويرون، أيضاً، ان اسرائيل تواصل، بكامل طاقتها، بناء المستوطنات ولا تعتزم وقفها. وانها تدنو الى الاميركيين والاوروبيين وليس نحو الفلسطينيين، ولا تعتزم، اطلاقاً، الانسحاب من الارض [المحتلة]». واضاف «يبدو ان الطرفين يجريان مفاوضات مع شعبيهما في الداخل بدلاً من الدخول في حوار صادق وحقيقي كل مع الآخر». وخلص الى القول، ان «الفجوة في مواقف الطرفين واسعة وعميقة. فالفلسطينيون يحاولون اجراء مفاوضات حول اقامة الدولة الفلسطينية، والاسرائيليون، في الجانب الآخر، يعارضون ويرفضون بشدة اقامة هذه الدولة» (هآرتس، ٧/٩/١٩٩٢).

وفي السياق ذاته، شدّد المعلّق السياسي في صحيفة «هآرتس»، يوئيل ماركوس، على الرأي القائل «بأن الفلسطينيين على مدى تاريخ قضيتهم لم يتركوا فرصة الاّ وأهدروها». ثمّ تساءل في ضوء الفرصة السانحة حالياً: «مَنْ الذي يهدر الفرصة ويضيعها، في هذه المرة، نحن أم الفلسطينيون؟»، وأجاب «بأن الوثيقة التي قدّمناها للفلسطينيين لا تتضمّن أي رد على أية مشكلة أو قضية من القضايا الهامة، التي لا يمكن احراز تقدّم بدون حلها... وان الشيء الجديد الوحيد في مقترحاتنا هو اقتراح اجراء انتخابات عامة بدلاً من اجراء انتخابات بلدية. واذا أضفنا الى ذلك استمرار تولّي الياكيم روبنشتاين رئاسة الوفد الاسرائيلي مع الفلسطينيين... يظهر انطباع يقول بعدم وجود أي فارق ملموس في المواقف بين الحكومة الحالية والسابقة. وتصريحات رئيس الحكومة لي خلال حديث صحفي معه بشأن عدم الانسحاب من [على] الارض المحتلة والابقاء على الجيش الاسرائيلي فيها لحماية المستوطنات، هي تصريحات تخلق انطباع بأن حكومة رابين مقيّدة بقيود وهمية لحكومة وحدة وطنية لا وجود لها» (المصدر نفسه، ١/٩/١٩٩٢).

وفي السياق ذاته، ندّد الصحفي، حامي شيلف، بالموقف الاسرائيلي من الفلسطينيين، اذ قال: «تجري اسرائيل مفاوضات مع الاطراف العربية دون شروط مسبقة، يستطيعون خلالها التحدث حول الامور كافة، وعندما يرغبون في ذلك. لكنها، بالنسبة للفلسطينيين، تشترط عليهم هوية المفاوضين، ومَنْ ترغب به ومَنْ لا ترغب به؛ وما هو مسموح الحديث حوله وما هو ممنوع؛ بينما، من الجهة الاخرى، تنظر الى كل طلب سوري بأنه موقف مساومة مخطط جيداً، وخطوة تكتيكية أُعدت باحكام بهدف احراز هدف شرعي. وفي المقابل، تنظر الى طلبات الفلسطينيين على أنها تعنت وتعب وطقوس عربية بالية، ومواقف لا علاقة لها لا بالواقع ولا بالمفاوضات. وهي تتحدث مع الاطراف العربية على قدم المساواة، بينما تتحدث مع الفلسطينيين وكأنهم أطفال، غير ناضجين بعد لكي يقرروا مصيرهم النهائي» («متساوون ومتساوون أقل»، دافار، ٢٣/٩/١٩٩٢).

البعد الاقليمي

اعتبر البعض المفاوضات السورية ـ الاسرائيلية في جولتها السادسة في واشنطن من أكثر المفاوضات العربية ـ الاسرائيلية اثارة للدهشة. فقد كان رئيس الحكومة، رابين، ووزير الخارجية، بيرس، يرغبان في التباطؤ في مسار هذه المفاوضات الى ما بعد الانتهاء من المفاوضات مع الفلسطينيين حول الحكم الذاتي. لكن منذ الجلسة الاولى، في هذه الجولة من المفاوضات، اتضح انها الاكثر احتمالاً لاحراز تقدم.

وعقّب على هذه المفاجأة مدير مكتب رئيس الحكومة الاسرائيلية السابق لشؤون الاعلام، د. يوسي اولمرت، بقوله: «لقد حدثت في محادثات واشنطن معجزة صغيرة، حيث تصافح السوريون والاسرائيليون وشربوا القهوة معاً. وربما هناك من يتعجب للاهتمام بمثل هذه الامور الصغيرة، لكن هذا خطأ؛ لأنه لا يوجد شيء عفوي لدى

السوريين... فهذا تلميح بأن المفاوضات بين اسرائيل وسوريا قد بدأت، اخيراً، بداية حقيقية ملموسة... فالمفاوضات الجادة مع سوريا تعني مساومة صعبة» (**يديعوت احرونوت**، ١٩٩٢/٨/٣٠).

وعلى الرغم من آراء رابين السابقة تجاه صعوبة التوصل الى تسوية مع سوريا، فقد صرّح، بعد بدأ المحادثات بحضور لجنة الخارجية والامن التابعة للكنيست، بأن ما يجب على اسرائيل معرفته هو ما اذا كانت رغبة سوريا، هذه المرة، تتجه نحو السلام. ومن ثم عاد وأكد بأن اسرائيل لن تنسحب من هضبة الجولان، غير انه ليس بالضرورة التمسّك بكل سنتمتر هناك (**المصدر نفسه**، ١٩٩٢/٨/٢٦).

وفي مقابلة مع التلفزة الاسرائيلية، أوضح رابين ان تقدّماً ما قد تمّ احرازه في المفاوضات الثنائية مع سوريا. وقال «لقد أجرينا مناقشات جدية وإن تحسّناً طرأ في المناقشات مع سوريا، حتى ولو لم يكن ممكناً التحدث عن اختراق... وقد احرز هذا التقدم بفضل خلفية اعلان اسرائيل ان قراري مجلس الامن الدولي ٢٤٢ و٣٣٨ يمكن تطبيقهما على الجولان» (**هآرتس**، ١٩٩٢/٩/٦).

وفي السياق ذاته، قال بيرس، في مقابلة مع الاذاعة العبرية بأن اسرائيل لا يمكنها الحصول على السلام من دون تقديم تنازلات. لقد تغيّرت سياستنا والذين يعتقدون انه بالامكان الحصول على السلام والاحتفاظ بما هو تحت سيطرتنا، حالياً، هم مخطئون (**المصدر نفسه**، ١٩٩٢/٩/٧).

وفي مقابل هذا، أعلن السوريون وجوب تطبيق مبدأ «مبادلة الارض بالسلام» ومبدأ انسحاب كامل وسلام كامل، مؤكدين انهم مستعدون لبحث ومناقشة جوانب شاملة من العلاقات مع اسرائيل بعد ان تعلن استعدادها المبدئي للانسحاب من على هضبة الجولان بكاملها (**يديعوت احرونوت**، ١٩٩٢/٩/١).

وفي إطار التعليقات على التغيير في الموقف السوري، عقب الصحفي، دان افيدان، على التصريحات التي أدلى بها الرئيس السوري، حافظ الاسد، بحضور وفد وجهاء الطائفة الدرزية من الجولان الذي قام بزيارة لدمشق، تجاه رغبته في التوصل الى «سلام الشجعان» مع اسرائيل، ويأخذ بالاعتبار مصالح الطرفين ويكون سلام دائم، بأنها تأتي في إطار تصريحات جديدة في القاموس السياسي السوري، وبشكل خاص عندما تكون صادرة عن الرئيس الاسد. وأضاف، «ان الحديث الذي أدلى به الاسد يشبه، الى حد بعيد، الذي أطلقه الرئيس المصري الراحل، أنور السادات، عشية زيارته التاريخية لاسرائيل في العام ١٩٧٧» (**المصدر نفسه**، ١٩٩٢/٩/١٠).

وللاقاة الرئيس السوري، أعلن رئيس الحكومة الاسرائيلية، رابين، بشكل واضح، ان اسرائيل ستكون مستعدة لتسوية اقليمية في هضبة الجولان في مقابل سلام كامل مع سوريا. وأضاف، ان استعداد اسرائيل للبحث في قضايا اقليمية مشروط بقيام سوريا بالتعبير عن مواقفها للتوقيع على «معاهدة سلام حقيقية» تتضمّن تطبيع العلاقات، و«ان تدرك سوريا ان سلام بيننا وبينها غير مشروط بحصول تقدّم أو عدم تقدّم على الجبهات الاخرى من الصراع العربي ـ الاسرائيلي» (**المصدر نفسه**، ١٩٩٢/٩/١١).

ومع بداية المرحلة الثانية من محادثات الجولة السادسة، قدّم الوفد الاسرائيلي وثيقة مبادىء تضمّنت التطرّق الى «البعد الاقليمي» وفقاً للتعريف الاسرائيلي. وقد تضمّنت الوثيقة ثلاث عناصر أساسية: «رؤية للسلام وفق المفهوم الاسرائيلي؛ ومبادىء أساسية لتحقيق السلام، من بينها القرار ٢٤٢ والمفاوضات المباشرة واحترام متبادل للاحتياجات الامنية؛ وجدول أعمال حول كيفية تحقيق السلام الذي ورد في البند الاول». وصرّح رئيس الوفد الاسرائيلي، ان الامر يدور حول مسودة وثيقة يمكن اعادة صياغتها في حال حصول تقدم في المفاوضات في أمور هامة بالنسبة لاسرائيل (**عل همشمار**، ١٩٩٢/٩/١٥).

ومن الجهة الاخرى، عبر رئيس الوفد السوري، موفق العلاّف، عن خيبة أمله من وثيقة المبادىء التي قدّمتها اسرائيل، لكنه لم يرفضها، وقال، انها تتطرّق الى القضايا كافة التي تهمها، ولا تتطرّق ابداً الى قضايا الجانب الآخر، حيث لم يرد فيها قط مصطلح «انسحاب» (**دافار**، ١٩٩٢/٩/١٥).

وقبيل نهاية الجولة السادسة تقدّمت الاطراف العربية بمشاريع واقتراحات لدفع عملية السلام الى أمام، لكن الاستجابة الاسرائيلية كانت معدومة، وجاءت الردود الاسرائيلية لتؤكد، فقط، على المصالح الاسرائيلية متجاهلة مصالح الاطراف الأخرى، الامر الذي أدّى بالوفد الى الانسحاب من جلسة المفاوضات قبل نهايتها احتجاجاً على التعليمات المعطاة للوفد الاسرائيلي وعلى الكوابح التي تقيّد حركته. وقال المراقبون، ان انسحاب الوفد السوري يعكس عمق المأزق الذي تواجهه المفاوضات العربية ـ الاسرائيلية في واشنطن، وبأنها وصلت الى طريق مسدود لا يمكن الخروج منه الاّ من خلال تغيير جذري للمعطيات الاساسية كافة التي تحكم عملية التفاوض (**الاتحاد**، ١٨/٩/١٩٩٢).

لكن الوفد الاسرائيلي كان له رأي آخر عبّر عنه رئيسه؛ اذ قال: «لا توجد أزمة حقيقية، بل ان هناك نيّة سورية وعربية، أيضاً، شاملة ومنسّقة للقيام بمحاولة لجرّ الادارة الاميركية للتدخل في المفاوضات». وأكد هذا الرأي، أيضاً، رئيس الحكومة الاسرائيلية قائلاً: «لا يمكن التحدث عن أزمة وجمود في المفاوضات مع سوريا، ينبغي الانتظار لنرى كيف ستتطور الامور» (**يديعوت احرونوت**، ١٨/٩/١٩٩٢).

ومع نهاية جلسات الاسبوع الاخير من المفاوضات، صرّح رئيس الوفد الاسرائيلي للمفاوضات مع السوريين، ان موضوع الانسحاب من هضبة الجولان هو أحد المواضيع المطروحة على جدول الاعمال، لكن الوفد الاسرائيلي يرفض مناقشة البعد الاقليمي كموضوع مستقل، بل يجب بحثه في الاطار العام لموضوع السلام والترتيبات الامنية (**هآرتس**، ٢٣/٩/١٩٩٢).

وفي محاولة لترطيب الاجواء، صرّح رئيس الحكومة الاسرائيلية، رابين، انه بالامكان التوصل الى معاهدة سلام مع سوريا خلال تسعة شهور الى سنة. وقد وصفها رئيس الوفد السوري، بأنها تصريحات ايجابية بحد ذاتها. وأضاف، «لكن يبقى المهم ان ترى هذه التصريحات ترجمة داخل قاعة المفاوضات في واشنطن» (**المصدر نفسه**).

صلاح عبدالله

نجاح كلينتون بين التفاؤل والحذر

أثار نجاح المرشح الديمقراطي لانتخابات الرئاسة الاميركية، بيل كلينتون، في الثالث من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٢، مزيجاً من مشاعر ومظاهر الفرح والتفاؤل، بل والشماتة، في الاوساط الاسرائيلية، وصل الى حد النشوة لدى اليمين الاسرائيلي، بشكل خاص، ولدى الجالية اليهودية في اميركا، بشكل عام. وقد «اجتاحت [هذه المشاعر] سياسيين من الاتجاهات كافة، ووجدت تعبيراً لها في وسائل الاعلام» (**يديعوت احرونوت**، ١٩٩٢/١١/٦). ومن الجهة الاخرى، اعرب البعض عن مشاعر الخوف والقلق ممّا سيفعله الرئيس الجديد، سواء على الصعيد المتعلّق بالتسوية السياسية لأزمة الشرق الاوسط، أو على صعيد استمرار الدعم الاميركي الاقتصادي والعسكري لاسرائيل.

تفاؤل مفرط

كان التفاؤل والسعادة والشماتة من نصيب الاكثرية، خاصة صبيحة الانتخابات وخلال الايام الاولى التي تلتها. ففي تعليقه على انتخاب كلينتون، لم يستطع رئيس الوزراء الاسرائيلي السابق، وزعيم الليكود، اسحق شامير، اخفاء مشاعر السعادة بسقوط «عدوه» الرئيس جورج بوش، بينما اتخذ رئيس الوزراء الحالي، اسحق رابين، موقفاً «حيادياً»، فبعث ببرقية تهنئة الى كلينتون على انتخابه معرباً له عن «أمله في استمرار العلاقات الخاصة بين البلدين والشعبين، وان تحظى هذه العلاقات بدفعة جديدة من اجل سلام العالم الحر، بزعامة اميركا، ومن اجل سلامة وأمن اسرائيل» (**هآرتس**، ١٩٩٢/١١/٥)، كما بعث ببرقية شكر الى بوش على «دوره في تنمية العلاقات الجيدة بين اميركا واسرائيل، وعلى مساهمته في ذلك» (**المصدر نفسه**). لكنه قال في تعليق آخر انه «متلما في اسرائيل، كذلك في الولايات المتحدة الاميركية، كانت ارادة الشعب هي التغيير» (**دافار**، ١٩٩٢/١١/٦). وكان وزير خارجيته، شمعون بيرس، أكثر حدة من ذلك بقوله ان «الناخب الاميركي ارسل بوش وبيكر وبقية رجال الادارة الى البيت، ليس بسبب الفاظهم النابية وعجرفتهم وتعاليهم، ولا بسبب سياستهم الوقحة المعادية لاسرائيل والسامية، بل لأن رغبتهم بوضع اسرائيل في مكانها أعمت عيونهم عن رؤية احتياجات الاقتصاد الاميركي» (**المصدر نفسه**، ١٩٩٢/١١/٩).

وكانت الفرحة أكبر وأوسع في أوساط الجالية اليهودية في اميركا واللوبي الصهيوني هناك «ايباك»، وذلك لنفوذهم الواسع في الحزب الديمقراطي، خصوصاً، وفي الحياة السياسية الاميركية عموماً. فقد حصل كلينتون على ٨٥,٥ بالمئة من أصوات اليهود هناك. وهي أصوات ذات اثر شبه حاسم في الولايات المهمة، كما حصل على دعم شامل من اللوبي الصهيوني. لذا، ففور نجاح كلينتون، قال مدير عام لجنة رؤساء المنظمات اليهودية، مالكوم هونلاين، انهم «ينتظرون وفاء [كلينتون] بوعوده تجاه اسرائيل، وان يكون رئيساً مؤيداً [لها]». وكان قادة يهود آخرون أكثر وضوحاً بقولهم «انه مدين لنا الآن» (**يديعوت احرونوت**، ١٩٩٢/١١/٤). واضطر رئيس «ايباك»، دافيد شتاينر، للاستقالة من منصبه بعد الكشف عن تبجحاته بشأن علاقاته الوثيقة مع كلينتون، وقوله ان مجموعة الضغط المؤيدة لاسرائيل تجري مفاوضات مع الرئيس الجديد حول المرشحين لمنصبي وزير الخارجية ومستشار الامن القومي في ادارته، وان لديها ١٢ شخصاً في الهيئة الرئيسة المحيطة بكلينتون سيحصلون على وظائف هامة (**دافار**، ١٩٩٢/١١/٥).

ووصف المعلّق السياسي في صحيفة «هآرتس»، يوئيل ماركوس، هذا الاحساس بقوله انه «ينتقل

من قلب لآخر بين اليهود... [و] يتمثل في ان سقوط بوش هو يوم الثأر وتسديد الحساب...ان يهود اميركا لم يغفروا له ثورات غضبه المناهضة للسامية، وبالذات أقواله التي ألقت بظلال من الشك حول ولائهم لاميركا، واستهدفت القضاء على قوتهم ونفوذهم... لقد رأيت في ليلة هزيمة بوش كثيرين من اليهود السعداء» (**هآرتس**، ٦/١١/١٩٩٢).

واستطرد ماركوس قائلاً: «ليس هناك ما يدعو اسرائيل الى الاسف على سقوط بوش، حيث كانت ادارته تجافي اسرائيل... صحيح ان بوش لم يوقف المعونات لاسرائيل، وبعد ان كدّر أرواحنا منحنا ضمانات القروض، ولكن على الصعيد السياسي، ونتيجة للتحالف الذي عقده مع الدول العربية لتأمين مصادر النفط العربي، تبنّى تماماً الموقف العربي بوجوب انسحاب اسرائيل الى حدود العام ١٩٦٧، وذلك كمكافأة على عدم نجاح الدول العربية في القضاء على اسرائيل. ولو فاز بوش لكان سيعمل بشكل عدواني، بما في ذلك وقف المعونات والضمانات لاجبارنا على الانسحاب حتى حدود العام ١٩٦٧، من دون ان تكون لديه المخاوف التي تصاحب أي رئيس في فترة ولايته الرئاسية الاولى، والذي يحتاج الى اعادة انتخابه» (**المصدر نفسه**).

من جهته، أضاف زميله دانيال بلوخ سبباً آخر لهذه النشوة حيث ان «معظم المرشحين لمناصب الشؤون الخارجية والدفاع والاستخبارات ايجابيون بالنسبة لاسرائيل»، لكنه استدرك قائلاً: «من الصعب الافتراض ان ادارة كلينتون ستحيد، بشكل جوهري، عن السياسة المعلنة للولايات المتحدة الاميركية منذ جونسون وحتى بوش، والتي بناء عليها ينبغي على اسرائيل، في اطار اتفاقات سلام كامل وترتيبات أمنية كافية، الانسحاب على مراحل الى حدود العام ١٩٦٧ بتعديلات طفيفة، باستثناء موضوع القدس الذي يعتبر موضوعاً مستقلاً. ولكن هناك فرق بين الادارات الاميركية المتعاقبة من حيث وتيرة التقدم... ومدى الاستعداد للضغط على الاطراف... وبقدر ما يمكننا التنبؤ به، فإن ادارة كلينتون سترغب في ايجاد التوازن الصحيح بين التقدم السياسي، وبين الحفاظ على الاحتياجات الامنية الحيوية لاسرائيل» (**دافار**، ٦/١١/١٩٩٢).

وربما يكون هذا التوازن هو جوهر «الخلاف» الاسرائيلي ـ الاميركي. ففي آخر مقابلة صحفية مع شامير قبل الانتخابات الاسرائيلية الاخيرة، قال زعيم الليكود... انه «لم يكن هناك أي شذوذ في سياسة بوش تجاه الشرق الاوسط، ذلك ان الرؤساء الاميركيين كافة منذ ١٩٦٧، اعتقدوا بأنه ينبغي على اسرائيل الانسحاب من المناطق [المحتلة] كافة. لكن المشكلة مع بوش هي اصراره على تطبيق هذه السياسة المعلنة للولايات المتحدة الاميركية... وعليه فإن آمال اليمين بنجاح كلينتون تستند الى الافتراض بأن الرئيس الجديد سيعبّر عن صداقته لاسرائيل بواسطة الجلوس على جدار النزاع بينها وبين العرب» (**هآرتس**، ٥/١١/١٩٩٢).

وكان لتصريحات كلينتون المؤيدة لاسرائيل، في اثناء الحملة الانتخابية، اثر كبير في بث هذه الاجواء من الفرح. فقد جاء في بيان اصدره قبل الانتخابات انه «على قناعة بأن اميركا واسرائيل شريكتان في علاقة خاصة، ترتكز على قيم ومصالح مشتركة، وبأنه لا ينبغي التخلي عن تعهداتنا لاسرائيل، والابقاء على المستويات الحالية من المعونة العسكرية والاقتصادية لها... التي تجسد التزامنا بأمن اسرائيل وسيادتها... والوفاء بتعهدات اميركا بشأن التفوق النوعي لاسرائيل على أعدائها... وضمان المحافظة على استمرارية مسيرة السلام وعدم الضغط على اسرائيل لتقديم تنازلات من جانب واحد... والانهاء الفوري للمقاطعة [العربية] غير القانونية لاسرائيل... والحد من انتشار أسلحة الدمار الشامل والاسلحة الاخرى... وتقديم يد العون في تأمين سلامة اسرائيل، وضمان قدرتها على الدفاع عن نفسها ضد هذه الاسلحة...» (**يديعوت احرونوت**، ٢/١١/١٩٩٢).

وعزّز من هذه المشاعر، أيضاً، التزامات كلينتون باعطاء الاولوية للقضايا الاقتصادية والاجتماعية على القضايا المتعلقة بالعلاقات الخارجية، ممّا يسعد اليمين الاسرائيلي الذي دخل المسيرة السياسية مكرهاً. فهؤلاء يعلمون انه بدون تدخّل الولايات المتحدة الاميركية، بشكل حقيقي وملموس، ينتفي الشرط الاهم، وربما الوحيد، لمواصلة المسار. وبدونه «تكون هناك احتمالات كبيرة لتمييعه في المستقبل القريب. ففي نهاية الامر

ما أسهل ان نوقف المسيرة، وبالذات إذا كان من الممكن القاء المسؤولية في ذلك على الطرف الآخر» (ران كسليف، **هآرتس**، ١٩٩٢/١١/٩).

وأضاف ماركوس نقطة أخرى لصالح اسرائيل تتعلق بكون الحزب الديمقراطي وكلينتون والمحيطين به يفضلون الدول الديمقراطية على الدول الديكتاتورية، الامر الذي يضمن لاسرائيل تفوّقاً مسبقاً (**هآرتس**، ١٩٩٢/١١/٦).

وزاد من اطمئنان المتفائلين حقيقة انه، على الرغم من المخاوف الكبيرة، من غير المتوقع حدوث تحول في موقف الكونغرس تجاه اسرائيل. فحتى بعد التغييرات الكبيرة فيه ليس هناك نواب يمكن وصفهم بمعادين لاسرائيل، علاوة على ارتفاع عدد النواب اليهود فيه (**دافار**، ١٩٩٢/١١/٦).

ورأى اوري نير، ان الانقلاب في الادارة والكونغرس سيعطي دفعة قوية جداً لاتجاهات التحول في العلاقات الاميركية ـ الاسرائيلية، التي بدأت تظهر في اواخر عهد بوش، وتلقت دفعة قوية بعد الانقلاب في اسرائيل. فنتائج الانتخابات في الولايات المتحدة الاميركية ستدعم موقف رابين بشأن الاطار الذي ينبغي، من خلاله، ادارة العلاقات بين الجانبين. فرابين لم يكن، على الاطلاق، من مؤيدي الاستراتيجية الداعية الى استغلال التوتر القائم بين البيت الابيض والكونغرس. وفي عهد حكومات الليكود، وخاصة خلال السنوات الاربع الاخيرة، طورت حكومة اسرائيل هذه الاستراتيجية التي سببت اضراراً فادحة لاسرائيل واللوبي اليهودي هناك، الى درجة خلق عداء كبير في بعض أوساط الكونغرس لاسرائيل، حيث وصف زعيم الاقلية الجمهورية، بوب دول، الوضع بقوله ان «الذّنب أصبح يعض الكلب»، وهي استراتيجية أثارت حفيظة بوش أيضاً (**هآرتس**، ١٩٩٢/١١/١١).

ولخّص دانيال بلوخ، مواقف المتفائلين والسعداء بقوله: «ان انتخاب كلينتون جيد لاميركا، وجيد للمجتمع الدولي، وجيد لاسرائيل والشرق الاوسط. وليس لدينا أي سبب للحزن على وداع جورج بوش» (**دافار**، ١٩٩٢/١١/٦). واتفق معه في الرأي السفير الاميركي السابق في اسرائيل، صموئيل لويس، إذ قال: «سيكون كلينتون مفيداً لاميركا، ولاسرائيل وللعلاقات بيننا. بالطبع ستكون مناوشات واحتكاكات لا يمكن تلافيها، لكنني اتوقع، بتفاؤل، بأن تقيم حكومة رابين وادارة كلينتون علاقات عمل حميمة ومثمرة، ستجد لها مدى كبيراً من الاسس المشتركة...» (**يديعوت احرونوت**، ١٩٩٢/١١/٥).

حذر وتحفظ

لكن مشاعر الفرح والاغتباط والتفاؤل ما لبثت ان تراجعت بعض الشيء لتحل محلها، تدريجياً، تقديرات أكثر واقعية تميل الى الحذر والتحفظ. فأشارت بعض هذه التحليلات والتعليقات الى ان سياسة الادارة الجديدة ستكون متماثلة مع سابقتها، بينما أشار البعض الآخر الى انها ربما تكون أسوأ بالنسبة لاسرائيل. فقد جاء في تقرير طويل بعث به السفير الاسرائيلي في واشنطن، زلمان شوفال، انه «بالامكان التوقع ان تكون العلاقات بين الولايات المتحدة الاميركية واسرائيل، على الصعيد المبدئي، في عهد كلينتون أقوى من أي عهد مضى... [لكن] هذا لا يعني ان اسرائيل ستعتبر دائماً على حق وفي جميع القضايا». وفي تقديره، ستتركز نقاط الاحتكاك بين الطرفين على الحساسية التي ستبديها الادارة تجاه موضوع حقوق الانسان في المناطق [المحتلة] والمسائل المتعلقة بنزع أسلحة الدمار الشامل من الشرق الاوسط. وحذّر شوفال من التقديرات السائدة التي مفادها ان كثرة اليهود العاملين مع كلينتون ستسهل الامر على اسرائيل بقوله ان «الادارة الجديدة ستبذل جهداً لخلق توازن في السياسة تجاه العرب والفلسطينيين في ابداء التأييد لمواقفهم» (**يديعوت احرونوت**، ١٩٩٢/١١/١٨). بل ان «هناك شعوراً في واشنطن بأن كلينتون ورجالاته سيحاولون، الآن، التحرر من 'عناق الدب' للمنظمات اليهودية. ففي الاشهر القريبة المقبلة، سيضطر [كلينتون] الى الاثبات انه حسّاس تجاه تمثيل شرائح المجتمع والاقليات الاثنية في المجتمع الاميركي كافة. وهذا، بحد ذاته، ليس في مصلحة اليهود الذين يتجاوز عددهم في أوساط الدوائر القريبة من الرئيس، وبما لا يقارن، نسبتهم من عدد السكان» (**المصدر نفسه**).

وشدّد على ذلك، أيضاً، حامي شاليف،

فقال: «... على الصعيد السياسي من المحتمل جداً ان ما كان سوف يكون، وان سياسة كلينتون سوف تكون شبيهة، إنْ لم تكن متماثلة مع سلفه، ذلك ان بوش، على الرغم مما يقوله شامير، لم ينتهج سياسة شرق أوسطية قائمة على اعتبارات عاطفية، بل مستندة الى تحليل منطقي وبارد للمصالح الاميركية. ومن المرجح جداً ان يتصرف كلينتون على هذا النحو... ربما يشدد أكثر على حقوق الفلسطينيين... ربما يبدي تأييداً أكثر حرارة لاسرائيل، ولكن في نهاية الامر سيكون من الصعب تلمّس الفرق...» (**دافار**، ٦/١١/١٩٩٢).

ولخّص المعلّق السياسي في «يديعوت احرونوت»، يشعياهو بن بورات، الموقف من نجاح كلينتون وهزيمة بوش وما رافقه من ردود فعل اسرائيلية ويهودية بقوله: «يمكن الادعاء كم كان وضعنا سيئاً مع الرئيس المهزوم. ويمكن الادعاء ان ليلة الانتخابات في الولايات المتحدة الاميركية كانت كافية لتنسينا ان بوش قدم مساهمة حاسمة في فتح أبواب الاتحاد السوفياتي أمام المهاجرين اليهود، وساعدنا في هجرة يهود اثيوبيا، وأرسل جيوشه ضد [الرئيس العراقي] صدام حسين، ونجح، رغماً عنّا تقريباً، في اجلاسنا الى مائدة المفاوضات مع سوريا ولبنان والفلسطينيين، والذي على الرغم من الازمة الاقتصادية لبلده، امتنع عن تقليص المساعدات، بل ومنحنا، أيضاً، ضمانات بمبلغ خيالي بقيمة عشرة مليارات دولار...». ورأى ان من الصحيح القول «ان وثيقة كلينتون تعد بالكثير.. [لكنها] تتطابق كلمة كلمة مع سياسة الرئيس السابق. وهذا يشمل استمرار مسار السلام، والوعد بعدم الضغط علينا لتقديم تنازلات من جانب واحد، والالتزام بالمحافظة على تفوقنا النوعي، استمرار الدعم العسكري والاقتصادي، بل وحتى استمرار المساعدة في تطوير الصاروخ 'حيتس' المضاد للصواريخ... لكن كلينتون ملتزم، أكثر من ذلك، وقبل كل شيء بسياسته الداخلية، وتحسين اقتصاد بلاده... ولا يمكن معرفة كيف سيحل التناقض الحاد، بين مساعدات خارجية، بالمليارات، وبين الحاجة الملحّة لتحويل موارد لحل الازمات الداخلية...».

وأضاف، ان «هناك نقطة، اخرى تتعلق بكونه ميّالاً لاسرائيل في نظر العرب. فمن منّا يضمن ان لا يبذل الرئيس جهداً لارضاء العرب على حساب اسرائيل... لا يجوز لنا الغرق في الاوهام والنشوات القائمة على الكلام والوعود التي ليس لها ما تستند اليه بالافعال. ان صلواتنا مرفوعة لئلا يأتي يوم نترحّم على بوش» (**يديعوت احرونوت**، ٦/١١/١٩٩٢).

وعلّق اوري نير على التفاؤل من موقف الكونغرس: «المشكلة هي ان النغمة المرافقة للاعضاء الجدد ليست جيدة لاسرائيل بسبب تحفظهم عموماً من الاشتغال بالقضايا الخارجية لصالح العمل في القضايا الداخلية... سيبقى الكونغرس المقبل مؤيداً لاسرائيل... لكن المشكلة هي مدى استعداد اعضاء الكونغرس الجدد لتقديم مبادرات تشريعية مؤيدة لاسرائيل...». ويصف رجالات اللوبي اليهودي في واشنطن مهامهم الآن بالمحافظة على الموجود، أي المحافظة على ١,٢ مليار دولار سنوياً من الدعم الاقتصادي و١,٨ مليار دولار من الدعم العسكري. وعلى ما يبدو سيكون هذا هدفهم الرئيس (**هآرتس**، ١١/١١/١٩٩٢).

وردّ عكيفا إيلدار على المتفائلين بابتعاد الرئيس عن القضايا الخارجية بقوله: «بالامكان التوقع ان وزير الخارجية الجديد لن يحيد عن خط سلفه وسيتدخل بالقضايا الجوهرية... فإذا ثارت مخاوف من احتمال انفجار المفاوضات سيكون هو بالمرصاد... ان الرئيس الجديد لا يستطيع السماح لنفسه بالتعرّض للانتقادات بأنه بدّد التركة التي ورثها...» (**المصدر نفسه**، ٥/١١/١٩٩٢).

واخيراً، يبدو في ضوء التحليلات والتعليقات الاسرائيلية ان ما قدّمه وفعله الرئيس السابق وما وعد به الرئيس الجديد غير كافٍ لطمأنة الاسرائيليين أو اشباع مطالبهم، وكان المطلوب من الناخب الاميركي ارسال رئيس الى البيت الابيض يحسن ايجاد الرد الصهيوني الملائم لكل مَنْ تسول له نفسه مستقبلاً معارضة سياسات وممارسات حكومة اسرائيل. وحتى في تلك الحالة يعتمد الامر على نوع الصهيونية التي يؤمن بها ذلك الرئيس.

سمير جريس

المعتقلون يعيدون صورة الانتفاضة الأولى

أعلن أكثر من خمسة آلاف معتقل سياسي فلسطيني في السجون الاسرائيلية اضراباً مفتوحاً عن الطعام، بدأ بتاريخ ٢٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٩٢، احتجاجاً على الاوضاع الصعبة في السجون والمعتقلات الاسرائيلية. وقد أعلن المعتقلون في سجن بئر السبع وسجن النقب اضراباً مماثلاً فور تلقيهم انباء بدء الاضراب في قسم نتسان في سجن الرملة (**ميدل ايست انترناشونال**، العدد ٤٣٥، ٩/١٠/١٩٩٢). وهذا هو أوسع الاحتجاجات نطاقاً منذ الاضراب عن الطعام لمدة عشرين يوماً الذي أعلنه معتقلون وسجناء العام ١٩٨٧ (**القدس العربي**، لندن، ٧/١٠/١٩٩٢). وأبلغ محامون فلسطينيون، ان اجمالي عدد السجناء المضربين عن الطعام بلغ عشرة آلاف سجين توزعوا على عدد من السجون والمعتقلات (**المصدر نفسه**). وقد منح الاضراب، الذي استقطب أوسع حركة احتجاج شعبية، «حياة جديدة للانتفاضة التي اقتربت من انهاء عامها الخامس» (**ميدل ايست انترناشونال**، العدد ٤٣٦، ٢٣/١٠/١٩٩٢). فموجات الاحتجاج المتلاحقة دعماً وتأييداً للمعتقلين المضربين لم تنجح، فقط، في تحسين الوضع العام في الأرض المحتلة، بل وذكرت سلطات الاحتلال الاسرائيلية ان الارض المحتلة تبقى قابلة للانفجار (**المصدر نفسه**).

منذ بدايته، حاولت مصادر عسكرية اسرائيلية الصاق الصفة السياسية بالاضراب، وأنه تمّ بتنسيق مع نشطاء الانتفاضة وباملاء من خارج الارض المحتلة (**القدس العربي**، ٢ و١٩/١٠/١٩٩٢). غير ان المضربين عن الطعام أوضحوا عبر مذكرات وبيانات تفصيلية حول خطوتهم هذه، أكدت ان جميع مسبباتها تتعلّق بأوضاعهم الحياتية اليومية وظروف اعتقالهم التي وصفت بأنها لم تعد تحتمل أو تطاق؛ وان قدرة الانسان العادي على احتمالها أصبحت غير ممكنة بعد أن قامت سلطات الاحتلال الاسرائيلية بتنفيذ خطة مبرمجة سحبت، في ضوئها، الانجازات كافة، التي كان السجناء والمعتقلون حققوها عبر نضالات شاقة ومريرة، ومن خلال استشهاد عدد من زملائهم على امتداد السنوات الماضية (**المصدر نفسه**، ٢/١٠/١٩٩٢). فيما تصر سلطة خدمات السجون على التعامل مع المعتقلين الامنيين على قدم المساواة مع الآخرين المتهمين بجرائم اغتصاب وبعمليات قتل وجرائم مدنية، نافية الحوافز الوطنية التي كانت وراء أنشطتهم (اوري افنيري، «اسحق رابين لم يعالج اضراب المعتقلين بحكمة»، **القدس العربي**، ١٩/١٠/١٩٩٢؛ نقلاً عن **معاريف**، ١٥/١٠/١٩٩٢).

وتقدّم المعتقلون بثمانية وعشرين مطلباً سلمت الى ادارة السجون وتضمّنت تمديد فترة لقائهم بعائلاتهم في خلال الزيارات؛ وتحسين نوعية الطعام المقدم لهم؛ والغاء أقسام العزل الانفرادي والجماعي؛ والسماح بادخال الكتب والصحف والمجلات؛ وتقديم العلاج اللازم للمرضى؛ وزيادة ساعات الفورة؛ وتحسين الشروط الصحية من تهوية عنابر وانارة ومياه وغيرها (**المصدر نفسه**، ٢/١٠/١٩٩٢). وأكد المضربون، ان سلطات السجون وضعت مئة وثلاثين من زملائهم في زنازين انفرادية ولشهور عدة، لم يغادرها بعضهم منذ اعتقاله (**ميدل ايست انترناشونال**، **مصدر سبق ذكره**، ٢٣/١٠/١٩٩٢). يُذكر ان الزعيم الروحي لـ «حماس»، الشيخ احمد ياسين، موجود في سجن انفرادي، حيث ينفّذ حكماً بالسجن مدى الحياة (**القدس العربي**، ٢٣/١٠/١٩٩٢). وفي سياق محاولتهم توسيع دائرة التأييد لمطالبهم، وجّه المعتقلون المضربون رسائل الى كل من قداسة الحبر الاعظم، يوحنا بولص السادس؛ والى السكرتير العام للأمم المتحدة، بطرس بطرس غالي، طالباهما التدخل السريع لانقاذ المضربين والضغط على السلطات

الاسرائيلية لتحقيق مطالبهم (**المصدر نفسه**، ٢/١٠/١٩٩٢).

أدّت حركة الاضراب عن الطعام الى «احياء المظاهر الجماعية للانتفاضة» (افنيري، **مصدر سبق ذكره**، ١٩/١٠/١٩٩٢). فقد نظّم المواطنون في قطاع غزة اضراباً لمدة يوم واحد تأييداً للسجناء؛ وتوقف المحامون في القطاع عن العمل في المحاكم العسكرية الاسرائيلية لمدة يومين؛ وأُجريت مسيرات ضمّت أكثر من خمسمئة من المحامين والمهندسين والاطباء باتجاه مقر الصليب الاحمر الدولي في مدينة غزة. وأعرب المشاركون عن تضامنهم مع المعتقلين. وذكر نقيب المحامين، فريح أبو مدين، ان المسيرة توجّهت، بعد ذلك، الى مبنى «الادارة المدنية»، وسجن غزة المركزي، حيث طاف الجميع حول السجن في مسيرة صامتة وقد ارتدوا «الارواب» السوداء قبل أن يعودوا ثانية الى مقر الصليب الاحمر (**القدس العربي**، ٦/١٠/١٩٩٢).

من جهة أخرى، عقد بعد ظهر ٤/١٠/١٩٩٢ مؤتمراً صحافياً في مقر الصليب الاحمر في غزة، وتحدث رئيس الوفد الفلسطيني الى مفاوضات السلام، د. حيدر عبدالشافي، في حضور عدد من الصحفيين، وطالب السلطات الاسرائيلية بتطبيق اتفاقية جنيف الرابعة بحق المعتقلين الفلسطينيين؛ كما طالب الهيئات الدولية والمؤسسات الانسانية بالتضامن مع المعتقلين. وبعث رئيس بلدية بيت لحم، الياس فريج، ببرقية الى وزير الشرطة الاسرائيلية، موشي شاحال، ناشده فيها الاستجابة لمطالب السجناء الامنيين. وأعرب فريج عن خشيته من تفاقم الوضع في السجون، ما لم تقم السلطات الاسرائيلية باجراءات سريعة لحل المشكلة (**المصدر نفسه**). في هذه الاثناء، نفّذت الاطر النسوية وأمهات المعتقلين والشخصيات الوطنية والنقابية والطلابية وأعضاء في بلدية نابلس وادارة غرفتها التجارية وجمع غفير من المواطنين اعتصاماً في مقر الصليب الاحمر الدولي في المدينة. وقد حاصرت قوات من جيش الاحتلال المنطقة ومنعت النساء من الخروج في مسيرة تضامنية، واكتفت بالسماح لهن بالخروج والمشاركة في اعتصام نُفّذ في مقر البلدية. وكانت المحال التجارية في مدن بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور أغلقت ابوابها بتاريخ ٤/٩/١٩٩٢، لمدة ساعتين تضامناً مع المعتقلين (**المصدر نفسه**). الى ذلك، امتدت حركة الاحتجاج والتضامن لتشمل جميع النقابات والمؤسسات والهيئات الشعبية والثقافية والاعلامية. وفيما سمحت الشرطة الاسرائيلية بتظاهرات ومسيرات سلمية تضامنية في مدينة القدس، واصل الجيش الاسرائيلي استخدام القوة في محاولة لكسر عمليات الاحتجاج المتصاعدة (**ميدل ايست انترناشونال**، العدد ٤٣٥، ٩/١٠/١٩٩٢).

لم تقتصر حركة الاحتجاج على الفلسطينيين في مناطق الضفة والقطاع، بل امتدت لتشمل مناطق الـ ١٩٤٨. فقد قامت جمعية «اصدقاء المعتقل والسجين» في مدينة الناصرة، بمساندة من مركز احياء التراث العربي في بلدة الطيبة، برعاية اعتصام نفّذته أمهات وزوجات وأقارب المعتقلين من هذه المناطق. وأصدرت الجمعية بياناً أعلنت فيه التزامها تلبية نداء أسرى الحرية الفلسطينيين. وتوجهت، من جانبها، الى لجنة المتابعة العليا والقوى السياسية العربية للقيام بأنشطة تضامنية (**الهدف**، دمشق، العدد ١١٢٠، ١١/١٠/١٩٩٢).

في الاسبوع الاول للاضراب، استمع مجلس الوزراء الاسرائيلي الى تقرير عن الاضراب، غير انه قرر عدم التفاوض مع المعتقلين في ظل تواصل اضرابهم (**القدس العربي**، ٦/١٠/١٩٩٢). غير ان وزير الشرطة الاسرائيلية، موشي شاحال، وعد، فيما بعد، بدراسة مطالب السجناء، ولكنه اشترط بدوره انهاء الاضراب اولاً (**المصدر نفسه**، ٧/١٠/١٩٩٢).

وعقد يوم الثلاثاء (١٣/١٠/١٩٩٢)، اجتماعاً ضمّ موشي شاحال ولجنة المحامين العرب في القدس خصّص لمناقشة مطالب المضربين. وكانت مفاوضات أُجريت مع السجناء في سجن جنيد تمّ التوصل، في خلالها، الى اتفاق تضمّن النقاط التالية:

- تتعهّد مديرية السجون العامة بعمل كل ما وسعها لتحسين شروط الحياة في المعتقلات.
- إقامة لجنة مختصة من مديرية السجون لبحث الاوضاع، بصورة تفصيلية، في السجون عامة، وفي السجون الامنية بصورة خاصة.
- تقصير فترات انتظار العمليات الجراحية

للمرضى من المعتقلين.

○ تحسين ظروف زيارات أهالي المعتقلين، بما في ذلك مدة الزيارة وعدد الزيارات المسموح بها.

○ السماح للمعتقلين بمشاهدة قناتي التلفزة الاردنية والسورية.

○ السماح للمعتقلين الذين تربطهم أواصر قربى بالتواجد في القسم أو الغرفة نفسها في المعتقل (**القدس العربي**، ١٣/٧/١٩٩٢).

وفي وقت لاحق، ذكرت التلفزة الاسرائيلية ان المعتقلين حصلوا، بعد مفاوضات، على بعض مطالبهم ذات الطابع الانساني، الاّ ان ادارة السجون رفضت تقديم أي تنازل في ما يتعلّق بالمسائل الامنية، وعلى الأخص المطلب المتعلّق بانهاء السجن الانفرادي لحوالى مئة سجين؛ والافراج عن كبار السن من المعتقلين المحكومين بالسجن المؤبد (**المصدر نفسه**).

في تقديره لنتائج المعركة التي خاضها المعتقلون الفلسطينيون، كتب مصدر اسرائيلي، انه «لا يمكن تجاهل حقيقة ان السجناء حققوا انجازاً حقيقياً تحت ضغط الاضراب عن الطعام. لقد أثبت الانضباط الكامل للسجناء وقادتهم في مختلف السجون والتنسيق مع جهات فلسطينية في الداخل وفي الخارج انها أسلحة فعّالة ومؤثرة... ولا حاجة للتكهن ان [ما تمّ] سيعزّز مواقف السجناء ومطالبهم، ويصح الاعتقاد ان هذه المطالب سوف تزداد مستقبلاً»؛ وأضاف المصدر مستخلصاً «ان التوازن اختلّ داخل المعتقلات الامنية لصالح السجناء وضد الادارة والسجّانين. فقد بات قادة السجناء يفرضون نمط الحياة في المعتقلات؛ ويعرفون انه يمكن تخطي ادارة السجون ومدير مصلحتها (رؤوفين شابيرا، «المفاوضات مع السجناء لا يجب ان تجرى تحت الضغط والتهديد»، **القدس العربي**، ٢٤/١١/١٩٩٢؛ نقلاً عن **هآرتس**، ٢٢/١١/١٩٩٢). وكتب آخر: لقد استخدم الفلسطينيون «الورقة الوحيدة» في أيديهم «حقوقهم الانسانية» التي تعد ورقة قوية. ولقد أكد الفلسطينيون على حقوق الانسان «لأنها غير متناقضة، ولا تتعارض مع مطالبهم؛ وبسبب الالتزام الدولي غير المشروط تجاه هذه الحقوق. وهذه وسيلة لتحقيق أهداف ذات قيم أخلاقية رفيعة. فبالاشارة الى تجاوزات اسرائيل للقانون الدولي [استطاعوا] ربط حقوق الانسان مع القضايا السياسية، مثل [رفض] اسرائيل تطبيق قراري مجلس الامن الدولي ٢٤٢ و٣٣٨ اللذين يساويهما الفلسطينيون بتجاوزات حقوق الانسان»... «لقد استطاع المعتقلون التأثير في الرأي العام الفلسطيني من خلف القضبان وناشدوا الرأي العام العالمي الضغط على اسرائيل في هذا الشأن» (جون ايمانويل، «الفلسطينيون يرفضون فصل حقوق الانسان عن اهدافهم السياسية»، **جيروزاليم بوست**، ٤/١٠/١٩٩٢).

عودة الى التعيين

تجددت الدعوة الى تشكيل مجلس اداري في مدينة غزة، في أعقاب الاعلان عن اتفاق مبدئي تمّ التوصل اليه بين مختلف القوى السياسية الفلسطينية في المدينة. وكان المحامي، فايز ابو رحمة، أجرى محاولة في هذا الاتجاه، غير انه واجه صعوبات كبيرة حالت دون اتمامها. فقبل عام، تقريباً، أعلنت مصادر في «الادارة المدنية»، ان الادارة باشرت حواراً مع شخصيات من غزة أبدت استعداداً تقنياً لاعادة تشكيل المجلس البلدي؛ وانها تلقّت موافقة أولية من قبل عدد من الشخصيات التي حاورتها (**الحياة**، لندن، ١٩/١١/١٩٩٢). وكانت سلطات الاحتلال الاسرائيلية أقالت معظم رؤساء وأعضاء المجالس البلدية المنتخبة في الارض المحتلة في بداية الثمانينات، وبضمنها المجلس البلدي في غزة برئاسة، رشاد الشوا، على خلفية تأييد المجلس لمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً وحيداً للشعب الفلسطيني، ورفضه التعاون مع اجهزة الادارة المدنية الاسرائيلية (**القدس العربي**، ٢٦/١٠/١٩٩٢). في حينه، أوضح ابو رحمة، الذي اعتبر الوحيد الذي تبنّى خطوة التعيين للمجلس البلدي، بصورة علنية، ان النقاش حول الفكرة بدأ في أيار (مايو) ١٩٩١. وأكد انه حصل، رسمياً، في آب (اغسطس) ١٩٩١ على موافقة الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، وباشر اتصالاته على هذا الاساس (**الحياة**، **مصدر سبق ذكره**،

١٩/١١/١٩٩٢). وقال ابو رحمة، ان دافعه ينبع من الحرص على التغلّب على الصعوبات الكبيرة والمعاناة الثقيلة التي يعاني منها سكان غزة البالغ عددهم مئتي ألف نسمة بسبب غياب المجلس البلدي، وانعدام الخدمات العامة والمشاريع والميزانيات (القدس العربي، **مصدر سبق ذكره**، ٢٦/١٠/١٩٩٢). غير ا ن مواقف بعض القوى الفلسطينية جمّد خطوة ابو رحمة في حينه، فقد طالبت «حماس» بعدد من المقاعد مساوٍ ما سيعطى لـ «فتح» في المجلس من أصل ١٧ مقعداً. ودعت جميع الفصائل والقوى الفلسطينية الى «افشال سياسة العدو في تعيين اعضاء للمجالس البلدية؛ وادانة أي طرف فلسطيني يوافق على ذلك» (**القدس العربي**، ٢٣ و٢٤/١١/١٩٩٢؛ **والحياة**، ٢/١٢/١٩٩٢). كذلك واجهت دعوة ابو رحمة، في حينها، معارضة قوية من جانب الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، التي خطّ أنصارها على جدران بعض البيوت في غزة شعارات تحذيرية، حملت تهديدات لكل مَنْ يقبل التعيين في المجلس البلدي (**الحياة**، ٢٤/١١/١٩٩٢). امّا أوساط الوفد الفلسطيني الى مفاوضات السلام فقد انتقدت الخطوة. وقال بعض أعضاء الوفد أنه من السابق لأوانه الدخول في مشاريع من هذا النوع (**المصدر نفسه**). وفي مواجهة هذه الحملة المعارضة طوى ابو رحمة الحديث وتمّ تجميد التحرك في هذا الاتجاه.

ومع تجدد الاحاديث عن المجلس البلدي، أكدت اوساط فلسطينية في غزة ان فكرة تشكيل مجلس بلدي باتت حقيقة واقعة؛ وان غالبية ممثلي الفصائل الفلسطينية في المدينة متفقة على الفكرة، وان الخلافات السابقة تلاشت، ولم يبق سوى الاتفاق على توزيع المقاعد. وتوقّعت المصادر ان يصار الى حل هذه المسألة وتجاوز عقدتها. كما أشارت الى تزايد تأييد القيادة الفلسطينية لجهود تشكيل مجلس بلدي، وان اعضاء الوفد المفاوض لم يعودوا يعارضون هذه الخطوة (القدس العربي، **مصدر سبق ذكره**، ٢٦/١٠/١٩٩٢). الّا ان التلفزة الاسرائيلية التي أعلنت عن التوصل الى اتفاق على تشكيل مجلس بلدي يضم ممثلين عن الفصائل الفلسطينية بما فيها «فتح» و«حماس» وحزب الشعب، عادت ونفت بلسان د. محمود الزهار، المقرب من «حماس» وجود اتفاق كهذا. وأكد عدم علمه بما يتعلق بتوزيع مقاعد المجلس أو ذكر لأسماء اعضائه. كما نفى ناطق باسم حزب الشعب، استناداً الى التلفزة الاسرائيلية اشتراك أي من أعضائه في تشكيل المجلس (**المصدر نفسه**).

فوز ساحق

على صعيد آخر، أُجريت في جامعة بيرزيت الانتخابات لمجلس الطلبة في ١٣/١١/١٩٩٢، وأسفرت عن فوز فصائل م.ت.ف. بمقاعد المجلس وعددها تسعة، والاستئثار بـ ٦٦ بالمئة من أصوات الناخبين (**فلسطين الثورة**، نيقوسيا، العدد ٩١٦، ٢٩/١١/١٩٩٢).

وكان تنافس على مقاعد المجلس ثلاث كتل هي «التحالف الوطني» وضمّت الشبيبة الطلابية (فتح) وجبهة العمل الطلابية (الجبهة الشعبية) والوحدة الوطنية (الجبهة الديمقراطية)؛ و«الكتلة الاسلامية» (حماس) وكتلة «الجماعة الاسلامية» (الجهاد الاسلامي). وجاءت النتائج كما يلي: ابراهيم خريشة (سكرتيراً عاماً) وحصل على ١٣٦٨ صوتاً؛ خالد عليان (اللجنة الثقافية) ١٣٣٢ صوتاً؛ احمد حمارشة (اللجنة الفنية) ١٣٤٧ صوتاً؛ رأفت سعدالله (اللجنة المالية) ١٣٢٨ صوتاً؛ ايمان الحموري (لجنة العمل التعاوني) ١٣٢٤ صوتاً؛ غادة الوحيدي (اللجنة الاجتماعية) ١٣٤٣ صوتاً؛ ياسر شلبي (لجنة الكافتيريا) ١٣٣٩ صوتاً؛ خليل العانيني (لجنة التخصصات) ١٣٤٢ صوتاً؛ فهمي الزعارير (اللجنة الرياضية)، وحصل على ١٣٤١ صوتاً (**القدس العربي**، ١٤ ـ ١٥/١٠/١٩٩٢). أمّا مرشحو «الكتلة الاسلامية» فقد حصلوا على الاصوات التالية: فخري صباح ٦٧٠ صوتاً؛ عبدالحميد مناصرة ٦٩٨؛ أديب زيادة ٧١٣؛ احمد سعيد ٦٨٧؛ جودت خليل ٧٠٢؛ اسامة حماد ٧٢٤؛ عدنان ابو دية ٧١٠؛ حسين السلك ٦٦٩؛ زياد قاسم ٧٠١. كما حصل مرشحو «الجماعة الاسلامية» على النتائج التالية: محمد عبدالمجيد الكواملة ٤٧ صوتاً؛ حسين عبدالله بدر ٤٧؛

صالح علي عبيد وإياد ابو غالي ٥٤ صوتاً لكل منهما (فلسطين الثورة، **مصدر سبق ذكره**، ١٩٩٢/١١/٢٩).

ولاحظ المراقبون تقدم مرشحي «حماس» على مستوى النفوذ داخل جامعة بيرزيت، قياساً بنفوذها السابق كما انعكس من خلال آخر انتخابات طلابية أُجريت في الجامعة قبل خمس سنوات، وفازت، في حينه، كتلة الشبيبة الطلابية بجميع مقاعد مجلس الطلبة (**القدس العربي**، ١٤ ـ ١٩٩٢/١٠/١٥). كما لوحظ حصول مرشحي «حماس» على خمسين بالمئة من الاصوات التي حصل عليها الفائزون وبعض مرشحيها تجاوز هذه النسبة.

ربعي المدهون

بيان المجلس المركزي الفلسطيني

أسس التحرك في المرحلة المقبلة

[عقد المجلس المركزي الفلسطيني دورة اجتماعات في الفترة من الخامس عشر الى السابع عشر من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٩٢، في مدينة تونس العاصمة برئاسة رئيس المجلس الوطني الفلسطيني، الشيخ عبدالحميد السائح، وبحضور الاخ رئيس دولة فلسطين، رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، ياسر عرفات، كما شارك رئيس الوفد الفلسطيني المفاوض، د. حيدر عبدالشافي، ورئيس لجنة التوجيه، الاخ فيصل الحسيني، وعدد من أعضاء الوفد الفلسطيني المفاوض، وأصدر البيان التالي]:

قرر المجلس أسس التحرك وسبله في المرحلة المقبلة، بما يلي:

اولاً: على صعيد مسيرة عملية المفاوضات

١ ـ يؤكد المجلس تمسّكه الحازم بالشرعية الدولية وقرارات الامم المتحدة ذات الصلة بالقضية الفلسطينية كمرجع لمسيرة العملية السياسية الجارية على أرضية مبدأ الأرض [في] مقابل السلام لضمان الحقوق الوطنية والسياسية للشعب الفلسطيني طبقاً للشرعية الدولية، بما فيها حقه في العودة وتقرير المصير وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف وصولاً الى الكونفدرالية الفلسطينية ـ الاردنية، طبقاً للخيار الطوعي والحر للشعبين الشقيقين.

٢ ـ التمسّك بتطبيق القرار ٢٤٢ الذي ينصّ على عدم جواز الاستيلاء على أراضي الغير بالقوة والعدوان، ويفرض على العدو الاسرائيلي الانسحاب الكامل من جميع الاراضي العربية والفلسطينية المحتلة بما فيها القدس الشريف وان ينطبق، منذ البداية، على جميع المراحل.

٣ ـ التمسّك بقواعد القانون الدولي واتفاقية جنيف الرابعة للعام ١٩٤٩، وقرارات الامم المتحدة التي تكفل حماية حقوق المواطن الفلسطيني تحت الاحتلال والتي تعتبر المستوطنات انتهاكاً لمبادىء القانون الدولي. ان التزام الولايات المتحدة [الاميركية] بتعهداتها يحمّلها مسؤولية العمل على الوقف الفوري للاستيطان، وازالة المستوطنات القائمة كونها تشكّل عقبة في طريق السلام الشامل والدائم، وان المجلس المركزي الفلسطيني يرفض التصنيفات الاسرائيلية للمستوطنات بين سياسية وأمنية.

٤ ـ التمسّك بأن الشعب الفلسطيني هو مصدر السلطات والصلاحيات، وان المرحلة الانتقالية للسلطة الفلسطينية هي محطة قصيرة ومؤقتة على طريق الهدف النهائي، يمارس فيها شعبنا حقه في اجراء انتخابات سياسية تشريعية حرة، ويتمّ نقل السلطة تحت الحماية والاشراف الدوليين الذي يضمن السيادة المطلقة للشعب الفلسطيني على أرضه بما فيها القدس وجميع مصادره الطبيعية. ويؤكد رفضه للمشروع الاسرائيلي للحكم الاداري الذاتي.

٥ ـ يؤكد المجلس المركزي على مقاومة سياسات ومشاريع التوطين والتمسّك بحق العودة وفقاً لقرار الامم المتحدة الرقم ١٩٤، وعلى ربط العمل في المفاوضات متعددة [الطرف] بخطتنا في المفاوضات الثنائية وخدمتها والمحافظة على الالتزام العربي والدولي بالربط بين نتائج المفاوضات في الثنائي والمتعدد والتصدي لأية محاولة لتجاوزه نحو التطبيع مع اسرائيل قبل التزامها بالانسحاب من أرضنا المحتلة وضمان حقوقنا الوطنية التي نصّت عليها قرارات الشرعية الدولية.

٦ ـ يعتبر المجلس المركزي تراجع الولايات المتحدة [الاميركية] عن تعهداتها وموقفها من الاستيطان وعدم شرعيته وتقديمها لضمانات

القروض لاسرائيل، خطوة تهدّد مسيرة العملية السياسية الجارية.

٧ ـ يؤكد المجلس المركزي على ان قراراته السابقة هي الاساس الثابت الذي تقوم عليه المشاركة الفلسطينية في مسيرة المفاوضات. ويؤكد المجلس على ضرورة مواصلة العمل لازالة الشروط المجحفة للتمثيل الفلسطيني بحيث يكون شاملاً للداخل والخارج والقدس في كلا مساري التفاوض الثنائي والمتعدد، ودعوة الادارة الاميركية لاستئناف الحوار الاميركي ـ الفلسطيني باعتبار منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني.

٨ ـ يوجّه المجلس المركزي تحية التقدير للوفد الفلسطيني ولدوره في الدفاع الصلب عن حقوق ووحدة شعبنا داخل وخارج الارض المحتلة، ويثمّن المجلس التزام الوفد بتوجيهات وقرارات منظمة التحرير الفلسطينية.

٩ ـ مطالبة الامم المتحدة ان تأخذ دورها في عملية المفاوضات باعتبارها المرجعية لقرارات الشرعية الدولية والعمل على مشاركة اوروبا، اليابان، الصين وكندا، بشكل فاعل، في العملية السياسية الجارية.

ثانياً: على الصعيد العربي

١ ـ يؤكد المجلس المركزي على ضرورة استمرار وتكثيف التنسيق الكامل وعلى أعلى المستويات بين جميع الاطراف العربية المشاركة في المفاوضات بما يضمن وحدة الموقف العربي والتمسّك بهدف السلام الشامل وتنفيذ قراري مجلس الامن [الدولي] ٢٤٢ و٣٣٨ والقرار ٤٢٥ بكامل عناصرها على جميع الجبهات الفلسطينية والسورية والاردنية واللبنانية، والانسحاب من جميع الاراضي العربية والفلسطينية المحتلة بما فيها القدس الشريف.

٢ ـ العمل على إعادة التضامن العربي ورأب الصدع بما يخدم مصلحة أمتنا العربية والاسلامية وبذل الجهود لعقد قمة عربية لمواجهة الخطر الداهم الذي يهدّد مصير ووجود الامة العربية وحريتها واستقلالها وأمنها وثرواتها ومستقبل وجودها.

٣ ـ العمل، دولياً، على تجريد اسرائيل من أسلحة الدمار الشامل وبخاصة النووي منها، لأن هذه الاسلحة تشكل خطراً على شعوب المنطقة والسلام العالمي.

٤ ـ يعبّر المجلس عن اعتزازه بالعلاقات الخاصة المميّزة التي تربط بين شعبنا الفلسطيني والشعب الاردني الشقيق والتأكيد على تمسّك المجلس الكامل بالقرارات التي أُصدرت عن المجلس الوطني في دوراته المتعاقبة حول العلاقة المستقبلية على أساس كونفدرالية بين دولتي الاردن وفلسطين والاختيار الطوعي الحرّ للشعبين الشقيقين.

٥ ـ يؤكد المجلس تضامنه مع شعب العراق الشقيق ويرفض، بشكل قاطع، سياسة الحصار والتجويع والتهديد ضد العراق ومحاولات تقسيمه وتهديد وحدته واستقلاله. ويعلن المجلس وقوفه، بقوة وحزم، الى جانب العراق في تصديه لمحاولات المسّ بوحدة ترابه الوطني. كما يرفض المجلس المركزي السياسة العدوانية التي تمارس ضد الجماهيرية العربية الليبية وشعبها الشقيق ويدعو الى الرفع الفوري للحصار الظالم المفروض على ليبيا وشعبها الشقيق. كما يؤكد المجلس المركزي على بيان اللجنة التنفيذية الخاص بجزيرة ابو موسى وكذا جزيرتي طنب الكبرى والصغرى، ويشدّد على شجب وإدانة عملية احتلال هذه الجزر مما يعتبر اعتداءاً على السيادة العربية وسيادة دولة الامارات العربية المتحدة على هذه الجزر، ويعبّر المجلس المركزي عن وقوف منظمة التحرير الفلسطينية، بكل قوة، الى جانب دولة الامارات العربية المتحدة الشقيقة.

٦ ـ دعوة الدول العربية الشقيقة الى تحمّل مسؤولياتها القومية والاسلامية واستئناف تقديم الدعم للشعب الفلسطيني والانتفاضة المباركة لتتمكن منظمة التحرير الفلسطينية من مواجهة اعباء النضال ضد الاحتلال ورفع المعاناة عن أسرانا ومعتقلينا وأسر شهدائنا.

٧ ـ يحيي المجلس موقف الدول المغاربية وما تقدّمه من دعم أخوي لشعبنا الفلسطيني ولقضيتنا في المجالات السياسية والدبلوماسية والمعنوية. ويتوجّه المجلس بالتحية والتقدير للرئيس زين العابدين بن علي، رئيس الجمهورية التونسية وللحكومة التونسية وللشعب التونسي الاصيل،

عرفاناً لما تقدّمه تونس رئيساً وحكومة وشعباً من دعم ورعاية لمؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية ودولة فلسطين، وما لهذه الرعاية الاخوية من تجسيد لمسيرة نضالنا على طريق اقامة دولتنا المستقلة على الارض الفلسطينية المحرّرة وعاصمتها القدس الشريف.

ثالثاً: على الصعيد الفلسطيني

١ ـ يؤكد المجلس المركزي على التمسّك الحازم بالوحدة الوطنية الفلسطينية وبالمسيرة الديمقراطية التي تعزّزت وتجذّرت عبر النضال المشترك ضد العدو الصهيوني والتي ساهمت فيها كل فصائل وقوى وفعاليات شعبنا الفلسطيني، ويرفض المجلس المركزي ويدين اللجوء الى الاساليب غير الديمقراطية واستخدام العنف بين قوى الشعب الفلسطيني المناضلة، ويؤكد على احترام التعددية السياسية وحرية الرأي والرأي الآخر.

٢ ـ درس المجلس المركزي الفلسطيني المحاولات الاسرائيلية المستمرة لتغييب موضوع القدس وللفصل بينها وبين بقية الاراضي الفلسطينية المحتلة العام ١٩٦٧، وذلك في الوقت الذي تواصل فيه اسرائيل ممارساتها التوسعية والاستيطانية لتغيير معالم المدينة المقدسة الدينية والسكانية والحضارية ولتهويدها.

وانطلاقاً من ذلك، فان المجلس المركزي يؤكد على أولوية موضوع القدس الشريف عاصمة دولتنا المستقلة، ويدعو الهيئات التنفيذية الى متابعة ايلاء الاهمية الاولى للمدينة المقدسة في جميع الميادين والمحافل... وفي هذا الاطار يدعو المجلس المركزي الى انهاض وتنشيط دور كل المؤسسات الوطنية والشعبية داخل القدس وتطويرها، وتوفير جميع سبل الدعم لها في مواجهة محاولات السيطرة الاسرائيلية بما فيها العمل لتعزيز وتفعيل دور أمانة القدس واستكمال اعضائها وتأمين أوسع مشاركة ممكنة في سبيل تحقيق ذلك.

ويدعو المجلس المركزي الدول العربية والاسلامية كافة الى تحمّل مسؤولياتها في دعم الجهود الفلسطينية الهادفة الى ابراز اهمية وأولوية قضية القدس نظراً لمكانتها الانسانية والتاريخية والدينية وباعتبارها جزءاً لا يتجزأ من الاراضي الفلسطينية المحتلة منذ العام ١٩٦٧ ومن اجل صيانة حقوق امتنا العربية والمقدسات الاسلامية والمسيحية.

٣ ـ درس المجلس المركزي الفلسطيني موضوع تطبيق قرارات المجالس الوطنية المتعاقبة بشأن استكمال عضويته من أبناء شعبنا الفلسطيني داخل الوطن المحتل. وفي ضوء ضرورة تعزيز التمثيل والمشاركة الشاملة لشعبنا في الداخل والخارج فإن المجلس المركزي يقرر احالة هذا الموضوع الى اللجنة التنفيذية ورئاسة المجلس الوطني لمتابعة تطبيقه من جوانبه كافة، واجراء التشاور المناسب مع أبناء شعبنا ومؤسساته وشخصياته الوطنية داخل الوطن المحتل. ويدعو المجلس المركزي اللجنة التنفيذية ورئاسة المجلس الوطني الى وضع هذا القرار موضع التنفيذ في الوقت المناسب، بما يخدم صيانة أهدافنا الوطنية وحق شعبنا في تقرير مصيره بنفسه دون تدخل خارجي.

٤ ـ يتوجّه المجلس بالتحية والاكبار لشعبنا الصامد المكافح داخل الارض المحتلة وللانتفاضة الجبارة التي تشكّل صخرة صلبة تتحطّم عليها محاولات القفز على الرقم الفلسطيني الصعب. ويحيي المجلس المركزي المعتقلين الابطال في سجون الاحتلال ودورهم الطليعي في النضال والانتفاضة المتصاعدة والمستمرة حتى يرتفع العلم الفلسطيني على أسوار ومآذن وكنائس القدس. كما يتوجّه المجلس المركزي بالتحية الخاصة لشعبنا الفلسطيني في لبنان لصموده وتضحياته والتزامه ووفائه.

٥ ـ يؤكد المجلس المركزي ان استمرار الجهاد والكفاح المسلّح يسير جنباً الى جنب مع نضالنا في معركة التفاوض حتى يتحقق دحر الاحتلال والحرية والاستقلال، وان معركة التفاوض هي ساحة نضال الى جانب الانتفاضة الجبّارة والمقاومة المسلّحة الباسلة.

بسم الله الرحمن الرحيم «يا أيها الذين آمنوا أصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلّكم تفلحون» صدق الله العظيم.

[نقلاً عن وفا، تونس، ١٧/١٠/١٩٩٢]

آليات حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين

[نص كلمة الوفد الفلسطيني في لجنة اللاجئين المنبثقة عن المفاوضات متعددة الطرف الخاصة بالشرق الاوسط، والمنعقدة في العاصمة الكندية، اتاوا].

لقد جئنا للمشاركة في هذه الجلسة من الاجتماعات متعددة [الطرف] في إطار عملية السلام في الشرق الاوسط بالالتزام الثابت نفسه بالبحث عن سلام حقيقي وعادل وشامل وهو الالتزام نفسه الذي دفعنا للمشاركة في محادثات ثنائية ومتعددة سابقة، كما دفع شعبنا الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية، قيادته وممثله الشرعي والوحيد، الى مواصلة المشاركة النشطة والبنّاءة في المحادثات الثنائية والمتعددة [الطرف]، بالرغم من عدم احراز أي تقدّم ملموس، حتى الآن، في ما يتعلّق باحقاق حقوقنا ومصالحنا الاساسية.

لذلك، في الوقت الذي نقر فيه بأنه يبدو ان هناك تغييراً شكلياً في التعاطي الاسرائيلي مع عملية السلام، فان لدينا من الاسباب ما يكفي لنقول بأن تفاؤلنا المحدود ما زال مشوباً بالحذر، وسيبقى كذلك الى ان نشهد مؤشرات تغيير حقيقي في جوهر الموقف الاسرائيلي، فضلاً عن التغيير الظاهري في الاسلوب والشكل.

وضمن الظروف الراهنة، لا بدّ ان نؤكد، من جديد، على الدعوة التي أطلقها هذا الوفد في أيار (مايو) الماضي كما أطلقتها الوفود الفلسطينية في مجموعات العمل الاخرى كي يقوم راعيا عملية السلام بتحرّك حيال المسائل التالية:

١ ـ المشاركة المباشرة والكاملة لمنظمة التحرير الفلسطينية في كافة جوانب عملية السلام باعتبارها ممثل وقيادة الشعب الفلسطيني الوحيدة والشرعية.

٢ ـ تصحيح التمثيل الفلسطيني من خلال المشاركة المباشرة لفلسطينيين من القدس في مجموعات العمل كافة، وكذلك في المفاوضات الثنائية.

٣ ـ تشكيل مجموعتي أو لجنتي عمل جديدتين احداهما للقدس والاخرى لحقوق الانسان.

كذلك، فاننا نغتنم هذه الفرصة لنرحب بوجود منظمة الامم المتحدة بيننا ووكالتها المتخصصة (الاونروا). لقد طالبنا، دوماً، بضرورة حضور ومشاركة الامم المتحدة نظراً لأن ميثاقها وقراراتها توفّر لنا أسساً مرجعية غير قابلة للنقاش وتضمن وضع المفاوضات في مسارها الصحيح القائم على الشرعية الدولية على اعتبار انها كل لا يتجزأ. وعلاوة على ذلك، فان على الامم المتحدة ووكالاتها مسؤولية خاصة تجاه اللاجئين الفلسطينيين، ولم يكن اصرارنا الدائم على مشاركة (الاونروا) بسبب خبرتها الواسعة في مجال اللاجئين فحسب، بل لأنها تعبّر، أيضاً، عن اهتمام المجتمع الدولي بمحنة اللاجئين الفلسطينيين وتجسّد الجهود الرامية لايجاد الآليات المطلوبة للتعاطي مع اللاجئين الفلسطينيين لحين احراز حل عادل وشامل قائم على أسس الشرعية الدولية وقراراتها.

(...)

لقد قمنا في اجتماع لجنة العمل هذه لشهر أيار (مايو) بذكر التعريفات المتعلقة باللاجئين الفلسطينيين حيث قلنا انهم جميع الفلسطينيين وانسالهم الذين طردوا أو أُجبروا على مغادرة منازلهم خلال الفترة الواقعة بين تشرين الثاني (نوفمبر) العام ١٩٤٧ (خطة التقسيم)، والتوقيع على اتفاقيات هدنة رودس العام ١٩٤٩ من الاراضي التي كانت تحت السيطرة الاسرائيلية في التاريخ الاخير، ولا ينطبق هذا التعريف على سكان المخيمات ولا على اولئك اللاجئين الذين تعترف بهم (الاونروا) ويحملون بطاقة التسجيل الرسمية الصادرة عنها فقط، بل ينطبق، أيضاً، على اللاجئين الفلسطينيين كافة.

اننا نؤكد، مجدداً، على ان قرار الامم المتحدة الرقم ١٩٤ يشكّل الاطار القانوني الرئيس للحل

العادل لقضية اللاجئين الفلسطينيين حيث يؤكد هذا القرار على حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة الى وطنهم. ويستمد هذا القرار قوته من الاجماع الدولي الذي حظي به، زد على ذلك، ان الولايات المتحدة [الامريكية] صوّتت لصالحه وحتى اسرائيل، اذ ان قرار التقسيم الرقم ١٨١ الذي يؤكد على مبدأ تقرير المصير وقرار حق العودة الرقم ١٩٤، شكّلا أسساً لقيام دولة اسرائيل نفسها لأن قبول اسرائيل في الامم المتحدة القرار الرقم ٢٧٣ كان مشروطاً بتطبيقهما. ولهذا السبب، فان على اسرائيل التزاماً أكيداً وخاصاً تجاه هذين القرارين طبقاً لروح ونصوص القانون الدولي.

ان الفقرة الرئيسة في القرار ١٩٤ تنص على ما يلي: «تقرر الجمعية العامة وجوب السماح بالعودة في أقرب وقت ممكن للاجئين الراغبين في العودة الى بيوتهم والعيش بسلام مع جيرانهم ووجوب دفع تعويضات عن ممتلكات الذين يقررون عدم العودة الى بيوتهم وعن فقدان أو تضرّر الممتلكات والتي، وفقاً لمبادىء القانون الدولي أو الانصاف، ينبغي التعويض عنها من قبل الحكومات أو السلطات المسؤولة». ومن الملاحظ ان التعويض قد ورد في هذا القرار كجزء من اعتراف أكيد عملي بحق العودة وليس كبديل لذلك الاعتراف.

ثم تسبّبت حرب العام ١٩٦٧ بموجة جديدة من المهاجرين حيث أُجبر ٣٠٠ ألف مهاجر آخر على الرحيل عن الاراضي التي احتلت حديثاً ومنع عشرات الألوف من الغائبين مؤقتاً من العودة لها وشكّلوا عبئاً اقتصادياً اضافياً أثقل اقتصادات الدول المضيفة ونعني بذلك الاردن ولبنان وسوريا، أضف الى ذلك ان السياسات والممارسات التي قامت بها سلطة الاحتلال الاسرائيلية على مدار ٢٥ سنة التي تلت حرب العام ١٩٦٧ قد تسببت بتشتيت عشرات الالوف من الفلسطينيين داخل الاراضي الفلسطينية المحتلة ومن ثم نزوحهم عنها الى الدول المجاورة، وان الشعب الفلسطيني ممتن لاخواننا العرب الذين بالرغم من المصاعب والمتاعب التي كانت تعاني منها اقتصادياتهم فقد أكرموا وفادة اللاجئين الفلسطينيين وأمدوهم بجميع أشكال الدعم والتأييد، الّا انه يجب ان نوضح، هنا، ان شعبنا قد رفض، باستمرار، كل مشاريع اعادة التوطين والتجنّس في الدول المضيفة، كما انه عبّر بكل الوسائل المتاحة عن رغبته في ان تحل قضاياه في اطار حل وطني للقضية الفلسطينية ككل وفق أسس الشرعية الدولية.

وقد تمّ التأكيد على حق العودة للفلسطينيين الذين نزحوا على اثر حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ وما تلاها من نتائج من خلال قرار مجلس الامن الدولي الرقم ٢٣٧ الذي نصّت احدى فقراته الرئيسة على ما يلي: «ان مجلس الامن يدعو حكومة اسرائيل الى تأمين سلامة وخير وأمن سكان المناطق التي جرت فيها عمليات عسكرية وتسهيل عودة أولئك الذين فرّوا من هذه المناطق منذ نشوب القتال».

ولا بدّ من التأكيد، هنا، على ان حق العودة لنازحي العام ١٩٦٧ يشكّل مسألة أشمل وأعمّ من «لمّ شمل العائلات» الذي يعتبر أحد جوانبها فقط.

اننا لن نجادل في مركزية قرار مجلس الامن الرقم ٢٤٢ ورديفه القرار الرقم ٣٣٨ بالنسبة للمفاوضات الجارية بيننا. فعندما يدعو القرار ٢٤٢ الى «حل عادل لقضية اللاجئين»، فانه يعني، بوضوح، حلاً مبنيّاً على نصّ وروح القرار الرقم ١٩٤ ومتمشّياً معهما، وان التمشي مع هذا القرار هو الذي شكّل الآلية التي تعمل (الاونروا) بموجبها. ومن البديهي انه عندما قام مجلس الامن بتبنّي القرار ٢٤٢ أخذ في اعتباره القرار ٢٣٧ الذي كان قد أقرّه قبل ذلك ببضع أسابيع وهو القرار الذي تعامل مع «النازحين» على اثر عدوان العام ١٩٦٧.

ان اللاجئين الفلسطينيين في الارض الفلسطينية المحتلة وغيرهم من الفلسطينيين الموجودين هناك يتعرضون، يومياً، لشتى أنواع الأذى والمعاناة على أيدي نظام احتلالي قمعي يقوم، باستمرار، بانتهاك القانون الدولي نصاً وروحاً، وخصوصاً اتفاقية جنيف الرابعة التي تعنى بحماية السكان المدنيين في زمن الحرب.

(...)

لقد مضى أكثر من عام على اطلاق عملية السلام في مدريد وما زلنا نواصل مشاركتنا الايجابية والنشطة في مجموعة العمل هذه وفي غيرها من المجموعات العمل المعنيّة بالتعاون الاقليمي الطويل الأجل. ان خصوصية مسألة اللاجئين الفلسطينيين تتطلّب تحركاً فورياً من قبل مجموعة العمل هذه المعنيّة بمصير وحياة أبناء شعبنا الذي يشكّل الجوهر السياسي للصراع الاسرائيلي ـ الفلسطيني والاسرائيلي ـ العربي.

ان مشاركتنا في هذه العملية تنبع من قناعتنا

الحقيقية بأن السلام ليس مجرد هدف مرغوب فيه، بل انه قابل للتحقيق، أيضاً، وان العدل هو أحد المكوّنات الضرورية لنجاح مسعانا كما ان البعد الانساني يظل يشكّل التزامنا الأساسي. ان قضية اللاجئين ليست مجرّد مأساة انسانية تشكّل تحدّياً لضمائرنا ومعاييرنا الاخلاقية، بل انها، أيضاً، مفتاح لمستقبل منطقتنا. ولذا يجب ألّا تختلق التبريرات والاعذار في التعامل مع قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الرقم ١٩٤ وان ينظر اليه على انه يشكّل فرصة لاحقاق الحق بعد طول انتظار ومفتاحاً لبوّابة السلام.

[وفا، تونس، ١٢/١١/١٩٩٢]

موجز الوقائع الفلسطينية
من ١٦/٨/١٩٩٢ الى ١٥/١١/١٩٩٢

١٦/٨/١٩٩٢

• استشهد باسم حسين صبيحات (ابو شرار) من قرية رمانة، قضاء جنين ويبلغ من العمر ٢٢ عاماً، وهو من قادة مجموعات «الفهد الاسود» في الخط الشمالي لمنطقة جنين، ومطارد منذ ثلاثة أعوام. وذكر شهود عيان، ان صبيحات استشهد عندما دهمت ثلاث مجموعات من «الوحدات الخاصة» منزل عمه حيث كان متواجداً فيه، وقد اشتبك مع الجنود الاسرائيليين المهاجمين باطلاق النار من خلال رشاش كلاشينكوف كان بحوزته، وأصاب عدداً منهم بجروح قبل ان يصاب برصاص الجنود (الدستور، عمّان، ١٧/٨/١٩٩٢).

• احتج ممثلو حركة «السلام الآن» على استمرار البناء في عشرة آلاف وحدة سكنية في الارض المحتلة. وقال ممثلو الحركة في حضور وزير البناء والاسكان، بنيامين بن ـ اليعيزر، ان قرار استكمال البناء في هذه الوحدات يثير الشك حول التزام الحكومة تعهداتها بتغيير سلم الاولويات القومية (هآرتس، ١٧/٨/١٩٩٢).

١٧/٨/١٩٩٢

• عمّ الاضراب مدينة جنين حداداً على الشهيد باسم حسين صبيحات، احد قادة «الفهد الاسود» في المنطقة، وذكرت مصادر اسرائيلية تفاصيل اضافية حول استشهاده، منها العثور على بندقية ومسدس وسكاكين وذخيرة وعلم فلسطين في سيارته. في هذه الاثناء، ذكر ان مجموعة الشهيد محمود الزرعيني التابعة لـ «فتح» اشتبكت بالسلاح مع قوة اسرائيلية مؤلفة من حافلة وسيارة جيب، ودام الاشتباك مدة عشر دقائق. وقال بيان صادر عن «الفهد الاسود»، ان الهجوم الذي وقع عند محيط قرية عنزة جاء رداً على اغتيال صبيحات. وفي الاتجاه عينه، اطلقت النار على دورية عسكرية اسرائيلية في قرية بني سهيلة، وأُلقيت قنبلة يدوية على مركز الحكم العسكري في غزة، وزجاجة حارقة باتجاه موقع في جباليا (الدستور، ١٨/٨/١٩٩٢).

١٨/٨/١٩٩٢

• أُلقيت زجاجة حارقة باتجاه دورية عسكرية في حي الشجاعية في مدينة غزة، وقنبلتان يدويتان باتجاه مستوطنة قريبة من قرية الجديدة. واصيب سائق سيارة اسرائيلية بجروح اثر تعرض سيارته للرشق بالحجارة في باب العمود في القدس، فيما حطّم فلسطينيون زجاج سيارة مستوطن وسيارة أخرى عسكرية في الخليل، وحافلة تابعة لشركة «ايغد» (الدستور، ١٩/٨/١٩٩٢).

• استبعد وزير الخارجية الاسرائيلية، شمعون بيرس، الذي تحدث في جلسة مغلقة في وزارة الخارجية، نجاح المفاوضات مع الفلسطينيين والدول العربية ما لم تقم الى جانبها قنوات موازية وغير رسمية يمكن التباحث عبرها بعيداً عن الاضواء، على حد قوله (دافار، ١٩/٨/١٩٩٢).

١٩/٨/١٩٩٢

• اجتمع الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، في مأرب بالرئيس اليمني، علي عبدالله صالح، وبحث معه في التطورات على الساحة الدولية والعربية، وعلى صعيد القضية الفلسطينية (وفا، تونس، ١٩/٨/١٩٩٢).

• اعلن متحدث اسرائيلي عن مقتل مستوطن بآلة حادة، والعثور على جثته في داخل بيت بلاستيكي للزراعة المحمية. ويعتقد ان فلسطينيين قتلوا المستوطن في قرية كفر يابس قرب يافا. وأعلنت الاذاعة الاسرائيلية، ان جندياً أُصيب بجروح عند تعرّض سيارته لرشق بالحجارة في بلدة تقوع، وان زجاجة حارقة القيت باتجاه سيارة عسكرية على طريق الخليل ـ القدس، وانه تمّ اعتقال عدد من المواطنين (الدستور، ٢٠/٨/١٩٩٢).

• أبرمت كل من اسرائيل والصين اتفاقية تجارية وقعها من الجانب الاسرائيلي المدير العام لوزارة التجارة والصناعة، تسفي كورن، ومن الجانب الآخر نظيره، لي شيو لين. ونصّت الاتفاقية على منح اسرائيل تخفيضات على الرسوم الجمركية المتعلقة بصادراتها الى الصين (**معاريف**، ٢٠/٨/١٩٩٢).

١٩٩٢/٨/٢٠

• ذكر متحدث عسكري اسرائيلي، ان قافلة عسكرية كانت تنقل ذخيرة الى احدى القواعد في منطقة بئر السبع تعرّضت لهجوم بالاسلحة الرشاشة أسفر عن اصابة احد حراس القافلة بجروح. وعلى الفور، قامت قوات اسرائيلية بحملة تمشيط في المنطقة واعتقلت عدداً من المواطنين. من جهة أخرى، ذكرت الاذاعة الاسرائيلية، ان ثلاثة مستوطنين اصيبوا بجروح جراء انفجار عبوة ناسفة في محطة للوقود قرب فندق الملك داود في القدس. في هذه الاثناء، تواصلت الاشتباكات بين المواطنين وقوات الاحتلال في مناطق عدّة، وأسفرت عن جرح جندي اسرائيلي وعدد من المواطنين (**الدستور**، ٢١/٨/١٩٩٢).

• أكد وزير الخارجية الاسرائيلية، شمعون بيرس، في اثناء اجتماعه بنظيره الروسي، فلاديمير كوزيريف، ان حكومة روسيا تستطيع ان تلعب دوراً في مسيرة السلام بفضل علاقاتها الطيبة مع العالم العربي (**هآرتس**، ٢١/٨/١٩٩٢).

١٩٩٢/٨/٢١

• عمّ الاضراب الشامل في جميع مدن وقرى ومخيمات الضفة الفلسطينية في ذكرى احراق المسجد الاقصى. وألقت القوات الضاربة الفلسطينية زجاجات حارقة باتجاه أهداف اسرائيلية، نتج عنها اصابة سائق سيارة اسرائيلية بجروح، كما وقعت مواجهات عنيفة في مخيم النصيرات بين عدد من سكانه وقوة لجيش الاحتلال الاسرائيلي أدّت الى اصابة عشرات المواطنين بجروح (**الدستور**، ٢٢/٨/١٩٩٢).

١٩٩٢/٨/٢٢

• أمرت سلطات الاحتلال الاسرائيلية بهدم مسجد البحر في مدينة يافا. صدر القرار عن بلدية تل ـ أبيب في وقت تُجرى في المسجد عمليات ترميم واصلاح واسعتين باشراف الهيئة الاسلامية المنتخبة في يافا. وقد رفضت الهيئة الاسلامية القرار وأعلنت انها سوف تستمر في عمليات الترميم التي تقوم تحت اشرافها. على صعيد آخر، وقعت اشتباكات بين المواطنين في مناطق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة والقوات الاسرائيلية، تخللها اطلاق نار والقاء زجاجات حارقة باتجاه دوريات عسكرية، كما وقع اشتباك مسلّح في بلدة سيلة الحارثية بين مسلّحين فلسطينيين ووحدة عسكرية خاصة ودام عشر دقائق (**الدستور**، ٢٣/٨/١٩٩٢).

١٩٩٢/٨/٢٣

• تصاعدت حدة الاشتباكات في الارض المحتلة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، واطلق مسلّحون النار باتجاه مبنى «الادارة المدنية» في غزة. وأُصيب أربعة جنود اسرائيليين بجروح في اثناء تبادل لاطلاق النار وقع في المدينة. كما أصيب أربعة مواطنين بجروح، ايضاً، لدى تعرّض سيارة كانت تقلهم لرشق بالحجارة. الى ذلك، أُلقيت زجاجة حارقة باتجاه دورية اسرائيلية في وادي الهرية في الخليل، وزجاجتان أخريان باتجاه نقطة استيطانية وسط المدينة أسفرت عن اصابة جندي بجروح، وزجاجة رابعة باتجاه دورية عند باب الزاوية. من جهة أخرى، وقع تبادل لاطلاق النار بين مجموعة من المطاردين وأفراد من الوحدات السرية الخاصة في اثناء محاولة قامت بها لاعتقال مطاردين في محيط قرية سيلة الحارثية (**الدستور**، ٢٤/٨/١٩٩٢).

١٩٩٢/٨/٢٤

• عمّ الاضراب الشامل الارض المحتلة تضامناً مع الشبان المطاردين من قبل سلطات الاحتلال الاسرائيلية. وكانت القيادة الموحّدة وجّهت تحذيراً للمطاردين بضرورة اتخاذ الحيطة والحذر تجاه الاساليب الاسرائيلية، وان يتجنبوا اللقاءات الصحافية، وخصوصاً مع الصحافة الاسرائيلية. وترافق الاضراب مع تصاعد مميّز في أنشطة الانتفاضة. فقد اضرمت النار في سيارة اسرائيلية في باب الاسباط في القدس، وأُلقيت ثلاث قنابل حارقة باتجاه دورية قرب رام الله، وزجاجة حارقة باتجاه دورية أخرى في مخيم جباليا، وسبع زجاجات كربونية باتجاه أهداف عسكرية أخرى في جنين، كما تمّ ابطال مفعول عبوة ناسفة وضعت في مكان قرب مستوطنة النبي يعقوب (**الدستور**، ٢٥/٨/١٩٩٢).

• توقّع وزير الخارجية الاسرائيلية، شمعون بيرس، تزايد هجرة اليهود من رابطة الدول المستقلة (هآرتس، ١٩٩٢/٨/٢٥).

١٩٩٢/٨/٢٥

• اجتمع الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، في تونس، مع الرئيس التونسي، زين العابدين بن علي، وبحث معه في آخر المستجدات على صعيد القضية الفلسطينية وسير عملية السلام حول الشرق الاوسط (وفا، ١٩٩٢/٨/٢٥).

• وقع انفجار كبير داخل مصنع للادوية يقع في احد أحياء مدينة القدس. وذكرت الاذاعة الاسرائيلية، ان ثلاثة من العاملين في المصنع اصيبوا بجروح. في غضون ذلك، استمرت الاشتباكات في الارض المحتلة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، وأسفرت عن جرح عدد من المواطنين، والقاء عدد من الزجاجات الحارقة (الدستور، ١٩٩٢/٨/٢٦).

• استبعد رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق رابين، نشوب حرب مع الدول العربية في المدى المنظور. وقال في حضور لجنة الخارجية والامن التابعة للكنيست، ان أمام اسرائيل فرصة، في خلال الاعوام الخمسة المقبلة، لاستنفاد آفاق السلام واحراز تقدّم قبل ان يتمكن العراق من اعادة بناء قدرته النووية بالشكل الذي كانت عليه قبل حرب الخليج الثانية (هآرتس، ١٩٩٢/٨/٢٦).

• صرّح رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق رابين، بأن اسرائيل لن تنسحب من مرتفعات الجولان، واستدرك القول بأنه «ليس من الضروري ان نتمسّك بكل شبر فيها، وعلينا ان نعرف اولاً، ما اذا كانت سوريا راغبة في ابرام اتفاق سلام معنا» (يديعوت احرونوت، ١٩٩٢/٨/٢٦).

١٩٩٢/٨/٢٦

• استشهد ثلاثة مواطنين وقتل قائد وحدة للشرطة السرية الاسرائيلية في اثناء اشتباك وقع في مدينة جنين. والشهداء هم ابراهيم الزرقيني (٢١ عاماً)؛ ابراهيم حلافنة (٢٢ عاماً)؛ إلاء خالد علاونة (٢١ عاماً). وذكرت تقارير، ان الاشتباك وقع عندما دهمت قوة اسرائيلية متنكرة بالزي المدني، ترافقها قوات من «حرس الحدود» منزل خالد علاونة في جنين حيث تواجدت في داخله مجموعة من المطاردين، الاعضاء في مجموعات «الفهد الاسود»، وأضافت، ان زوجة علاونة استشهدت في اثناء الاشتباك كما أصيبت طفلتاهما بجروح (الدستور، ١٩٩٢/٨/٢٧).

• صرح رئيس الوفد الاسرائيلي في المفاوضات مع الجانب الفلسطيني، الياكيم روبنشتاين، ان اسرائيل مستعدة لأن تقترح على رؤساء «الادارة الذاتية» التي سيتم اقامتها في الارض المحتلة سلطة اصدار قوانين ثانوية ولوائح في كل ما يتعلق بالشؤون الحياتية. وأكد روبنشتاين ان الشيء الذي لا يمكن اقتراحه هو صلاحيات تشريع موازية لصلاحيات برلمان في دولة ذات سيادة (يديعوت احرونوت، ١٩٩٢/٨/٢٧).

١٩٩٢/٨/٢٧

• ذكرت مصادر اسرائيلية، ان سبعة مواطنين أُصيبوا بجروح في اثناء اشتباكات وقعت مع جنود الاحتلال الاسرائيلي في انحاء متفرقة في قطاع غزة. وان خمس زجاجات حارقة أُلقيت الليلة الماضية باتجاه دورية عسكرية اسرائيلية وسط غزة، وأخرى باتجاه نقطة مراقبة عسكرية في مخيم البريج. كما فتح مجهولون نيران أسلحتهم باتجاه دورية عسكرية اسرائيلية عند المدخل الشرقي لبلدة قباطية (الدستور، ١٩٩٢/٨/٢٨).

• أبدى رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق رابين، في حضور وفد الجباية اليهودية الذي التقاه في الكنيست، تشاؤمه من استعدادات سوريا لعقد اتفاق سلام مع اسرائيل يشمل إقامة علاقات دبلوماسية وفتح سفارات والاتفاق على حدود معترف بها. غير ان رابين استدرك قائلاً: «ان سوريا تغيّرت». وانها «أخذت تلائم نفسها مع الوضع الجديد في العالم» (يديعوت احرونوت، ١٩٩٢/٨/٢٨).

• هدّد رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق رابين، بالرد على أي هجوم عربي من شأنه الاضرار بالتجمّعات السكانية في اسرائيل بهجوم مضاد مكثّف على مدن الدول العربية المهاجمة (هآرتس، ١٩٩٢/٨/٢٨).

١٩٩٢/٨/٢٨

• وقع اشتباك مسلّح بين مجموعة فلسطينية ودورية اسرائيلية عند المدخل الغربي لبلدة

قباطية، وأُلقيت عبوة ناسفة باتجاه دورية عسكرية. كما اطلق مسلّحون النار باتجاه برج للمراقبة يقع خلف سجن جنين، وأُلقيت زجاجة كربونية باتجاه مقر الشرطة في جنين. وفي السياق عينه، أشعل مجهولون النار الليلة الماضية بسيارتين كانتا متوقفتين داخل موقف للسيارات قرب الجامعة العبرية، وتمّ تحطيم السيارتين (**الدستور**، ١٩٩٢/٨/٢٩).

١٩٩٢/٨/٢٩

• أُصيب سائق حافلة اسرائيلي بجروح خطيرة اثر انفجار وقع تحت الحافلة التي يقودها في اثناء توقفها في موقف عام. كما أصيب شرطي اسرائيلي وحارس بجروح في مستوطنة «معاليه» قرب بيت لحم اثر انفجار عبوة ناسفة. من جهة أخرى، أعلنت سلطات الاحتلال مدينة غزة منطقة عسكرية مغلقة بسبب تصاعد فعاليات الانتفاضة فيها (**الدستور**، ١٩٩٢/٨/٣٠).

• قال رئيس لجنة الخارجية والامن التابعة للكنيست، اللواء (احتياط) اوري اور، «ان احتمالات قيام العراق بضرب الكويت والسعودية بالصواريخ اكبر من احتمال قيامه بضرب اسرائيل، فهذا احتمال ضعيف جداً، وعلى الرغم من ذلك، فان الجيش الاسرائيلي مستعد للرد بكل الوسائل في حال شنّ العراق هجوماً صاروخياً على اسرائيل، وليس ثمة ما يعيق مثل هذا الرد الآن» (**هآرتس**، ١٩٩٢/٨/٣٠).

١٩٩٢/٨/٣٠

• اعلنت سلطات الاحتلال الاسرائيلية انها قررت الافراج عن مئات المعتقلين، وذكرت الاذاعة الاسرائيلية، ان القوات الاسرائيلية بدأت بازالة الحواجز الاسمنتية من بعض الشوارع المغلقة في الخليل والظاهرية، وذلك لتسهيل الحركة في المنطقتين وتنشيط التجارة. كما قررت السلطات الاسرائيلية اعادة فتح المدارس في الارض المحتلة في وقت واحد. على صعيد آخر، تواصلت فعاليات الانتفاضة في مناطق عدّة في الارض المحتلة وأُلقيت ست زجاجات حارقة باتجاه أهداف اسرائيلية (**الدستور**، ١٩٩٢/٨/٣١).

١٩٩٢/٨/٣١

• تواصلت الصدامات في مناطق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، وتخللها القاء زجاجات حارقة عدة، وأسفرت عن جرح عدد من المواطنين (**الدستور**، ١٩٩٢/٩/١).

• عقد وزير الخارجية الاسرائيلية، شمعون بيرس، اجتماع عمل مع نظيره الايطالي، اميليو كولومبو، في اثناء زيارته لاسرائيل. وقد أصدر الوزيران، بعد الاجتماع، بياناً مشتركاً أوضح ان المحادثات تناولت سبل توطيد العلاقات بين اسرائيل والمجموعة الاقتصادية الاوروبية؛ كذلك تمّ الاتفاق على بحث مشاريع ثنائية (**دافار**، ١٩٩٢/٩/١).

• قال رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق رابين، لوزير خارجية ايطاليا، اميليو كولومبو، ان اوروبا تستطيع الاضطلاع بدور هام في المفاوضات متعددة الطرف حول مستقبل الشرق الاوسط. ورحّب بأية مبادرة اوروبية لاستثمار اموال في الارض المحتلة، أو أي جهد من شأنه تحسين نوعية الحياة فيها وتقليص تبعيتها الاقتصادية لاسرائيل (**هآرتس**، ١٩٩٢/٩/١).

١٩٩٢/٩/١

• أفرجت سلطات الاحتلال الاسرائيلية عن ١٣٨ معتقلاً آخر. وقد نقلت ثلاث حافلات ٧٩ منهم من معتقل غزة للالتقاء وعائلاتهم، فيما نُقل ٥٩ آخرون من الضفة الفلسطينية الى نقطة تفتيش قريباً من الخليل. وذكرت مصادر الجيش الاسرائيلي، ان من أُفرج عنهم قضوا، على الاقل، ثلثي مدة محكوميتهم. في هذه الاثناء، تواصلت الصدامات بين المواطنين في الارض المحتلة وقوات الاحتلال، وأُلقيت، في خلالها، زجاجات حارقة باتجاه دوريات عسكرية اسرائيلية. من جهة أخرى، اعتقلت الشرطة الاسرائيلية فداء مصلح (١٦ عاماً) عندما حاولت طعن جندي اسرائيلي قرب حائط المبكى في القدس (**الدستور**، ١٩٩٢/٩/٢).

• أعربت وزارة الخارجية الاميركية عن ارتياحها الى مجرى المفاوضات الثنائية في جولتها السادسة. وأشار الناطق باسمها، ريتشارد باوتشر، الى الخطوات الايجابية التي اتخذها الاسرائيليون للمساعدة على ايجاد أجواء جيدة. وتحدث عن «التبادلات» المثيرة للاهتمام التي قدّمتها الاطراف المتنازعة. وأوضح ان المسؤولين الاميركيين يعون، في الوقت عينه، «تعقيد العملية» (**انترناشونال هيرالد تريبون**، ١٩٩٢/٩/٢).

١٩٩٢/٩/٢

• اطلقت سلطات الاحتلال الاسرائيلية سراح ١٦٥ معتقلاً من معتقل «انصار ـ ٣» في صحراء النقب، وبذلك يصل عدد الذين تمّ الافراج عنهم الى ٤٦٥ معتقلاً فلسطينياً. من جهة اخرى، شبّ حريق كبير في فندق «راما» كونتيننتال في تل ـ أبيب، وقد تمّ اخلاء النزلاء والسيطرة على الحريق. امّا على صعيد أنشطة الانتفاضة فقد سجّلت التقارير حرق سيارة اسرائيلية في القدس، واصابة سائقها بجروح، والقاء زجاجة حارقة في عزون وأخرى في بيت لحم، الاولى باتجاه موقع عسكري اسرائيلي، والثانية باتجاه حافلة اسرائيلية (الدستور، ١٩٩٢/٩/٣).

• دعا رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق رابين، في محاضرة القاها في معهد واشنطن لابحاث الشرق الاوسط في القدس الى ايجاد حل لمشكلة قطاع غزة، الذي تمنّى ذات يوم «ان يغرق في البحر» (هآرتس، ١٩٩٢/٩/٣).

• أعلنت مصادر في «مجلس مستوطنات الضفة والقطاع» عن بيع ٢٩٦ وحدة سكنية منذ العشرين من تموز (يوليو) ١٩٩٢ الذي يصادف تاريخ تجميد البناء في هذه الارض المحتلة وتقليص المنح والقروض العقارية المخصّصة للبناء (يديعوت احرونوت، ١٩٩٢/٩/٣).

١٩٩٢/٩/٣

• أطلق ملثّمون النار باتجاه دورية عسكرية بعد منتصف ليل امس، في مخيم الشابورة في رفح، وقامت قوات الاحتلال على اثرها بحملة تفتيش، فيما القى شبان آخرون قنبلة يدوية على دورية أخرى. وأطلق مسلّحون النار باتجاه مقر «الادارة المدنية» في قباطية، دهمت قوات الاحتلال البلدة في اعقابها واعتقلت عدداً من المواطنين. من جهة أخرى، أُصيب جنديان اسرائيليان بجروح، احدهما في مخيم الشابورة في رفح نتيجة لرشقه بالحجارة. أما الثاني فأُصيب بحروق نتيجة القاء زجاجة على سيارته في اثناء مرورها في القدس (الدستور، ١٩٩٢/٩/٤).

١٩٩٢/٩/٤

• اصيب جندي اسرائيلي بجروح على يد فتاة فلسطينية ضربته بزجاج مكسور في منطقة الحرم المقدسي، وقد تمّ اعتقال الفتاة اثر الحادث. فيما أقدم شاب فلسطيني على طعن مستوطن بسكين في منطقة العقبة الخليلية. وقد شنّت قوات الاحتلال الاسرائيلية حملة تفتيش في المنطقة واعتقلت عدداً من المواطنين (الدستور، ١٩٩٢/٩/٥).

١٩٩٢/٩/٥

• وقع اشتباك مسلّح بين مجموعة من الفلسطينيين المطاردين وقوة من الجيش الاسرائيلي في حي الشابورة في رفح، ولم تذكر المصادر الاسرائيلية التي أوردت النبأ أي خسائر لدى الطرفين. في هذه الاثناء، أصيب شاب وطفلة عمرها ثلاث سنوات بجروح في مخيم خان يونس، واعتدى الاسرائيليون على سبعة مواطنين في حي الرمال في غزة، واعتقلوا ١١ مواطناً من مناطق عدّة في قطاع غزة. على صعيد آخر، أُلقيت زجاجات حارقة عدّة باتجاه دوريات عسكرية في رفح ورام الله، أعقبها قيام سلطات الاحتلال بحملة تفتيش (الدستور، ١٩٩٢/٩/٦).

• قال رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق رابين، في مقابلة مع التلفزة الاسرائيلية، ان التغيير الذي طرأ على الموقف الاسرائيلي وتقديم اسرائيل ايضاحات حول امكانية تطبيق قراري مجلس الامن الدولي ٢٤٢ و٣٣٨ من اجل احراز تقدم مع سوريا، وابداء الاستعداد لاقامة ترتيبات أمنية، خلقت نوعاً من الانفتاح من جانب المفاوضين السوريين. وقال «ان السوريين لم يكشفوا بعد كل أوراقهم، وكذلك فعلت اسرائيل» (هآرتس، ١٩٩٢/٩/٦).

١٩٩٢/٩/٦

• استشهد جابر ابو غسان (٢٠ عاماً) من قرية طمّون شمال الضفة الفلسطينية في خلال اشتباكات مع قوات الاحتلال الاسرائيلية؛ كما استشهد محمد يونس رشايدة من قرية فقوع، جرّاء انفجار قذيفة بالقرب من قاعدة عسكرية اسرائيلية. من جهة أخرى، ذكرت الاذاعة الاسرائيلية ان اشتباكاً مسلّحاً وقع في رام الله بين مسلحين فلسطينيين وقوات اسرائيلية، وان جنوداً تعرّضوا لهجوم بزجاجة حارقة في اثناء سيرهم في احد شوارع المدينة (الدستور، ١٩٩٢/٩/٧).

• قال محافظ بنك اسرائيل، يعقوب فرانكل، ان ميزانية اسرائيل للعام ١٩٩٣، لا تفي بحجم الاستثمارات والنمو المطلوبين لتقليص البطالة، وان الميزانية التي قدّمت للحكومة لا تشمل الاجراءات

الكافية التي من شأنها تقليص البطالة مثل زيادة الاستثمارات وتنمية القطاع التجاري (هآرتس، ١٩٩٢/٩/٧).

• رفض رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق رابين، التعهد للمستوطنين في هضبة الجولان بعدم تعرض مستوطناتهم للضرر نتيجة التسوية المحتملة مع سوريا (يديعوت احرونوت، ١٩٩٢/٩/٧).

١٩٩٢/٩/٧

• تواصلت الاشتباكات في الارض المحتلة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، وأُلقيت زجاجة حارقة باتجاه دورية عسكرية كانت تمر في قرية بيت لاهيا، وزجاجة أخرى باتجاه دورية كانت تمر في مخيم بلاطة. كما تمّ تحطيم زجاج سيارة لأحد المستوطنين في اثناء مروها في الخليل، وتعرّض صهريج وقود اسرائيلي لرشق بالحجارة في مدينة نابلس (الدستور، ١٩٩٢/٩/٨).

• ذكر السفير الاسرائيلي لدى واشنطن، زلمان شوفال، بعد اجتماع قصير عقده مع رئيس دائرة التخطيط السياسي في وزارة الخارجية الاميركية، دنيس روس، ان الولايات المتحدة الاميركية أبدت استعدادها للبحث في مسألة تعويض اسرائيل عن صفقة الطائرات «اف ـ ١٥» الاميركية مع السعودية (دافار، ١٩٩٢/٩/٨).

١٩٩٢/٩/٨

• ذكر متحدث عسكري اسرائيلي، ان دورية عسكرية تعرّضت لهجوم بالاسلحة الرشاشة في قرية النصارية في أغوار نابلس. وقد فرضت سلطات الاحتلال الاسرائيلية حظر التجول على القرية وقامت بحملة تمشيط داخلها. كما فرضت حظر تجول على بلدة دير استيا في أعقاب القاء زجاجة حارقة باتجاه حافلة اسرائيلية، وأخرى باتجاه نقطة مراقبة عسكرية في بلدة شويكة وباتجاه دورية ثالثة في الخليل (الدستور، ١٩٩٢/٩/٩).

• اجتمع وزير الخارجية الاسرائيلية، شمعون بيرس، برئيس الوزراء البريطاني، جون ميجور، في لندن. وأعرب، في خلال الاجتماع، عن استياء اسرائيل من الحظر المستمر من جانب بريطانيا على بيعها أسلحة، وتلقّى وعداً من ميجور بالنظر في هذه المسألة على نحو ايجابي. ومن جهة أخرى، دعا بيرس الاوروبيين الى المساهمة بشكل أكبر في عملية السلام في الشرق الاوسط، وكذلك العمل على انهاء المقاطعة العربية لاسرائيل (دافار، ١٩٩٢/٩/٩).

• صادقت الحكومة الاسرائيلية على مشروع الميزانية للعام ١٩٩٣، بمبلغ ٩٧,٦ مليار شيكل. وقررت منح ١٤٠ مليون شيكل اضافية الى ميزانيات المعاهد والمجالس الدينية وذلك ارضاء لوزير الداخلية، آرييه درعي، الذي هدّد بالاستقالة ما لم توافق الحكومة على مطالبه، التي واجهت معارضة وحيدة من وزير الاستيعاب، يئير تسبان (دافار، ١٩٩٢/٩/٩).

• اعلن الرئيس الاميركي، جورج بوش، في خطاب أمام مؤتمر جمعية بني بريت اليهودية، ان الجولة السادسة من المفاوضات الثنائية المباشرة بين الاطراف العربية والاسرائيلية، «حققت تقدماً»، بل قدمت «اقتراحات خطية» هدفها التوصل الى حل للنزاع في الشرق الاوسط. وكرر معارضته قيام الدولة الفلسطينية المستقلة، ودعا الى انهاء المقاطعة الاقتصادية العربية لاسرائيل (نيويورك تايمز، ١٩٩٢/٩/٩).

١٩٩٢/٩/٩

• استشهد عبدالله احمد الحمارشة (١٧ عاماً) وجرح سبعة آخرون في يعبد اثر اطلاق قوة اسرائيلية من الوحدات السرية النار على المواطنين في البلدة. كما استشهد سليمان عليان عبدات من تقوع، قضاء بيت لحم بعد ان صدمته سيارة مستوطن عمداً. من جهة أخرى، أعلنت الاذاعة الاسرائيلية عن وقوع اشتباك مسلّح في رفح، ولم تذكر أية تفاصيل (الدستور، ١٩٩٢/٩/١٠).

• اعلن رئيس الاركان الاسرائيلية، الجنرال ايهود براك، في خلال اجتماعه مع مراسلين عسكريين، انه منذ مطلع هذا العام وحتى الآن تمّ اعتقال سبعمئة شخصاً من المطلوبين في الارض المحتلة، منهم ٤٥٠ مطلوباً ممن يوصفون بـ «النواة الصلبة» للانتفاضة، وان ما يزيد عن المئة هم من المطلوبين الذين قاموا بتسليم أنفسهم (دافار، ١٩٩٢/٩/١٠).

١٩٩٢/٩/١٠

• استشهد مواطنان وجرح آخر في معركة بالاسلحة الرشاشة وقعت في قطاع غزة أمس، وذكرت الاذاعة الاسرائيلية، ان جنوداً اسرائيليين قتلوا

اثنين من الفلسطينيين وجرحوا آخر في معركة بالاسلحة. فقد أطلق خمسة فلسطينيين نيران اسلحتهم الآلية على شرطة الحدود في مدينة رفح، وردّ هؤلاء على النار فقتلوا اثنين من المسلّحين وفرّ الآخرون الى احد المنازل حيث وقع تبادل اطلاق نار مع الجنود استمر لبضع ساعات وقد تمكّن مسلّحان من الهرب واعتقل ثالث (**الدستور**، ١١/٩/١٩٩٢).

• اعترف قائد المنطقة الشمالية الاسبق اللواء (احتياط) يانوش بن ـ غال: «بأنه سيكون من الصعب التوصل الى تسوية مع سوريا دون اخلاء معظم أو جميع المستوطنات اليهودية في هضبة الجولان». ومع ذلك، فقد دعا المفاوضين الاسرائيليين الى بذل كل جهد ممكن للحؤول دون ازالة المستوطنات (**دافار**، ١١/٩/١٩٩٢).

١٩٩٢/٩/١١

• كشفت مصادر اسرائيلية، ان شهيدي أمس اللذين سقطا في معركة بالاسلحة الرشاشة مع قوة اسرائيلية، قرب مخيم الشابورة في رفح، هما عطايا سلامة ابو سمهدانة (١٩ عاماً)، واحمد سلامة ابو صهيبان (٢٢ عاماً). من جهة أخرى، ساد الاضراب الشامل في قطاع غزة وأُجريت مسيرات واستعراضات شبه عسكرية، وأُلقيت زجاجتان حارقتان باتجاه دورية عسكرية في رفح، وأطلقت عيارات نارية باتجاه دورية أخرى في مخيم يبنة انتقاماً لشهيدي رفح. كما وقع اشتباك مسلّح بين فلسطينيين وقوة اسرائيلية في قرية قوصين قضاء نابلس (**الدستور**، ١٢/٩/١٩٩٢).

١٩٩٢/٩/١٢

• ساد الاضراب العام في معظم مناطق قطاع غزة حداداً على روحيْ الشهيدين ابو سمهدانة وصهيبان. وأجملت مصادر طبية اعداد الجرحى الذين أصيبوا في خلال مواجهات عنيفة وقعت في القطاع، في خلال اليومين الماضيين، بحوالى ١٣٨ مواطناً أصيب ٧٤ منهم بعيارات نارية، و٢٤ جرّاء الضرب المبرح على يد جنود الاحتلال وأربعين آخرين جراء استنشاق الغاز الذي تسبب ايضاً، في اجهاض خمس نساء (**الدستور**، ١٣/٩/١٩٩٢).

١٩٩٢/٩/١٣

• واصلت سلطات الاحتلال الاسرائيلية فرض حظر التجول على مدينة رفح لليوم الثالث على التوالي، في أعقاب استشهاد مواطنين يوم الخميس الماضي. فيما استمر الاضراب التجاري في مدن وقرى قطاع غزة. من جهة أخرى، وقع اشتباك مسلّح بين مجموعة من المطاردين ودورية عسكرية اسرائيلية قرب خلّة خاضور القريبة من الخليل. وقد فرضت قوات الاحتلال
حظر التجول على اجزاء من الخليل (**الدستور**، ١٤/٩/١٩٩٢).

• اعلن رئيس الوفد الاسرائيلي للمفاوضات مع سوريا، ايتمار رابينوفيتش، ان «اسرائيل ترى في التسويات المرحلية وسيلة لجسر القنوات بينها وبين سوريا» (**دافار**، ١٤/٩/١٩٩٢).

• اكد الرئيس الاميركي، جورج بوش، العمل «كمساعد وكقوة دافعة» من اجل السلام في المنطقة. وجدّد اقتناعه بأن أي حل قابل للحياة يجب ان يرتكز على مبادلة السلام بالارض بموجب قراري مجلس الامن الدولي ٢٤٢ و٣٣٨، وان يأخذ في الاعتبار أمن اسرائيل وجميع شعوب المنطقة، وكذلك الحقوق السياسية المشروعة للشعب الفلسطيني (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ١٤/٩/١٩٩٢).

١٩٩٢/٩/١٤

• تواصلت الاشتباكات في الارض المحتلة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية وطعنت فتاة فلسطينية ضابطاً اسرائيلياً كبيراً في الخليل، وتمّ اعتقال الفتاة اثر الحادث. وذكرت الاذاعة الاسرائيلية، ان هجوماً مسلّحاً وقع ضد دورية عسكرية في اثناء مرورها في قباطية. وتمّ فرض حظر تجول على بلدة دير استيا في أعقاب القاء زجاجتين حارقتين باتجاه دورية عسكرية كانت تمر في البلدة. الى ذلك، أُصيب جندي اسرائيلي بجروح اثر رشقه بالحجارة في الخليل (**الدستور**، ١٥/٩/١٩٩٢).

• قدّمت اسرائيل الى سوريا في بداية جولة المفاوضات الجديدة في واشنطن، وثيقة مبادىء تطرّقت الى «الابعاد الاقليمية» للسلام مع سوريا. وذكرت مصادر اسرائيلية، ان الوثيقة ذات السبع صفحات، قسمت الى ثلاث فقرات: مقدمة، تصف التصور الاسرائيلي للسلام مع سوريا؛ وقائمة مبادىء ترتكز عليها المفاوضات مع سوريا؛ وجدول أعمال يقترح السبل لتقدم المفاوضات بهدف التوصل الى التصور الوارد في مقدم الوثيقة (**عل همشمار**،

.(١٩٩٢/٩/١٥)

١٩٩٢/٩/١٥

• استشهد محمد سعيد سليمان السعدي (٢٢ عاماً) في اثناء تبادل لاطلاق النار مع قوة اسرائيلية من الوحدات الخاصة السرية، في قرية برقين، قضاء جنين. وكان أفراد الوحدة قد نصبوا كميناً وفتحوا النار على الشاب المطارد الذي استشهد على الفور. وعثر الجنود بحوزته على رشاش كلاشينكوف. بالمقابل، اصيب جنديان اسرائيليان وثلاثة مستوطنين اثر رشق سياراتهم بالحجارة في رفح والخليل. وأُلقيت قنبلة يدوية باتجاه نقطة عسكرية اسرائيلية في دير البلح (**الدستور**، ١٦/٩/١٩٩٢).

• دعا وزير الخارجية الاسرائيلية، شمعون بيرس، الفلسطينيين الى عدم التأخر عن قطار التسوية. وقال: «ان الحكم الذاتي هو صيغة مؤقتة، وسوف يليها مشروع لحل دائم» (**عل همشمار**، ١٦/٩/١٩٩٢).

١٩٩٢/٩/١٦

• ذكرت مصادر الشرطة الاسرائيلية، ان فلسطينياً من الضفة الفلسطينية اعترف بقتل مهاجر يهودي روسي وجرح بحارين بولنديين في حيفا. وأكدت المصادر، ان هذا الاعتراف جاء في اثناء استجواب المواطن الذي أوضح انه استهدف قتل يهود انتقاماً لضربات تلقاها من قبل جنود اسرائيليين قبل عام تقريباً. يذكر ان القتيل الروسي يدعى بوريس اوشيروف (**الدستور**، ١٧/٩/١٩٩٢).

١٩٩٢/٩/١٧

• عمّ الاضراب الشامل مناطق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة لليوم الثاني على التوالي، وذلك استجابة لنداء القيادة الموحّدة بمناسبة مرور عشر سنوات على مجازر صبرا وشاتيلا في لبنان. وذكرت مصادر فلسطينية، ان عشرين فلسطينياً جرحوا في قطاع غزة في اثناء الاضراب، عندما فتح جنود اسرائيليون النار باتجاه متظاهرين في مخيمين للاجئين؛ وان مواجهات عنيفة وقعت في مخيمي جباليا والنصيرات (**الدستور**، ١٨/٩/١٩٩٢).

١٩٩٢/٩/١٨

• استقبل الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، في تونس، سفراء دول الترويكا في تونس برئاسة السفير الايطالي، مايكل تيت، وفي حضور السفير البرتغالي، كارلوس ماليخراو؛ والقائم بأعمال بلجيكا، السيدة فرانس شينـاو؛ ومندوب السوق الاوروبية المشتركة، كلاوس فون هيلدور. واستعرض عرفات مع الحضور التطورات الخاصة بعملية السلام في ضوء الاصرار الاسرائيلي على التنكر لقواعد الشرعية الدولية (**وفا**، ١٨/٩/١٩٩٢).

• شنّت قوات الاحتلال الاسرائيلية حملة تفتيش في قطاع غزة، شاركت فيها طائرات مروحية، بحثاً عن ثلاثة فلسطينيين تمكنوا من تجريد جندي اسرائيلي من لباسه العسكري ومصادرة سلاحه بعد طعنه بسكاكين، حيث اصيب بجروح خطيرة، وقد عثر على الجندي في بستان قرب مخيم البريج. من جهة أخرى، تواصلت الصدامات بين قوات الاحتلال والمواطنين في معظم مناطق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، وأسفرت عن جرح عدد من المواطنين واعتقال آخرين (**الدستور**، ١٩/٩/١٩٩٢).

١٩٩٢/٩/١٩

• شنّت قوات الاحتلال الاسرائيلية حملة دهم واعتقال في عدد من مناطق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، وسلّمت احد عشر مواطناً من قرية بيتا، قضاء نابلس، إخطارات بهدم منازلهم بحجة البناء دون ترخيص. وفي حال تمّ تنفيذ الاوامر فسيكون ذلك أكبرعملية هدم تتعرض لها قرية فلسطينية منذ أكثر من ربع قرن من الاحتلال. ولاحظت مصادر فلسطينية تركيزاً اسرائيلياً متزايداً على انزال عقوبات بمواطنين من خلال هدم منازلهم، في وقت رفعت الحكومة الاسرائيلية معدل المساعدات المخصصة للمستوطنين اليهود من اجل دعم عمليات الاستيطان في الارض المحتلة (**الدستور**، ٢٠/٩/١٩٩٢).

• قال رئيس لجنة الخارجية والامن التابعة للكنيست، أوري أور، انه طالما لم توافق سوريا على اقامة سلام حقيقي مع اسرائيل فانه لا يمكننا التحدث عن تسوية في هضبة الجولان. وأضاف ان اسرائيل تسعى الى عقد سلام كامل على غرار اتفاقها مع مصر، ومن دون عودة الى ما كان عليه الوضع قبل حزيران (يونيو) ١٩٦٧ (**عل همشمار**، ٢٠/٩/١٩٩٢).

١٩٩٢/٩/٢٠

• تواصلت الاشتباكات في مناطق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، التي استخدمت العيارات المطاطية وقنابل الغاز، وأسفرت الاشتباكات عن جرح عدد من المواطنين (الدستور، ١٩٩٢/٩/٢١).

١٩٩٢/٩/٢١

• استشهد مواطنان احدهما يدعى مصطفى الاشقر (٦٠ عاماً) من عصيرة الشمالية، قضاء نابلس، والثاني، رزق النوباني (٣٠ عاماً) من قرية اللبن الشرقية. وكان شبان الانتفاضة القوا، أمس، قنبلة يدوية باتجاه دورية عسكرية اسرائيلية في حي القصبة في نابلس، ورد أفراد الدورية باطلاق النار وأصابوا تسعة مواطنين بجروح نقلوا على أثرها الى المستشفى، حيث استشهد مصطفى الاشقر. اما الشهيد الثاني، فقد سقط في انفجار عبوة ناسفة كان يحملها في اثناء مروره على مقربة من مستوطنة «ايلي» في الضفة الفلسطينية (الدستور، ١٩٩٢/٩/٢٢).

١٩٩٢/٩/٢٢

• لقي جندي اسرائيلي مصرعه، متأثراً بجروح أُصيب بها بعد ان أطلق فلسطيني النار عليه. وذكرت الاذاعة الاسرائيلية، انه تمّ اعتقال الفلسطيني المهاجم الذي تنكّر بزي عسكري اسرائيلي. من جهة أخرى، تعرّضت سيارة عسكرية على متنها ضابط اسرائيلي برتبة عميد لهجوم فلسطيني مسلّح في اثناء مرورها على طريق العفولة. وأكدت الاذاعة الاسرائيلية التي أوردت النبأ، ان الضابط نجا باعجوبة فيما أصيبت السيارة بأضرار. وفي حادث آخر، أُصيب ثلاثة مستوطنين بجروح إثر انفجار عبوة ناسفة في مستوطنة «كريات أربع» قرب الخليل (الدستور، ١٩٩٢/٩/٢٣).

١٩٩٢/٩/٢٣

• أصيب جندي اسرائيلي بجروح خطيرة تسبب بها اطلاق نار من قبل مجهولين في قرية قادش. من جهة أخرى، اتهمت زوجة المعتقل، احمد سليمان قطامش، الذي تعتبره سلطات الاحتلال الاسرائيلية مسؤولاً في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، المخابرات الاسرائيلية بالتخطيط لاغتيال زوجها، وحمّلتها مسؤولية الحفاظ على حياته وصحته (الدستور، ١٩٩٢/٩/٢٤).

١٩٩٢/٩/٢٤

• تلقّى الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، رسالة من القيادة الروسية تتعلّق بآخر المستجدات الراهنة على صعيد عملية السلام في الشرق الاوسط والجهود المبذولة لدفعها الى أمام، وذلك في خلال استقبال عرفات للقائم بأعمال سفارة روسيا في تونس، روبرت توريادوف (وفا، ١٩٩٢/٩/٢٤).

• أطلق مسلّحون فلسطينيون النار باتجاه وحدة خاصة تابعة لقوات الاحتلال الاسرائيلية، وكذلك باتجاه برج للمراقبة يقع خلف سجن في مدينة جنين. وقد ردّ الجنود الاسرائيليون باطلاق النار، ولم تقع أية خسائر لدى الطرفين. من جهة اخرى، تعرّض اسرائيلي، أمس، لطعن بسكين في اثناء توجهه الى حائط المبكى في القدس، وتبين انه طالب في معهد ديني يهودي. كما تعرضت اسرائيلية في الاربعين من عمرها للطعن، أيضاً، في المدينة نفسها (الدستور، ١٩٩٢/٩/٢٥).

• ذكر مكتب الاحصاء المركزي الاسرائيلي، ان عدد سكان اسرائيل بلغ في بداية السنة العبرية، ٥,١٥٥,٠٠٠ نسمة، تبلغ نسبة اليهود منهم ٨٢ بالمئة أي حوالى ٤,٢٢,٠٠٠ نسمة، بينما تبلغ نسبة المسلمين ١٤ بالمئة، أي ما يعادل حوالى ٧١٥ ألف نسمة، ونسبة المسيحيين ٢,٤ بالمئة، أي ما يعادل ١٣٥ ألف بالاضافة الى ٨٦ ألف درزي يمثّلون ١,٦ بالمئة من السكان (دافار، ١٩٩٢/٩/٢٥).

١٩٩٢/٩/٢٥

• قامت قوة كبيرة من الجيش الاسرائيلي تدعمها طائرات مروحية بمحاصرة منطقة في رفح حيث تواجدت مجموعة من الفلسطينيين المطاردين من صقور «فتح» في منزل عطية سمهدانة (٧٥ عاماً). وطلبت القوة من أفراد المجموعة عبر مكبرات الصوت تسليم أنفسهم، فأطلقت المجموعة عيارات صوتية، تجمّع على اثر سماعها عدد كبير من المواطنين واشتبكوا مع القوة الاسرائيلية التي حاصرت المنزل، وقد تقدّمت مجموعتان احداهما من الجهاد الاسلامي والاخرى تتبع «النسر الاحمر» لاسناد المحاصرين ومكّنتاهم من الانسحاب تحت غطاء من نيران أسلحتهم. وقد

ردّت القوة الاسرائيلية على ذلك باشعال النار في منزل سمهدانة انتقاماً لنفسها (الدستور، ١٩٩٢/٩/٢٦).

١٩٩٢/٩/٢٦

• استشهد المواطن فيصل سعود ابو سرحان (١٩ عاماً) من قرية العبيدية برصاص جنود الاحتلال الاسرائيلي في اثناء تظاهرة رداً على محاولة قام بها الجنود لاجبار عدد من الطلاب على محو شعارات وطنية من على الجدران. كما أصيب مواطن آخر بجروح عندما حاول انقاذ رفيق له. في هذه الاثناء، تواصلت الصدامات بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية في مناطق أخرى من الضفة الفلسطينية وقطاع غزة وأسفرت عن اصابة عدد من المواطنين بجروح (الدستور، ١٩٩٢/٩/٢٧).

١٩٩٢/٩/٢٧

• اجتمع الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، في القاهرة، مع الرئيس المصري، محمد حسني مبارك، وقيّم الطرفان نتائج الجولات الست من مفاوضات السلام والاوضاع داخل الارض الفلسطينية المحتلة (وفا، ١٩٩٢/٩/٢٧).

• شهدت مناطق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة مواجهات بين المواطنين والقوات الاسرائيلية أسفرت عن اصابة عدد من المواطنين بجروح. وذكرت تقارير ان النيران أطلقت باتجاه أهداف عسكرية اسرائيلية في مدينتي جنين والخليل. من جهة أخرى، دهمت قوات اسرائيلية قريتي الطيبة وسيلة الحارثية وبلدة قباطية بحثاً عن مطلوبين (الدستور، ١٩٩٢/٩/٢٨).

١٩٩٢/٩/٢٨

• اصيبت مئة وخمسون طالبة فلسطينية باختناق وتسمّم وجروح في اثناء اعتداء قامت به قوات من «حرس الحدود» الاسرائيلية، استخدمت، في خلاله، قنابل الغاز والقنابل المطاطية والضرب بالهروات في مدرسة بني سهيلة الى الشرق من خان يونس. في غضون ذلك، شهدت الارض المحتلة صدامات متفرقة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، وتعرّضت دورية عسكرية لاطلاق نار من قبل مسلّحين ملثّمين في جنين. كما أطلق مسلّحون آخرون عيارات نارية باتجاه موقع عسكري قرب مستوطنة «نتسريم» (الدستور، ١٩٩٢/٩/٢٩).

١٩٩٢/٩/٢٩

• تواصلت الصدامات في الارض المحتلة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية وأسفرت عن اصابة مواطنين بجروح وكسور. من جهة أخرى، وقع اشتباك مسلّح بين مجموعة فلسطينية ودورية عسكرية اسرائيلية في منطقة جنين وآخر في قرية بني سهيلة، وأُلقيت عبوة ناسفة باتجاه دورية كانت تمر في مخيم خان يونس، وهوجمت دورية ثانية بزجاجة حارقة في مخيم البريج، وتعرّضت دورية ثالثة من «حرس الحدود» لزجاجة حارقة في حي ابو طور في القدس (الدستور، ١٩٩٢/٩/٣٠).

• قال رئيس الأركان الاسرائيلية، الجنرال ايهود براك، في مقابلة مع اذاعة الجيش الاسرائيلي، «علينا الاحتفاظ بهضبة الجولان طالما هناك احتمالات لاندلاع حرب مع سوريا» (دافار، ١٩٩٢/٩/٣٠).

١٩٩٢/٩/٣٠

• استشهد مواطن فلسطيني عندما حاول طعن ضابط اسرائيلي في حي النبي يعقوب شمال القدس. وكان الشاب أشهر سكيناً بيد وحمل بلطة باليد الاخرى وتقدّم من الضابط الذي أطلق النار عليه قبل ان يتمكن منه واصابه بطلقات عدّة. في هذه الاثناء، وقعت مواجهات بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية في عدد من مناطق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة (الدستور، ١٩٩٢/١٠/١).

١٩٩٢/١٠/١

• لقي شرطي اسرائيلي مصرعه جراء طعنه بسكين، ليلة أمس، على الطريق بين القدس وتل ـ أبيب، قريباً من مستوطنة ازور. كما أصيب جنديان بجروح إثر رشق دورية عسكرية بالحجارة في مدينة الخليل. وتعرّضت دورية أخرى لهجوم بالاسلحة النارية في حي البصة في المدينة، فيما حطّم مواطنون زجاج ثلاث حافلات اسرائيلية. الى ذلك، أُلقيت زجاجة حارقة باتجاه سيارة عسكرية في رام الله، وأخرى باتجاه دورية في قرية بني حسان (الدستور، ١٩٩٢/١٠/٢).

• دعا وزير الخارجية الاسرائيلية، شمعون بيرس، في كلمة القاها في حضور الجمعية العامة

للامم المتحدة، الرئيس السوري، حافظ الاسد الى عقد قمة مع رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق رابين، وتوقع بيرس ان تتوصل اسرائيل، في فترة قريبة، الى سلام مع الاردن (عل همشمار، ٢/١٠/١٩٩٢).

١٩٩٢/١٠/٢

• استشهد انور شفيق المطور (١٥ عاماً) من سعير اثر اطلاق النار عليه من قبل جنود اسرائيليين. وذكرت مصادر اسرائيلية، ان الحادث وقع في اثناء تظاهرة فلسطينية تضامناً مع المعتقلين الفلسطينيين المضربين عن الطعام. كما استشهد رامز عبدالغفور مسعود عمور (١٧ عاماً) من قرية عنزة في اثناء مواجهات مع قوات الاحتلال الاسرائيلية (الدستور، ٣/١٠/١٩٩٢).

• أعرب الرئيس الاميركي المنتخب، بيل كلينتون، عن دعمه القوي لمفاوضات السلام، وقال انه سيتابع دور بلاده فيها. وانتقد سياسة الرئيس، جورج بوش، وقال انها تعاملت، في بعض الاحيان، مع النزاع بين اسرائيل والدول العربية وكأنه مجرد نزاع آخر بين الاديان والدول، بدلاً من نزاع على محكه «بقاء اسرائيل الحليفة الديمقراطية» (انترناشونال هيرالد تربيون، ٣ ـ ٤/١٠/١٩٩٢).

١٩٩٢/١٠/٣

• استشهد محمد صادق ابو كامل (٢٣ عاماً) وينتمي الى مجموعات «الفهد الاسود» الفلسطينية، بعد مطاردة استمرت أكثر من عام؛ كما استشهد محمد احمد نزال (٢٦ عاماً) من قباطية في اثناء قيام الجيش الاسرائيلي بتفريق تظاهرة للسكان في البلدة انطلقت في أعقاب استشهاد ابو كامل (الدستور، ٤/١٠/١٩٩٢).

• نفى وزير الخارجية الاسرائيلية، شمعون بيرس، في بروكسل، صحة الانباء القائلة بأن تصريحات رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق رابين، نسفت لقاء «محتملاً» بينه وبين نظيره السوري، فاروق الشرع. ونفى، كذلك، وجود خلافات بينه وبين رابين حول الاتصالات مع السوريين (دافار، ٤/١٠/١٩٩٢).

١٩٩٢/١٠/٤

• ساد توتر شديد في بلدة قباطية في أعقاب استشهاد اثنين من ابنائها أمس، وأُعلن الحداد في البلدة والقرى المجاورة لها لمدة ثلاثة أيام. من جهة أخرى، ألقى ناشطون فلسطينيون زجاجة حارقة باتجاه هدف اسرائيلي في القدس واشعلوا النار بسيارتين في المدينة (الدستور، ٥/١٠/١٩٩٢).

١٩٩٢/١٠/٥

• هاجم مسلحون فلسطينيون دورية عسكرية اسرائيلية، في اثناء مرورها في بلدة بلعا القريبة من طولكرم. وقام آخرون بمهاجمة دوريات اسرائيلية بالزجاجات الحارقة في بلدتي قباطية وجلجول، وقد أطلق الجنود الاسرائيليون النار على المهاجمين وأصابوا احدهما بجروح (الدستور، ٦/١٠/١٩٩٢).

• التقى رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق رابين، في مكتبه ممثلي كتلة الليكود البرلمانية، حيث قدّم تقريراً حول التطورات السياسية. وشارك في اللقاء رئيس كتلة الليكود في الكنيست، موشي كتساف، وكل من دافيد ليفي، اريئيل شارون، بنيامين نتنياهو، وبني بيغن، كما شارك عضو الكنيست، الياهو بن ـ اليسار وميخائيل ايتان ويهوشع متسا. وتضمّن تقرير رابين شرحاً تفصيلياً لسير المفاوضات التي تجريها اسرائيل مع الدول العربية، وبشكل خاص مع سوريا، وكذلك المفاوضات مع الفلسطينيين (دافار، ٦/١٠/١٩٩٢).

١٩٩٢/١٠/٦

• أُصيب جندي اسرائيلي بجروح بانفجار قنبلة يدوية أُلقيت باتجاه دورية في منطقة خان يونس، كما طُعن مستوطن بسكين. وذكرت الاذاعة الاسرائيلية، ان زجاجة حارقة أُلقيت كذلك، باتجاه سيارة عسكرية في منطقة رام الله، وان زجاجة أخرى أُلقيت باتجاه دورية ثانية في مخيم الشابورة في رفح (الدستور، ٧/١٠/١٩٩٢).

١٩٩٢/١٠/٧

• استشهد امس في جنين، حسن صالح حسن راهمة (٢٠ عاماً) من عنزة، قضاء جنين، اثر انفجار جسم مجهول بين يديه؛ وأُصيب مئة فلسطيني على الاقل، بجروح في خلال مسيرات نظمتها النساء تضامناً مع المعتقلين المضربين عن الطعام. وكانت تظاهرة نسوية سلمية انطلقت في رفح وتعرّضت لنيران جنود الاحتلال الاسرائيلي ممّا تسبب في سقوط

هذا العدد الكبير من الجرحى (الدستور، ١٠/٨/١٩٩٢).

١٩٩٢/١٠/٨

• التقى الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، في دار الضيافة، في عمّان، اعضاء المجلس الوطني الفلسطيني المقيمين في الاردن في حضور رئيس المجلس، الشيخ عبدالحميد السائح، وأكد الرئيس عرفات، في خلال اللقاء ان التنسيق الفلسطيني - الاردني، بلغ أوجه، وقال انه اتسع ليشمل القضايا السياسية المطروحة كافة (وفا، ١٠/٨/١٩٩٢).

• شهد قطاع غزة تعزيزات عسكرية اسرائيلية مكثّفة، وسيّر الجيش دوريات عدّة، وفرض حظر التجول على مخيمي الشابورة وبيتة في رفح في أعقاب اشتباكات امس التي أسفرت عن جرح أكثر من مئة مواطن. ووقعت صدامات دامية في مخيمي البريج والمغازي قام الشبان الفلسطينيون، في اثنائها، برشق الجنود الاسرائيليين بالحجارة، وأسفرت عن اصابة ستة مواطنين من مخيم المغازي بجروح وخمسة آخرين من مخيم البريج (الدستور، ١٠/٩/١٩٩٢).

• أبلغ وزير الخارجية المصرية، عمرو موسى، الى رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق رابين، ووزير خارجيته، شمعون بيرس، ان فلسطينيين اعضاء في المجلس الوطني أو من القدس لن يشاركوا في لجنتي التنمية الاقتصادية واللاجئين، في مقابل موافقة اسرائيل على مشاركة الفلسطينيين في لجان المتعددة الخمس (هآرتس، ١٠/٩/١٩٩٢).

• أقر رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق رابين، باعادة النظر في قرار هيئة الاركان العامة للجيش الاسرائيلي، بشأن تقليص قوات الجيش في الارض المحتلة وخصوصاً في الضفة الفلسطينية في ضوء تراجع حجم التظاهرات والاعمال المسلحة والعنيفة (هآرتس، ١٠/٩/١٩٩٢).

١٩٩٢/١٠/٩

• تواصلت فعاليات وأنشطة الانتفاضة في ظل اضراب شامل اعلنه المواطنون في معظم مناطق الارض المحتلة بمناسبة دخول الانتفاضة شهرها التاسع والخمسين. وقد أسفرت اشتباكات اليوم بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية عن سقوط المزيد من الجرحى فبلغت حصيلة من أصيبوا جراء اطلاق النار من الجانب الاسرائيلي أكثر من مئتي مواطن في خلال الثماني والاربعين ساعة الماضية، كما استشهد طفل في الرابعة من عمره يدعى ابراهيم طالب محمد ابو جهل من حي الشجاعية في غزة بعد ان صدمته سيارة عسكرية اسرائيلية (الدستور، ١٠/١٠/١٩٩٢).

• أعرب رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق رابين، في حضور كتلة المفدال في الكنيست، عن معارضته اجراء انتخابات عامة أو استفتاء في اسرائيل قبل ان يتم اقرار تنازلات اقليمية في هضبة الجولان. وأكد رابين على حقه في حسم الامور السياسية بما فيها التنازلات الاقليمية، وذلك استناداً الى الاغلبية البرلمانية التي تتمتع بها حكومته، ومن دون طرح الموضوع (هآرتس، ١٠/١٠/١٩٩٢).

١٩٩٢/١٠/١٠

• اغلقت المحال التجارية في القدس ابوابها تضامناً مع المعتقلين، وانطلقت مسيرة نسائية ضمت ذوي المعتقلين، فيما اقتحمت قوة اسرائيلية مقر الصليب الاحمر في البيرة حيث كان يعتصم عدد من المواطنين تضامناً مع السجناء المضربين في السجون الاسرائيلية. في غضون ذلك، شهدت رام الله مواجهات بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية التي شنّت حملة اعتقالات واسعة. على صعيد آخر، قتل فلسطينيون فنياً اسرائيلياً بضربة فأس على رأسه في خلال زيارة قام بها لمستوطنة زراعية في غزة (الدستور، ١١/١٠/١٩٩٢).

• قال وزير الخارجية الاسرائيلية، شمعون بيرس، ليس هناك أي عائق أمام اجراء استفتاء شعبي حول تسوية اقليمية في هضبة الجولان، ولكن ليس ثمة ضرورة للتعهد بذلك الآن (دافار، ١١/١٠/١٩٩٢).

١٩٩٢/١٠/١١

• استشهد مواطنان وأُصيب اربعون بجروح في اثناء مصادمات عنيفة وقعت في مخيم النصيرات في قطاع غزة، ونشرت قوات الاحتلال تعزيزات عسكرية في مناطق أخرى في الارض المحتلة، وفرضت حظر التجول على مدن غزة وخان يونس ورفح وقريتي بيت لاهيا وبيت حانون، ومخيمات النصيرات والبريج والمغازي. في المقابل، قتل شاب فلسطيني اسرائيلياً طعناً بالسكين (الدستور، ١٢/١٠/١٩٩٢).

١٩٩٢/١٠/١٢

• استشهد رياض غازي فريد الزير (٢٠ عاماً) متأثراً بجروح أصيب بها في معدته اثر اطلاق جنود الاحتلال النار على عدد من شبان قرية سلفيت (الدستور، ١٣/١٠/١٩٩٢).

١٩٩٢/١٠/١٣

• استشهد الفتى فرج زياد الصوص (١٣ عاماً) اثر اصابته برصاصة في رأسه في اثناء قيامه بتوزيع الصحف على متظاهرين في مدينة غزة. وشنّت قوات الاحتلال حملة اعتقالات واسعة في غزة وجنين ورام الله. من جهة أخرى، صادرت سلطات الاحتلال الاسرائيلية ٨٨ دونماً من أراضي قرية اللبن الشرقية في منطقة رام الله بغرض توسيع مستوطنة «عيليه» المجاورة (الدستور، ١٤/١٠/١٩٩٢).

• رفض رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق رابين، توصيات هيئة أركان الجيش الاسرائيلي بتقليص مئات الملايين من الشيكلات من احتياجات الصناعة الامنية الاسرائيلية في العام المقبل (عل همشمار، ١٤/١٠/١٩٩٢).

١٩٩٢/١٠/١٤

• استقبل الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، السفير المصري لدى تونس، وبحث معه في الاوضاع والتطورات السياسية التي تمر بها القضية الفلسطينية. وقدم الرئيس عرفات الى السفير المصري تعازيه الحارة بضحايا الزلزال، وأكد وقوف القيادة الفلسطينية والشعب الفلسطيني الى جانب الشعب المصري في محنته (وفا، ١٤/١٠/١٩٩٢).

• استشهد انور زرعي صليح (٢٠ عاماً) ويقود مجموعة «صقور فتح» في خان يونس في خلال اشتباك مسلح وقع في المدينة، كما أصيب مواطن وجندي اسرائيلي بجروح في الاشتباك عينه؛ كما استشهد تحسين احمد لحلوح (ابو شحمة) (١٦ عاماً) اثر اصابته بطلقتين في الصدر في اثناء اشتباكات اخرى وقعت في خان يونس، أيضاً، وجرح من جرائها خمسة مواطنين. من جهة أخرى، أطلقت النار باتجاه دورية عسكرية اسرائيلية، كانت تمر في قرية عبسان شرق خان يونس، وأصيب أربعة مواطنين بجروح في بني سهيلة المجاورة (الدستور، ١٥/١٠/١٩٩٢).

١٩٩٢/١٠/١٥

• شهدت الارض المحتلة اضراباً عاماً احتجاجاً على استشهاد المواطن، حسين نمر عبيدات من القدس، في معتقل عسقلان. وشهدت القدس مواجهات عنيفة مع قوات الاحتلال اثر اعلان نبأ استشهاد عبيدات الذي أمضى ١٧ يوماً مضرباً عن الطعام احتجاجاً على سوء المعاملة. في هذه الاثناء، قُتل اسرائيلي يبلغ من العمر ٣٥ عاماً طعناً بسكين في حقل يقع قريباً من قرية ميثاف (الدستور، ١٦/١٠/١٩٩٢).

١٩٩٢/١٠/١٦

• طعن شابان فلسطينيان اسرائيلياً في الحي القديم في القدس وأصاباه بجروح. وقد اعتقلت الشرطة الاسرائيلية عدداً كبيراً من المواطنين اثر الحادث. وذكرت مصادر اسرائيلية ان ستة عمال اصيبوا بجروح بعد ان هاجمهم مستوطنون انتقاماً لمزارع اسرائيلي قتل على أيدي فلسطينيين أول من أمس. وأطلق جنود اسرائيليون النار على مواطنين في الخليل وأصابوا ثلاثة بجروح (الدستور، ١٧/١٠/١٩٩٢).

١٩٩٢/١٠/١٧

• استبعد رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق رابين، التوصل الى السلام مع سوريا في هذه المرحلة «دون ان يتم التفاهم بين رؤساء الدول». ودعا لبحث الامور «وجهاً لوجه» (عل همشمار، ١٨/١٠/١٩٩٢).

١٩٩٢/١٠/١٨

• استمرت الاشتباكات بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية في عدد من مناطق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، وأسفرت عن جرح عدد من المواطنين. وقامت قوات الاحتلال بعمليات دهم أسفرت عن اعتقال عدد آخر (الدستور، ١٩/١٠/١٩٩٢).

١٩٩٢/١٠/١٩

• تواصلت الصدامات في مناطق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، وجرح في اثنائها عشرات المواطنين واعتقل آخرون (الدستور، ٢٠/١٠/١٩٩٢).

• دعا رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق رابين،

الجيش الاسرائيلي وجهاز «الشاباك» (الامن العام) الى تعزيز الاجراءات والانشطة والتدابير المتخذة لمنع انتشار الانتفاضة ولالقاء القبض على منفّذي العمليات المسلّحة (**معاريف**، ٢٠/١٠/١٩٩٢).

١٩٩٢/١٠/٢٠

• تواصلت الاشتباكات العنيفة في الارض المحتلة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية وأسفرت عن اصابة عدد من المواطنين بجروح. وشنّت قوات الاحتلال حملة اعتقالات واسعة تركّزت في مناطق الخليل وبيت لحم ورام الله وغزة. وفي هذه الاثناء، أُصيب جندي اسرائيلي بجروح في غزة نتيجة صدام مع المواطنين (**الدستور**، ٢١/١٠/١٩٩٢).

• اكدت الادارة الاميركية، عشية استئناف المفاوضات الثنائية السابعة، ان هناك «فرصة حقيقية لتحقيق تقدم» في هذه الجولة. وكشف الناطق باسم وزارة الخارجية الاميركية، ريتشارد باوتشر، ان الادارة عملت، بنشاط، مع مختلف الاطراف لتشجيعها على تحقيق التقدم المطلوب في هذه الجولة (**انترناشونال هيرالد تريبيون**، ٢١/١٠/١٩٩٢).

١٩٩٢/١٠/٢١

• ذكرت مصادر الجيش الاسرائيلي، ان مسلحين فلسطينيين اطلقوا النار على جنود اسرائيليين في مدينة الخليل، وأصابوا أربعة منهم بجروح. وقد تمكّن المسلّحون من الفرار بعد مطاردة شاركت فيها طائرات مروحية اسرائيلية. وفي القدس، جرح مستوطن جراء رشق سيارته بالحجارة في اثناء مرورها في منطقة الحاووز. كما اشتعلت النيران بسيارتين اسرائيليتين، وتعرّضت دورية عسكرية للرشق بالحجارة ممّا أدى الى تحطيم نوافذ السيارة (**الدستور**، ٢٢/١٠/١٩٩٢).

١٩٩٢/١٠/٢٢

• ازداد التوتر في الارض المحتلة في أعقاب حملات القمع والتفتيش التي قامت بها قوات الاحتلال الاسرائيلية. وكانت سلطات الاحتلال أغلقت جميع المدارس الثانوية والاعدادية في قطاع غزة قبل أسبوعين، ولا يزال قرار غلقها نافذاً للاسبوع الثالث على التوالي. كما أغلقت السلطات الاسرائيلية مدرسة السلام الثانوية في جنين لمدة شهر كامل في أعقاب صدامات عنيفة وقعت على محيط المدرسة. في حين صعدت قوات الاحتلال حملات المداهمة والتمشيط في جميع أنحاء الارض المحتلة بحثاً عن مطلوبين، واقتحمت قريتي كفر ثلث وحجّة، قضاء جنين (**الدستور**، ٢٣/١٠/١٩٩٢).

١٩٩٢/١٠/٢٣

• استشهد عصام الخطيب (٢١ عاماً) من بلدة الرام شمال القدس، متأثراً بجروح اصيب بها في اثناء قيامه بكتابة شعارات على جدران احد المنازل، حيث أطلق جندي اسرائيلي النار عليه من مسافة قريبة. في المقابل، أصيب مستوطن بجروح اثر القاء زجاجات فارغة باتجاه مجموعة من المستوطنين في القدس. وأُلقيت خمس زجاجات حارقة باتجاه سيارة اسرائيلية تابعة للوحدات الخاصة السرية الاسرائيلية في مدينة قلقيلية، وأُلقيت زجاجة حارقة سادسة باتجاه دورية اسرائيلية في مخيم جباليا، الى ذلك هاجم فلسطينيون سيارتين اسرائيليتين في اثناء توجههما الى مستوطنة «الفيه منشه»، وهاجم آخرون مقر «الادارة المدنية» في قباطية بالزجاجات (**الدستور**، ٢٤/١٠/١٩٩٢).

١٩٩٢/١٠/٢٤

• أشعل شبان الانتفاضة النار في مخازن للجمارك الاسرائيلية تقع في منطقة صناعية عند اطراف القدس الشرقية. وكشف تقرير أولي للشرطة الاسرائيلية ان الحريق الذي شبّ في منطقة «اتاروت» الصناعية، تمّ بصورة متعمّدة، فقد عثر المحققون على آثار كسر في أحد الجوانب من المبنى، ولم يستبعدوا ان يكون فلسطينيون قد تسببوا في الحادث. من جهة أخرى، تواصلت الصدامات في الارض المحتلة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية وأسفرت عن اصابة عدد من المواطنين بجروح (**الدستور**، ٢٥/١٠/١٩٩٢).

١٩٩٢/١٠/٢٥

• ذكرت مصادر اسرائيلية، ان فلسطينياً من سيلة الحارثية استشهد في ظروف لم تحددها، كما لم تذكر المصادر اسم الشهيد. في المقابل، قتل مسلّح فلسطيني جندياً اسرائيلياً وأصاب آخر بجروح، بعد ان أطلق عليهما النار في مدينة الخليل (**الدستور**، ٢٦/١٠/١٩٩٢).

١٩٩٢/١٠/٢٦

• ذكرت مصادر في الارض المحتلة، ان

قنبلتين حارقتين أُلقيتا باتجاه سيارتين اسرائيليتين في باب الاسباط، في القدس، فيما تحطّم زجاج سيارتين أخريين وأُصيب أحد ركابهما بجروح نتيجة رشق بالحجارة في حي الثوري في المدينة عينها. وكانت بقية مناطق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة شهدت اشتباكات متفرقة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية أسفرت عن سقوط عدد من الجرحى (الدستور، ٢٧/١٠/١٩٩٢).

١٩٩٢/١٠/٢٧

• اصيب ثلاثة اسرائيليين بجروح نتيجة هجومين وقعا في الضفة الفلسطينية. فقد ذكر متحدث باسم الجيش الاسرائيلي، ان مسلحين أطلقوا النار على اسرائيلي وزوجته داخل سوق يقع في بلدة قريبة من جنين. وقد أصيب الرجل باصابات بالغة فيما اصيبت زوجته بجروح طفيفة. كما هاجم فلسطيني اسرائيلياً في مستوطنة تقع داخل قطاع غزة، مستخدماً بلطة وأصابه بجروح بالغة (الدستور، ٢٨/١٠/١٩٩٢).

١٩٩٢/١٠/٢٨

• أُطلقت عيارات نارية باتجاه مكاتب الجمارك الاسرائيلية الكائنة في ساحة المهد في بيت لحم، وردّ الجنود الاسرائيليون باطلاق نار مماثل ولم تقع اصابات. فيما استمر حظر التجول مفروضاً على الخليل لليوم الثالث على التوالي وسط حصار يشارك فيه ثلاثة آلاف جندي اسرائيلي من قوات «غفعاتي» و«غولاني»، وكان الحصار فرض على الخليل في أعقاب مقتل جندي اسرائيلي برصاص أحد القناصة (الدستور، ٢٩/١٠/١٩٩٢).

• قال نائب وزير الدفاع الاسرائيلي، موطي غور، في اثناء جلسة الكنيست «ان العمليات العسكرية من جنوب لبنان ضد اسرائيل لن تجبرنا على شنّ حرب جديدة» (معاريف، ٢٩/١٠/١٩٩٢).

١٩٩٢/١٠/٢٩

• استقبل الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، أمس، في تونس، رئيس حركة بوليفيا الحرة، السكرتير العام للاحزاب الاشتراكية في اميركا اللاتينية، انطونيو اورتيغا، واستعرض معه تطورات الاوضاع السياسية في الشرق الاوسط، وفي مقدمها عملية السلام، ومحاولات اسرائيل عرقلتها وتخريبها. وتمّ التأكيد على اهمية قيام حركات التحرر والاحزاب الاشتراكية في دول اميركا اللاتينية بالضغط على حكوماتها لارغام اسرائيل على الالتزام بعملية السلام والقرارات الدولية (وفا، ٢٩/١٠/١٩٩٢).

• ساد الاضراب الشامل في الارض المحتلة بمناسبة الذكرى السادسة والثلاثين لمجزرة كفرقاسم. من جهة أخرى، طالبت منظمة تعنى بحقوق الانسان في الارض المحتلة بغلق معتقل أنصار في النقب، بسبب سوء اوضاع المحتجزين فيه وظروف الاعتقال القاسية. وذكر تقرير للمركز الاسرائيلي لحقوق الانسان «بتسليم»، ان الظروف في «انصار ـ ٣» هي أسوأ بكثير من ظروف السجون الاخرى التي تحتجز معتقلين يمضون فترات محكوميتهم في مبانٍ تابعة لمصلحة السجون الاسرائيلية. وأضاف، ان سلطات الاحتلال الاسرائيلية أصدرت، منذ اندلاع الانتفاضة أواخر العام ١٩٨٧، ١٤ الف قرار اعتقال اداري (الدستور، ٣٠/١٠/١٩٩٢).

١٩٩٢/١٠/٣٠

• تواصلت الصدامات في مناطق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية وأسفرت عن جرح عدد من المواطنين. وذكرت التقارير، ان زجاجات حارقة عدّة أُطلقت في اثناء ذلك، باتجاه أهداف عسكرية اسرائيلية (الدستور، ٣١/١٠/١٩٩٢).

١٩٩٢/١٠/٣١

• استقبل الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، وزير خارجية اليونان، ميخائيل بابا كوستينو، على رأس وفد رافقه. وقد قدم الوزير اليوناني الى الرئيس عرفات في بداية اللقاء، تحيات رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء اليوناني. ثم أُجريت مناقشة لموقف السوق الاوروبية المشتركة وامكانية ان تلعب دول السوق دوراً في الضغط على سلطات الاحتلال لارغامها على الانصياع للشرعية الدولية وقراراتها في ما يتعلق بتحقيق السلام العادل في الشرق الاوسط (وفا، ٣١/١٠/١٩٩٢).

• استشهد هشام حسني عامر (٢٦ عاماً) من مخيم خان يونس، وهو من المطاردين. وكان عامر قد أُصيب بجروح أمس، في اثناء اشتباك مع جنود

الاحتلال اثر قيام مجموعة مسلّحة كان عامر أحد أفرادها بمهاجمة مركز الشرطة الاسرائيلية في المدينة. في هذه الاثناء، واصلت قوات الجيش الاسرائيلي فرض حظر التجول على الخليل والذي بدأ قبل أيام في أعقاب عملية استهدفت مركزاً عسكرياً يقع قرب الحرم الابراهيمي، وقتل جراؤها جندي اسرائيلي (الدستور، ١/١١/١٩٩٢).

١٩٩٢/١١/١

• اثنى رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق رابين، على عمل «الوحدات الخاصة» الاسرائيلية (وحدات المستعربين) في الارض المحتلة، فيما إدعى مصدر أمني، ان الجيش الاسرائيلي حافظ على القيم الاخلاقية في اثناء عمله الذي وصفه بالصعب والشاق (دافار، ٢/١١/١٩٩٢).

• وصل الى اسرائيل في خلال تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٩٢، ٧٥٤٢ مهاجراً جديداً بينهم ٦٨٣٢ جاؤوا من رابطة الدول المستقلة. ويعد هذا أعلى رقم للمهاجرين من هذه الدول خلال شهر واحد منذ بداية العام. وكان عدد المهاجرين بلغ العام الماضي ٧٥١٢ بينهم ٦٧٢٥ من رابطة الدول المستقلة. وذكر وزير الهجرة والاستيعاب، يئير تسبان، انه منذ بداية العام ١٩٩٢ وصل الى اسرائيل ٦١٣٧١ مهاجراً بينهم ٥٠٧٦٨ من رابطة الدول المستقلة (دافار، ٢/١١/١٩٩٢).

١٩٩٢/١١/٢

• عمّ الاضراب الشامل مناطق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة بمناسبة وعد بلفور، وقد تخلّل الاضراب وقوع مواجهات عنيفة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، كما سارت مظاهرات طلابية رفعت في خلالها الشعارات الوطنية، وأطلق ملثّمون النار باتجاه مركز للجيش الاسرائيلي في حي الشجاعية في مدينة غزة (الدستور، ٣/١١/١٩٩٢).

• قال مدير عام مكتب التشغيل في اسرائيل، داڤيد لڤلد، انه خلال الشهور التسعة الاولى من العام ١٩٩٢، طرأت زيادة في عدد الحاصلين على اعانات ضمان الدخل بنسبة ٥٩ بالمئة. ففي كانون الثاني (يناير) ١٩٩٢، حصل ١٥,٦٠٠ شخص على اعانات. أمّا في أيلول (سبتمبر) ١٩٩٢، فقد تمّ تقديم اعانات الى ٢٤,٨٠٠ شخص. وكان عدد الحاصلين على الاعانات، في الفترة عينها، من العام ١٩٩١ بلغ ١١٦٠٠ فقط (هآرتس، ٣/١١/١٩٩٢).

• قال وزير الشرطة الاسرائيلية، موشي شاحال، ان القانون لا يطبق في الارض المحتلة. وان العدد القليل لرجال الشرطة لا يوفّر ظروفاً لعمل عادي ممّا أدّى الى تزايد المخالفات الجزائية وأعمال السطو على الممتلكات (دافار، ٣/١١/١٩٩٢).

١٩٩٢/١١/٣

• أعلنت مصادر في الارض المحتلة عن استشهاد حليمة موسى البساتين من حوسان، قضاء بيت لحم، متأثرة بجرح اصيبت بها في خلال صدامات وقعت بين عدد من المواطنين في البلدة وقوات الاحتلال الاسرائيلية التي فرضت الحصار عليها فور اعلان نبأ الاستشهاد. في هذه الاثناء، تواصلت الاشتباكات بين المواطنين وقوات الاحتلال في مناطق عدّة، واستخدم الجنود الاسرائيليون في اثنائها العيارات النارية والمطاطية وقنابل الغاز، ممّا أدّى الى اصابة عدد من المواطنين بجروح (الدستور، ٤/١١/١٩٩٢).

• كشف مصدر سياسي اسرائيلي عن محادثات سرية اجراها نائب مدير عام وزارة الخارجية الاسرائيلية، ايتان بن ـ تسور، هذا الاسبوع، في بيونغ يانغ، عاصمة كوريا الشمالية. وتعتبر هذه المحادثات الاولى من نوعها التي تناولت اقامة علاقات بين اسرائيل وكوريا الشمالية (دافار، ٤/١١/١٩٩٢).

١٩٩٢/١١/٤

• أطلق ملثمون النار في اتجاه نقطة مراقبة عسكرية اسرائيلية في منطقة جنين، ممّا أدّى الى وقوع اشتباك مسلّح دام ربع ساعة؛ كما أطلق مسلحون آخرون النار باتجاه دورية كانت تمر في شارع عرابة ـ فحمة، وأخرى عبرت الطريق العام في منطقة قريبة من غزة. فيما ألقت القوات الضاربة الفلسطينية زجاجتين حارقتين على دورية ثالثة في قطاع غزة، وزجاجة حارقة ثالثة باتجاه موقع عسكري في مخيم جنين (الدستور، ٥/١١/١٩٩٢).

• بلغ عدد الاشخاص الذين يعيشون في اسرائيل تحت خط الفقر في خلال العام ١٩٩١، ٥٦٢ الف شخص، بينهم حوالي ١٣٤,٦٠٠ طفل. أمّا عدد العائلات التي عاشت تحت خط الفقر العام الماضي فقد وصل الى ١٥٢,٣٠٠ عائلة. وبالمقارنة مع العام

١٩٩٠ سجل ارتفاع بنسبة أربعة في المئة في هذا المجال (هآرتس، ١٩٩٢/١١/٥).

١٩٩٢/١١/٥

• استقبل رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، مدير مركز الامم المتحدة لحقوق الانسان، ابراهيم فال، حيث أطلعه على الانتهاكات المتواصلة لقوات الاحتلال الاسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني في الارض المحتلة (وفا، ١٩٩٢/١١/٥).

• وقع اشتباك مسلح في جنين بين فلسطينيين وجنود اسرائيليين، عندما هاجم مسلحون فلسطينيون موقعاً اسرائيلياً يقع في منطقة جبل ظهر، وقد استمر الاشتباك لمدة عشر دقائق. في هذه الاثناء، أصيب جندي اسرائيلي نتيجة تعرضه للهجوم بالحجارة في القدس القديمة (الدستور، ١٩٩٢/١١/٦). من جهة أخرى، قتل خمسة جنود من وحدة خاصة تابعة للجيش الاسرائيلي، وجرح ستة آخرون جراء اصابتهم بصاروخ في اثناء مناورة عسكرية أُجريت في منطقة بتساليم في جنوب اسرائيل. وذكر مصدر عسكري، رفيع المستوى، انه منذ بداية العام ١٩٩٢ قتل ٣٢ جندياً في مناورات مشابهة، في حين قتل ثلاثة فقط في خلال العام ١٩٩١ (دافار، ١٩٩٢/١١/٦).

١٩٩٢/١١/٦

• ساد في الارض المحتلة اضراب عام. وأحرق شبان الانتفاضة سيارتين اسرائيليتين في القدس. وأصيب جندي اسرائيلي بجروح بعد تعرض دورية عسكرية لرشق بالحجارة. في المقابل، دهمت القوات الاسرائيلية حي وادي ابو سعدي في بيت ساحور، واعتقلت عدداً من المواطنين من أماكن أخرى متفرقة (الدستور، ١٩٩٢/١١/٧).

١٩٩٢/١١/٧

• وقعت في مناطق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة اشتباكات متفرقة بين المواطنين وقوات الجيش الاسرائيلي التي استخدمت العيارات النارية والمطاطية وقنابل الغاز المسيل للدموع، مما أسفر عن جرح عدد من المواطنين (الدستور، ١٩٩٢/١١/٨).

١٩٩٢/١١/٨

• تواصلت الصدامات في الارض المحتلة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، وهاجم المواطنون عدداً من دوريات الاحتلال بالحجارة والزجاجات الحارقة، ممّا أسفر عن الحاق خسائر مادية (الدستور، ١٩٩٢/١١/٩).

١٩٩٢/١١/٩

• عمّ الاضراب الشامل الارض المحتلة استجابة لنداء القيادة الموحدة الرقم ٨٩ بمناسبة دخول الانتفاضة شهرها الستين. من جهة أخرى، أعلنت الاذاعة الاسرائيلية عن اصابة سبعة مواطنين بجروح بينهم طفل في السابعة في خلال اشتباكات مع قوات الاحتلال الاسرائيلية في قطاع غزة (الدستور، ١٩٩٢/١١/١٠).

١٩٩٢/١١/١٠

• اطلق فلسطينيون النار باتجاه دورية عسكرية اسرائيلية في قرية برقين، وألقى آخرون زجاجة حارقة باتجاه دورية عسكرية في مخيم الشابورة في رفح، في حين شهد مخيم البريج صدامات بين المواطنين وقوات الاحتلال أسفرت عن اصابة أربعة شبان بجروح. وكان ثلاثة آخرون، من غزة والقرارة اصيبوا بجروح في حوادث سير متعمّدة من جانب سائقي سيارات عسكرية اسرائيلية (الدستور، ١٩٩٢/١١/١١).

١٩٩٢/١١/١١

• استشهد في بني سهيلة نهاد موسى معمر اثر تبادل لاطلاق النار مع قوة عسكرية اسرائيلية عند مفرق القرية. والشهيد ينتمي الى مجموعة «النسر الاحمر»، وهو مطارد منذ نحو عام. وفي خلال تشييع جنازته تدخلت قوات الاحتلال الاسرائيلية لتفريق المشيّعين ممّا أدّى الى اندلاع اشتباكات أسفرت عن استشهاد مصطفى عاشور (٥٩ عاماً)، وعصام محمود معمر (٢٠ عاماً) وهو ابن عم الشهيد، وأصيب ١٩ بجروح (الدستور، ١٩٩٢/١١/١٢).

١٩٩٢/١١/١٢

• اجتمع الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، في القاهرة، مع وزير الخارجية المصرية، عمرو موسى، وتناول الاجتماع التحرّك السياسي في خلال المرحلة المقبلة في ضوء تقييم نتائج مباحثات السلام الجارية في واشنطن، والتطورات على المستويات الفلسطينية

والعربية والدولية (وفا، ١٢/١١/١٩٩٢).

• استشهد محمد عبدالحميد خليل (١٥ عاماً) من بلدة بيت أمر في أثناء اشتباكات وقعت في محيط مدرسة ذكور بيت أمر الثانوية، فيما عمّ اضراب شامل قطاع غزة حداداً على استشهاد ثلاثة مواطنين أمس. وأغلقت قوات الاحتلال مدينتي خان يونس ورفح واعتبرتهما منطقتين عسكريتين، واعتقلت ثلاثة ملثّمين (الدستور، ١٣/١١/١٩٩٢).

١٣/١١/١٩٩٢

• جرح عدد من المواطنين واعتقل آخرون في اشتباكات مع قوات الاحتلال وقعت في غير منطقة في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة. وذكرت مصادر اسرائيلية ان عدداً من القنابل الحارقة أُلقيت باتجاه أهداف عسكرية اسرائيلية (الدستور، ١٤/١١/١٩٩٢).

• اعتبر الرئيس الاميركي المنتخب، بيل كلينتون، ان عملية السلام في الشرق الاوسط ستكون احدى الاولويات الرئيسة للسياسة الخارجية لادارته. وأكد عزمه على ابقاء العملية على خطها الصحيح، وقال: «سأبذل كل ما في استطاعتي للتثبت من عدم ظهور تقطع في استمرارها» (انترناشونال هيرالد تريبيون، ١٤ ـ ١٥/١١/١٩٩٢).

١٤/١١/١٩٩٢

• استشهد يونس حاقة في نابلس بعد ان أطلق جنود اسرائيليون النار على ثلاثة مطاردين كان بينهم. وذكرت مصادر في الارض المحتلة ان الشهيد مسؤولٌ في حركة «فتح» في المنطقة. وفي قلقيلية، طعنت فلسطينية ضابطاً اسرائيلياً بسكين وأصابته بجروح، وقد تمّ اعتقالها على الفور (الدستور، ١٥/١١/١٩٩٢).

• اتهم رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق رابين، سوريا بتشجيع الاعمال المسلحة ضد اسرائيل انطلاقاً من جنوب لبنان، وكذلك امداد يد العون لعشر منظمات فلسطينية رافضة لعملية السلام. وقال، ان اسرائيل تواجه قتالاً لا تعرف متى سينتهي، وان «من دون حل سياسي يصعب القضاء على أسباب الارهاب» (معاريف، ١٥/١١/١٩٩٢).

١٥/١١/١٩٩٢

• عمّت الاحتفالات مناطق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة في مناسبة الذكرى الرابعة لاعلان دولة فلسطين. وأطلقت بالونات حملت الوان العلم الفلسطيني، وسيّرت مركبات في مواكب أطلقت صفاراتها، ورفعت صور الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، في خلال المسيرات التي غطّت غالبية المناطق. وذكرت مصادر في الارض المحتلة، ان عدداً من المسيرات الاحتفالية تحول الى تظاهرات، ووقعت صدامات بين المتظاهرين وقوات الاحتلال الاسرائيلية تسبّبت في اصابة عدد من المواطنين بجروح (الدستور، ١٦/١١/١٩٩٢).

بيبليوغرافيا

القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الاسرائيلي

(قائمة مختارة)

اسرائيل

○ الاجتماع

١ سعادة، عمر؛ «الوظيفة الاستراتيجية للهجرة اليهودية: اسرائيل الدولة ـ المركز»، **شؤون الاوسط** (بيروت)، العدد ١٣، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٢، ص ٣٦ ـ ٥٠.

٢ Moore, James W.; "Immigrations and Demographic Balance: Israel and the Occupied Territories", *Middle East Policy*, Vol. 1, No. 3, 1992, pp. 88 - 105.

○ الاحزاب والتكتلات

٣ ابراهيم، كمال؛ «انتخابات الكنيست: الانعكاسات الداخلية والخارجية»، **شؤون الاوسط**، العدد ١٢، ايلول ـ تشرين الاول (سبتمبر ـ اكتوبر) ١٩٩٢، ص ٦٦ ـ ٧٤.

٤ جريس، سمير؛ «انتخابات الكنيست الثالث عشر: قراءة في النتائج»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢٣٣ ـ ٢٣٤، آب ـ أيلول (اغسطس ـ سبتمبر) ١٩٩٢، ص ٢٧ ـ ٣٧.

٥ خليل، عوض؛ «م.ت.ف. والانتخابات الاسرائيلية: من الانكار الى الرهان على التغيير»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢٣٣ ـ ٢٣٤، آب ـ أيلول (اغسطس ـ سبتمبر) ١٩٩٢، ص ٦٦ ـ ٨٥.

٦ س. ش.؛ «المقاومة الفلسطينية ـ سياسياً: اهتمامات كبيرة وملاحقة للمستجدات [تقرير بشأن موقف الاوساط الفلسطينية الرسمية من الانتخابات الاسرائيلية وقضايا أخرى]»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢٣٣ ـ ٢٣٤، آب ـ أيلول (اغسطس ـ سبتمبر) ١٩٩٢، ص ١٢٤ ـ ١٢٦.

٧ سامط، جدعون؛ «المخاوف الاربعة لرابين»، **الملف** (نيقوسيا)، المجلد ٩، العدد ١٠٣/٧، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٩٢، ص ١١٨٠ ـ ١١٨٢؛ نقلاً عن **هآرتس**، ١٤/١٠/١٩٩٢.

٨ شادي، عبدالعزيز؛ «الدين والدولة في انتخابات الكنيست الاخيرة»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢٣٣ ـ ٢٣٤، آب ـ أيلول (اغسطس ـ سبتمبر) ١٩٩٢، ص ٤٨ ـ ٥٦.

٩ شارون، اريئيل؛ «في مواجهة الانهيار»، **الملف**، المجلد ٩، العدد ١٠٢/٦، أيلول (سبتمبر) ١٩٩٢، ص ١٠٦٦ ـ ١٠٦٧؛ نقلاً عن **يديعوت احرونوت**، ١٩٩٢/٨/٣٠.

١٠ شاهين، احمد؛ «المقاومة الفلسطينية ـ عربياً: تفاؤل حذر [تقرير حول الموقف الفلسطيني والعربي من نتائج الانتخابات الاسرائيلية]»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢٣٣ ـ ٢٣٤، آب ـ أيلول (اغسطس ـ سبتمبر) ١٩٩٢، ص ١٢٧ ـ ١٣٣.

١١ عبدالله، صلاح؛ «اسرائيليات: تحديات الحكومة الاسرائيلية الجديدة [تقرير]»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢٣٣ ـ ٢٣٤، آب ـ أيلول (اغسطس ـ سبتمبر) ١٩٩٢، ص ١٤٣ ـ ١٤٦.

١٢ عبدالمجيد، وحيد؛ «الانتخابات ومستقبل النظام الحزبي الاسرائيلي»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢٣٣ ـ ٢٣٤، آب ـ أيلول (اغسطس ـ سبتمبر) ١٩٩٢، ص ٥٧ ـ ٦٥.

١٣ يحيى، إيمان؛ «اصوات المهاجرين السوفيات في الانتخابات الاسرائيلية الاخيرة»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢٣٣ ـ ٢٣٤، آب ـ أيلول (اغسطس ـ سبتمبر) ١٩٩٢، ص

٣٨ ـ ٤٧.

١٤ Shahak, Israel; "The Israeli Elections of 1992: An Analysis", *Middle East Policy*, Vol. 1, No. 3, 1992, pp. 74 - 87.

○ الاستيطان والمستوطنات

١٥ ابراهيم، كمال؛ «الاستيطان الاسرائيلي: وظيفة استراتيجية وأوراق تفاوض»، **شؤون الاوسط**، العدد ٧، نيسان (ابريل) ١٩٩٢، ص ٦ ـ ٢١.

١٦ ابو صبيح، عمران؛ «واقع الاستيطان في الضفة الغربية وقطاع غزة»، **صامد الاقتصادي** (عمّان)، السنة ١٤، العدد ٩٠، تشرين الاول ـ كانون الاول (اكتوبر ـ ديسمبر) ١٩٩٢، ص ٢٤ ـ ٣٨.

١٧ الجعفري، وليد؛ «الاستيطان الاسرائيلي وعملية السلام»، **صامد الاقتصادي**، السنة ١٤، العدد ٩٠، تشرين الاول ـ كانون الاول (اكتوبر ـ ديسمبر) ١٩٩٢، ص ١٠ ـ ٢٣.

١٨ دواس، امين؛ «المستوطنات الاسرائيلية في الاراضي الفلسطينية المحتلة في ضوء القانون الدولي»، **صامد الاقتصادي**، السنة ١٤، العدد ٩٠، تشرين الاول ـ كانون الاول (اكتوبر ـ ديسمبر) ١٩٩٢، ص ٨١ ـ ١١١.

١٩ ستيتية، عدنان وأسامة ابو علي؛ «الاستيطان في الاراضي الفلسطينية المحتلة: الواقع والمستقبل»، **صامد الاقتصادي**، السنة ١٤، العدد ٩٠، تشرين الاول ـ كانون الاول (اكتوبر ـ ديسمبر) ١٩٩٢، ص ٣٩ ـ ٥٦.

٢٠ عبدالهادي، محمد؛ «خرائط الاستيطان الصهيوني في الاراضي الفلسطينية المحتلة ١٩٦٧»، **صامد الاقتصادي**، السنة ١٤، العدد ٩٠، تشرين الاول ـ كانون الاول (اكتوبر ـ ديسمبر) ١٩٩٢، ص ٥٧ ـ ٨٠.

○ الشؤون العسكرية

٢١ الحسيني، مصطفى؛ «مسيرة السلام: الاحتكار النووي والتفوق النوعي الاسرائيلي [تقرير]»، **الملف**، المجلد ٩، العدد ٧/١٠٣، تشرين الاول (اكتوبر)، ١٩٩٢، ص ١١٤٠ ـ ١١٥٤.

٢٢ شيف، زئيف؛ «موازين القوى ومسار السلام»، **الملف**، المجلد ٩، العدد ٧/١٠٣، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٩٢، ص ١١٣٤ ـ ١١٣٩؛ نقلاً عن **سكيراه حودشيت**، العدد ٤ ـ ٥، حزيران ـ تموز (يونيو ـ يوليو) ١٩٩٢.

٢٣ فوندك، رون؛ «المنطقة الرمادية بين الجيش والسياسة»، **الملف**، المجلد ٩، العدد ٧/١٠٣، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٩٢، ص ١١٨٣ ـ ١١٨٦؛ نقلاً عن **هآرتس**، ١٩٩٢/٩/١١.

○ العلاقات الخارجية

٢٤ الزبيدي، صلاح؛ «العلاقات التركية ـ الاسرائيلية ١٩٤٨ ـ ١٩٩٢: محاولات تأسيس ثنائية التحكم بالمنطقة»، **الهدف** (دمشق)، السنة ٢٣، العدد ١١٢٣، ١٩٩٢/١١/١، ص ٣٠ ـ ٣١.

٢٥ زهران، جمال علي؛ «اوروبا الشرقية واسرائيل: تطوّر العلاقات السياسية والاقتصادية»، **شؤون فلسطينية**، العدد ٢٣٣ ـ ٢٣٤، آب ـ أيلول (اغسطس ـ سبتمبر) ١٩٩٢، ص ١٨ ـ ٢٦.

٢٦ سيل، باتريك؛ «اسرائيل تتفاوض سراً مع كلينتون لعقد صفقة نووية كبرى مع اميركا»، **الوسط** (لندن)، العدد ٤٣، ١٩٩٢/١١/٢٣، ص ٢٠ ـ ٢٢.

٢٧ الشبول، فيصل؛ «حقيقة الاتفاق الاردني ـ الاسرائيلي»، **الوسط**، العدد ٤١، ١٩٩٢/١١/٩، ص ٨.

٢٨ طال، يارح؛ «الجمهوريات الاسلامية وآفاق العلاقات مع اسرائيل»، **الملف**، المجلد ٩، العدد ٦/١٠٢، أيلول (سبتمبر) ١٩٩٢، ص ١٠٦٣ ـ ١٠٦٤؛ نقلاً عن **هآرتس**، ١٩٩٢/٧/٣٠.

٢٩ «العلاقات الصينية ـ الاسرائيلية: من الامن الى السياسة»، **شؤون الاوسط**، العدد ٨، أيار (مايو) ١٩٩٢، ص ٥٩ ـ ٦٨.

٣٠ فدهتسور، رؤوبين؛ «هل لا تزال اسرائيل ثروة استراتيجية لاميركا؟»، **الملف**، المجلد ٩، العدد ١٠٢/٦، أيلول (سبتمبر) ١٩٩٢، ص ١٠٦١ ـ ١٠٦٢؛ نقلاً عن **هآرتس**، ١٩٩٢/٨/١٧.

٣١ فوندك، رون؛ «عصر الانفراج بين اسرائيل واوروبا»، **الملف**، المجلد ٩، العدد ١٠٣/٧، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٩٢، ص ١١٥٦ ـ ١١٥٩؛ نقلاً عن **هآرتس**، ١٩٩٢/٩/٢٥.

٣٢ «نص وثيقة الاتفاق الاردني ـ الاسرائيلي حول جدول اعمال المفاوضات»، **فلسطين الثورة** (نيقوسيا)، السنة ٢١، العدد ٩١٤، ١٩٩٢/١١/١٥، ص ٢١.

٣٣ واكيم، نجاح؛ «الاجتياح الاسرائيلي للبنان: المقدمات والاهداف والنتائج»، **شؤون الاوسط**، العدد ١٠، تموز (يوليو) ١٩٩٢، ص ٦ ـ ١٤.

٣٤ وليامس، ايان؛ «كلينتون واسرائيل: خفايا العلاقة»، **الوسط**، العدد ٤٢، ١٩٩٢/١١/١٦، ص ٢٨ ـ ٣٠.

٣٥ Hunter, Jane; "Israel & Turkey: Arms for Azerbaijan?", *Middle East International*, No. 436, 23/10/1992, pp. 12 - 13.

٣٦ Seal, Patrick; "Israel and Syria: 1. Contradictory Aims", *Middle East International*, No. 437, 6/11/1992, pp. 16 - 17.

٣٧ Shahak, Israel; "Israel and Syria: 2. Hostility and Cooperation", *Middle East International*, No. 437, 6/11/1992, pp. 17 - 18.

٣٨ Pipes, Daniel and Martin Peretz; "Bush, Clinton and the Jews", *Commentary*, Vol. 94, No. 4, October 1992, pp. 15 - 23.

٣٩ Rusonik, Anthony; "Israeli Defense Doctrine and U.S. Middle East Diplomacy: From Suez to the Loan Guarantees / Settlements Dispute", *The Jerusalem Journal of International Relations*, Vol. 14, No. 3, September 1992, pp. 44 - 68.

فلسطين

○ الاحزاب والتكتلات

٤٠ ابو منصور، فؤاد؛ «الصفقة السرية بين ايران و'حماس'؛ طهران تحوّل حماس الى حزب الله آخر»، **الوطن العربي** (باريس)، السنة ١٦، العدد ٨١٦، ١٩٩٢/١٠/٢٣، ص ٢٦ ـ ٢٩.

٤١ «حماس: القصة السرية»، **الوسط**، العدد ٤٤، ١٩٩٢/١١/٣٠، ص ١٠ ـ ١٧.

٤٢ الزهار، محمود؛ «استطلاع رأي وقراءة في نتائج الانتخابات المتفرقة في الضفة والقطاع»، **فلسطين المسلمة** (لندن)، السنة ١٠، العدد ١٢، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٩٢، ص ١٧ ـ ٢٠.

٤٣ «قصة الأبوة الايرانية لـ 'حماس' من الالف الى الياء: طهران تدعم حماس بـ ٣٠ مليون دولار سنوياً»، **الوطن العربي**، السنة ١٦، العدد ٨١٦، ١٩٩٢/١٠/٢٣، ص ٢٥.

٤٤ Inbari, Pinchas; "Joint Struggle against Islamic Terrorism", *New Outlook*, Vol. 35, No. 6 (333 - 334), November - December 1992, pp. 17 - 18.

○ الاقتصاد

٤٥ آراد، ارنون؛ «مصادر المياه الجوفية: احتمال للنزاعات بين اسرائيل وجاراتها»، **الملف**، المجلد ٩، العدد ١٠٣/٧، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٩٢، ص ١١٢١ ـ ١١٣٤.

٤٦ تامير، ابراهام؛ «مسألة المياه»، **الملف**، المجلد ٩، العدد ١٠٣/٧، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٩٢، ص ١١٦٢ ـ ١١٦٣؛ نقلاً عن **هآرتس**، ١٩٩٢/٨/١٧.

٤٧ الخطيب، هشام؛ «مؤشرات رقمية حول اقتصاديات الارض المحتلة»، **صوت الوطن** (نيقوسيا)، السنة ٤، العدد ٣٩، ١٩٩٢/١١/١٥، ص ٣٤ ـ ٣٦.

○ ثقافة

٤٨ صفية، خليل؛ «الانتفاضة والفن

التشكيلي»، **صوت فلسطين** (دمشق)، العدد ٢٩٧، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٩٢، ص ٤٠ ـ ٤١.

٤٩ الفيصل، سمر روحي؛ «أدب الانتفاضة والنقد»، **صوت فلسطين**، العدد ٢٩٨، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٢، ص ٣٨ ـ ٣٩.

٥٠ عبدالرحيم، صادق؛ «قصص الانتفاضة والمضمون الفكري»، **صوت فلسطين**، العدد ٢٩٨، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٢، ص ٤٠ ـ ٤٢.

٥١ العودة، عبدالرحمن؛ «المكتبات الاكاديمية في الضفة الغربية وغزة منذ عام ١٩١٧، [تقرير]»، **عالم الكتب** (الرياض)، المجلد ١٣، العدد ٦، تشرين الثاني ـ كانون الاول (نوفمبر ـ ديسمبر) ١٩٩٢، ص ٦٧٦ ـ ٦٧٨.

الفلسطينيون

٥٢ جلول، فيصل؛ «فلسطينيو لبنان مشكلة كبيرة... وهم أمام خيارين: الهجرة أو قبول التوطين»، **الوسط**، العدد ٣٦، ٥/١٠/١٩٩٢، ص ٢٥ ـ ٢٧.

٥٣ مصطفى، أسامة؛ «فلسطينيو لبنان والرحلة ما بين التاريخ والجغرافيا»، **فلسطين المسلمة**، السنة ١٠، العدد ١٢، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٩٢، ص ٣٠ ـ ٣١.

○ بيانات وتصريحات وخطب

٥٤ حركة المقاومة الاسلامية (حماس)؛ «[نداؤها الرقم ٩٢ داعياً الوفد الفلسطيني المفاوض والوفود العربية الى الانسحاب من المفاوضات مع اسرائيل والى التعاون بين مختلف الفصائل الفلسطينية]»، **فلسطين المسلمة**، السنة ١٠، العد ١٢، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٩٢، ص ٧.

٥٥ القيادة الوطنية الموحّدة للانتفاضة؛ «[نص النداء الرقم ٨٨، نداء اسرى الحرية والاستقلال]»، **فلسطين الثورة**، السنة ٢١، العدد ٩٠٩، ١١/١٠/١٩٩٢، ص ٨ ـ ٩؛ نقلاً عن **وفا**، ٦/١٠/١٩٩٢.

٥٦ القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة؛ «[نص النداء الرقم ٨٩؛ نداء الاستقلال]»، **الهدف**، السنة ٢٣، العدد ١١٢٤، ٨/١١/١٩٩٢، ص ٢٤.

○ الانتفاضة

٥٧ ارنس، موشيه؛ «ماذا حدث للانتفاضة؟»، **الملف**، المجلد ٩، العدد ١٠٢/٦، أيلول (سبتمبر) ١٩٩٢، ص ١٠٧٦ ـ ١٠٧٧؛ نقلاً عن **هآرتس**، ٦/٩/١٩٩٢.

٥٨ «تقرير خاص عن أسيرات فلسطين في سجون اسرائيل»، **فلسطين الثورة**، السنة ٢١، العدد ٩٠٩، ١١/١٠/١٩٩٢، ص ١٨ ـ ١٩.

٥٩ «الحركة الاسيرة بدأت انتفاضة الحرية»، **فلسطين الثورة**، السنة ٢١، العدد ٩٠٩، ١١/١٠/١٩٩٢، ص ١٦ ـ ١٧.

٦٠ حمدان، عبدالمجيد؛ «عن المزاج الشعبي والانتفاضة: لا تظلموا المفاوضات»، **صوت الوطن**، السنة ٤، العدد ٣٩، ١٥/١١/١٩٩٢، ص ٧ ـ ١٠.

٦١ روبنشتاين، داني؛ «الانتفاضة... هل تعود؟»، **الملف**، المجلد ٩، العدد ١٠٣/٧، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٩٢، ص ١١٧٦ ـ ١١٧٧؛ نقلاً عن **هآرتس**، ١١/١٠/١٩٩٢.

٦٢ صايغ، يزيد؛ «المقاومة الفلسطينية ـ عسكرياً: فرق الموت [الاسرائيلية] وخطوات بناء الثقة [بين فتح وحماس؛ تقرير]»، **شؤون فلسطينية**، العدد ٢٣٣ ـ ٢٣٤، آب ـ أيلول (اغسطس ـ سبتمبر) ١٩٩٢، ص ١٣٨ ـ ١٤٢.

٦٣ عبدالخالق، اياد؛ «الوحدات الخاصة تزيد من حدة العنف...؛ توازن الرعب وليس توازن القوى»، **فلسطين الثورة**، السنة ٢١، العدد ٩١٧، ٦/١١/١٩٩٢، ص ١٠ ـ ١١.

٦٤ مباركة، محمد؛ «في شهرها الثامن والخمسين: الانتفاضة تتصدى لمحاولات الالتفاف على حقوق شعبنا»، **صوت فلسطين**، العدد ٩٨، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٩٢، ص ١٠ ـ ١٣.

٦٥ «النجم الاحمر يفجر حافلة للمستوطنين الاسرائيليين»، **الحرية** (بيروت)، العدد ٤٧٥ (١٥٥٠)، ١٩٩٢/١٠/٢٥، ص ١٨.

٦٦ «يوميات المواجهة والتحدي: الانتفاضة الشعبية الفلسطينية تزداد عنفاً وحدّة»، **الحرية**، العدد ٤٧٦ (١٥٥١)، ١٩٩٢/١١/١، ص ١٣ ـ ١٤.

٦٧ Palestine Human Rights Information Center; "Human Rights Implications of the Use of Undercover Units", *Middle East Policy*, Vol. 1, No. 3, 1992, pp. 189 - 193.

٦٨ Palestine Human Rights Information Center; "Israel's Use of Undercover Units in the Intifadah (Documents)", *Middle East Policy*, Vol. 1, No. 3, 1992, pp. 182 - 189

٦٩ Usher, Graham; "Killing Souls: Palestinian Prisoners hunger Strike", *Middle East International*, No. 437, 6/11/1992, pp. 18 - 20.

القضية الفلسطينية

٧٠ ابراهيم، ماجد؛ «مفاوضات واشنطن: الجولة السابعة تنتهي الى لا شيء؛ الثابت الوحيد هو الاستمرار في المفاوضات»، **فلسطين المسلمة**، السنة ١٠، العدد ١٢، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٩٢، ص ١٠ ـ ١١.

٧١ «الاقتراحات الاسرائيلية لترتيبات الحكم الذاتي المؤقت»، **فلسطين الثورة**، السنة ٢١، العدد ٩١٠، ١٩٩٢/١٠/١٨، ص ٢٠.

٧٢ بيان عمان الوزاري الخامس [الصادر عن اجتماع وزراء خارجية دول فلسطين والاردن وسوريا ولبنان ومصر]»، **فلسطين الثورة**، السنة ٢١، العدد ٩١١، ١٩٩٢/١٠/٢٥، ص ٧.

٧٣ جمّال، ليلى؛ «السابعة بدأت بـ ' اشتباك تفاوضي ' »، **فلسطين الثورة**، السنة ٢١، العدد ٩١٢، ١٩٩٢/١١/١، ص ١٤ ـ ١٥.

٧٤ ـــ ، ـــ ؛ «محادثات التسوية: المسار الفلسطيني ـ الاسرائيلي صار مسارين: رسمي وفني؛ [حول الجولة الاولى من جولة التفاوض السابعة بواشنطن]»، **فلسطين الثورة**، السنة ٢١، العدد ٩١٤، ١٩٩٢/١١/١٥، ص ١٨ ـ ١٩.

٧٥ الحسيني، مصطفى؛ «الجولة السادسة من مفاوضات السلام واحتمالات التسوية [تقرير]»، **الملف**، المجلد ٩، العدد ١٠٢/٦، أيلول (سبتمبر) ١٩٩٢، ص ١٠٥١ ـ ١٠٦٠.

٧٦ حيدري، نبيل؛ «المقاومة الفلسطينية ـ دولياً: روزنامة الحلول [تقرير]»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢٣٣ ـ ٢٣٤، آب ـ أيلول (اغسطس ـ سبتمبر) ١٩٩٢، ص ١٣٤ ـ ١٣٧.

٧٧ «خلاف اردني ـ فلسطيني حول جدول اعمال واشنطن»، **الوطن العربي**، السنة ١٦، العدد ٨٢٠، ١٩٩٢/١١/٢٠، ص ٢٤ ـ ٢٥.

٧٨ شاحر، بار ـ لي؛ «كونفيدرالية اسرائيلية ـ فلسطينية: دعوة لاعمال الفكر»، **الملف**، المجلد ٩، العدد ١٠٣/٧، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٩٢، ص ١١٧٠ ـ ١١٧١؛ نقلاً عن **عل همشمار**، ١٩٩٢/١٠/٩.

٧٩ شفيق، منير؛ «الحكم الذاتي في تقرير معهد واشنطن»، **فلسطين المسلمة**، السنة ١٠، العدد ١٢، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٩٢، ص ١٤ ـ ١٥.

٨٠ قوطة، خليل؛ «الولايات المتحدة الاميركية والصراع العربي ـ الاسرائيلي [تقرير عن المؤتمر السنوي الاول للمركز الفلسطيني للدراسات السياسية في واشنطن]»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢٣٣ ـ ٢٣٤، آب ـ أيلول (اغسطس ـ سبتمبر) ١٩٩٢، ص ١٢٠ ـ ١٢٢.

٨١ متطلبات وتحديات المرحلة المقبلة؛ ندوة [شارك فيها: برنارد سابيلا؛ سعيد زيداني؛ مهدي عبدالهادي؛ جورج جقمان؛ علي الجرباوي]»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢٣٣ ـ ٢٣٤، آب ـ أيلول (اغسطس ـ سبتمبر) ١٩٩٢ ص ٨٦ ـ ١١٠.

٨٢ المدهون، ربعي؛ «المناطق المحتلة: شرطة وحسن نيات وأزمة في [جامعة] النجاح [تقرير]»، **شؤون فلسطينية**، العدد ٢٣٣ ـ ٢٣٤، آب ـ أيلول (اغسطس ـ سبتمبر) ١٩٩٢ ص ١٤٧ ـ ١٥٠.

٨٣ مقداد، عطية؛ «بعد مرور عام على مؤتمر مدريد: السياسة الاسرائيلية خلال عام من المفاوضات التسووية»، **الهدف**، السنة ٢٣، العدد ١١٢٣، ١٩٩٢/١١/١، ص ٢٠ ـ ٢٢.

٨٤ ناصر، نعيم؛ «قراءة في وثائق مؤتمر لوزان لحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين: خبرة اسرائيلية في تكريس سياسة الامر الواقع وتجميد قرارات الشرعية الدولية»، **صوت الوطن**، السنة ٤، العدد ٣٩، ١٩٩٢/١١/١٥، ص ٢٤ ـ ٢٧.

٨٥ هركابي، يهوشفاط؛ «تطور الفكر الاستراتيجي العربي»، **الملف**، المجلد ٩، العدد ٦/١٠٢، ايلول (سبتمبر) ١٩٩٢، ص ١٠٤٣ ـ ١٠٥٠؛ نقلاً عن **معراخوت**، العدد ٣٢٤، آيار (مايو) ١٩٩٢.

٨٦ هوروتيز، بروس أ. «أزمة المياه في الشرق الاوسط (وجهة نظر اسرائيلية)»، **شؤون الاوسط**، العدد ٥، كانون الثاني (يناير) ١٩٩٢، ص ٧٦ ـ ٨٧؛ نقلاً عن **ميدل ايست فوكس**، بدون ذكر تاريخ النشر.

٨٧ Karmi, Ghada; "Is Palestinian Autonomy the Only Alternative?", *Middle East International*, No. 436, 23/10/1992, pp. 16 - 17.

٨٨ Ma'oz, Moshe; "Syrian - Israeli Relations and the Middle East Process", *The Jerusalem Journal of International Relations*, Vol. 14, No. 3, September 1992, pp. 1 - 21.

٨٩ Mattair, Thomas R.; "The Arab - Israeli Conflict: From Shamir to Rabin to Peace?", *Middle East Policy*, Vol. 1, No. 3, 1992, pp. 118 - 154.

٩٠ Rothman, Jay; "The Human Dimension in Israeli - Palestinian Negotiations", *The Jerusalem Journal of International Relations*, Vol. 14, No. 3, September 1992, pp. 69 - 81.

منظمة التحرير الفلسطينية

٩١ حوراني، فيصل؛ «الديمقراطية الفلسطينية في الممارسة»، **شؤون فلسطينية**، العدد ٢٣٣ ـ ٢٣٤، آب ـ أيلول (اغسطس ـ سبتمبر) ١٩٩٢، ص ٣ ـ ١٧.

٩٢ الطيبي، احمد؛ «حتمية الحوار مع الاعداء [اللقاءات الفلسطينية ـ الاسرائيلية]»، **فلسطين الثورة**، السنة ٢١، العدد ٩١٠، ١٩٩٢/١٠/١٨، ص ٢١ ـ ٢٢.

○ بيانات وتصريحات وخطب

٩٣ «[بيان صادر عن م.ت.ف. بشأن المجزرة الاسرائيلية في مدينة رفح]»، **الوقائع الفلسطينية**، السنة ٢، العدد ١ (٧)، حزيران (يونيو) ١٩٩٢، ص ٣٨؛ نقلاً عن **وفا**، ١٩٩٢/٤/٢.

٩٤ «[بيانها بشأن الحصار المفروض على مدينة الخليل المحتلة]»، **فلسطين الثورة**، السنة ٢١، العدد ٩١٣، ١٩٩٢/١١/٨، ص ٨.

٩٥ «[بيانها الصادر بتاريخ ١٩٩٢/١٠/١٠ بشأن الاعتداء على رئيس جامعة النجاح الوطنية في نابلس]»، **فلسطين الثورة**، السنة ٢١، العدد ٩١٠، ١٩٩٢/١٠/١٨، ص ٨.

٩٦ [«مذكرة دولة فلسطين التي قدّمها الممثل الدائم لفلسطين لدى الامم المتحدة في جنيف نبيل الرملاوي، الى مدير عام ورئيس مركز حقوق الانسان في جنيف حول الممارسات الاسرائيلية ضد المعتقلين الفلسطينيين]»، **الوقائع الفلسطينية**، السنة ٢، العدد ١ (٧)، حزيران (يونيو) ١٩٩٢، ص ٤٨ ـ ٥٠.

٩٧ اعضاء المجلس الوطني المقيمون في الاردن؛ «[بيانهم بشأن رفضهم التعريف بالمنظمة والتنديد بالوفد الفلسطيني المفاوض]»، **فلسطين الثورة**، السنة ٢١، العدد ٩٠٩، ١٩٩٢/١٠/١١، ص ٧.

٩٨ السائح، عبد الحميد؛ «[مقاله تعقيباً على حوار مع مندوب الاردن الدائم في الامم المتحدة عدنان ابو عودة بشأن طروحاته السياسية حول القدس]»، **الوقائع الفلسطينية**، السنة ٢، العدد ١(٧)، حزيران (يونيو) ١٩٩٢، ص ٢٨ ـ ٣٠؛ نقلاً عن **الدستور**، ٢٤/٥/١٩٩٢.

٩٩ مصطفى، ابو علي؛ «الحلول المطروحة تقود الى تجزئة شعبنا الفلسطيني وتقسيمه، [كلمته أمام اجتماع المجلس المركزي]»، **الهدف**، السنة ٢٣، العدد ١١٢٢، ٢٥/١٠/١٩٩٢، ص ١٤ ـ ١٧.

▷ **جبهة التحرير الفلسطينية**

١٠٠ «تصريح الناطق الرسمي باسم الجبهة بتاريخ ٢١/١١/١٩٩٢ بشأن المشاركة في الاجتماع القادم للقيادة الفلسطينية]»، **فلسطين الثورة**، السنة ٢١، العدد ٩١٦، ٢٩/١١/١٩٩٢، ص ٧.

▷ **الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين**

١٠١ «[بيان سياسي صادر في دولة فلسطين في الذكرى الرابعة لاعلان الاستقلال]»، **الهدف**، السنة ٢٣، العدد ١١٢٦، ٢٢/١١/١٩٩٢، ص ٦.

١٠٢ «بيان سياسي صادر عن اللجنة المركزية: امكانية نجاح المسار الاميركي مرهون باستمرار وجود الغطاء الفلسطيني»، **الهدف**، السنة ٢٣، العدد ١١٢٦، ٢٢/١١/١٩٩٢، ص ٥ ـ ٦.

١٠٣ «بيان سياسي صادر [بالاشتراك مع الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، بتاريخ ٢٣/١٠/١٩٩٢]»، **الهدف**، السنة ٢٣، العدد ١١٢٣، ١/١١/١٩٩٢، ص ١٨ ـ ١٩.

▷ **جبهة النضال الشعبي الفلسطيني**

١٠٤ «[تصريح ناطق باسم الجبهة بتاريخ ٢١/١١/١٩٩٢، بشأن المشاركة في الاجتماع القادم للقيادة الفلسطينية]»، **فلسطين الثورة**، السنة ٢١، العدد ٩١٦، ٢٩/١١/١٩٩٢، ص ٧.

▷ **الدائرة السياسية**

١٠٥ «[بيانها بتاريخ ٨/١١/١٩٩٢ الداعم للحل السلمي بين كوريا الجنوبية وكوريا الشمالية]»، **فلسطين الثورة**، السنة ٢١، العدد ٩١٤، ١٥/١١/١٩٩٢، ص ٩.

▷ **عرفات، ياسر (ابو عمّار)**

١٠٦ «[نص رسالته الى الشعب الفلسطيني في دخول الانتفاضة شهرها التاسع والخمسين]»، **فلسطين الثورة**، السنة ٢١، العدد ٩١٠، ١٨/١٠/١٩٩٢، ص ٦ ـ ٧.

١٠٧ «رسالة سلام مفتوحة [الى الاسرائيليين]»، **فلسطين الثورة**، السنة ٢١، العدد ٩١٢، ١/١١/١٩٩٢، ص ٤ ـ ٥.

١٠٨ «رسالته الى الشعب الفلسطيني في دخول الانتفاضة شهرها الستين»، **فلسطين الثورة**، السنة ٢١، العدد ٩١٤، ١٥/١١/١٩٩٢، ص ٤ ـ ٥.

١٠٩ «كلمته الى لجنة حقوق الشعب الفلسطيني غير القابلة للتصرف في الاحتفال السنوي باليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني]»، **فلسطين الثورة**، السنة ٢١، العدد ٩١٧، ٦/١٢/١٩٩٢، ص ٤ ـ ٦.

▷ **المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية**

١١٠ «[بيان المجلس الصادر عن دورة أسرانا الابطال وشهدائنا الابرار بتونس في الفترة من ١٥ ـ ١٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٩٢]»، **فلسطين الثورة**، السنة ٢١، العدد ٩١١، ٢٥/١٠/١٩٩٢، ص ٤ ـ ٦.

▷ **مصدر رسمي**

١١١ «[تصريحه بتاريخ ٢٦/٥/١٩٩٢، بشأن الاعتداءات الاسرائيلية ضد القرى والتجمعات الفلسطينية في جنوب لبنان]»، **الوقائع الفلسطينية**، السنة ٢، العدد ١ (٧)، حزيران (يونيو) ١٩٩٢، ص ٣٧؛ نقلاً عن **وفا**، ٢٦/٥/١٩٩٢.

١١٢ «[تصريحه بشأن حصار مدينة نابلس

وجامعة النجاح الوطنية]»، **الوقائع الفلسطينية**، السنة ٢، العدد ٢ (٨)، آب (اغسطس) ١٩٩٢، ص ٢٧ ـ ٢٨؛ نقلاً عن **وفا**، ١٨/٧/١٩٩٢.

١١٣ «[تصريحه رداً على تصريحات عبدالحليم خدام نائب الرئيس السوري، لاذاعة صوت الجبل اللبنانية حول قبول الوفد الفلسطيني المفاوض للاقتراح الاميركي بشأن الحكم الذاتي]»، **فلسطين الثورة**، السنة ٢١، العدد ٩١٢، ١/١١/١٩٩٢، ص ٩.

▷ مصدر مسؤول

١١٤ «[تعقيبه على تصريحات رئيس الحكومة الاسرائيلية رابين بشأن التسوية السياسية والمستوطنات]»، **الوقائع الفلسطينية**، السنة ٢، العدد ٢ (٨)، آب (اغسطس) ١٩٩٢، ص ٧؛ نقلاً عن **وفا**، ١٤/٧/١٩٩٢؛ **والدستور**، ١٥/٧/١٩٩٢.

المقابلات

١١٥ ابو علاء، احمد؛ «[حديث صحافي حول اجتماعات لجنة التنمية الاقتصادية وقضايا اقتصادية فلسطينية مرتبطة بعملية التسوية]»، **الوقائع الفلسطينية**، السنة ٢، العدد ١ (٧)، حزيران (يونيو) ١٩٩٢، ص ٤٣ ـ ٤٤؛ نقلاً عن **الفجر** (القدس)، ١٢/٥/١٩٩٢.

١١٦ ـــ، ـــ؛ «لم نحصل على شيء من الاسرائيليين لكن لا بديل عن المفاوضات معهم الا المفاوضات»، **الوسط**، العدد ٤٢، ١٦/١١/١٩٩٢، ص ٣٤ ـ ٣٥.

١١٧ اغبارية، رجا (عضو اللجنة المركزية لحركة ابناء البلد)؛ «نحن نرفض المسيرة السلمية لاغفالها حق العودة»، **الهدف**، السنة ٢٣، العدد ١١٢٣، ١/١١/١٩٩٢، ص ١٢ ـ ١٣.

١١٨ بن علي، زين العابدين؛ «[تؤيد بثبات القضية الفلسطينية؛ لا نمانع في استضافة لقاء عرفات ـ رابين]»، **الوسط**، العدد ٤١، ٩/١١/١٩٩٢، ص ٢١ ـ ٢٥.

١١٩ التميمي، تيسير؛ «لا للمفاوضات لأنها تكرّس الاحتلال وتعطيه الشرعية»، **فلسطين المسلمة**، السنة ١٠، العدد ١٢، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٩٢، ص ٣٢.

١٢٠ جبريل، احمد؛ «لم نخطط لقلب النظام في الاردن ونتلقى مساعدات من ايران»، **الوسط**، العدد ٣٦، ٥/١٠/١٩٩٢، ص ١٦ ـ ١٨.

١٢١ الجعفراوي، ماجد (رئيس لجنة المعارض في اتحاد الصناعيين بقطاع غزة المحتل)؛ «مشاركتنا هدفها التواصل الاقتصادي مع أشقائنا العرب»، **صوت فلسطين**، العدد ٢٩٧، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٩٢، ص ٢٦ ـ ٢٩.

١٢٢ حبش، جورج؛ «باقون في المجلسين الوطني والمركزي والمنظمة للجميع»، **الهدف**، السنة ٢٣، العدد ١١٢٢، ٢٥/١٠/١٩٩٢، ص ٦ ـ ٨؛ نقلاً عن **الرأي** (عمّان)، بدون ذكر تاريخ النشر.

١٢٣ الحسن، خالد (ابو السعيد)؛ «[حديث صحافي حول تطورات القضية الفلسطينية والمفاوضات السياسية الجارية]»، **الوقائع الفلسطينية**، السنة ٢، العدد ١ (٧)، حزيران (يونيو) ١٩٩٢، ص ٤١ ـ ٤٢؛ نقلاً عن **الحياة**، ٢٦/٤/١٩٩٢.

١٢٤ حسونة، اسعد (رئيس الغرفة التجارية في مدينة رام الله المحتلة)؛ «الوضع الاقتصادي في الاراضي المحتلة بائس وفي تراجع مستمر»، **فلسطين المسلمة**، السنة ١٠، العدد ١٢، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٩٢، ص ٥١.

١٢٥ حواتمة، نايف؛ «طريق مدريد لن يقود الا الى السلام الضائع وبقاء المنطقة مضطربة»، **الحرية**، العدد ٤٧٧ (١٥٥٢)، ٨/١١/١٩٩٢، ص ١٤ ـ ١٥؛ نقلاً عن **اذاعة الشرق** (باريس)، ٣٠/١٠/١٩٩٢.

١٢٦ دوي، شانتال (مديرة فرع فرنسا لـ 'الرابطة البرلمانية للتعاون العربي ـ الاوروبي')؛ «دورنا في بناء كيان فلسطيني»، **فلسطين**

الثورة، السنة ٢١، العدد ٩١٧، ١٩٩٢/١٢/٦، ص ٢٢ ـ ٢٣.

١٢٧ رابين، اسحق؛ «[أردت مفاوضات مطوّلة؛ للفلسطينيين مجلس اداري محض وليس مجلساً تشريعياً؛ من المحظور تكرار سابقة ثمن السلام مع مصر]»، **الملف**، المجلد ٩، العدد ١٠٢/٦، أيلول (سبتمبر) ١٩٩٢، ص ١٠٩٧ ـ ١٠٩٩، نقلاً عن **هآرتس**، ١٩٩٢/٨/٢٨.

١٢٨ ـــ ، ـــ ؛ «هذا أوان الكيان وليس الدولة»، **فلسطين الثورة**، السنة ٢١، العدد ٩١٧، ١٩٩٢/١٢/٦، ص ١٩ ـ ٢١؛ نقلاً عن **نوفيل اوبزرفاتور**، بدون ذكر تاريخ النشر.

١٢٩ سلامة، سالم (القائم بأعمال رئيس الجامعة)؛ «الجهة الممولّة مارست سياسة التجويع على العاملين في الجامعة»، **فلسطين المسلمة**، السنة ١٠، العدد ١٢، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٩٢، ص ٢٨ ـ ٢٩.

١٣٠ سيسكو، جوزيف؛ «لا سلام بدون لقاء الاسد ـ رابين؛ القيادة الفلسطينية في الداخل ستحدد المستقبل وليس عرفات»، **الوطن العربي**، السنة ١٦، العدد ٨١٥، ١٩٩٢/١٠/١٦، ص ٢٢ ـ ٢٤.

١٣١ شرورو، فضل؛ «كما كنا [في إذاعة القدس] صوت الانتفاضة، سنكون صوت الذين لا صوت لهم»، **فلسطين المسلمة**، السنة ١٠، العدد ١٢، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٩٢، ص ٢٤ ـ ٢٥.

١٣٢ الطوباسي، نعيم (رئيس رابطة الكتاب والصحافيين الفلسطينيين)؛ «نواة تلفزيون فلسطين ـ القدس»، **فلسطين الثورة**، السنة ٢١، العدد ٩١١، ١٩٩٢/١٠/٢٥، ص ٢٣.

١٣٣ عباس، محمود (ابو مازن)؛ «[حديث صحافي حول تطورات المفاوضات السياسية الجارية والعلاقات الفلسطينية الخارجية]»، **الوقائع الفلسطينية**، السنة ٢، العدد ١ (٧)، حزيران (يونيو) ١٩٩٢، ص ٢١ ـ ٢٤؛ نقلاً عن **الشرق الاوسط** (لندن)، ١٩٩٢/٥/١٩).

١٣٤ عبدربه، ياسر؛ «[حديث صحافي حول تطورات المفاوضات السياسية الجارية]»، **الوقائع الفلسطينية**، السنة ٢، العدد ١ (٧)، حزيران (يونيو) ١٩٩٢، ص ١٩ ـ ٢١؛ نقلاً عن **الشرق الاوسط**، ١٩٩٢/٥/١٨.

١٣٥ عبدالشافي، حيدر؛ «صراع تفاوضي لتوضيح مفهوم المرحلة الانتقالية»، **فلسطين الثورة**، السنة ٢١، العدد ٩١٠، ١٩٩٢/١٠/١٨، ص ١٤ ـ ١٥.

١٣٦ عرفات، ياسر (ابو عمّار)؛ «[حديث صحافي حول تطورات المفاوضات السياسية الجارية]»، **الوقائع الفلسطينية**، السنة ٢، العدد ١ (٧)، حزيران (يونيو) ١٩٩٢، ص ١٣ ـ ١٤؛ نقلاً عن **النهار** (القدس)، ١٩٩٢/٥/٢٥.

١٣٧ عرفات، ياسر (ابو عمار)؛ «[حديثه الى تلفزيون الشرق الاوسط» في لندن بشأن المفاوضات السياسية الجارية ومسألة ترميم الاماكن المقدسة وقضايا أخرى]»، **الوقائع الفلسطينية**، السنة ٢، العدد ٢ (٨)، آب (اغسطس) ١٩٩٢، ص ١٢ ـ ١٤؛ نقلاً عن **الحياة**، ١٩٩٢/٧/٢٩؛ **القدس العربي**، ١٩٩٢/٧/٢٩.

١٣٨ فضل الله، محمد حسين؛ «الانتفاضة هي الانطلاقة الجديدة للشعب الفلسطيني...»، **الحرية**، العدد ٤٧٦ (١٥٥١)، ١٩٩٢/١١/١، ص ٢٢ ـ ٢٤.

١٣٩ القدومي، فاروق (ابو اللطف)؛ «[حديث صحافي بشأن موقف م.ت.ف. من تصريحات رئيس الحكومة الاسرائيلية رابين وقضايا المفاوضات السياسية]»، **الوقائع الفلسطينية**، السنة ٢، العدد ٢ (٨)، آب (اغسطس) ١٩٩٢، ص ١٨ ـ ١٩؛ نقلاً عن **الحياة**، ١٩٩٢/٦/٢٥.

١٤٠ كلينتون، بيل؛ «هذه سياستي تجاه العرب والاسرائيليين وهكذا سأتعامل مع العراق وايران وسوريا ولبنان وليبيا»، **الوسط**، العدد ٤١، ١٩٩٢/١١/٩، ص ١٤ ـ ١٦.

١٤١ المجالي، عبدالسلام (رئيس الوفد الاردني لمفاوضات السلام)؛ «لا. المحادثات مع

اسرائيل لم تفشل على طاولة المفاوضات»، **الوطن العربي**، السنة ١٦، العدد ٨١٧، ٣٠/١٠/١٩٩٢، ص ١٦ ـ ١٧.

١٤٢ مصالحة، عمر؛ «اشراف اليونسكو على ترميم القبة ضرورة فنية وسياسية»، **فلسطين الثورة**، السنة ٢١، العدد ٩١٣، ٨/١١/١٩٩٢، ص ٢٤ ـ ٢٥.

١٤٣ النجاب، سليمان؛ «[حديث صحافي حول التمثيل الفلسطيني في المفاوضات متعددة الطرف وقضية اللاجئين]»، **الوقائع الفلسطينية**، السنة ٢، العدد ١ (٧)، حزيران (يونيو) ١٩٩٢، ص ٢٥ ـ ٢٦؛ نقلاً عن **النهار**، ٢٤/٥/١٩٩٢.

١٤٤ نزال، محمد (ممثل حركة حماس في الاردن)؛ «عرفات هدّد باطلاق النار على حماس»، **الوطن العربي**، السنة ١٦، العدد ٨١٧، ٣٠/١٠/١٩٩٢، ص ٢١ ـ ٢٢.

١٤٥ ياسين، احمد (الزعيم الروحي لحركة حماس)؛ « نرفض أي مساومة على القضية الفلسطينية»، **فلسطين المسلمة**، السنة ١٠، العدد ١٢، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٩٢، ص ١٢ ـ ١٣.

١٤٦ Al-Malki, Riad; "The Palestinian Rejectionist Movement", *New Outlook*, Vol. 35, No. 6 (333 - 334), November - December 1992, pp. 14 - 15.

١٤٧ Gur, Mordechai; "No Way Out", *New Outlook*, Vol. 35, No. 6 (333 - 334), November - December 1992, p. 6, 8.

١٤٨ Nusseibeh, Sari; "The Hope of Liberation", *New outlook*, Vol. 35, No. 6 (333 - 334), November - December 1992, p. 7, 9.

الكتب ـ عروض ومراجعات

١٤٩ براند، لوري أ.؛ الفلسطينيون في العالم العربي: بناء المؤسسات والبحث عن الدولة، **شؤون فلسطينية**، العدد ٢٣٣ ـ ٢٣٤، آب ـ أيلول (اغسطس ـ سبتمبر) ١٩٩٢، ص ١١٥ ـ ١١٩ (مراجعة فايز ساره).

١٥٠ البسطامي، مها؛ التابو النووي والنظام الاقليمي الجديد في الشرق الاوسط، **فلسطين الثورة**، السنة ٢١، العدد ٩١٠، ١٨/١٠/١٩٩٢، ص ٣٠ ـ ٣١ (مراجعة فيصل قرقطي).

١٥١ عبدالرحمن، اسعد ونواف الزرو؛ الفكر السياسي الاسرائيلي قبل الانتفاضة... بعد الانتفاضة، **صوت فلسطين**، العدد ٩٨، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٢، ص ٣٢ ـ ٣٣ (مراجعة مأمون يوسف).

١٥٢ عوض، احمد رفيق؛ حوار مع اسرائيلي، **فلسطين الثورة**، السنة ٢١، العدد ٩١٠، ١٨/١٠/١٩٩٢، ص ٢٩.

١٥٣ Aburish, Said K.; *Children of Bethany: The Story of a Palestinian Family*, ***Middle East Policy,*** Vol. 1, No. 3, 1992, pp. 169 - 170 (Reviewed by H.J. Skutel).

١٥٤ Ateek, Naim S. and Marc H. Ellis; *Faith and the Intifadah: Palestinian Christian Voices*, ***The Jerusalem Post Magazine,*** 20/11/1992, p. 26 (Reviewed by Nissim Rejwan).

١٥٥ Cordesman, Anthony; *Weapons of Mass Destruction in the Middle East*, ***Middle East International,*** No. 437, 6/11/1992, pp. 22 - 23 (Reviewed by Yezid Sayigh).

١٥٦ Drury, Richard Toshiyuki and Robert C. Winn, *Plowshares snd Swords: The Economics of Occupation in the West Bank*, ***The Jerusalem Post Magazine,*** 20/11/1992, p. 26 (Reviewed by Nissim Rejwan).

١٥٧ Garfinkle, Adam; *Israel and Jordan in the Shadow of War*

شؤون الاوسط، العدد ١٣، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٢، ص ٩٥ ـ ٩٦.

١٥٨ Gowers, Andrew and Tony Walker; *Behind the Myth: Yasser Arafat and the Palestinian Revolution"*, ***Middle East Policy,*** Vol. 1, No. 3, 1992, pp. 167 - 169 (Reviewed by Mhuammad Hallaj).

١٥٩ Graubard, Stephen R.; *Mr. Bush's War: Adventures in the Politics of Illusion, **Middle East Policy,*** Vol. 1, No. 3, 1992, pp. 174 - 178 (Reviewed by Michael Rubner).

١٦٠ Kamen, Charles S.; *Little Common Ground: Arab Agriculture and Jewish Settlement in Palestine, 1920 - 1948, **The Jerusalem Post Magazine,*** 20/11/1992, p. 26 (Reviewed by Nissim Rejwan).

١٦١ Nashashibi, Nasser Eddin; *Jerusalem's other Voice, Ragheb Nashashibi and Moderation in Palestinian Politics, 1920 - 1948*

شؤون فلسطينية ، العدد ٢٣٣ ـ ٢٣٤، آب ـ أيلول (اغسطس ـ سبتمبر) ١٩٩٢، ص ١١١ ـ ١١٣ (مراجعة سميح شبيب).

١٦٢ Shlaim, Avi; *The Politics of Partition: King Abdullah, the Zionist and Palestine 1921 - 1951, **Middle East Policy,*** Vol. 1, No. 3, 1992, pp. 162 - 167 (Reviewed by Sheldon L. Richman).

١٦٣ Smith, Jean Edward; *George Bush's War, **Middle East Policy,*** Vol. 1, No. 3, 1992, pp. 174 - 178 (Richard by Michael Rubner).

١٦٤ Vatikiotis, P. J.; *Among Arabs and Jews: A Personal Experience, 1936 - 1990, **Middle East International,*** No. 435, 9/10/1992, pp. 22 - 23 (Reviewed by Floresca Karanasou).

١٦٥ Watkins, David; *Palestine: An Inescapable Duty, **Middle East International,*** No. 436, 23/10/1992, p. 22 (Reviewed by Lawrence Tal).

الكتب

١٦٦ الاسطة، عادل؛ **اليهود في الادب الفلسطيني**، القدس: اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة، ١٩٩٢.

١٦٧ بسطامي، مها (مترجمة ومعدّة)؛ **التابو النووي والنظام الاقليمي الجديد في الشرق الاوسط**، ليماسول: دار قرطبة، ١٩٩٢.

١٦٨ **حرب الخليج وابعادها: آراء فلسطينية**، القدس: الجمعية الفلسطينية الاكاديمية للشؤون الدولية، ١٩٩١.

١٦٩ حسين، عدنان السيد؛ **الانتفاضة وتقرير المصير**، بيروت: دار النقاش، ١٩٩٢.

١٧٠ **دراسة تحليلية لاحصاءات القوى العاملة الفلسطينية في الاراضي المحتلة لعام ١٩٨٨**، دمشق: م.ت.ف. ـ المكتب المركزي للاحصاء، ١٩٩١.

١٧١ ديلمان، جيفري وموسى البكري، **استخدام اسرائيل للتعذيب بالصدمة الكهربائية اثناء التحقيق مع المعتقلين الفلسطينيين**، القدس: مركز المعلومات الفلسطيني لحقوق الانسان، ١٩٩١.

١٧٢ الشامي، رشاد عبدالله؛ **الشخصية اليهودية في أدب احسان عبدالقدوس**، القاهرة: دار الهلال، ١٩٩٢.

١٧٣ الصمادي، حمزة؛ **في دائرة الضوء: الفلسطينيون في الضفة والقطاع**، القدس: مركز القدس للدراسات الاستراتيجية، ١٩٩١.

١٧٤ عوض، احمد رفيق؛ **حوار مع اسرائيلي**، القدس: دار الكاتب، ١٩٩٢، ٢٣٠ صفحة.

١٧٥ مراد، عبدالرحمن؛ **صفحات عن حيفا ومعركتها الاخيرة**، دمشق: دار الجليل، ١٩٩١.

١٧٦ المقالح، عبدالعزيز؛ **صدمة الحجارة: دراسة في قصيدة الانتفاضة**، بيروت: دار الآداب، ١٩٩٢.

١٧٧ ناطور، سلمان؛ **يمشون على الريح**، الناصرة: مركز يافا للابحاث، ١٩٩١، ١٠٢ صفحة.

١٧٨ هويدي، أمين حامد؛ **الفرص الضائعة: القرارات الحاسمة في حربي الاستنزاف واكتوبر**، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ١٩٩٢، ٦٨٢ صفحة.

١٧٩ Heller, Mark A and Sari Nusseibah; *No Trumpets, No Drums: A Two - State Settlement of the Israeli - Palestinian Conflict,* New York: Hill and Wang, 1991, 136 Pages.

١٨٠ Kedourie, Elie (Ed.); *Spain and the Jews: The Sephardi Experience,* London: Thomas and Hudson, 1992.

١٨١ Palumbo, Michael; *Imperial Israel:, The History of the Occupation of the West Bank and Gaza,* London: Bloomsbury 1992.

١٨٢ *U.S. Official Statements Regarding UN Resolution 242,* Washington: The Institute for Palestine Studies, 1992.

١٨٣ Vatikiotis, P.J.; *Among Arabs and Jews: A Personal Experience, 1936 - 1990,* London: Wiedenfeld and Nicolson, 1991.

١٨٤ Watkins, David; *Palestine: An Inescapable Duty,* London: Alhani International Books, 1992.

اعداد : ماجد الزبيدي

ISSN 0258 - 4026

SHU'UN FILASTINIYAH

(Palestine Affairs)

No. 235 - 236 - 237 , October - November - December 1992

Published monthly in Arabic, for the P.L.O. Research Center, by

Al - Abhath Publishing Co. Ltd

16 Artemidos Street, Strovolos

P.O.Box 5614, Nicosia, Cyprus

Tel 429396, Fax 312104, Telex 4706 PALCU CY, Cables: PLOCS

Annual Subscription

Surface Mail: Arab countries & Europe - Individuals: $40, Institutions: $50 (add $30 for airmail postage); Other countries - Individuals: $50, Institutions: $60 (add $50 for airmail postage)

الثمن دينار في الاردن والكويت ▪ ١,٥ جنيه في مصر والسودان ▪ ١,٥ دينار في العراق وليبيا ▪ ١٥ درهماً في دولة الامارات العربية المتحدة ▪ دينار في تونس ▪ ١٠ دراهم في المغرب ▪ ١٠ دنانير في الجزائر ▪ دولاران في الاقطار العربية الاخرى